

أبو علي مسكويه الرازي

تجارب الأمم

تحققه وتقديمه

الدكتور أبو القاسم

الحجز السابع

الذيل والحق

دار مؤشس لطباعة والنشر
طهران - ۱۳۵۷ ش - ۱۳۵۸ م



تجارب الأمم



مرکز تحقیق کتب و تفسیر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

کتابخانه

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

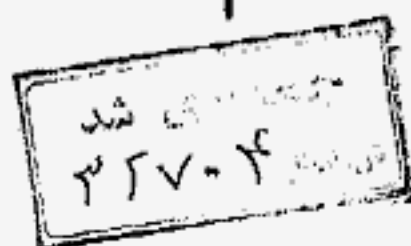
شماره ثبت: ۰۰۳۵۲۵

تاریخ ثبت:

أبو علی سکویه الرازی

(۴۲۱-۳۲۰)

تجارب الأمم



محققه و مقدمه
الدكتور أبو القاسم إمامي

h-78.00

الجزء السابع

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

دار سرشس للطباعة والنشر

طهران ۱۳۷۹ ش ۲۰۰۰ م

مسکویه. احمد بن محمد. ۴۳۷ - ۴۷۱ ق.
تجارب الامم / ابوعلی مسکویه الرازی؛ حقه و
قدم له ابوالقاسم امامی. - طهران: دارسروش
للطباعة و النشر، ۱۹۸۷ = ۱۴۰۷ ق. = ۱۳۶۶ - .

ج.
بهای هر جلد متفاوت (دوره) ISBN 964-435-331-5
ISBN 964-435-327-7 - بهای: ۱۸۰۰ ریال (ج. ۱)
(v. 4)

فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیبا.
پشت جلد به انگلیسی: Miskawayh, Tajarib
al-umam (experiences of nations).

عربی.

کتابنامه.

جلد چهارم (چاپ اول: ۱۳۷۶): ۱۶۰۰۰ ریال (جلد
نرم). ۱۹۵۰۰ ریال (جلد زرکوب).

ج. ۵ (چاپ اول: ۱۳۷۷) ISBN 964-435-328-5

ج. ۶ (چاپ دوم: ۱۳۷۸) ISBN 964-435-441-9

ج. ۳ (چاپ اول: ۱۳۷۹) ISBN 964-435-551-2

ج. ۷ (چاپ اول: ۱۳۷۹) ISBN 964-435-552-0

۱. اسلام -- تاریخ -- متون قدیمی تا قرن ۱۴.
۲. تاریخ جهان -- متون قدیمی تا قرن ۱۴. ۳. ایران
-- تاریخ -- متون قدیمی تا قرن ۱۴. الف. امامی.
ابوالقاسم. ۱۳۱۳ - . مصحح. ب. صدا و سیما
جمهوری اسلامی ایران. انتشارات سروش. ج. عنوان.

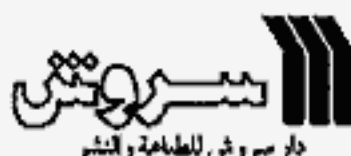
۹۰۹/۰۹۷۶۷۱

DSTB/۹۳/الف۱۳۵۳۳

۱۳۶۶

۹۲۴-۹۶۶*

کتابخانه ملی ایران



طهران، شارع الاستاذ مطهری، مفترق الدكتور مفتاح بنایة جام جم، رقم ۲۲۸
مركز التوزيع: مجمع سروش الثقافي، المعاونة التجارية، رقم التليفون ۶۴۰۴۲۵۵

العنوان: تجارب الامم (المجلد السابع)

المؤلف: ابوعلی مسکویه الرازی

تحقيق: الدكتور ابوالقاسم امامی

تنفيذ الحروف والاخراج: دار البصائر للخدمات الثقافية

الطبعة الأولى: ۱۳۷۹ ش / ۱۴۲۱ ق / ۲۰۰۱ م.

عدد النسخ: ۳۰۰۰ نسخة

طبع هذا الكتاب بجميع مراحل الطبع في مطابع دار سروش للنشر.

جميع حقوق الطبع محفوظة للناس.

شابک: ۰ - ۵۵۲ - ۴۳۵ - ۹۶۴ (جلد هفتم) ISBN: 964 - 435 - 552 - 0 (Vol. 7)

شابک: ۵ - ۳۳۱ - ۴۳۵ - ۹۶۴ (دوره ۷ جلدی) ISBN: 964 - 435 - 331 - 5 (7 Vol. SET)

ذيل كتاب تجارب الأمم

للووزير أبي شجاع محمد بن الحسين الملقب

ظهير الدين الروذراورى

(حوادث سنة ٣٦٩ إلى ٣٨٩ هجرية)

ويليه :

الملحق بذيل الروذراورى

وهو الجزء الثامن ، من تاريخ هلال الصابى
مركز تحقيق كتاب تاريخ العلوم فى دار

(حوادث سنة ٣٨٩ إلى ٣٩٣ هجرية)



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

مقدمة صاحب الذيل
بسم الله الرحمن الرحيم
وبه ثقني

أما بعد حمد الله سبحانه والثناء عليه، أهل الحمد والثناء، المفرد بالوحدانية والبقاء الذي لا يُحيط به مكان، ولا يغيره زمان، لا إله إلا هو مبدع المكان وموجده، ومحدث الزمان ومنفذه، خالق الخلق أطواراً، وجاعل الظلمة والضياء ليلاً ونهاراً، كتب على الخلائق تقلب الأحوال لأنه لا يحول، وقضى على الأزمنة حكم الزوال لأنه لا يزول. والصلاة على رسوله محمد الذي بعثه بالرسالة، وهدى به من الضلالة، وأنفذ بمعرفته من الجهالة، ودل على نبوته بأفضل الدلالة، واختاره من أشرف البلاد وطنا وداراً، واصطفاه من أكرم العباد حسباً ونجاراً، حيث المشعر الحرام والمعشر الكرام، وجعله آخر الأنبياء بعثاً في الدنيا إلى العباد، وأولهم بعثاً إلى المعاد، وجعلنا من أمته الذين جعلهم أمة وسطاً، وأبان لهم من الإسلام منهجاً جديداً، ووفقهم في الدين فتحروا رشداً. فقولهم سديد، وفعلهم رشيد، وهم شهداء على الناس والرسول عليهم شهيد، وعلى آله الذين سبقوا إلى مصاحبته وسعدوا بمرافقته، [3] وشرفوا بمتابعته في هجرته، وكرموا بإيوائه ونصرته، فهم معالم

الهدى، ومصاييح الدجى^(١)، كدرارى النجوم تهدى السارى بنورها، وتقى
الغاوى من فتنة الدنيا وغرورها.

والدعاء لخليفته الإمام المقتدى بأمر الله أمير المؤمنين صاحب العصر
المؤيد بالنصر المختار من شجرة طيبة للشرف^(٢) والعلاء، «أصلها ثابت
وفرعها فى السماء»^(٣) شربت من ماء النبوة الطاهرة عيدانها، وتفرّعت
بالخلافة الظاهرة أفنانها. كما قال جدّه العباس لبعض أصحابه رضوان الله
عليهم أجمعين: كان رسول الله دوحة نحن أغصانها وأنتم جيرانها، وهو
المنصب العظيم، من المحتد الصميم، والبيت الكريم، الذى أول درجاته النبوة
والكرامة، وثانيهما^(٤) الخلافة والإمامة. ولا ثالث لها بعد ذلك إلى القيامة.
توارثها إمام عن امام. وقام بها أمير المؤمنين المقتدى بأمر الله خير قيام.

إِنَّ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاءَ بَنَى لَهُمْ بَيْتًا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ^(٥)

شدّ الله عضده بذخر الدين، وولى عهده فى المسلمين، وباخوته الفرّ
الميامين، وجعلها كلمة باقية فى عقبه إلى يوم الدين، [4] وأيد دولته بجلالها
الذات عن حماها، المناضل عن علاها، جمال الملة مغيث الأمة معزّ الدنيا
والدين يمين أمير المؤمنين الملك العادل المحبب إلى القلوب، والركن الشديد
المعدّ لدفع الخطوب، ودبر ملكه بنظامه المبارك فى أيامه، قوام الدين رضى

١. فى الأصل فى مد: الدجا.

٢. فى مد: الشرف.

٣. س ١٤ ابراهيم: ٢٤.

٤. فى مد: ثانيهما.

٥. أول بيت الفرزدق هو هكذا: إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا.

أمير المؤمنين الوزير الظهير، الموفق بحسن التدبير.

وبعد أداء الفروض المقدمة الواجبة، والسُنن المؤكدة الراتبة، وقضاء حقوقها المستتبّة الأزلية وسلوك طرقها المستقيمة اللاحبة، فإنّ أولى ما صنّفه المفيد، وعنى بقراءته المستفيد، جمع أخبار الأمم الخالية، وحفظ تواريخ الأزمان الماضية، لأنها أوفى المصنّفات فائدة وأكثرها عائدة، وأحسنها أثراً، وأطيبها ثمرًا، إذ كان أنفع العلوم ما أدّت مقاصده إلى التوحيد، ووقفت موارده على تثبيت قدرة الخالق في نفوس العبيد، وفي تدبير اختلاف الليل والنهار، وتأمل مجارى الأقدار وتقلب الأدوار، في توالي الأمم وتعاقبها، وتداول الدول وتناوبها. قال الله تعالى: «وتلك الأيام نداولها بين الناس»^(١) أكبر دليل على وحدانية من ينبتهم ثم يحصدهم [5] ويشقيهم ويسعدهم، وينشئهم ويبيدهم، ويعيدهم، ويحييهم ويميتهم «وهو على جمعهم إذا يشاء قدير» تبارك اسمه وجلّ ثناؤه، وعظمت قدرته وكثرت آلاؤه، مرجع الخلق والأمر إليه «وبيده ملكوت كلّ شيء» وهو يُجير ولا يُجار عليه»^(٢) له الحمد كله وبتوقيفه يتضح في الرشاد سبيله، فلا عبادة إذاً أرقى من التوحيد فموقعه من العبادات موقع الرأس من الجسد به اعتداله وبقاؤه، ومحلّه من الاعتقادات محل الروح من الجسم بها حياته ونماؤه.

ولو لم يكن علم القصص عظيمًا لما منّ الله تعالى به على نبيه عليه السلام فقال: «نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين»^(٣) وقال سبحانه: «طسم تلك آيات الكتاب

١. س ٣ آل عمران : ١٤٠.

٢. س ٢٣ المؤمنون : ٨٨.

٣. س ١٢ يوسف .

المُبين، ثلّوا عليك مِنْ نَبِيٍّ موسى وفرعونَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»^(١) وقال تعالى: «كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا»^(٢) ولو لم يكن في ذلك إلا ما ينتفع به المعتبر من قِلَّةِ الثَّقة بالدنيا الفانية، وكثرة الرغبة في الآخرة الباقية، لكفى ما تنتججه هذه البصيرة من جميل الأفعال، وتحثّ عليه هذه النتيجة من صالح [6] الأعمال. فكيف وأولى ما يعتمد عليه أولو الأمر وأصحاب الزمان، ومن بأيديهم مقاليد الملك والسلطان، وأوجب ما يتشاغل به من إليهم أزمّة الأمور، وعليهم سياسة الجمهور، إدمان النظر في كتب التاريخ وإحسان التتبع للأخبار، والآثار والتفكير في حال من مضى من الأخيار والأشرار، ليعلموا ما بقى للمحسن من الصيت الحميد الذي صار له حياة مخلّدة بالأجر^(٣) الذي اكتسبه، وللمسيء من الذكر القبيح الذي جعل صحيفته مسوّدة بالوزر الذي احتقبه، ويتصفّحوا حال الحازم في حزمه وعقله، والمضيع في تفريطه وجهله، فيسلّكوا من الطرائق أوضاعها وأمثلها، ويتقبّلوا من الخلائق أشرفها وأفضلها، ويردّوا من المشارب أصفها وأعذبها، ويرعوا من المراتع أمراها وأخصبها، ويأخذوا من الأمور بأحزمها، ومن التجارب بأحكمها. فمهما يكن من حسنة اقتبسوا منها، ومهما يكن من سيئة ارتدعوا عنها، فالسعيد من انتفع بالأدب فيما دأب غيره فيه من التجارب، والرابع من حظى بالراحة فيما تعب به سواه من المطالب. لأنّ العقل غريزة في الإنسان، والتجارب مكتسبة في الزمان، والرأى [7] لقاح العقل والتجربة نتاجه، والخير مقصد العجى والاجتهاد منهاجه، ومن أين للإنسان من العمر الطويل، ما يحصل فيه على تجربة الدقيق والجليل. وقيل: العمر قصير

١. س ٢٨ القصص: ٣.

٢. س ٢٠ طه: ٩٩.

٣. في مد: وبالأجر. (بزيادة الواو).

والعلم كثير^(١) فخذوا من كلّ شيء أحسنه.

فاذا تأمل المرء سيرة الماضين من الأقوام، جنى مع تقارب الشهور والأيام، ثمرة ما غرسوه على تطاول الدهور والأعوام، وعلم علل الأحوال وفوائدها، وحيل الرجال ومكايدها، وعرف مبادئ الأمور ومصائرهما، وقاس عليها أشباهها ونظائرها، وعمل بأنفع ما حبى به من الفهم والعلم، وانتفع بأصوب ما عمل به في الحرب والسلم، وأقدم على المواطن التي يرتجى في أمثالها الظفر، وأحجم عن الأماكن التي يتوقى في أشكالها الحذر، وتسلى بمن تدرّع الجلد عند حدوث النوايب، وتأسى بمن توقع الفرج حين ظهور العجائب، وذكر مصير العاقبة إذا أرخت يد الغفلة عنان أشربه، ونظر بالبصيرة الثاقبة اذ غطى غرور الدنيا على بصره.

فهذان القسمان يجمعان الدين والدنيا، ويبلغان بصاحبهما الدرجة العليا. فأما ما في ذلك من حسن المفاوضة والمذاكرة، وأنس المحادثة والمسامرة، فقد [8] خففت القول فيه لأنه يصغر في جنب ما قدمت ذكره من القسمين العظيمين، والأميرين الجسيمين. كما قال النبي صلعم: كل الصيد في جوف الفراء^(٢). وإننى تأملت كتاب تجارب الأمم وعواقب الهمم، الذى صنّفه أبو على أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه، فوجدت فوائده غزيرة، ومنافعه كثيرة، وعلمه جمًّا، وبحره خضمًّا. فراقنى تأليفه، وأعجبني تصنيفه. فرحم الله مصنّفه وأجزل في الآخرة أجره كما طيب في الدنيا ذكره. فلقد اختار فأحسن الاختيار، ومخض فأتى بزبد الأخبار. وسلك سبيلا وسطا بين التطويل والإختصار. ثم لم يقنع بذلك حتى قرّب مسالك الطرق البعيدة، وبرز من أثناء الإختيار ذكر الآراء السديدة، ونبه فيها على مقامات حميدة، وبين

١. هذا الرأي منسوب الى بقراط اليونانى (مد).

٢. فى مد: الفراء (بالمد)، وقاله (ص) متمثلاً. انظر: الميدانى: رقم ٣٠١٠.

ما جرى في كل وقت من خدعة ومكيدة. لئلا يبعد من يد المتناول قطف الثمرة اليانعة، ولا يطول على فكر المتأمل وجود الزبدة النافعة. وأحر به ذلك، فإن فضله وإن لم يدرك زمانه باقى النفع بادی الأثر، والروض ينبىء عن فضيلة الغيث وإن ولى أوان المطر. فدعاني وقوف همّتي عليه إلى اقتفاء أثره، [9] وسلوك ما سنّه في ورده وصدره. وصلا للسلك الذى بدأ^(١) بنظامه، ونياية عنه في تشييد ما بناه بعد انقضاء أيامه، وسنّة لمن بعدنا يستمرّ الآتى منها على سيرة الغابر، ويتصل بحبل الأول فيها حبل الآخر، لا تعاطياً منا للمساجلة، ولا تمادياً في المماثلة، لا مجارة في المضمار، ولا مساواة في الاختيار، ولا ما قاله زهير:

هُوَ الْجَوَادُ فَإِنْ يَلْحَقُ بِشَأْوِهِمَا عَلَى تَكَالُفِهِ فَمِثْلُهُ لَحِقًا

فهيئات كيف الطمع في اللحاق، وقد شأى المتقدم في السباق. لاسيما وطرف الفصاحة تحتى كاب، وحدّ البلاغة في يدى ناب. فأين المصلى من المجلى. وأين الكهام من الحسام. وأين السنيع من المعلّى، وأين العاطل من المعلّى. أريها السها وترينى القمر ولكنى أقول ما قاله في البيت الثانى:

أَوْ يَسْبِقَاهُ عَلَى مَا كَانَ مِنْ مَهَلٍ فَمِثْلُ مَا قَدِمَا مِنْ صَالِحٍ سَبَقَا

هذا لعمرى أقرب إلى الصواب، وأليق بهذا الباب. فأحسنّت القياس وسلمت قصبة السباق وأعطيت القوس باريها، وأنشدت الضالّة باغيها. [10]

١. فى الأصل: بنا. والإقتراح من مد.

فَلَوْ قَبْلَ مَبْكَاهَا بِكَيْتُ صَبَابَةٍ إِذَا لَشَفِيَتْ النَفْسُ قَبْلَ التَّنَدُّمِ
وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِي الْبُكَاءُ بُكَاهَا فَكَانَ الْفَضْلُ لِلْمُسْتَقْدَمِ^(١)

ثم إنَّ للتصنيف رجالاً عُنُوا بأمره وعاموا في بحره، وأنسوا بجمع شارده،
وتفرّدوا بنظم فرائده، وصاروا بصدده، واستولوا على أمدّه. فهم لقسيّه براه،
وإلى غرضه رماة، وفي طرقه هداة. وقد رُيِّيت في غير هذا الوكر، وسقيت
من غير هذا الدرّ، وتحليت بغير هذه الصناعة، فان قصرت عن بلوغ معانيه،
فاحذوا العذر في العجز وإن وقع سهمي دون مراميّه، فأعذر فالنزع^(٢) في
القوس لين، فلمن سبقنا فضيلة الجمع والاستكثار. ولنا من يمدّهم وسيلة
الاختيار والاختصار، وكل مجتهد مصيب، وله من حسن الذكر نصيب.

فسلّمت إلى من تقدّمنا الفضل في زمانهم لمحاسن تلك العلوم المشهورة.
ولو أنّهم أدركوا زماننا لسلموا الفضل إلينا بمحاسن هذه الدولة المنصورة،
دولة الإمام المقتدى بأمر الله، أمير المؤمنين ذي الكرم والفخار، والحلم
والوقار، والأخلاق الطاهرة، والأفعال الباهرة، والكرامات العجيبة في المنشأ
والمولد، والدلالات الصحيحة في المغيب والمشهد. به أنقذ الله الرجاء من
أسر اليأس [11] وألقى عليه محبة قلوب من الناس، بعد أن فجعوا بذخيرة
الدين، وليس للقائم رضوان الله عليهما، عقيب سواه، ولا للبيت أحد يصلح
للعهد فيولّاه، فتقطّعت النفوس حسرات، وترجّعت الأنفاس زفريات. وبكت
الملة واستولت الوحشة والغمة، فأتى الحمل الميمون به لتمام، وبدا وجهه
العنبر فجلا كلّ ظلام، وسارت البشرية بذكره في سائر الآفاق، وزهت أعواد
المنابر باسمه حتى كادت تعود للإيراق. ثم كلاه في الفتنة الحادثة أحسن

١. البيهتان لعدى بن الرقاع.

٢. لعله فاعذروا لنزع (مد).

كلاءة بين أعاديته، وألحفه جناحا من الحياطة ستره بين قواده وخوافيه. فكانت قصته كقصّة موسى عليه السلام، حين القى صغيرا في اليم، ونجّى^(١) كبيرا من الغم. وأعاد القائم بأمر الله رضوان الله عليه إلى مقرّ سلطانه، وفسح في مدّته وبارك في زمانه لإتمام عهده وإنجاز وعده حتى يسلم الأمر منه على حين السن المستحقّة لتسلم أسبابه وتقمّص جليابه. فكان ذخيرة الدين خلفاً لنجلاه، وكان القائم بأمر الله عاد في تلك النوبة لأجله، فاستحقّ بنفسه وارثه شرف الخلافة العظيمة، وحوى في شرح الشبيبة جميع محاسن الأخلاق الكريمة، وارتقى من المجد ما لا تبلغ الأوهام ذروته، [12] واجتنب من الحلم ما لا تحلّ الأيام حبوته، وساس الأمور بهمة عليّة، وسيرة رضية، وخلافة جاءت كالنصر من السماء، ولم يكن مثل ذلك لامثاله من الخلفاء، وكأنما عناه أبو العتاهية بقوله:

أَتَيْتُ الْخِلَافَةَ مُنْقَادَةً إِلَيْهِ تُجَرَّرُ أَذْيَالُهَا
فَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرُهُ لَزُلْزِلَتْ الْأَرْضُ زِلْزَالُهَا

فما خلا متقلّد للخلافة في عصر من ينزع في ردائها ويجاذب على عنانها، ويترشح لمحلّها ويتناول لمكانها، إلى أن يستقرّ الرأي في قراره، ويجتمع الأمر من أقطاره، إلاّ أمام عصرنا المقتدى بأمر الله أمير المؤمنين، فأنّه تفرد في عصره بهذا الإستحقاق، واجتمعت الكلمة عليه لوقتها بالاصطلاح والإتفاق. فلم يخطر منازعته بخلد ولا بال، ولو كان الزمان ذا

لسان لقال: «هذا صاحبى بلا مرأ ولا جدال»، لا جرم أن سعادته مخصوصة بأوفى كمال، محروسة بإذن الله تعالى عن نقصان وزوال، ودولته محوطة بأكرم ظهير ومُوال.

وأنى يكون للدول الأولى مثل جلال الدولة بن عضد الدولة الهمام ابن الهمام الملك [13] عضد الدولة المعظم من الأخوال والأعمام، الحامى حوزة الاسلام، الملبى لدعوة الإمام، الذى كرم طرفاه، وعظم شرفاه، ودانت لصولته الأمم، وانكشفت بدولته الظلم، وجرت بنصرته الأقدار، وانفتحت على يديه الفتوح الكبار، أطول الملوك باعاً، وأحسنهم فى الدين ذباً ودفاعاً. فهو تاج على جبين الأيام الزاهرة المفتدية^(١). يزيد فى أنوارها، وركن الدولة القاهرة العباسية يدفع عن أقطارها. زاد على أنوشروان بفضله وبمعدلته، وأوفى على بهرام ببأسه ونجدته، وفضل أردشير بتدبيره وسياسته، وسأوى الإسكندر بملكه وبسطته. فالشرق والغرب^(٢) مذلعتان لطاعته، والبدو والحاضر منقادان لتباعته كل ذلك ببركات مخالسته لإمامه. وحسن نيته فى محبة أيامه.

وأين كان لتدبير الأقاليم وزمّ أمورها، وحفظ الممالك وسدّ^(٣) ثغورها مثل نظام الملك قوام الدين الذى أعدّ للخطوب أقرانها، حين عجم بالتجربة عيدياتها، وجمع رئاسة السيف والقلم، لما كفل بسياسة العرب والعجم، بنقبيّة فى الدولة ميمونة، وسريرة فى النصيحة مأمونة، وحزم لا يشان بهفوة، وعزم لا يخان بنبوة، وخلق لا تجد فيه عنفاً، ورأى لا [14] ترى فيه ضعفاً، وهيبة مع طلعة بشر، وتواضع مع رفعة قدر. فاذا قيل له اتق الله سمع وأطاع، وإذا

١. كذا فى مد: المفتدية. ولعله: المفتدية.

٢. فى مد: المغرب.

٣. فى الأصل: صدّ.

خَوْفَ بالله خاف وارتاع. فأفعاله أفعال العباد، وأخلاقه أخلاق الزهاد، مع انقياد الدنيا له في الإصدار والإيراد، ونفاذ أمره على الرعايا والأجناد، وجمعه في منهل العدل بين الظباء والآساد.

فأى دولة تباهى هذه الدولة القاهرة في مناقبها ومآثرها، وأى أيام تضاهى هذه الأيام الزاهرة في محاسنها ومفاخرها، وأى قول ينتهى الى حد وصفها وان امتدّ وطال، وأى بليغ يبلغ أمد فضلها وإن أسهب وقال.

فأعود الآن الى ذكر ما أنا قاصده من الاختيار، متبرئاً من عهدة ما أورده من الأخبار، لأننى أتبع فى كتاب التاريخ مسطورها، فأختار بحسب المعرفة عقودها وميسورها. وما عساه يندر من خبر شاذّ تلقف من أفواه الرجال، وخلا التاريخ من ذكره إمّا بخفاء أو نسيان أو إغفال. فإنه يثبت فى بواطنه، وينظم مع قرائنه. وإذا انتهيت، انشاء الله سبحانه، إلى أخبار زماننا اتسع المجال، وأمكن المقال، وعمدت حينئذ إلى ما شاهدناه وخبرناه فأخبرت به على وجهه وذكرته مجتهداً فى التحرّى وبحسب الإمكان الذى لا أقدر على سواه، [15] وبقدر الوسع الذى لا يكلف الله نفساً إلاّ إتياء.

وأول ما أبدأ به الآن فى كتابى، هو آخر ما ختم أبو على مسكويه^(١) رحمه الله، به كتابه فى سنة تسع وستين وثلاثمائة، والله تعالى ولى حسن التوفيق، والهادى فى جميع المقاصد إلى سواء الطريق، وبه أعوذ من الخطل، واعتصم من الزلل، وإياه أسأل خاتمة جميلة، بالمغفرة كفيفة. إنه غفور رحيم.

(انتهت المقدمة)

١. وإذا قارنّا بين المواطنين اللذين أورد فيهما الروذراورى ذكر مسكويه، تبيّن لنا مرّة أخرى أنّ "مسكويه" لقبه هو، لا لقب أبيه محمد، أوجده يعقوب، انظر مقالنا فى التصدير، فى صدر الجزء الأول من تجارب الأمم.

ذكر ما جرى عليه أمر عضد الدولة عند توجّهه إلى الجبل

رحل بالعسكر من المصلى في يوم السبت لثلاث خلون من ذى الحجة وقد استصحب أبا عبد الله الحسين بن سعدان ينفذ الأمور بين يدي عضد الدولة واليه عرض العسكر.

فلما حصل بين حلوان وقرميسين عاده المرض الذى كان عرض له من قبل وحجب الناس عنه حجابا وقع به الإرجاف والإضطراب ثم أفاق وظهر وركب إلى قرميسين.

ووافاه بنو حسنويه وقد كانوا راسلوا وبذلوا الطاعة بوساطة أبى نصر خواشاذه إلا أنه لم يقدر أنهم يأتسون إلى الحضور بأجمعهم. [16]

ذكر القبض على بعض أولاد حسنويه واصطناع بعضهم

حضرُوا المعسكر فأقعدوا فى خركاه من وراء السرادق ووكل بهم خواص الديلم وغللمان الخيول ورتب الأعراب والأكراد والرجالة [و] ^(١) الفرس من حوالى المعسكر وبظاهر البلد لثلا يفلت منهم أحد أو من أصحابهم وقبض

منهم على عبد الرازق وأبى العلاء وأبى عدنان وبختيار وعلى كتابهم وأسبابهم ووجوه الأكراد الذين معهم.

واستدعى بدر وعاصم وعبد الملك ووصلوا إلى حضرة عضد الدولة وخاطبهم بما رآه من اصطناعهم^(١) وحملوا إلى الخزانة فخلع على بدر القباء والسيف والمنطقة الذهب وحمل على فرس بمركب ذهب وقيلد زعامة الأكراد البرزيكاني ومن يجرى مجراهم وخلع على كل واحد من عاصم و عبد الملك الدراعة الديباج والسيف بالحمايل وحمل على دابتين بمركبين مذهبين ووضع على كل من كان مع المنقبوض عليهم من الأكراد السيف ونهبت حللهم بما فيها.

ونفذ أبو الوفاء طاهر بن محمد إلى قلعة سرماج فافتتحها [17] وأخذ ما كان فيها من ذخائر حسنويه.

ودخلت سنة سبعين وثلثمائة

وسار عضد الدولة إلى نهاوند وأقام بها ورثب العمال في النواحي وجدّ في تناول الموجود لآته كان من رأيه أن يجعل همدان ونهاوند لمؤيد الدولة ويستضيف الدينور وقرميسين وما يجرى مجراهما إلى أعمال العراق. ثم انتقل في رصف من نهاوند إلى همدان ونزل دار فخر الدولة بها.

ذكر ورود الصاحب أبي القاسم اسماعيل بن عباد

في هذا الشهر ورد الصاحب ابن عباد الخدمة عن مؤيد الدولة وعن نفسه فتلّقاه عضد الدولة على بعد من البلد وبالح في اكرامه ورسم لأكابر كتابه

١. في مد: من واصطناعهم (بزيادة الواو).

وأصحابه تعظيمه ففعلوا ذلك حتى أنهم كانوا يغشونه مدة مقامه مواصلة ولم يركب هو إلى أحد منهم وكان غرض عضد الدولة بذلك استمالة مؤيد الدولة وتأنيس [18] صاحب.

ووردت كتب مؤيد الدولة يستطيل مقام صاحب ويذكر اضطراب أموره ببعده فوق الشروع في تقرير ارتفاع همدان ونهاوند معهما عليه وتولى أبو عبد الله محمد بن الهيثم عمل العمل بالارتفاع.

ذكر عمل رتب في تكثير اعتداد بارتفاع

صدر العمل بأن قال : مبلغ ارتفاع النواحي الفلانية. وتتم الحكاية عن كذا وكذا ورقاً صحاحاً. من الورق ينفذ الخرج كذا وكذا. وأضاف إليه الربع اعتماداً للتكثير. وأنفذ العمل مع أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف وأبي الوفاء طاهر بن محمد وأبي عبد الله ابن سعدان إلى صاحب أبي القاسم ورسم لابي عبد الله الحضور معهم عنده وموافقته على أبوابه ففعل واستوفى مناظرتة وكمل الارتفاع بزيادة على موجوده.

ذكر عود عضد الدولة إلى مدينة السلام [19]

برز عضد الدولة إلى ظاهر همدان في شهر ربيع الآخر للعود إلى مدينة السلام وخلع على صاحب الخلع الجليلة وحمله على فرس بمركب ذهب ونصب له دستاً كاملاً في خركاه يتصل بمضاربه وأجلسه فيه وأقطع ضياعاً جليلة من نواحي فارس وحمل إلى مؤيد الدولة في صحبتته ألطافاً كثيرة وضم إليه من العسكر المستأمن عن فخر الدولة عدداً ليكونوا برسم خدمة مؤيد الدولة.

ذكر ما جرى عليه أحوال أولاد حسنويه بعد
وما جرّه الحسد من إلقاء من نجا منهم
بيده الى التهلكة

لما قدم بدر وفضل بالسيف والمنطقة أحفظ ذلك عاصما وأوحشه وأقام
قليلاً ثم انحاز إلى الأكراد المخالفين خالعا للطاعة مناهذاً لبدر.
فأخرج اليه أبو الفضل المظفر بن محمود في عدة من الأولياء حتى أوقع
بمحمود وأخذه أسيراً وأدخله همذان راكب جمل بدراة ديباج ولم يعرف له
خبر بعد ذلك وتفرّد بدر بالخدمة والانتساب [20] إلى الحجة، وقتل جميع
أولاد حسنويه.

وفي هذه السنة ورد الكتاب بأن أبا علي الحسن بن محمان أخذ المعروف
بالصيداوى وقتله.

ذكر حيلة تمت على الصيداوى حتى أخذ وقتل
كان هذا الرجل أحد قطاع الطريق في أعمال سقى الفرات فاحتال أبو
علي ابن محمان في أخذه بأن دس عليه جماعة من الصعاليك أظهروا
الانحياز اليه، فلما خالطوه قبضوا عليه وحملوه أسيراً إلى الكوفة فقتله وأنفذ
رأسه إلى مدينة السلام فشهروه بها.
وفي هذه السنة ورد كتاب أبي علي الحسن بن علي التميمي بالقبض على
ورد الرومى^(١).

١. هو السقلاروس قد تقدم ذكره (مد).

ذكر السبب في ذلك

لما توفي أرمانوس ملك الروم اتفق أن نقفور الدمستق وهو رجل ذو سياسة وصرامة كان قد خرج إلى بعض بلاد الاسلام ونكأ فيها ثم عاد فعرف خبر وفاة أرمانوس حين قرب من القسطنطينية [21] فاجتمع اليه وجوه الجند وقالوا له :

- «ان الملك قد مضى وخلف ولدين لا غناء عندهما مع صغر سنهما وما يصلح للنياحة عنهما في تدبير الملك غيرك ونحن نرى ذلك من المصلحة للناس والمملكة.»

فامتنع فراجعوه حتى أجابهم ودخل إلى الملكين وخدمهما وأظهر الحجة لهما والنياحة عنهما ثم لبس التاج وتزوج بوالدتهما ثم وقع منه جفاء لهما استوحشت به منه.

ذكر تدبير دبّرتّه المرأة حتى تمّ لها قتل نقفور لقلّة حزمه

راسلت ابن الشمشقيق وأطمعته في قتل نقفور وأقامته مقامه في التدبير واستقرّ الامر بينهما على أن صار هو وعشرة نفر من خواصه سرّاً إلى البلاط التي تنزلها هي ونقفور فأدخلته ليلاً وكان نقفور يجلس أكثر الليل للنظر في الأمور وقراءة السير ويبيت على باب البيت الذي يأوى إلى فراشه فيه خادمان، فلما حصل ابن الشمشقيق داخل البلاط هجموا على الموضع وقتلوا الخادمين وأفضوا إلى نقفور وقتلوه ووقعت الصيحة وظهرت القصة واستولى ابن الشمشقيق على [22] الامر وقبض على لاون أخى نقفور وعلى ورد بن

لاون^(١) فأما لاون فإنه كحله وأما ورد فإنه حمله إلى قلعة في البحر واعتقله. وسار إلى أعمال الشام وفعل فيها الافاعيل وانتهى إلى طرابلس فامتنع عليه أهلها فنزل عليهم ونازلهم^(٢).

فكان لأم الملكين أخ خصي وإليه وزارة الملك منذ أيام الملك أرمانوس واسمه بركموس^(٣) ف قيل: إنه دس على ابن الشمشقيق سماً في طعام أو في شراب فأحس به ابن الشمشقيق في بدنه فسار عائداً إلى قسطنطينية وتوفي في طريقه واستولى بركموس على الأمر.

وكان ورد بن منير^(٤) كبيراً من كبراء أصحاب الجيوش ومقيماً في بعض الأعمال فطمع في الأمر وجمع الجموع واستجاش بالمسلمين من الثغور وكاتب أبا تغلب ابن حمدان وواصله وصاهره.

وأخرج الملكان إليه عسكرياً بعد عسكر فكسرهم واستظهر وسار إلى القسطنطينية ودهم الملكين ما ضاقا به ذرعاً فأطلقا ورديس بن لاون واصطنعاه واستحلفاه على المناصحة وأنفذه للقاء ورد في الجيوش الكثيرة وجرت بينهما وقائع أبلى كل واحد منهما بلاء ظاهراً حتى تبارزا وتضاربا باللتوت إلى أن وقعت خوذتهما عن رؤوسهما.

ثم انهزم ورد ودخل إلى بلاد [23] الاسلام مفلولاً وحصل بظاهر ميافارقين على نقيض فرسخ منها - وأبو علي الحسن بن علي التميمي الحاجب إذ ذاك بها - وراسل عضد الدولة وأنفذ أخاه إليه فأحسن تقبله ووثق إليه بخطه وأعادته عليه بوعد جميل في إنجاده.

١. هو الفقاس (ورديس) (مد).

٢. ليراجع فيه تاريخ ابن القلانسي ص ١٢ - ١٤ (مد).

٣. هو باسيل أخ لجدة الملكين (مد).

٤. هو السقلاروس (مد).

وتلاه رسول ملك الروم يلاطف عضد الدولة في أمره^(١) فقوى في نفسه ترجيح جانب ملك الروم على ورد وبدا له رأى في تدبير القبض عليه فكتب أبا علي التميمي بالتوصل إلى تحصيله. فخرج أبو علي إليه بعد مراسلة ترددت بينهما في الاجتماع وقبض عليه وعلى ولده وأخيه وجماعة من أصحابه وحملهم إلى ميافارقين ثم أنفذهم إلى مدينة السلام.

رأى صواب رآه أصحاب ورد وأشاروا عليه
فأهمله واستبدّ برأيه

كان وجوه أصحاب ورد اجتمعوا إليه قبل القبض عليه وقالوا: «لسنا نرى أمرنا مع عضد الدولة مستقرّاً عن نصرة ومعونة وقد تردّد بينه وبين ملكي الروم في معاننا وأنا لا نأمن أن يرغباه [24] فينا فيسلمنا والوجه الاستظهار وترك الاغترار وأن نفارق موضعنا عائدين إلى بلاد الروم على صلح إن أمكننا أو حرب نبذل فيه جهدنا، فأمّا ظفرنا أو مضيئنا أعزاء كراماً.»

فقال: «ما هذا رأى، ولا رأينا من عضد الدولة الا الجميل ولا يجوز أن نقصده ثم نتصرف عنه من قبل أن نبلو ما عنده.» فلما خالفهم وتركهم تركه كثير منهم وفارقوه. فأقام ورد وأخوه وولده وتحصلوا في الاعتقال إلى أن أفرج عنهم صمصام الدولة في آخر أيامه على ما يأتي ذكره فيما بعد إن شاء الله.

١. قد ذكر صاحب تجارب الامم هذه الرسالة فيما تقدم.

ذكر ما جرى عليه أمر فخر الدولة

لما صار إلى قزوین بعد هزيمته من همذان قفل عنها إلى بلاد الديلم وحصل بهوسم^(١) وأقام بها مدة. وترددت بينه وبين قابوس بن وشمكير^(٢) مراسلات وأيمان وعهود سببها الاجتماع على عداوة عضد الدولة ومؤيدها، ثم سار إلى خراسان لاستنجد صاحبها.

ودخلت سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة [25]

كان عضد الدولة أنفذ أبا نصر خرشيد يزديار^(٣) إلى قابوس برسالة يستصلحه فيها فعاد بجواب ظاهره المغالطة وباطنه الملاينة^(٤) فسأل عضد الدولة الطائع لله أن يعقد لمؤيد الدولة أبي منصور على أعمال جرجان وطبرستان وينفذ إليه العهد واللواء والخلع السلطانية فأجابه إلى ذلك. وجلس في محرم هذه السنة وجرد أبا حرب زیار بن شهرأكويه إلى مؤيد الدولة عدد كثير وضّم إليه أبو نصر خواشاذه وأصحاب خزائن المال والثياب والسلاح فوصلا إلى مؤيد الدولة وهو معسكر بظاهر الري وأوصلا إليه الخلع السلطانية فلبسها وركب في العسكر وسار.

فلما انتهوا إلى استراباد^(٥) وبين طبرستان عشرة فراسخ وقابوس مقيم بها حفر بظاهرها خندقاً أجرى فيه المياه وبنى عليه أبراجاً رتب فيه الرماة وعمل على المطاولة ولم يهمل مع ذلك الاستعداد للمواقعة إن دعت ضرورة

١. هوسم: من نواحي بلاد الجبل، خلف طبرستان (مرصد الإطلاع).

٢. وردت ترجمته في ارشاد الاريب ٦: ١٤٣.

٣. وفي الاصل «بن زياد» والصواب فيما تقدم.

٤. في الأصل: «المباينة» وهو تصحيف كما نبه عليه آمدروز.

اليها ونزل مؤيد الدولة على فراسخ من البلد في موضع ماء وجده، وأنفذ إلى طبرستان من دخلها وملكها لأن قابوس أخلاها وجمع العساكر عنده واحتشد بغاية جهده.

وطلعت طلائع العسكرين وتمسك قابوس بموضعه وتوقف [26] مؤيد الدولة عن مقاربتة إشفاقا من تعذر الماء وأقام الفريقان على هذه الحال أياما.

ذكر حرب جرت على غير ترتيب آل عقباها

إلى الخير والاتفاق

لم يزل مؤيد الدولة يجيل الرأي ويعمل التدبير إلى أن عرف خبر واد بظاهر البلد يجتمع إليه مياه الامطار في أيام الشتاء وأنه متى سدت أرجاء تقاربه وأسيح ماؤها إليه أمكن النزول عليه فركب هو وجماعة من خواصه في عدد قليل من الغلمان لمشاهدة الموضع وتقدم إلى من كان خرج للمناوشة بالتوقف في ذلك اليوم وأقام على الجبل من يمنع ويرد.

فما هو أن بعد عن العسكر حتى زحف الديلم منازعين إلى لقاء القوم وقابلهم عسكر قابوس بمثل حالهم واشتد القتال وبلغ مؤيد الدولة ذلك فقامت عليه القيامة وأنفذ جماعة من الحجاب والنقباء فوجدوا الأمر قد فات عن حدّ القبول، فانكفأ حيثنذ إلى موضع المعسكر.

ولم تزل [27] الحرب قائمة على ساق إلى أن صوبت الشمس للغروب.

ذكر غلط جرى من قابوس في رد أصحابه

بعد أن لاح له الضعف من مؤيد الدولة

ورد قابوس أصحابه وعاد مؤيد الدولة إلى معسكره وقد قتل من أصحابه خلق وجرح أكثر ممن قتل من أصحاب قابوس وخرج فأنفذ مؤيد الدولة

بدر بن حسنويه فى عدد كثير من الأتراك والأكراد إلى الجبل العاجز بين الفريقين ليضبطه إشفاقاً من أن يسير قابوس على أثرهم فأنه لو تبعهم لنكا فيهم وبلغ مراده منهم.

واحتاج مؤيد الدولة إلى المقام أسبوعاً حتى ثاب أصحابه واستراحوا وأجرى الماء إلى الوادى، ثم سار ونزل عليه ثم استعد أربعة أيام وزحف بعدها فى جميع العسكر.

واشتبكت الحرب وحملت ميمنة مؤيد الدولة على مسيرة قابوس فكسرتها وفيها جمرة عسكره، فانهزم ودخل البلد مخترقاً إلى جانبه الآخر وثبت القتال من ميمنة قابوس وفيها أخوه [28] جركاس ساعتين بعد الهزيمة لأنهم كانوا من وراء غيضة ولم يعلموا الصورة، فلما عرف جركاس هزيمة قابوس انهزم لاحقاً به.

وأنفذ مؤيد الدولة جماعة فرسان من عسكره لاقتصاص أثره فنكبت قابوس عن الطريق وسار ماراً على القلاع معتقداً لصعود أحدها متى أرهقه طلب إلى أن حصل بنيسابور واجتمع مع فخر الدولة هناك.

ولما ملك فخر^(١) الدولة استراياذ رتب أمورها واستخلف أحد أصحابه فيها وسار إلى جرجان فنزلها وأقام بها وأنفذ أبا نصر خواشاده إلى الحضرة ببغداد فى رسائل ووردها فى شهر رمضان مع الأسارى من أقارب قابوس ووجوه أصحابه فأعرض عضد الدولة عنه وأظهر الشكر^(٢) له وأخرج أبا على الحسن بن محمد إلى جرجان.

١. يظهر أن المراد مؤيد الدولة وليراجع التاريخ اليميني ١: ١٠٨ إلى ١: ١١٠ (مد).

٢. كذا بالأصل.

ذكر خيانة في مشورة جرّت نكبة

كان عادة أبي نصر إذا أنفذ إلى الرىّ وقرب منها أن يتلقاه صاحب أبو القاسم ابن عباد وإذا رآه أبو نصر أن يترجّل له فلماً [29] خرج في هذا الوقت مع زيار أحب أن يفعل مثل فعله لئلا يكون له، في الامتناع منه زيادة رتبة عليه. فقال له زيار قول المستشير:

«ما الذى ترى أن تفعل في خدمة صاحب إذا لقيته؟»

فقال: «أنت أعلم، إلا أن عضد الدولة ينزله المنزلة الكبيرة ويؤثر أن يقضى حقّه، والذى أفعله أنا الترجل له ومتى فعلت ذلك لم تأمن أن يفعل مثل ذلك.»

فحمل زياراً على أن يترجّل له عند خروجه لتلقّيه ولم يترجّل صاحب ولا كان ممن ينقاد لهذا أو يسمح به وإنما خدعه أبو نصر حتى تمّ غرضه. وبلغ عضد الدولة ذلك فغاضه غيظاً عظيماً أسره إشفاقاً من أن يتأذى الى صاحب أبي القاسم فيه ما يوحشه، فلما ورد أبو نصر وفي قلب عضد الدولة من^(١) هذا الامر ما فيه أطرحه وأعرض عنه ثم قبض عليه بعد مدة وحمله الى بعض القلاع بفارس.

ولقابوس أبيات قالها بعد الهزيمة مستحسنة:

قُلْ لِلَّذِي بِصُرُوفِ الدَّهْرِ عَيَّرَنَا هَلْ عَانَدَ الدَّهْرُ إِلَّا مَنْ لَهُ خِطَرُ
أَمَا تَرَى الْبَحْرَ تَطْفُو فَوْقَهُ جَيْفٌ وَتَسْتَقِرُّ بِأَقْصَى قَفْرِهِ الدَّرَرُ
فَإِنْ تَكُنْ نَشِبَتْ أَيْدِي الْخُطُوبِ بِنَا وَمَسْنَا مِنْ تَوَالِي صَرْفِهَا ضَرَرُ [30]

فَفِي السَّمَاءِ نُجُومٌ لَا عِدَادَ لَهَا وَلَيْسَ يَكْسِفُ إِلَّا الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ

سخط عضد الدولة على التنوخي

وفيها سخط على القاضي أبي علي المحيّن بن علي التنوخي وألزم منزله وصرف عما كان يتقلّده.

ذكر السبب في ذلك

كان التنوخي مع عضد الدولة بهمدان، فاتفق يوماً أنّه مضى إلى أبي بكر بن شاهويه وكان صديقه ومعه أبو علي الهائم، فجلسا يتحدثان في خركاه وأبو علي على بابها وقال ابن شاهويه للتنوخي:

- «أيها القاضي اجعل في نفسك المقام في هذا البلد مدة هذه الشتوة.»

فقال: «لَمْ.»

قال: «لأنّ عضد الدولة يدبر في القبض على ابن عبّاد»

وكان قد ورد إلى حضرته.

فانصرف التنوخي من عنده فقال له أبو علي الهائم:

- «قد سمعت ما كنتما فيه وهذا أمر ينبغي أن تطويه ولا تخرج إلى أحد

به ولا سيّما إلى أبي الفضل ابن أبي أحمد الشيرازي.»

فقال التنوخي:

- «أفعل.»

ونزل إلى خيمته وجاءه من كانت عادته جارية بملازمته وموأكلاته

ومشاربته وفيهم أبو الفضل ابن أبي أحمد الشيرازي فقال له:

- «ما لي [31] أراك أيها القاضي مشغول القلب؟»

تفريط في إذاعة سرّ عاد بوبال

فاسترسل اليه وقال له :

- «أما علمت أنّ الملك مقيم وقد عمل^(١) على كذا في أمر صاحب وهذا

دليل على تطاول السفر.»

ولم يتمالك أن انصرف واستدعى ركباً من ركبّة القاضي التنوخي وقال

له :

- «أين كنتم اليوم؟»

فقال : «عند أبي بكر ابن شاهويه.»

فكتب إلى عضد الدولة رقعة يقول فيها :

- «كنت عند التنوخي فقال لي كذا وكذا - وذكر انه عرفه من حيث لا

يشكّ فيه - وعرفت أنّه كان عند أبي بكر ابن شاهويه وربما كان لهذا

الحديث أصل، فاذا ذاع السرّ فيه فسد ما دبرته في معناه.»

فلما وقف عضد الدولة على الرقعة وجمّ وجماً شديداً وقام من سباط

كان عمله للدليم على منابت الزعفران مغيظاً واستدعى التنوخي وقال له :

- «بلغني عنك كذا وكذا.»

فخجل التنوخي، ثمّ جمع بينه وبين أبي الفضل الساعي به، فواقفه

فأنكره، وأحضر ابن شاهويه وسئل عن الحكاية فأنكرها، وسئل أبو علي

الهائم [32] عما سمعه فقال :

- «كنت خارج الخركاه وما وقفت على شيء.»

فمعدّ وضرب مائتي مفرقة وأقيم فنفض ثيابه وقال :

١. وفي الأصل : عولت . والصواب في الإرشاد^٩

- «أكثر الله خيركم».

وأتصل ذلك بعضد الدولة فأمر بضربه مائة مقرعة أخرى، واندفعت القصة فرجع التنوخى الى خيمته بعد أن ظنَّ أنه مقبوض عليه وبقي يتردد إلى خدمة عضد الدولة مدة وهو معرض عنه حتى عاد له إلى بعض الإقبال عليه.

ثم رحلوا إلى بغداد فرآه عضد الدولة وعليه ثياب جميلة وتحتة بغلة بمركب ثقيل، فقال له :

- «من أين هذه البغلة؟»

فقال : «حملنى عليها الصاحب بمركبها وأعطانى عشرين قطعة ثيابا وسبعة آلاف درهم».

فقال : «هذا قليل لك مع ما تستحقه عليه».

فعلم التنوخى أنه اتهمه بذلك الحديث.

وورد عضد الدولة إلى بغداد فحكى له أن الطائع لله متجاف عن ابنته وأنه لم يقربها فتقل ذلك عليه فقال للتنوخى :

- «تمضى إلى الخليفة وتقول له عن والدة الصبيّة إنها مستزيدة لإقبال مولانا عليها».

فعاد التنوخى إلى داره ليلبس أهبة دار الخلافة.

ذكر اتفاق ردىء جاء بالعرض [33]

فاتفق أن التنوخى زلق عند عوده إلى داره ووئثت رجله فأنفذ إلى عضد الدولة فعرفه عذره فلم يقبله وأنفذ اليه من يستعلم ما جرى، فرأى غلمانة روقة وفرسا جميلة وعاد اليه فقال :

- «إنه يتعلل وليس بعليل وشاهدته على صورة كذا والناس يغشونه

ويعودونه.»

فاغتاز غيظاً مجدداً حرّك ما في نفسه أولاً فراسله بأن :

- «الزم منزلك ولا تخرج عنه ولا تأذن لأحد في الدخول إليك.»^(١)

إلا نفر من أصدقائه استأذنه فيهم، واستمر السخط عليه إلى حين وفاة عضد الدولة.

وفي هذه السنة أطلق أبو اسحاق ابراهيم بن هلال الكاتب^(٢) من الاعتقال وكان القبض عليه في سنة سبع وستين وثلاثمائة.

ذكر السبب في القبض عليه والإفراج عنه

كان قد خدم عضد الدولة عند كونه بفارس بالمكاتبة والشعر والقيام بما يعرض من أموره بالحضرة، فقبله وأرفده في أكثر نكباته بمال حمله إليه، ولما ورد بغداد في سنة أربع [34] وستين ازداد اختصاصه به حتى أشفق من المقام بها بعد عوده.

فاستظهر له عضد الدولة بذكره في الاتفاق الذي كتب بينه وبين عز الدولة وعمدتها أخيه واليمين التي حلفا بها وشرطا عليها حراسته في نفسه وماله. فلما انحدر عضد الدولة لم يأمن على نفسه فاستتر حتى توسط أبو محمد ابن معروف أمره وأخذ له الأمان من عز الدولة وابن بقيّة وظهر، فتركه مديدة ثم قبض عليه بإغراء من ابن السراج لهما به، ومازال مقبوضاً عليه حتى فسد أمر ابن السراج.

١. كأنه سقط : فلزم منزله ولم يأذن لأحد (مد).

٢. وفي الأصل «هليل كاتب» وترجمة ابراهيم بن هلال الصايي موجودة في ارشاد الأريب ١ : ٣٢٤ ووردت هذه الحكاية ص ٣٣٠ رواية عن حفيده هلال بن المحسن الصايي (مد).

ذكر اتفاق عجيب في خلاص أبي اسحاق وهلاك ابن السراج

قد تقدم في كتاب تجارب الامم ذكر السبب في القبض عليه عند إفاقة ابن بقیة من علته التي أشفى فيها فلماً قبض عليه نقل القيد من رجل أبي اسحاق إلى رجله وعاد أبو اسحاق إلى خدمة عز الدولة وكتب عنه في أيام المباينة بينه وبين عضد الدولة الكتب [35] التي تضمنت الواقعة فيه^(١) فنقم عليه ذلك.

فلما ورد عضد الدولة في الدفعة الأخيرة وحصل بواسطه خرج أبو اسحاق بما في نفسه من الحذر إلى أبي سعد بهرام بن أردشير وهو يتردد في الرسائل والوساطة، وسأله اجراء ذكره وإقامة عذره والإحتياط له بأمان يسكن اليه نفسه وكتب على يده كتاباً.

ففعل أبو سعد ذلك وتنجز له جواب كتابه وفيه توقيع عضد الدولة بالتوثقة والأمان، ودخل عضد الدولة بغداد فأجراه على رسمه. فلما حصل بالموصل كتب إلى أبي القاسم المطهر بن عبد الله فقبض عليه على مضض منه وكراهية.

مركز تحقيق كاميون علوم اسلامی

ذكر السبب في ذلك

لما أخرج إلى الديوان ما وجد في قلاع أبي تغلب من الحسابات والكتب لتأمل، كان فيها الشيء الكثير من كتب عز الدولة إلى أبي تغلب بخط أبي اسحاق الصابي فحملت إلى عضد الدولة. فلماً وقف عليها حرّكت ما في

١. وفي الإرشاد: ومنها الكتاب عن الطائع لله بتقديم عز الدولة وإنزاله منزلة ركن الدولة وهو أعظم ما تقمه عليه (مد).

نفسه فكتب من هناك بالقبض عليه.

فبقى في الاعتقال يكتب إلى عضد الدولة ويستعطفه بأشعاره إلى أن [36] تقدم عضد الدولة إلى أبي القاسم المطهر بالانحدار إلى البطيحة فسأل حينئذ في إطلاقه والإذن له في استخلافه بحضرته لعناية أبي القاسم به فقال :
- «أما العفو عنه فقد شفعناك فيه وعفونا له عن ذنب لم نعف عما دونه لاهلنا - يعنى الديلم - ولا لأولاد نبينا صلى الله عليه - يعنى أبا الحسن محمد بن عمر وأبا أحمد الموسوي - ولكننا وهبنا إساءته لخدمته وعلينا المحافظة فيه على الحفيظة منه وأما استخلافك له بحضرتنا فكيف يجوز أن ننقله من السخط عليه والنكبة له إلى النظر في الوزارة ؟ ولنا في أمره تدبير وبالعاجل فاحمل اليه من عندك ثيابا ونفقة وأطلق ولديه^(١) وتقدم اليه بعمل كتاب في مفاخرنا.»

ف فعل المطهر ذلك

وعمل أبو اسحاق الكتاب الذي سماه: التاجي في الدولة الديلمية. فكان إذا عمل منه جزءا حمله إلى عضد الدولة حتى يقرأه ويصلحه ويزيد فيه وينقص منه، فلما كان تكامل ما أراده حرّر وحمل كاملا إلى خزائنه.
وهو كتاب بديع الترصيف حسن التصنيف، فان أبا اسحق كان من فرسان البلاغة الذين لا يكتبون مراكبهم [37] ولا تنبو مضاريهم. ووجدنا آخره موافقا لآخر كتاب تجارب الامم حتى إن بعض الالفاظ تتشابه في خاتمتها وانتهى القولان في التاريخ بهما إلى أمد واحد والكتاب موجود يغني تأمله عن الإخبار عنه.

١. وهما المحسن وعمر، كذا في الإرشاد (مد).

إنَّ الجواد عيبه^(١) فرارُهُ

ومن العجب كيف نكبه عضد الدولة وهو الموصوف بحسن السيرة والانصاف في السياسة مع ما سبق اليه من خدمته وعرفه أولاً من خلوص نيته وأعطاه أخيراً من أمانته وموثقته.

إن كان الذي نقم عليه منه هو ما ذكر في تاريخ من حال الكتب التي كتبها عن عزّ الدولة فغير مستحسن من الملوك أن ينقموا بغير حق وأن ينقضوا الأمان من غير موجب.

فلو أنَّ عضد الدولة أمره بمثل ما كان عزّ الدولة أمره به هل كان يقدر على خلافه مع كونه في قبضة سلطانه؟ والله تعالى يقول: «إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ»^(٢). وربما خفى السبب أو أخطأ القياس والاشخاص تفنى والذكر يبقى والشاعر يقول:

وكذاك الزمان يذهب بالناس وتبقى الديار والآثار [38]

ولو قال «ويبقى الحديث والاعخبار» لكان أقرب إلى الصواب فإنَّ الديار تدرس والآثار تذهب والحديث يبقى والاعخبار تُروى على أنَّ عضد الدولة أبقى عليه في اعتقاله وعادود الحسنى في إطلاقه وبدأ باستئناف الجميل معه.

لو أنَّ العناية أنساته لباليا

ووجدت رواية أخرى^(٣) في سبب إطلاقه وهو أنَّ عضد الدولة رَقَّ له لما

١. وفي الأصل «عيبه».

٢. س ١٦ النحل: ١٠٦.

٣. وهي رواية عن أبي ريان أحمد بن محمد الوزير: ارشاد ص ٣٣٦.

طال حبسه، وأنّ أبا الريّان وأبا عبد الله ابن سعدان تولّيا الافراج عنه، ثم شغلت عضد الدولة عيّته عن النظر في أمره واطهار آثار الرضاء^(١) عليه بالاحسان اليه وقد حكينا ما رأينا.

وفي هذه السنة ورد عن أبي القاسم نوح^(٢) بن منصور صاحب خراسان رسول يكتي بأبي الغنائم فخرج أولاد عضد الدولة مع سائر الجيش لتلقيه وأكرم غاية الاكرام.

وفيها أخرج معه أبو الغنائم نصر بن الحسين والقضاة وأبو محمد الجهرمي وأبو عقبة وأبو محمد ابن عقبة وسالم إلى أبي الغنائم^(٣) يذكره بما يعتمده ويورده من جملتها العتاب على فخر الدولة وقابوس وايوائهما وأنه :

إن كان الوفاء بالمعاهدة التي جرت مع السلف واقعا فيجب ان يسلموها يدا بيد إلى مؤيد [39] الدولة ليحمل اليكم مال الموافقة سالفاً وآناً على العادة، فإن أردتم استئناف الصلح بيننا وهدر ما تقدم وأن تجعلوا ايواء العاق وقابوس - يعني بالعاق فخر الدولة - عوضاً عن المال بعناكم إيّاهما بالثمن الذي استرخصتموهما به فيبين على ممرّ الايام الرابع منا ومنكم، وإن قال أبو العباس^(٤) أنه يكلمنا في أمر قابوس وما كان يجب في جواب شفاعتنا التسرع اليه، قيل له :

- «قد اعترفت وقلت أنت وأبو الحسين العتبي^(٥) بأن الرجل أحد أصحابنا وأنه جاني علينا مستحق للعقوبة وأنكم شافعون في بابه ومعلوم أنّ الصلح

١. كذا في مد: الرضاء، بالمد.

٢. وفي الاصل: روح.

٣. في هذه الجملة اضطراب كثير.

٤. هو حسام الدولة تاش حاجب نوح بن منصور (مد).

٥. هو وزير نوح بن منصور وليراجع التاريخ اليميني. (مد).

معقود عن جرجان وطبرستان وعن غيرهما من قومس^(١) بدامغان وكرمان وما يلزم واحداً منا ولا من صاحبك ان شفاعتهما...
ثم إننا نقول في الجواب:

- «إنه ما كان يجب التسرع في باب أبي الحسن ابن سمجور وقد شفّعنا فيه، فإن كان ذلك واجباً علينا فهذا واجب عليكم وإن كان بكم التجنى فهو ما لا يستعمله أصحاب التحصيل ولنا ممن يتجنى عليه. وإن اخترتم استئناف الصلح على أن تطردوا العاقّ وقابوس طردا على أن لا يكونا في بلادكم ويذهبا حيث شاءا [40] من أرض الله قبلنا، وإن سألتهم أن نرضى بمقامهما عندكم رضىنا على أن ينفذا إلى بخارا وينفض عنهما أصحابهما وإن لم ينفضوا^(٢) عنهم فإنهم سينفضون من ذات أنفسهم. وإن سألتهم أن يؤمنهما ليعودا إلى جملنا هدرنا ما تقدم من الموافقة واستقبال الوقت الذي يقع فيه الصلح، فنحن نفعل ذلك كرامة لذلك الكبير ولكن على أن يردوا حضرتنا ليكون ما نفعله معهم تبرعاً منا ومؤكلاً إلى رأينا من غير اشتراط فذلك خير لهما. وإن اخترتم بيعنا بمقامهما عندكم، فإننا نسمح لكم بهذين المقبلين المباركين ومال الصلح الذي تأخذونه منا مستأنفاً، فإنه سيذهب لكم عليهما وأكثر، فليس يحسن بكم أن تعطوهما أكثر من ذلك، فإن أحسنتم اليهما خسرتموهما والمال جميعاً ولم تحصلوا منهما على طائل، وإن لم تحسنوا اليهما فارقاكم عن قلى وعادا إلينا بلا منة لكم علينا في بايها وتكون مفارقتهما لكم على ما يليق بهما إلى حيث يرمى بهما جدهما الغار اليه.»

وقد كنا نقول لقابوس:

- «لا تقبل العاقّ ولا تؤوه، فقد سمعت ما كان من أبي تغلب ابن حمدان

١. في الاصل: قومس.

٢. في مد: لم يفصوا.

حين قبل [41] بختيار الشقي ورأيت عاقبتهما، فإن كان محمودا فستري مغبة فعلك وسيري العاق مغبة فعله.»

ورأيتم فيهما ما يليق بهما والله الحمد وقد اجتماعا عندكم وأنتم على بصيرة من أمرهما. فان استقر الصلح بنيسابور فليخرج إلى بخارا لعقد الوثيقة وإحكام الأمر على حسب ما رسمناه وبمحضر من القضاة والشهود ووجوه الحاشية والقواد والغزاة وأماثل البلدان، وإن أحب أن يتم ما خرج له القضاة الثلاثة من حضرتنا استخار الله فيه وتممه، وإذا عاد إلى نيسابور أحكم عقد الصلح فيها بشهادات الأماثل، وإن رأى الصواب في أن يشهد على أبي العباس في نسخة العهد الذي يتولى تجديده ببخارا أو يأخذ خطه فيها فعل. وقد كان عضد الدولة متوقفا عن إنفاذ أبي غنائم^(١) وقال له :

«ان القوم قد غدروا ونكثوا العهد ورفضوا الوء ولم يبق بعد ابواء فخر الدولة وقابوس هوادة.»

وقد سبق منهم في قصة ابن سمجور ما قد سبق مما يدل على فساد الدخائل. فما زال أبو غنائم يراجع ويعرض عليه ما يصله من كتبهم الدالة على بذل الموافقة حتى أذن له في الخروج على ما تقدم [42] ذكره ابلاء للعدر.

مركز تحقيق كاميون علوم إسلامي

فأما قصة ابن سمجور وتنكر آل سامان

عليه فالسبب في ذلك

أنه كان رجلاً قد حنكته التجارب وهذبته الايام ورأى الدولة الديلمية وهي في ابتدائها تسري في البلاد سري النار في الهشيم فكان يرقع الخرق

١. وفي الأصل : أبي غانم.

ويعتمد الرفق^(١) ويسلك طريق المفارقة فعرف عند آل سامان بالمداهنة والصغو إلى غيرهم وسعى بفساد ذات البين واغمار حتى آل الامر إلى ازالة قدمه عن مستقرها.

وأخبرنا من نثق به عن صدر عظيم في زماننا هذا أنه قال وضربه مثلاً في غرض له :

- «أن ابن سمجور كان كالسد لبلاد سامان يوارى عوراتهم ويغطي هنتاتهم وكان يصرف ما يحصل من مال البلاد التي في يديه في مصالحها^(٢) ومحارسها وأنفذوا يلتمسون منه مالاً ويتجنون عليه أقوالاً وأفعالاً.» فقال في الجواب :

- «اعلموا أن مثلي معكم مثل ستر من خرق على باب دار خراب، فدعوه بحاله مسبلاً على الباب [43] فإنكم ان رفعتموه بانت آثار الخراب.» فلم يقبلوا منه وكان الامر كما زعم. ونعود إلى سياقة التاريخ :

ودخلت سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة

عدة حوادث منها الحرب بين

مركز تحقيق المؤيد والفخر على باب جرجان

وفيهما أخرج أبو القاسم^(٣) سعد الحاجب وقراتكين مدداً لمؤيد الدولة عند ورود فخر الدولة وقابوس وعساكر خراسان.

١. لعله الرق (مد).

٢. في مد: مصالحها، والتغيير بقرينة «محارسها».

٣. وفي الاصل «أبو الحسن» وهو غلط (مد).

شرح الحال في ذلك

قد تقدّم ذكر اجتماع فخر الدولة وقابوس بنيسابور، ولمّا حصل بها أقام قابوس ومضى فخر الدولة إلى صاحب خراسان فاستجار به وسأله المعونة وأقام عنده إلى أن جرد معه ناس وجماعة من أكابر القوّاد وسارت الجماعة حتى نزلت على باب جرجان ومؤيد الدولة بها.

ووقعت الحرب بين الفريقين أياماً كانت بينهم سجالات، ثم وقع الخلف بين عساكر خراسان وانصرفوا، ورجع فخر الدولة وقابوس إلى نيسابور مفلولين. وفيها خرج أبو الفوارس [44] ابن عضد الدولة من بغداد إلى كرمان للمقام بها والولاية عليها والإبعاد عن الحضرة، وقد كانت علّة عضد الدولة قويت واستحكمت.

وفيها ورد أبو اسحق محمد بن عبد الله بن محمد بن شهرام ومعه رسول ملك الروم.

ذكر ما جرى بين عضد الدولة وملك الروم

فيما تردّدت به الرسالة

كان سبب هذه الرسالة ما تقدم ذكره من دخول ورد إلى بلد الاسلام فخاف ملك الروم وأنفذ رسولا إلى عضد الدولة في أمره.

فأخرج أبو بكر محمد ابن الطيب الاشعري المعروف بابن الباقلاني بجواب الرسالة فعاد ومعه رسول يعرف بابن قونس فأعيد وأنفذ معه أبو اسحق بن شهرام فاستثنى على ملك الروم بعدّة حصون ووصل معه رسول يعرف بنقفور الكائنكلي بهدية جميلة.

نكت من جملة مشروح^(١) وجد بخط [45] ابن شهرام
دلت منه على دهاء وحزم وقوة رأى

قال : لما حصلت بخرشنة عرفت أن الديمستق خرج من القسطنطينية آخذاً في الاحتشاد والاستعداد ومعه رسول حلب المعروف بابن مامك وكليب حمو أبي صالح السديد. فأما كليب فإنه كان مع ورد وحصل في جملة العصاة الذين أومنوا وأقرّوا في بلد الروم بعد أن صودروا وهم الروم بمصادرتهم أسوة بغيره وارتجاع الضياع التي سلمت إليه حين سعى في تسليم قلعة برزوية إليهم، فتوصل كليب إلى البركموس والدمستق بما أرضاهما به وضمن لملك الروم في أمر حلب وغيرها ضمانات دفع بها الشر العاجل وبذل تعجيل ما يتعلق بخراج حلب وحمص لما كان صهره وأنه لا يخالفه، فتخلص بهذه الحجة. وأما رسول حلب فإنه لم يفعل معه أمر إلا أنه طولب بخراج ما مضى من السنين.

وحصل الديمستق بموضع عادل عن جادة البريد فعدل ابن قونس بي إليه ووجدته حدث السن معجباً بنفسه لا يؤثر تمام الهدنة لحوال منها أنه يستغنى عنه في العاجل فتبطل سوقه [46] ومنها أن يقع الطمع فيه من ملك الروم «ولا نأمن بوائقه» والثالثة ما يرجوه ويشتهي لنفسه، ألا أنه أظهر جميلاً وقبل الهدنة وشكر عليها.

ثم سألتني عما وردت فيه، فذكرت جملة وواقفه ابن قونس على نسخة الشرط فلما وقف عليه قال :

«لو تمّ للرؤساء أن نخلى لهم عما يريدونه من البلدان والحصون باللفظ

والرفق لكان كل رئيس يتلطف ويستغنى بذلك عن جميع الرجال وبذل الاموال.»

قلت : «إذا كان اللطف والرفق من وراء قوة وقدرة فهو دليل الفضل ويجب تلقيه بالقبول.»

قال : «أما حلب فليست ببلدكم ولا يريدكم صاحبها وهذا رسوله وكليب يبذلان لنا خراجها ويسألان الذب عنها، وأما الحصون فإنها أخذت في زمان عمى نقفور وغيره من الملوك ولا فسحة في النزول عنها، فإن كان معك غير هذا وإلا فلا تتعب نفسك بطول الطريق.»

فقلت : «إن كان أمرك ملك الروم بانصرافى فعلت، وإن كنت قلته من تلقاء نفسك فيجوز أن يسمع الملك كلامى وأسمع جوابه وأعود بحجة.» فأذن لى فى السير.

فسرت إلى القسطنطينية ودخلتها بعد أن تلقانى من أصحاب [47] ملكها من أحسن صحبتى إليها فأكرمت وأنزلت فى دار نقفور الكانكلى الذى وصل الآن معى رسولا وهو خصيص بملك الروم، ثم استدعيت فدخلت إلى البركموس فقال :

«قد وقفنا على الكتب وقد أحيل فيها على ما تقوله، فاذكر ما عندك.» فأخرجت الشرط الظاهر فلما وقف عليه قال :

«أليس قد تقرر الأمر مع محمد بن الطيب (يعنى أبا بكر الباقلانى) على ما طلبتموه من ترك خراج بلد أبى تغلب الماضى والمستأنف ورضى بما شرطناه عليه من رد الحصون التى أخذت منا والقبض على ورد وقد رضى مولاك بما شرطنا وفعل ما أردنا وطلبنا، إن خطه معك بتمام الهدنة.»

فقلت : « ما عقد محمد بن الطيب معكم شيئاً^(١). »
 فقال : « ما خرج من عندنا إلا على تقرير ما شرطناه عليه وإن ينفذ خطّ
 مولاكم بإتمامه. »
 فقد كان أحضر كتابه بالرضا بجميع ما يمضيه هو، فاحتجت إلى أن
 أتطلب مجالا أقاوم به مجالهم.

ذكر بديهة جيّدة انقدحت لابن شهرام

في دفع حجة الخصم

فقلت : « ما عقد محمد بن الطيب شيئاً^(٢) ولكن ابن قونس قرر هذا
 الشرط [48] وأخذ نسخته بالرومية. »
 فاشتطّ البركموس وقال لابن قونس :
 - « من أمرك بهذا ؟ »

فقال : « ما قررت شيئاً^(٣) ولا محمد بن الطيب قرر شيئاً^(٤). »
 وانصرفت.

فاستعادني بعد أيام وعاود قراءة الشرط ووقف عند فصل كان قيل فيه
 « ما تقرر مع شهرام على ما في النسخ الثلاث » فقال :
 - « هذه واحدة وأين الأخرى ؟ »

فرجعت إلى الموضع فوجدت السهو قد وقع في ترك ذلك فقلت :
 - « معني هذا اللفظ أن يكون الشرط على ثلاث نسخ، أحداها تكون عند

١. في مد : شيء.

٢. في مد : شيء.

٣. في مد : شيء.

٤. في مد : شيء. وهذا التكرار ينبئ عن أن الأصل كان كذلك عن قصد.

الملك^(١) وأخرى بحلب والثالثة تكون بالحضرة.

قال ابن قونس :

- « ليس كذا قيل لي » أُملي علىّ تفسير الشرط. »

قال البركموس :

- « لا ولكن هذه النسخة هي الظاهرة والأخرى بترك الحصون والثالثة

بترك ذكر حلب وإمضاء الشرط على ما قرره محمد بن الطيب، وإنما أنفذ هذا ليأخذ خطأ الملك وخاتمه بذلك. »

فقلت : « هذا محال، وما عندي إلا ما ذكرته من حال حلب والحصون

على ما تضمنته الشرط الذي وقفت عليه. »

فقال : « لو كان ورد في عسكره وقد [49] أخذتمونا كلنا أسرى ما زاد

على هذا، فكيف ذاك أسير. »

جواب سديد لابن شهرام

فقلت : « أمّا قولك : لو كان ورد في عسكره، فهو غلط لأنك تعلم أنّ أبا

تغلب - وأقل تابع لعضد الدولة أكبر منه - عاون ورداً فأهلك ملك الروم سبع

سنين فكيف لو أمده عضد الدولة بعساكره ! وهو اليوم وإن كان أسيراً في

أيدينا فإننا لم نفعل به ما تفعلون أنتم بأسراكم من المثلة، وكونه بالحضرة

أحوط لنا لأننا لم نستأسره، لربما كان يضيق صدره بمدافعتنا أيّاه أو

يباس^(٢) منّا فيستوحش ويمضى. »

والآن فهو متصرف على أمرنا وساكن إلى ما شاهده بالحضرة من العز

والأمن والحبل في أيدينا باطرافه. »

١. في مد : ملك.

٢. وفي الأصل يأس.

فاشتد عليه خطايبى ووجم منه وعرف صحته وقال :
 - «الذى تطلبه لا طريق اليه فان أردت إمضاء ما تقرر مع محمد بن
 الطيب والآن فانصرف.»

فقلت : «ان أردت أن أنصرف من غير أن أسمع كلام ملك الروم فعلت.»
 فقال : «ما أقوله أنا عنه، ولكن استأذنه فى ذلك.»
 ثم استدعيت [50] بعد أيام فحضرت فاستعاد ملك الروم ما جرى فأعيد
 عليه بمحضرى فقال :

- «يا هذا قد جئت بأمر منكر لأنه جاءنا رسول لكم فشرط علينا ما
 أجبناه اليه وشرطنا عليه ردّ الحصون التى أخذت أيام العصيان وتريد حصوناً
 آخر وبلاداً أخذها الملوك من قبلى، فإن رضيتم بما تقرّر أولاً، والا فامض
 بسلام.»

فقلت : «أما محمد بن الطيب فما قرر شيئاً وأما الشرط الذى قد ورد معه
 فقد قطعتم فيه نصف بلدنا فكيف يجوز أن تقرّر علينا أمراً، فإنّ الحصون التى
 فى ديار بكر منها شيء فى قبضك وإنّما هو فى أيدينا وليس لك فيها غير
 المنازعة ولا تدرى ما يحصل منها.»
 فقال البركموس :

- «هذا رجل ذو جدل وتمويه للأقوال، والموت خير من الدخول تحت
 هذا الحكم، فدعه ينصرف الى صاحبه.»
 وقام فانصرف.

فاستدعانى البركموس بعد أن تكاملت مدة مقامى شهرين فى القسطنطينية
 وأحضر القربلاط والد الدمستق وهو مكحول وعددا من البطارقة وتناظرنا فى
 أمر الحصون، وبذلوا خراج حصن كيفا الذى فى يد والده أبى تغلب وهو
 يؤدى الخراج إليها فقلت :

- «أنا أدع لكم [51] خراج سمند^(١)».

فقالوا: «ما معنى هذا؟»

فقلت: «إنما نذكر الأطراف في الشرط لتعلموا أن ما وراءها داخل في الهدنة معها وحسن كيف داخل من دون آمد بخمسة أيام فكيف تذكرونه؟»
وجرى جدل في أمر حلب حتى قال القربلاط:
- «إن حمل صاحب حلب الخراج إلينا علمنا حينئذ أنك مبطل في قولك، وأنه يريدنا دونكم.»

قلت: «وما يؤمنني أن تحتالوا على كاتبه كليب حميه حتى يعطيكم شيئاً تجعلونه حجة؟ فأما بغير حيلة فأنا أعلم أنه لا يكون.»
وانصرفت.

ثم أحضرني ملك الروم بعد ذلك وقد وصل خراج حلب، فوجدت كلامهم غير الأول قوة وتحكماً فقالوا:

- «هذا خراج حلب قد حضر وصاحبها قد سألنا أن نشارطه على حرّان وسُرُوج ومعاونته عليكم وعلى غيركم.»

فقلت: «أما الخراج وأخذكم آياه فأنا أعلم أنه بحيلة، لأنّ عضد الدولة ظنّ أنكم لا تستجيزون ما قد فعلتموه، فلم ينفذ عسكرياً يمنع عسكريكم، وأما ما تحكونه عن صاحب حلب، فأنا أعرف بما عنده وكلّ ما يقال لكم عنه غير صحيح، والدعوة فيها فهي قائمة لعضد الدولة.»

قالوا: «هل معك شيء غير هذا؟»

قلت: «لا.»

قالوا: «فتودّع الملك^(٢) وتنصرف مصاحباً.» [52]

١. يعني سمندو المذكورة في قصيدة المتنبي (مد).

٢. في مد: فيودّع ملك.

قلت : «الساعة.»

وأقبلت بوجهي نحوه لتوديعه.

رأى سديد رآه ابن شهرام في تلك الحال

قال : ثم تأملت الحال فوجدت البركموس والقربلاط وجماعة معهما ليس يؤثرون الهدنة، وأصحاب السيوف يخافون لئلاً تبطل سيوفهم وتنقص أرزاقهم على رسم الروم اذا هادنوا، ولم يبق لي طريق سوى مداراة ملك الروم والرفق به فقلت :

«أيها الملك يجب أن تتأمل ما فعله عضد الدولة معك ولم يعاون عليك عدوك ولم يتعرض لبلادك أيام اشتغالك بمن عصى عليك، وتعلم أنك إن أرضيته وحده وهو ملك الاسلام والا احتجت أن ترضى ألوفاً من أصحابك، ثم لا تدري هل يرضون أم لا، ثم إن لم يرضوا ربما احتجت الى رضائه^(١) من بعد، وتعلم أن كل من حول عضد الدولة لم يرغبوا في هدنتك وإنما هو وحده أراد ففعل ما أراد، ولم يقدم أحد على مراجعته، وأراك تريد هدنته ولعل من حولك لا يساعدونك على مرادك.»

فاهتز لخطابي وبان في [53] وجهه الامتعاض من علمي بالاعتراض عليه من أصحابه، وقام وانصرف يومئذ

وكان المشرف على الخصيصة بملك الروم، وهو الذي يوقع عنه بالحمرة ولا يمضي أمر دونه، نقفور الكانكلي الذي وصل معي رسولاً فسألته أن ينصرف معي ففعل.

١. كذا في مد: رضائه، بالمد.

ذكر ما رتبته ابن شهرام مع خصيص
ملك الروم حتى بلغ به غرضه

فلما خلوت به قلت :

- «أريد أن تتحمل عني رسالة الى ملك الروم فقد طال مقامى وتعزفتنى
آخر ما عنده، فان فعل ما أريده والّا فلا وجه لمقامى.»
ولاطفتُ هذا الكانكلى بشيء حملته اليه ووعدته عن عضد الدولة بجميل
وكان مضمون رسالتى :

«أنه يجب عليك أولاً أن تحفظ أيها الملك نفسك ثم ملكك ثم أصحابك،
ولا تثق بمن صلاحه فى فسادك. فانّ بمعاونة أبى تغلب عليك تمّ فى بلد
الروم ما جرى، وكيف تكون الحال مع عضد الدولة ان عاون عليك أيها
الملك ؟ وأنى [54] أرى أصحابك لا يريدون تمام الهدنة بينك وبين أوحده
الدنيا وملك الاسلام، والانسان لا يخفى عليه إلّا ما لم يجزّيه، وأنت فقد
جربت سبع سنين عند عصيان من ^(١) عصى عليك لملكك وملكك لا نفسك
يبقى ^(٢) الروم فما يبالون هذا ان لم يتحرك هو بنفسه. وقد نصحت لئلا رأيت
من ميل صاحبى اليك وإشاره لك، فتأمل خطابى واعمل بعد ذلك برأيك.»

فعاد نقفور وقال : كالمؤيد علوم ردى

- «يقول لك : الأمر كما ذكرت، ولكن ليس يمكن مخالفة الجماعة
ويرونى بصورة من قد خانهم وأهلكهم ولكن سأتمم الأمر وأفعل ما يمكن
فعله.»

ومن الاتفاق الحميد أنّ البركموس مرض مرضاً شديداً فتأخر عن الركوب

١. وفى الاصل : مع.

٢. فى الأصل : يبقى نفسك، والتصحيح من حواشى مد.

وتردّدت الرسالة بيني وبين ملك الروم. ثم استدعاني ألياً متواليّة وتولى خطابي بنفسه وساعدني الكانكلي بغضا للميركموس ومنافسة له، الى أن أجاب الى الهدنة على جميع ما تضمنه الشرط بعد مراجعات جرت لإخراج حلب فإنّه ما أجاب اليه. فلمّا ضايقته فيه وقلت :

- «هذا كله بغير حلب لا يتم.» فقال : - دع هذا فلا نسلم غير ما سلّمنا ولا نخلى عن بلد نأخذ خراجّه إلّا بالسيف، ولكنّي أحملك رسالة الى صديقي [55] ومولاك فإنّي أعلم أنّه فاضل وإذا عرف الحق لم يعدل عنه.» ثم قال لمن حوله :

- «تباعدوا.»

وقال لي سرّاً من كل أحد :

- «قل له : والله إنّي اشتهى رضاك ولكنّي أريد حجة فيه، فإن أردتم أن نحمل اليكم الخراج عن حلب أو أتركه لكم تأخذونه على أن تصرفوا ابن حمدان عنها فافعلوا ما بذلتموه على لسان ابن قونس.» إشارة الى تسليم ورد.

فقلت : «ما سمعت هذا ولا حضرته وإننى أستبعد فعله.» فتنكر عليّ وقال :

- «دع التطويل فما بقي شيء تراجعني فيه.»

وأمر أن تكتب جوابات، فكتبت وأحضرت لتوديعه.

واقع جيّد وقع لابن شهرام

وأشفقت أن يعرض من المقادير في موت من قد طلبوا تسليمه ما يعرض مثله فنخرج من الجميع بغير منية وتحصل الهدنة عن بلدنا الى دون القرات وبلد باد بغير حلب فقلت :

«أنتم تعلمون أنني عبد مملوك ولست مالكا وما أقدر أن أزيد على ما أمرت به وقد صدقتك عنه والذي شرطته الآن في أمر حلب فقد حلفت لك أنني ما [56] سمعته بالحضرة. فهل لك أيها الملك في أمر قد وقع لي أنه صواب؟»

قال: «ما هو؟»

قلت: «تكتب كتاباً بالهدنة بيننا وبينك عن جميع ما [في] أيدينا من حمص إلى بلد باد ولا نذكر فيه حديث من قد التمس تسليمه ولا غيره وتحلف بدينك وتوقع فيه خطك وتختمه بخاتمك بحضرتي ويخرج به صاحبك معي إلى الحضرة فإن رضى به وإلا عاد صاحبك.»

قال: «فاكتب أنت شرطاً مثله.»

قلت: «إن سلمت أنت شرطك بما طلبت.»

قال: «ان ذكرت في خطك تسليم الرجل.»

قلت: «لا أقدم على ذكر ما لم يرسم لي.»

قال: «فإنني أكتب شرطين: أحدهما عما قطع الفرات وبلد باد والآخر بذكر حمص وحلب على الشرط، فإن اختار مولاك ما قطع الفرات على إبعاد ورد كان إليه، وإن اختار الآخر فعل ما يختاره.»

قلت^(١): «فيكتب الشرط ولا يذكر فيه شيء من هذا.»

قال: «فتكتب أنت أيضاً ما أعطى خطأً بغير خط أخذه.»

قلت: «ولكن يكتب ترجمانك نسخة ما أقوله، فإذا رضى عضد الدولة بما تقوله كتبه بحضرته ووقع فيه بخطه.»

فرضي بهذا وكتب الشروط والكتب عليه، وتقررت الهدنة على عشر

سنين. ولما فرغت من ذلك قلت له: [57]
 - «لا تجعل رسولك مثل فيج، ووافقه على ما تحب أن يفعله بعد ما تقرّر
 معي بحسب ما يشاهده وأمض كلما يمضيه.
 فقال: «قد فعلت.»

وكتب ذكر ذلك في الكتب.
 وركب البركموس من داره لما برئ وقامت قيامته لأحوال: منها انفراد
 الكانكلي بصاحبه، ومنها إتمام الأمر بغير حضوره، ومنها أمر حلب وحمص
 وما ضمنه له كليپ.

كلام لملك الروم استمال به قلب البركموس

قال له على ما حدثني به بعض خواصهم:
 - «يا بركموس ما معي أحد يشفق عليّ مثلك ولا من يحل مني محلّك،
 لأنك مني بأدنى نسب وسبب وهؤلاء فكما قال الرسول لا يباليون من كان
 ملكاً، كنت أنا أو غيري، ويجب أن تحفظ نفسي ونفسيك ولا تسمع كلام
 القربلاط ولا تثق به ولا برأيه لنا، فقد علمت ما حدثنا به ابراهيم عنه وعن
 ابنه^(١) من اضممار الغش لملكنا وخبث نياتهما في أمرنا.»

قلت لمن حدثني: كاپتور علوم ردي
 - «ومن ابراهيم؟»

قال: «رسول كان للمستق اليكم جاء الى الملك ناصحاً وعرفوا أنّه [58]
 أنفذه اليكم يطالب منكم إعانته على العصيان.»
 فقبل البركموس^(٢) هذا القول من ملك الروم واستدعاني ورأيت من

١. وفي الأصل: أبيه.

٢. وفي الأصل: بركمونس.

خطابه وانبساطه معى غير الأول إلا أنه لم تكن تخفى على وجهه كراهية لهذا الأمر ورتب معى هذا الكانكلى رسولاً بعد امتناعه، لكن ملك الروم لم يجد أحداً يجرى مجراه فى ثقته، فألزمه وساعده البركموس عليه، فقال له: - «ليس بحضرة الملك أكبر منى ومنك فإمّا أن تسير أو أسير.»

وجد فى الأمر حتى ظننت أنه فعل ذلك إيثاراً لإبعاده وحسداً لما رأى من اختصاصه.

موت عضد الدولة

وحضور رسول ملك الروم مجلس صمصام الدولة

فهذه نكت معان من ألفاظ ابن شهرام وعضد الدولة عليل والناس عنه محجوبون فأمر بشرح ما جرى عليه أمره ليعرض - فإنّ علّة عضد الدولة التى توفى فيها كانت فى هذا الوقت - وحضر رسول ملك الروم المذكور مجلس صمصام الدولة بعد وفاة عضد الدولة، وتسلمت الهدايا منه، وتسمّ معه ما ورد فيه وكتب شرطان: أحدهما الهدنة التى قرّرها ابن شهرام على إتمام مبانيها وإلقاء مراسيها، والشرط الآخر بما تقرّر آنفاً مع نقفور. [59]

مركزية ما تقرّر فى أمر ورد وأخيه وولده

جرت مخاطبات تقرّر آخرها على أن يقيم نقفور وينفذ صاحباً له مع رسول من الحضرة ليأخذ خط ملك الروم وخاتمه لأخى ورد وابنه والأمان والتوثقة لهما بضمان الإحسان وإعادتهما الى مراتبهما القديمة وأحوالهما المستقيمة. فإذا وصل ذلك أقدماً حينئذ على ملك الروم مع نقفور ويكون ورد مقيماً فى هذه البلاد ممنوعاً من طروق بلد الروم بإفساد، فإذا عرف ما يعاملان به من الجميل فى الوفاء بالعهد المبذول لهما اتبعا حينئذ ورداً فى

السنة الثالثة بعد أخذ التوثقة لهما بما يرضيهم حسب ما فعل مع ابنه وأخيه، وأن يكون ما يحمله الآن ابن حمدان من حمص وحلب إلى ملك الروم من مال المفارقة عنهما محمولاً على استقبال إطلاق ورد إلى بلد الروم إلى خزانة صمصام الدولة، فإن دافع ابن حمدان حينئذ عن حمل، ألزمه ملك الروم ذلك لثلاث تكلف صمصام الدولة [60] تجهيز عسكر إليه، وأن يجرى أمر بلد باد على ما كان عليه من الملاطفة التي كان يحملها إلى ملك الروم على أن لا يعاون باداً ولا يجيره إن التجأ إلى الروم.

وأنفذ الشرطان جميعاً وعاد الجواب عنهما بإمضاء ما تقرّر ثم تجدد في أمر ورد وإطلاقه من الاعتقال ما سيأتى ذكره من بعد^(١).

وفي الثامن من شوال من هذه السنة توفى عضد الدولة وأخفى خبره. وفي التاسع منه قبض على أبي الرّيان. فلما قبض عليه أخذت من كتفه رقاع مشددة ومنها رقعة فيها:

أَيَا وَائِقًا بِالذَّهْرِ غِرًّا بِصَرْفِهِ رُوَيْدَكَ إِنِّي بِالزَّمَانِ أَخُو خَبَرِ
وَيَا شَامِتًا مَهْلًا فَكَمْ ذِي شِمَائَةٍ تَكُونُ لَهُ الْعُقْبَى بِقَاصَةِ الظَّهْرِ

فلما وقف أبو عبد الله ابن سعدان عليها قال لحاجبه:

- «امض وسله عنها».

ففعل فقال:

- «هذه رقعة أنفذها أبو الوفاء طاهر بن محمد إلى عند القبض عليه ولست أحسن قول الشعر ولكن أقول إنها^(٢) كانت من أبي الوفاء من قبل.

١. في مد: بعده.

٢. في مد: أيها.

ونختار الآن طرفاً من سيرة عضد الدولة ونورده هاهنا عن ذكر خاتمة أيامه فإنه أحفظ لترتيب القول ونظامه. [61]

أخبار من سيرة عضد الدولة

كان ملكاً كامل العقل، شامل الفضل، حسن السياسة، كثير الإصابة، قليل السقطة، شديد الهيبة، بعيد الهمة، ثاقب الرأي، صائب التدبير، محباً للفضائل، مجتنباً للردائل، باذلاً في مواطن العطاء كأن لا سخاء بعده، مانعاً في أماكن الحزم حتى كأن لا جود عنده، يستصغر الكبير من الأمر ويستهون العظيم من الخطب.

وكان يقول على ما يحدث عنه :

«الأرض أضيق عرصة من أن تسع ملكين.»

فأما أفعاله في تدبير نفسه

وترتيبه في قسمة زمانه

فإنه كان يباكر دخول الحمام، فإذا خرج منه ولبس ثيابه أدى فرض الصلاة، ودخل إليه خواصه وحواشيه، فجلس منهم أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف بحضرته ويضع دواته بين يديه، ثم يؤذن لأبي القاسم المطهر بن عبد الله وزيره ومن قام مقامه بعده [62] فيسأله عما عمله فيما سبق التقدم به إليه، فيخبره بذلك ثم يذكر له ما عرض من الأمور ويستأذنه في كل أمر فيوعز إليه بما يعتمده فيه.

ويفعل مثل ذلك مع أبي الحسن علي بن عمارة وأبي عبد الله ابن سعدان عارضى الجيش ذاك للديلم وهذا للاتراك والاعراب والاكراذ.

فإذا ترحل النهار سأل عن ورود النوب المترددة بالكتب ولها وقت معلوم

تصل فيه وتُراعى من ساعات النهار فإن اتفق أن تتأخر قامت القيامة ووقع البحث عن العارض العائق، فإن كان بعائق ظاهر فيه عذر قبل، أو عن أمر يحتاج إلى إزالته أزيل أو من تقصير النوبيين أنزل العذاب بهم.

ولقد ذكر بعض الطراد أن أحد المرتبين قالت له امرأته:

«قد طبخنا أرزاً فتوقف لتأكل منه وتمضى.»

فتوقف بقدر ما أكل وتأخرت النوبة ذلك المدى ف ضرب الطراد والمرتبون ما بين شيراز إلى بغداد أكثر من ثلاثة آلاف عصا. لاجرم أن النوب كانت تصل من شيراز في سبعة أيام وكان يحمل مع المرتبين بواكير الفواكه والمشموم من نواحي فارس وخوزستان فتصل طرية سليمة.

وقيل: إن بعض أصاغر الحواشي حمل في النوبة [63] من همذان في كتنانة^(١) دنانير يسيرة إلى منزله وقد كان عاداتهم جارية بذاك فقصرت عن أهلها وعرف عضد الدولة الخبر فلم يزل يكشف عن ذلك إلى أن ظهر للخرائطي أخذ الدنانير فأمر بقطع يده.

فإذا وصلت النوبة كان فضّ ختومها وفتح خرائطها وأخرج^(٢) الكتب منها بحضرته ويأخذ منها ما كان إلى مجلسه ويخرج الباقي إلى ديوان البريد فيفرّق على أربابه.

ثم يقرأ الكتب إليه كتاباً ويطرحه إلى أبي القاسم عبد العزيز، فإذا تكامل وقوفه عليها جدّد أبو القاسم قراءتها عليه فيأمره في جواب كل فصل بما يوقع به تحته، وأخرج منها ما يأمر بإخراجه ليواقف عليه المطهر بن عبد الله أو من يجري مجراه في تذكرة وهي أبداً بين يديه يعلق فيها ما يعرض له.

١. في مد: كتنانة.

٢. في مد: اخراج.

ثم يسأل عن الطعام عند فراغه من ذلك فإذا حضر الوقت الذى رسمه بالأكل فيه استدعاه فأصاب منه وطبيب النوبة قائم على رأسه وهو يسئله عن شيء شيء من منافع الأغذية ومضارها ثم يغسل يده وينام، فإذا انتبه جدد الوضوء وصلى الصلاة الوسطى وخرج الى مجلس الشرب فجلس وحضر الندماء والملهون.

ووافى أبو القاسم عبد العزيز فقعد [64] بحضرته على رسمه وعرض عليه ما كتبه الكتاب أو كتبه هو بنفسه من أجوبة الكتب الواردة، فربما زاد فيها أو نقص منها ثم تصلح وتختتم وتجعل فى اسكدارها وتحمل الى ديوان البريد فتصدر فى وقتها.

ومتى غاب أبو القاسم ابن عبد العزيز لأمر يقطعه أو تأخر فى داره واحتيج الى كتاب يكتب، يستدعى كاتب النوبة فأجلس بين يديه وتقدم بما يريده اليه أو أملاه عليه وهو مع ذلك يشرب ويسمع الغناء ويسأل عما يمضى من أشعاره وما يجب معرفته من اخباره ولا يزال على ذلك الى أن يمضى صدر الليل ثم يأوى الى فراشه.

وإذا كان يوم موكب برز للأولياء ولقيهم ببشر وتأنيس تعلوهما هيبه ووقار وأجاب كل ذى حاجة بما يجب فى السياسة من بذل ومنع، وتفرق الناس عند انتصاف النهار وأقام أصحاب الدواوين وكتّابهم الى حين غروب الشمس. فأما عموم الأيام فإن الأمر يجرى على ما تقدم ذكره.

عضد الدولة والجارية

فيقال: إنه مال فى بعض الأيام الى جارية ميلاً دعاه الى أن خلا معها خلوة أطالها وانقطع بها عن مراعاة ما كان يراعيه من الأعمال، فلما حاول النظر فى ذلك من غد وجده قد [65] تضاعف فشق عليه تلافى ما مضى.

ثم دعاه الشغف بالجارية الى أن خلا معها نوبة ثانية كالأولى فى الإطالة فوقف من الأمور أكثر مما كان، وتأمل الصورة فرأى الخلل قد استمر، فأحضر شكر الخادم وتقدم اليه بأخذ الجارية وتغريقها فأخذها شكر وراعى ما عرفه من شدة وجده بها فاستبقاها ولم يحدث حدثاً فى بايها. فلما مضت على ذلك أيام قال له :

- «يا شكر لقد عجلنا على تلك الجارية وكان التثيت أولى.»

فقال : «يا مولاي قد والله تثبت فى أمرها خوفاً من ندمك على ذهابها فاستبقيتها.»

قال : «فرّدها الى موضعها.»

فرّدها وعاود عضد الدولة الخلوة بها والانتقطاع اليها وعاد الخلل الى حاله السالفة، فاستدعى شكرا وأمره بتغريقها وقال :

- «ما يساوى طاعة النفس فى شهوتها ترك الدنيا وإفساد سياستها.»
ففرقت ومضت الى حال سبيلها.

هذه الحكاية وجدناها فى كتاب التاريخ كما سطرناها وهى حكاية مستفاضة قد سمعناها مختلفة النسبة الى عدة ملوك والله أعلم بالصحيح^(١). وكان ضبطه لداره أشدّ ضبط ونظره فى أمر الصغير من أمر الخزان والمطابخ والاقامات [66] والوظائف مثل نظره الى الكبير من أمور الممالك، فلا يطلق درهماً فى غير وجهه، ولا يمنع أحداً مما يستحقّه.

تدبيره لجنده

فأما ما ذكر فى أمر تدبيره لجنده فقد كانت أموالهم مطلقة فى أوقاتها

١. وفى ترجمة عضد الدولة فى تاريخ الاسلام أنّه كان من أفراد الملوك لولا ظلمه، كان سفاكاً للدماء حتى إنّ جارية شغل قلبه بميله اليها فأمر بتغريقها. والحكاية موجودة فى الفخرى أيضاً (مد).

متتبعة في تصرفاتها وأكثر كتابهم وأصحابهم عوناً له عليهم. وطبل العطاء يضرب في كل يوم ويحضر من ينتهي إليه الدعوة من القواد ومعه أصحابه بأحسن رتبة فقبض ماله والزيادات في الأصول محظورة على العموم إلا عند الفتوح وما تدعو السياسة إليه من استمالة القلوب.

ف قيل إن طغان الحاجب - وكان أكبر الأتراك في دولته - راسل عضد الدولة وقد جرده إلى بعض الثغور وسأله زيادة عشرة أرتال خبزاً في خزانته، فدفعه عن ذلك وحمل إليه خمسة آلاف درهم صلة وقال له :
« هذا ثمن ما استزدتناه للسنين الكثيرة ولو أجبنك إلى مرادك على ما طلبتنا به لا تفتح علينا باب لا يمكننا سدّه. »

قصته مع الوارد من الديلمان

وحدث أبو الحسن ابن عمارة العارض قال :
- ورد إلى عضد الدولة فلان الديلمي [67] - وأسماء - من أرباب البيوتات المذكورة بديلمان فأكرمه وعظمه وخلع عليه وحمله على فرس بمركب ذهب.

واتفق أن دعا قائداً من أقاربه بالحضرة كانت له مروءة حسنة فشاهد من آله ومروءته وزينه وتجميله ما كثر في عينه، فاستقصر حاله عندما شاهده فأحضر كاتباً كان عضد الدولة قد استخدمه له وقال له :

- « قد دعاني ابن عمي ورأيت من مروءته ما استحسنته وشاهدت عليه فرجية ورداء من حالهما كيت وكيت وأريد أن تبتاع لي مثلها. »

فقال : « نحتاج لثمن ذلك إلى ما تقصر عنه أيدينا في هذا الوقت. »

فقال : « خذ المركب الذهب فارهنه. »

فصار الكاتب إلى عضد الدولة فعرفه ما جرى، فاستدعاني - يعني أبو

الحسن ابن عمارة العارض نفسه - وقال لى^(١) :

- «أحضر فلاناً القائد الذى دعا الديلمى الوارد من ديلمان.»

فأحضرتة وعرفته حضوره، فقال :

- «أخرج اليه وقل له : ليس يكفيك بطرك بالنعمة الخالصة لك وتشاغلوك

بالتترّف عن الجندية وشروطها حتى تريد أن تفسد عسكرنا علينا وتعمل

الدعوات وتظهر الزينة. الآن قد ندينك للخروج الى البلد الفلانى فتأهب

وأخرج.» [68]

قال : «فلما أوردت عليه هذا القول قبّل الأرض وتنصّل وكاد يموت،

وانصرف على عزم الخروج.»

ثمّ رسم بعد ذلك إحضار الديلمى الوارد من ديلمان، فلما حضر أمر أن

يفرش له بساط منجرد ويطرح عليه صدر مثله وثلاث مخادّ مخلقة وليس

جبة رثة وعمامة شهجاني^(٢) وجلس وأوصل الديلمى وتشاغل عنه ساعة،

الى أن علم أنّه قد شاهد فرشه وثيابه وسأله عن حاله وخاطبه خطاب

مؤانس له :

- «أراك يا فلان تتأمل فرشنا وثيابنا ولعلك تقول - كيف يقنع ملك الدنيا

بهذا؟ نعم إنّ الشرف والجمال بالأصول والأفعال والمواقف فى التدبير

والحروب، والثياب الحسيان والترّف، والنعمة للنساء والمخانيث، وتالله إنّ

الرجل ليدخل علىّ وهو متصنّع متعّمّل، فأتصور أنّه فارغ عاطل، ويدخل

وهو مقتصد مسترسل، فأراه بصورة من له نفس وهمّة.»

ثمّ حادثه بعد ذلك ساعة وانصرف. [قال] وعاد الكاتب فقال له عضد

١. وفى الأصل : له.

٢. قال الثعالبي فى لطائف المعارف (١١٩) : قد بقى الى الآن اسم الشاهجاني على الثياب الرقيقة، فإنّها

كانت تجلب من مرو شاهجان.

الدولة :

- «أى شىء جرى بعد انصراف صاحبك؟»
قال : لما عاد من حضرة مولانا سألتنى عما كان واقفنى على ابتياعه من
الرداء والثوب للفرجية فأحضرتهما له. فقال :
- «ردّهما على صاحبهما [69] وارتجع المركب وردّه الى موضعه.»
فتبسّم عضد الدولة.
وحدث أبو نصر خواشاده قال :

رأيه فى دفع المشاهرات

«كان بالقصر جماعة من الغلمان تحمل اليهم مشاهراتهم من الخزانة
بالحضرة. فلما كان فى آخر شهر قد بقى منه ثلاثة أيام استدعانى وقال لى :
- «تقدم الى الخازن فى بيت المال بأن يزن كذا وكذا ألف درهم ويسلمها
الى أبى عبد الله ابن سعدان ليحملها الى نقيب الغلمان بالقصر.»
فقلت : «السمع والطاعة.»
فأنسيت ذلك وسألنى عنه بعد أربعة أيام، فاعتذرت بالنسيان فخاطبني
بأغلظ خطاب فقلت :
- «أمس كان استهلاك الشهر والساعة تحمل العادة وما ههنا ما يوجب
شغل القلب بهذا الأمر.»

فقال : «المصيبة بما لا تعلم، ما فى فعلك من الغلط أكثر منها فيما
استعملته من التفريط، ألا تعلم أنا إذا أطلقنا لهؤلاء الغلمان مالهم وقد بقى فى
الشهر يوم كان الفضل لنا عليهم، وإذا انقضى الشهر واستهلّ الآخر حضروا
عند عارضهم فأذكروه فيعدهم، ثم يحضرونه فى اليوم الثانى فيعتذر اليهم ثم
فى الثالث فتبسط فى اقتضائه ومطالبته ألسنتهم، فتضيع المنّة وتحصل الجراة

ونكون الى الخسارة أقرب منا الى الريح.»

ولعل عضد الدولة نظر [70] في هذا الوقت الى ما وجد في سيرة المعتصم رضوان الله عليه، وهل ينكر لبنى هاشم أن يقتدى بأقوالهم أو يهتدى بأفعالهم وهم الأصدقون أقوالاً، والأكرمون أفعالاً، والأشرفون أنساباً، جبال العلوم، وبحار العلوم، وأعلام الهدى، وساسة الدين والدنيا، وفرسان الحروب والمحاضر، وأملاك الاسرة والمناير، الى مكارمهم ينتهى الكرم، وبسماثرهم تنجلي الظلم، المعتصم بينهم المعتصم.

خبر ماثور في سياسة جند

يقال : إن جنداً كانوا بدمشق فطالبوا عاملها برزق استحقوه وشكوا اليه ضيقة وحاجة، فاحتج بأن المال الحاصل للحمل، وأنه لا يقدم على أخذ شيء منه، وسيقيم لهم وجوهاً من بعد، ودعتهم حاجتهم الى أن مدّوا أيديهم وأخذوا بعض ما يستحقّون وكتب العامل على البريد الى الحضرة بذلك. وكان المعتصم بنّية الغزو وقام يكتب جوابه وقال :

- «انتفيت من الرشيد لئن لم يعيدوا المال الذي أخذوه ساعة وصول هذا الأمر لأجعلن وجه الغزاة اليهم [71] ولأجعلنهم حصائد السيوف.»
فعاد الجواب أسرع ما يكون الى العامل فأحضر الجند وقرأ عليهم الكتاب ونظر بعضهم الى بعض وقالوا :

- «هو المعتصم وإنه يقول ويفعل.»

وتبادروا الى ردّ ما أخذوه، فما كان طرفه عين حتى اجتمع المال كأنه لم يبرح وسألوا العامل التنصل عنهم الى المعتصم وذكر صورتهم التي أحلت في أمثالها المحرمات فكتب بذلك الى الحضرة فأمر المعتصم بالجواب وذمّ فعل العامل وتبين خطيئته كيف جنى على السياسة وجرّأ الجند بتأخير أعطيتهم

عن أوان وجوبها، ويحذّره أمثالها، وأمره بإطلاق ما اجتمع لهم من مال استحقاقهم وإسلافهم عطاء آخر لحسن طاعتهم.

ونعود الى ذكر ما نختاره من كتاب التاريخ^(١)

وحدّث أبو الحسن ولد عمارة قال :

دخل بعض الأتراك الخواصّ الى ديوان الجيش ومعه صكّ يريد أن يشبّهه، فقال للكاتب :

« أثبته . »

فقال : « أنا مشغول بعمل استدعاه الملك وما أنا متفرغ لعمل صكّ^(٢) [72] اليوم . »

فأخذ الحساب من يده ووضع في الأرض وقال له :

- « قدّم أمرى أولاً . »

فكتب صاحب الخبر بذلك في وقته فلم يستتمّ الكاتب اثبات الصكّ حتى استدعاني عضد الدولة وقال :

- « قد جرى من فلان الديلمي كذا وكذا، فأخرج الى ديوانك واستدع الصكّ من كاتبك وحرّقه بين يديك، وتقدّم بأن تجرّ رجل الديلمي من موضعه الى باب العامة ووكل به من النقباء من يطالبه بالخروج الليلة من البلد الى ديلمان . »

ففعلت ذلك، وتقدّم فيما بعد ألاّ تعمل أعمال الجند إلاّ في أيدي المديرين .

١. والواضح أنّ هذا تاريخ هلال الصابي (مد).

٢. في مد : صكّك .

عضد الدولة وأسفار والتناء

وقيل: إنه كان رفع أسفار بن كردويه عن قبول الظلامات فيه ومطالبة كتابه بحضور مجالس الحكم فيما يتعلق به اجلالاً له، وأن أحد التناء^(١) تظلم منه في معاملة ورفع قصته^(٢) الى عضد الدولة فوقَّع على ظهرها: أخونا [أبو] زهير يرتفع عن مثل هذا الفعل والدعوى عليه بذلك باطلة، وإن التوقيع حُمل الى أسفار، فأنصف الرجل.

وحكى عن بعض التناء أنه قال:

- حصلت ضيعتى فى أيام عضد الدولة فى إقطاع أسفار بن كردويه، وكان من الظلم على حال معروفة، وكان عضد الدولة قد رفع عنه وعن زيار بن شهاكويه العدوى [73] فى كل فعل وتتابعت على جوائح ولم تحصل لى ما يفى بالخراج، فاجتمع لأسفار على ثلاثة آلاف وستمائة درهم اعتقلنى بها وأساء الىّ وقيدنى وأدخل يده فى نيايتى فاقمت فى حبسه سبعة أشهر. فأنس بى الموكل وعلم أنى لا أتمكّن من الهرب مع القيد الذى فى ساقى فكان يستخلفنى موضعه عند خلوّ الباب وانتصاف النهار ويمضى الى منزله فيتشغل بشغله ويعود.

وضاق صدرى، فانتهى بى سوء الحال وشدة القنوط الى أن اخترت الموت على الحياة فحملت نفسى فى بعض الأيام عند مضى البواب وخلوّ الباب على أن خرجت أمشى بالقيد.

وكان أسفار ينزل فى دار صاعد بن مخلد بدرب الريحان والزمان صائف والماء ناقص، فلزمت شاطئ دجلة حتى وصلت الى الميدان الذى تحت دار

١. التناء: المقيمون.

٢. فى مد: قصة.

عضد الدولة والناس يروني في طريقي، فمن منكر لي يقول: «مجنون وقد أفلت» ومن عارف بي قد علم أنني هارب.

فلما وقفت في الميدان رأيت الستائر معدودة وعضد الدولة قائم على الروشن وأنا لا أعلم، وعلى ابن بشاره الفراش على قرب منه، فصحت ودعوت، فبادر إلي على بن بشاره وأومى إليّ «أن اسكت وصر إلي باب [74] البستان».

فصرت إليه وخرج إليّ وقال :

- «من أنت وما قصتك ؟»

فشرحت له حالي وظلامتي من أسفار، فأجلسني عند البوابين وعاد، وإذا به قد خرج فأدخلني وقال : إن الملك كان واقفاً وقت مجيئك وهو الذي رأيك فإذا رأيته فقبّل الأرض بين يديه وأكثر الدعاء له.

فمشيت وأنا أحجل في القيد حتى قربت منه في الموضع الذي شاهدهته أولاً فيه، فتداخلى من الهيبة والجزع ما لم أملك نفسي معه، فقبّلت الأرض مراراً ودعوت له دعاء كثيراً وبكيت وسكت. فقال لعلني بن بشاره :

- «قل له حتى يشرح صورته».

فقلت : «ما لي لسان يطاوعني على القول لعظم ما قد تداخلى من الرهبة والخوف».

فقال : «تكلم ولا تخف».

فقلت : «إن أسفار قبض ضيعتي وطالبنى بما لا قدرة لي عليه وحبسني في القيد منذ سبعة أشهر».

فأطرق ساعة ثم قال لي :

- «عد إلى دار أبي زهير وأعلمه أنك جئتنا وحالك لنا وأنا أمرناك

بالعود إليه».

فقلت : « يا مولانا أخافه . »

وجهلت في قولي هذا .

فقال : « لا تخف فأنا من ورائك وعد لتعرف ما ينتهي اليه أمرك . »

فقبلت الأرض وخرجت أجزّ نفسي وأحجل في قيودي حتى وافيت باب أبي زهير ، فإذا البوّاب [75] قد عاد فلم يجدني وبث الركابية والغلمان في طلبى ، وعرف أبو زهير خبرى ف ضرب البواب مائة مقرعة والدنيا قائمة على ساق .

فلما رآنى الغلمان صاحوا :

- « هاهوذا » وقالوا :

- « أين مضيت ؟ »

فقلت :

- « مضيت الى الملك عضد الدولة فأوصلنى وشكوت اليه أمرى فأمرنى

بالعود الى القائد وعدت . »

فلما سمع الغلمان ذلك ذكروه لأسفار فأحضرنى وقال :

- « أين كنت ؟ »

قلت : « يا صاحب الجيش لما ضاق صدرى وغلب يأسى صبرى ،

قصدت باب الملك ، فوجدته قائماً على الروشن وبين يديه الأستاذ على بن

بشارة ، فدعوت له وشكوت اليه حالى فأوصلنى ^(١) وحدّثته حديثى فأمرنى

بالعود اليك . فقلت : أخاف أن أعود . فقال : « عُد فإننا من ورائك . وقد جئت . »

فقال أسفار :

- « تؤاخذ اذاً . »

وأحضر من فكّ القيد وأعطاني عمامة وثوباً ومائة درهم وقال :
«انصرف مصاحباً.»

فقلت : «ضيعتي.»

فقال : «أخرج اليها وتصرف فيها ولا تطمع مستأنفاً في كسر خراجها.»
فدعوت له وخرجت من عنده فمضيت من فوري ذلك الى روشن عضد
الدولة وصحت ودعوت له. فدنا خادم من الروشن وأومى اليّ أن
- «تقدّم الى الباب» فتقدمت اليه وجاءني الخادم فقال : [76]
- «من أنت؟»

فقلت : «المحبوس الذي كان منذ ساعة بحضرة مولانا.»
وتقدم اليّ بالعود فدخل وخرج اليّ عليّ بن بشارة فأدخلني، ورأيت
الملك جالساً على عتبة البيت الذي بناه على دجلة، وغلمان وقوف بالقرب
منه، فقبّلت الأرض ودعوت له، فقال :

- «كيف جرى الأمر؟»

فشرحت له الحال وأريته الثياب والدرهم التي أعطانيها أسفار. فاستدني
عليّ بن بشارة وأسرّ اليه شيئاً^(١) لم أسمع، ثم قال لي :
- «كم عليك لأبي زهير؟»

فقلت : «ثلاثة آلاف وستمئة درهم.»

قال : «نحن نوذّيهـا اليه عنك لتبرأ منها في ديوانه وتكون مقابلة له على
الجميل الذي عاملك به.»

فقبّلت الأرض ودعوت له، وأخذ عليّ بن بشارة بيدي ودخلت الى
الخزانة فأخذ ثلاثة آلاف وستمئة درهم في كيس، واستدعى أحد نقباء

١. في مد : شيء.

النوبة وقال له :

- «امض مع هذا الرجل فاحمل هذا الكيس الى أبى زهير أسفار وقل له :
هذه الدراهم التى أنفذناها اليك لعوض عمك على هذا الرجل ، فأثبتها فى
ديوانك باسمه.»

فخرجت والنقيب معى والكيس معه ، وصرنا الى دار أبى زهير ودخلنا
اليه . فلما وضع النقيب الكيس بين يديه وأدى الرسالة قام قائماً وقبّل
الأرض ثلاث [77] دفعات وقال :

- «أنا عبد وخادم وهذا مال مولانا.»

وهب لى خمسمائة درهم وللنقيب خمسمائة وانصرفنا.»

الذى مضى فى هذين الخبرين هو تدبير لطيف وتوصل جميل الا أنّ رفع
العدوى عن أحد الاتباع وإن كان عظيم القدر مضر بالسياسة أى إضرار،
والقاعدة إذا وضعت على ذلك كانت «على شفا جُرفِ هارٍ»^(١).

ولقد رأينا فى زماننا من سياسة ملك الاسلام عضد الدولة البارسلان
رحمه الله وكان أقوى جنداً، ما هو أوفى جدّاً.

وأين كان من الملوك من يصول كصوله ويهاب كهيئته ! ونقتصر هاهنا
على إيراد خبر واحد من أخباره التى ينتهى القول بنا^(٢) الى ذكر أيامه بمشيئة
الله سبحانه. مركز تحقيق كاميون علوم إسلامي

ذكر خبر فى إقامة سياسة

حكى أنّ غلاماً خصيصاً بسنكلو أخذ من بعض المزارعين بطيخاً على
قارعة الطريق بغير رضاه وانتهى الخبر الى عضد الدولة رحمه الله، فطلبه

١. س ٩ التوبة : ١٠٩.

٢. لعله : بها.

فأخفى شخصه رجاء أن يسكن غضبه ويعفو عنه أو يقتصر من عقوبته على السوط دون السيف.

فاستدعى بسنكلو الى بين [78] يديه وأقسم لئن لم يحضر الغلام ليقمين السياسة فيه بدلاً عنه - وسنكلو يومئذ صاحب الجيش ومعه جمرة العسكر وأمره قوى وجانبه منيع وهو أشد الترك بطشاً وأخشن الجند جنباً - فملكه الرعب وكان قصاره البدار بإحضار الغلام. فلما أحضر وسَّطه بالسيف وأجرى الفرس بين شلويه على سنّة لهم فى قتالهم.

قياس العُضد بالمعتضد فى سياسة الجنّة

ويوشك أن يكون لهذه السياسة باطن بأن تكون قد سبق للغلام جريمة يستحقّ بها القتل وأتبعها بهذه الصغيرة التى يجرى فى مثلها التعزير فقتله عضد الدولة رحمه الله، بالجريمة الكبيرة التى أوجبت قتله، وأظهر للعامة أنّه قتله بصغيرته الظاهرة لهم اقتداءً بخبر وجدته فى بعض الكتب مروياً عن المعتضد بالله رضى الله عنه، وهو أنّه كان سائراً فى موكبه فتظلم أحد الرعية من بعض الجند فيما يقارب قصّة البطيخ، فأمر بإحضاره وسحبته الى السجن وحبسه الى أن يعود الى مستقرّ عزّه فيأمر فيه.

فلما كان فى اليوم الثانى وأصبح الناس رأوا رجلاً مصلوباً فتحدثوا بقتل الجانى بالأمس وصلبه.

فدخل أحد خواص^(١) المعتضد اليه وقال له [79] عند خلوّ مجلسه :
- «يا أمير المؤمنين قد كان التعزير فيما جرى يقنع من غير صلب.

١. هو أبو محمد عبد الله بن حمدون النديم والحكاية موجودة فى إرشاد الأريب ١ : ١٥٩ وفى كتاب الأذكياء لأبى الفرج بن الجوزى ص ٤٢ قصة بطيخ أخذه بعض غلمان جلال الدولة رواها من تاريخ هلال الصائى (مد).

فقال له :

- «أتعرف الرجل.»

قال : «نعم.»

قال : «فامض الى السجن فانظر.

فلما دخل رأى الرجل حيّاً وهو مقيد فعاد وقال :

- «قد وجدته حيّاً.»

قال المعتضد :

- «إنما أمرت بإخراج غيره من المفسدين الذين قطعوا الطريق وأخذوا

المال وقتلوا ووجب صلبهم، فهو الذى رأيتموه مصلوباً وظهر للامة أن

المصلوب هو الجانى بالأمس إيداعاً للرهبه فى قلوبهم، فما تعديت حدود

الله.»

ولقد وفق المعتضد بالله رضى الله عنه، وهل يدافع عن حسن سياسة

يضرب بها المثل؟

وبلغنى أن بعض أمراء مصر كثر المفسدون فى أيامه فقتل وتعدى حدود

الله التى أتت بها الشريعة فتضاعف الفساد حتى وقف أمره، فأشير عليه باتباع

الشرع فأحضر أحد الفقهاء المجتهدين وشاوره واستفتاه وعرض عليه من فى

السجون وذكر له أحوالهم، فأفتاه بما أمر الله تعالى به، فأقام الحدود فيهم

بالعدل من غير زيادة ولا نقصان وسلك هذه الطريقة الحميدة فيمن ظفر به

من المفسدين، فما مضى من الزمان إلا قليل حتى استقامت له الأحوال

فانقطع الفساد فأمنت البلاد [80] وليس للمخلوقين أن يحتاطوا بصلاح الأمة

بزيادة على أمر الخالق رب العالمين، سبحانه وتعالى.

وما أحسن سيرة هذه الدولة التركية، فإن مندوباً للمعظالم قد وسموه

بـ«أميرداڤ» معناه أمير العدل يجلس للمعظالم والى جانبه حاكم من أهل العلم

يرجع ذلك الأمير الى رأيه وكلمه وينفذ ما تأمر الشريعة في الجند والرعية . وكلّ عبد من عباد الله تعالى في إمداده بحسن التوفيق لم يهذب بسياسة الأقرب فالأقرب ولم يذل بهيبته الأصعب فالأصعب، نسب^(١) الى إحدى خطتين: إمّا ظلم في طبعه وإمّا عجز في نفسه، وكلتاها غير حميدة . ولم يكن مثل ذلك يخاف على عضد الدولة بن بويه مع كمال فضله، ولعله سمح لأسفار وزيار بهذا الفعل . ان الخبر صحيح^(٢) لمدارة عاجلة، ليتلافها من بعد بسياسة شاملة، فإن غوره كان بعيداً وصبره لمداواة كل خطب عتيداً . وهو من الملوك الذين لا يقدح الثلم في سياستهم بحال، ولا يجد العيب في سيرهم أدنى مجال .

ونعود الى سياقة الأخبار

حدّث أبو اسحاق ابراهيم بن هلال^(٣) الصابى قال :

«لما ورد عضد الدولة في [81] الدفعة الثانية خرجت لاستقباله الى المدائن وخدمته، وخفت أن يتطرّق على دارى الشاطئة^(٤) الترك في سورة الدخول لأننى من حواشى البختيارية وسألته إنفاذ من يحرسها فأنفذ معى أحد النقباء الأصاغر وتقدّمت عائداً والنقيب معى .

فكان يمضى أكثر النهار فى أشغاله، فاتفق أن هجم على الدار أحد القوادر الأكابر وطرح أصحابه أحمالهم وفرشوا فرشهم وربطوا دوابهم وتقدّموا اليها بالانتقال فأيسنا من دورنا ومضى غلمانى يطلبون النقيب، فلما حضر سلّم

١. فى الأصل : ونسب .

٢. يريد ان كان الخبر صحيحاً (مد).

٣. وفى الأصل هليل .

٤. وأمّا هذه الدار فليراجع ما قال فيها حفيده هلال فى كتاب الوزراء ص ٢٨٨ (مد).

على القائد وقبّل يده ووقف بين يديه وأخذ يحادثه ثم قال له الديلمي :
« فيم جئت ؟ »

قال : « أنفذني الملك لأحفظ هذه الدور ممن يتعرّض لها . »
فقال له :

— « هذا كاتب من أصحاب بختيار فأى شيء بينه وبين الملك ؟ »
قال : « كان يخدمه وله موضع عنده . »
قال أبو اسحق :

— فوالله ما استتمّ النقيب كلامه حتى نهض القائد الديلمي ورمى بكرسى
كان جالساً عليه وقال لغلمانه : ارفعوا .
وركب في الحال وخرجوا بعده فما رأيت هيبة أعظم من هيئته . »

وأما ذكر ما فعله في أمر الحماية [82]

فإنّه حمى البلاد من كل مفسد وحفظ الطرق من كل عاث وهاب
الحواضر والبادى .

وكان منه فى قتل داود بن مصعب العقيلي أمر بنى عقيل وسيدها بأبى
القاسم ابن الباهلي ما شاع ذكره .

مركز تحقيق كاميون علوم إسلامي

ذكر مكيدة في قتل داود بن مصعب

وكان من خبره أنّ عضد الدولة أنفذ أبا القاسم ابن الباهلي الى داود
برسالة يدعوّه فيها الى الطاعة والدخول الى بغداد وضمّ اليه عشرين رجلاً
من الحمدانية وواقفه على الفتك ان وجد غرة منه .

فلما حصل عنده وكان نازلاً بالقرب من سنجار أورد عليه ما تحمله
ورغبه في الخدمة فقال له داود :

- «أما الطاعة فأنا ألزمها، وأما الدخول الى الباب فما جرت لى عادة

به.»

فلم يزل يراوضه وهو مقيم على أمره فيما بذله وامتنع عنه. وعول ابن الباهلى على اغتياله وواقف فراشاً كان معه على ذلك، وطلب الغرة فوجدها عند رواح الجمال والبقر والغنم، فإن الصياح يكثر والرجال والنساء مشغولون بإبلهم ومواشيهم وضمتها إلى [83] بيوتهم وحلب ألبانها فعمل على فعل ما يريد فعله فى هذا الوقت واستأذن على داود فى بعض العشايا وحضر عنده وأخذ فراشه معه - وقد خرج اليه بسر - ورسم له أن يمسك داود إذا خلا مجلسه وغمره بعينه واستصحب سكيناً ماضية فى كفه.

وراحت الإبل والمواشى فارتجت الحلة بأصواتها وضوضاء الناس وحادثه ساعة ثم غمر الفراش قوثب وأخذ يذى داود ومسكهما وضربه ابن الباهلى بالسكين فى صدره وكرر ذلك حتى أصاب مقتله وخرج غير عجل ولا مضطرب والفراش خلفه طالباً للصحراء والبعد عن البيوت كأنه قاضى حاجة وقد أعد له وللفراش^(١) فرسين فركباهما وسارا سيراً رفيقاً حتى أوغلا فى الصحراء ثم حثا وعدلا عن طريق الموصل وتعسفا الطريق الى برقعيد^(٢) ونزلا منها الى دجلة وانحدرا فى سفينة.

ودخل أصحاب داود عليه بعد ساعة فوجدوه طريحاً قتيلاً ولم يجدوا ابن الباهلى فعلموا أن الفعل له. ومضى قوم من الفرسان يتبعون أثره فى الطريق المؤدية الى الموصل فلم يجدوه فأخذ من كان معه من الحمدانية فيقتلوا صبراً، ومضت على ذلك السنون وقتل ابن الباهلى بالكوفة قتله بنو عقيل. [84]

١. ولعله: الفراش، بدل «والفراش».

٢. برقعيد: بلدة فى طرف بقعاء الموصل من جهة نصيبين (مرصد الإطلاع).

وقد قيل: «كل قاتل مقتول» وهو أسهل الأمرين، لأن ما جاء من الوعيد في القرآن وفي الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمن قتل نفساً بغير حق ما يلقاه في الدار الآخرة أشدّ نكالاً وأعظم عقاباً وأدوم عذاباً، نسأل الله تعالى العفو والعافية في الدنيا والآخرة.

إطماع المطلوب في الصفح عنه ثم الغدر به

وذكر أبو الحسن محمد بن عيسى الهيتي قال:

«أخرجت الى هيت لتقرير ارتفاعها وارتفاع الأنبار على أبي العلاء الحسن بن محمد الاسكافي، فورد علينا في بعض الأيام كتاب من عضد الدولة يرسم فيه المسئلة عن أعرابي من بني عقيل تناول شيئاً^(١) من بعض زواريق المعادن والمطالعة باسمه وحاله.

فأحضرت الملاحين وسألتهم عن هذه الحال فلم يعرفوها، فكتبت بذلك وورد الجواب بأن نزيد في البحث، فلم أزل أتعرف وأسأل كل واحد حتى ذكر لي بعض الملاحين أن فلاناً العقيلي اعترض سفينة من سفن المعادن وهي مصعدة والتمس من بعض المدادين قطعة من شاروفة فأخذها قهراً من صدره وأنه لم يجبر سوى ذلك فأحضرنا المسيّب بن رافع وطالبناه بالأعرابي فقال:

«ما تريدان منه.»

فأعلمناه أن الملك طلبه. قال أبو الحسن الهيتي: وكان بيني وبين [85] المسيّب أنسة ومودة فأقسم على أن اطلعه على الصورة فذكرتها له فانصرف واجماً وغاب عنا يومين ورجع ومعه جماعة من أهل المطلوب وبني عبّه

١. في الأصل: شيء.

وسألونا الإمساك عنه وانتهى الأمر فيما بيننا وبينهم الى أن تصححوا ذنبه.

قال أبو الحسن :

- فلم أتجاسر على مكاتبة عضد الدولة بذلك.

وكتب به أبو العلاء وعنده أنه قد أثر أثراً منه فعاد الجواب اليه بإنكار ما كان منه في قبول ما قبله من المال وإطعام القوم في الرضاء^(١) عنهم وأن الغرض حسم مواد الفساد في الطرق وقيل له فيما خطب به :

- «لولا أنها أول جناية لك لأنفذنا من يحسن تقويمك وتأديبك.»

وكتبت أنا بالتماس الأعرابي وأخذ المسيب بتسليمه وإطعامه وإطعام بني عمه في الصفح عنه إذا سلموه فاعدت خطاب المسيب والقوم في إحضار الرجل فأحضروه وسلموه فاعتقلته وكتبت بحصوله. فورد الكتاب بأن أطلبه بالشاروفة التي أخذها فإذا أحضرها خنق بها في الموضع الذي أخذها منه وصلب ففعلت ذلك.

ثم راسل عضد الدولة المسيب ووجوه بني عقيل بأنه : متى لم يضمن أكابرهم أصاغركم ويلزموا عهدتهم ويضبطوا الطرق [86] ويحموا مواد الفساد صرفناكم من ممالكنا.

فحملهم الخوف على العبور الى الجانب الشامي وأوغلوا في البرية. ومن العجب من حسن سياسة عضد الدولة إطعام المطلوب في الصفح عنه إذا حضر وإطعام بني عمه في مثل ذلك إذا أحضره ثم الغدر به بعد تسليمه. قال الله تعالى : «إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدُرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»^(٢).

واستجابة الرجل الى الحضور طمعاً في الأمان قبل القدرة عليه هو توبة

١. كذا في مد : الرضاء (بالمد).

٢. س ٥ المائدة : ٣٤.

فالفدر به بعد بذل الاطماع في العفو قبيح إن كان ما ذكر في هذه القصة صحيحاً.

قتل القُطَاع بالحلاوات المسمومة

ومن بعض توصله ما وجدنا في عين التاريخ وهو أن عضد الدولة أنفذ أحمالاً من الأمتعة إلى مكة مع تجار أو حاج. فلما انتهوا إلى بعض الطريق عند بعض أحياء العرب خرج عليهم قوم منهم فقطعوا عليهم فقال المأخوذ: - «هذه الأحمال لعضد الدولة الملك.»

فسبّوه عند ذكره وعاد المأخوذ إلى حضرة عضد الدولة وحكى ذلك. فتقدّم بعمل شيء كثير من الحلاوات المسمومة وأعاد المأخوذين وأصحابهم أمتعة وجعل تلك الحلاوة المسمومة في جملتها وقال: - «تعمدوا لقاء القوم فإذا وقعوا [87] عليكم فقولوا: إن هذه الامتعة والحلاوات أنفذها عضد الدولة لفقراء مكة. فإذا أخذوا الأحمال فعودوا لوقتكم.

ففعّلوا ذلك وصادفوا القوم فأخذوا ما صاحبهم وأكلوا من تلك الحلاوات فهلكوا.^(١)

فإن كان هذا الخبر صحيحاً فإنه كيد يأباه كل ذي دين ويأنف منه كل سلطان مكين. فذو الدين يراه من أعظم الآثام وذو السلطان يراه عجزاً وضعفاً في الانتقام.

وفيه تفرير نفوس من لا ذنب له. فهل كان يأمن أن يأكل من ذلك النساء والولدان ومن عسى أن ينزل بالحي من ضيف برىء الساحة؟ قال الله تعالى:

١. وردت هذه الحكاية في كتاب الأذكياء ص ٤١ رواية عن تاريخ محمد بن عبد الملك الهمداني (مد).

«ولا تزر وازرة وزر أخرى»^(١).

واستفتى رجل ابن عباس رضوان الله عليه في قتل أولاد المشركين فقال :
- «ان علمت منهم ما علمه الخضر عليه السلام من الغلام الذي قتله
فاقتلهم»

إيجاباً عليه بأنه لا يجوز له قتل من لم يبلغ الحلم منهم.

ومن غريب مكائد عضد الدولة

ومن غريب مكايده التي تتداولها الألسن ما كاد به طائفة من القفص
والبلوص حين أوغل في بلاد كرمان لتنظيفها منهم^(٢) فإنه انتهى إليه أن قوماً
منهم بيوتهم من وراء جبل بحيث لا يمكن الوصول إليهم إلا بعد سلوك
مضيق، إذا وقف فيه عدد قليل [88] منع عسكرياً كثيراً. فلما أيس من الوصول
إليها بالقوة أعمل الفكر في الحيلة وراسلهم : بأتى لا أنصرف عنكم إلا باتاوة.
فقالوا : «ما لنا مال نؤديه إليك».

فقال : «أنتم أصحاب صيد وأريد من كل بيت كلباً».

فهان عليهم ذلك فأنفذ من عدّ بيوتهم فأخذ منهم كلاباً بعددها.

ومن شأن الكلب أن يلوذ بصاحبه ويصبص له وحوله، ويحتك به ويألف
بيته حتى إنه إذا أفلت من فراسخ كثيرة عاد إلى مريضه.

فأمر بأن يشدّ في أعناقها حلق النفط الأبيض وتجتمع عند مضيق الجبل
ثم تضرب النار في النفط ويخلى سبيلها ويتبعها العسكر. ففعلوا ذلك
وأسرعت الكلاب عدواً وأحس القوم بركوب العسكر فلقوهم في المضيق
وطلب كل كلب صاحبه لائذاً به من حرق النار. فكلما احتك بالرجل أسر

١. س ٦ الأنعام : ١٦٤.

٢. وذلك في سنة ٣٦٤ كما تقدم ذكره (مد).

النار اليه وأفرجوا عن الطريق والكلاب تتبعهم، وتعدت النار اليهم فاحترق عدد كثير منهم. وهجمت الكلاب على البيوت فخلا أهلها وأسرع العسكر وراءهم ووضعوا السيف فيهم واستأصلوا شأفتهم.

إيداع الرهبة في صدور الرعيّة

فأما ما أقامه من الهيبة وأودعه [89] صدور الرعية من الرهبة فإنه كان قد منع كل واحد من حمل السلاح بالحضرة إلا من كان مستخدماً في المعونة أو مرتبطاً في جملة الرجال المرتزقة، فإن وجد مع غيرهم سلاح أخذ وحبس وألزم جناية. وحظر أيضاً أن يضرب واحداً أو يمد اليه يده، فمن فعل ذلك أخذ وعوقب وحبس واغرم فكانت أيدي الناس مقبوضة.

قال صاحب التاريخ:

وإنني لأذكر في درب أبان من الجانب الشرقي وأبو اسحق جدّي^(١) إذ ذاك في الاعتقال وكان في هذا الدرب رجل شيرازي رث البزة يذهب في أمره مذهب التطايب ويضحكننا إذا جلس معنا. فبينما هو في بعض الأيام قاعد مع والدي على باب دارنا ومعنا رجل يعرف بأبن مواتة من أولاد الشهود والجيران إذ اجتاز بائع رمان، فدعاه ابن مواتة وسامه وجرى بينهما ما رفع له ابن مواتة يده فلطمه.

فقبض الرجل الشيرازي يده على كمّ ابن مواتة وقال:

«قم الى دار الملك.»

قال له:

«أصنع ماذا؟»

١. أبو اسحاق هو ابراهيم بن هلال الصايي وحفيده هو هلال بن المحسن بن ابراهيم الصايي وهو «صاحب التاريخ» (مد).

قال : «أطالع بما فعلته من لطم الطواف ويؤخذ بحقّه منك ثم يجرى [90] حكم السياسة فيك.»

لقد مات ابن مواتة خوفاً وجزعاً وعطف والدي على الشيرازي يسأله الإمساك والطواف يقول عندما شاهده من الحال :

- «قد وهبت وسامحت.»

وهو يقول له :

- «إذا وهبت حقك وهب السلطان حقّه.»

ويقول لوالدي :

- «لا أتمكن من الإمساك لأنّ خبرنا قد رفع الساعة الى الحضرة وإذا أمسكت صار لي ذنب أهلك به وتنقطع معيشتي وأنا أرتزق رزقاً سلطانياً على نقل هذه الأشياء.»

وانتهت الحال الى أن قتل والدي وابن مواتة يده فخلى عنه وقال :

- «قد دخلت معكم في خطر أسأل الله تعالى السلامة منه.»

وصرنا بعد ذلك نخافه ونرهبه. وكان معلمو الصبيان مواقف على أن يسألوا أولاد الجند الذين في مكاتبهم عن أمور آبائهم ومتصرفات أحوالهم في منازلهم ويكتبون بذلك الى ديوان البريد ولهم على ذلك رزق دأراً.

مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

ذكر حيلة لطيفة عادت باقامة هيبة عظيمة بين رعية بعيدة

خبر الحلاوي [91]

كان أحد جواسيس عضد الدولة العائدين من مصر ذكر لعضد الدولة في جملة ما أخبر به أنّه تقدّم الى شيخ حلاوي في زقاق القناديل بمصر فدفع

إليه درهماً تاجياً لبيتاع به شيئاً^(١) مما بين يديه، فردّه عليه وتنازعا فيه فشتمه وشتّم الأمر بضرب الدرهم وأنه سأل عن اسم الحلاوى حتى عرفه وسماه.

قال أبو عبد الله ابن الحسين بن محمد الحلاوى الموصلى : بينما أنا فى منزلى فى بعض الليالى إذ طرق بابى نقيب ومعه نفاط فجزعت منه وخرجت إليه فقال لى :

- «ابن محمان يستدعيك.»

فمضيت معه إليه فلما حضرت بين يديه وجدت عنده فراشاً من دار عضد الدولة فقال لى :

- «إن مولانا سأل عن صانع حاذق فوصفت له ورسم إنفاذك الى الدار فصر مع هذا الفراش اليها.»
فقلت : «السمع والطاعة.»

فنزّلنا سمارية من سماريات النوبة كانت مقدمة فى المشرعة وانحدرنا وصعدنا الى الدار فوقفنى فى الصحن ودخل ثم خرج فأدخلنى الى الحجرة التى فى ظهر القبة الخضراء وإذا عضد الدولة جالس وشكر قائم، فلما رأيته قبّلت الأرض مراراً فقال الملك :

- «قد أزعجت قلاً بأس عليك وما دعوناك إلا لخير.» [92]

فقبّلت الأرض. ثم قال :

- «قد احتجنا الى استخدامك فى أمر تنفّذ فيه الى الموصل وتقدّمنا بإطلاق نفقة لك تخلفها لعيالك فخذها من أبى الثناء (يعنى شكرا).»
فقلت : «السمع والطاعة.»

١. فى مد : شيئاً (إبقاء على ما فى الأصل) وقد تكرر ذلك فى هذا الكتاب.

فقال : « انصرف وانظر في أمرك وادفع النفقة الى أهلِكَ ولا تعرّض أنت لأخذ شيء منها فما بك في طريقك حاجة اليها. »
فخرج شكر وأعطاني عشرين ديناراً وانصرفت بها إلى أهلي وذكرت لهم الصورة ووصيتهم بما أريد.

فلما كان من غد آخر النهار وحضر من يستدعيني فصرت معه إلى الدار ووصلت إلى حضرة عضد الدولة بين العشاء والعتمة فقال لي :

- « اخرج في هذه الساعة مع من نسلمك إليه إلى مصر فإذا حصلت بها فاقصد باب الجامع وسل عن منير الخادم الأبيض فإنه يكون هناك يبيع الفراخ المسمنة وهو معروف فإذا رأيته فقل له : صديقك يقرئك السلام. فسيقوم من موضعه ويمشي فاتبعه إلى منزله فإذا دخلت فانزع ثياب سفرك التي عليك والبس الثياب التي يسلمها اليك وخذ منه ما تريده لنفسك واقصد بعد ذلك زقاق القناديل فإنك ستري شيخاً حلاوياً اسمه كذا ويعرف بكذا فاسئل عنه ليتحقق أنه هو. ثم اجلس عنده فاذكر له صنعتك [93] ومعرفتك بأمر الحلواء وتوصل إلى أن تعمل عنده من يومك والزمه وخفف مؤنتك عليه وإن دعاك الى منزله فامض معه فإذا عملت معه خمسة عشر يوماً أو أكثر وعرفك الناس واشتهر عنك جودة الصنعة فاستأجر بإزاء دكانه دكاناً وابتع ما تريده من آلة ومتاع واستدع من ذلك من منير الخادم فإن زبون الحلوى سيعدل اليك ويقف أمره ويسئلك الشركة فإذا سألكها فأجبه اليها وشاركه وأقم فيها معه شهراً. ثم أظهر له شوقك الى بغداد والى عيالك الذين بها وصفها عنده وعظم الكسب بها في عينه وابعثه على الخروج اليها وعده المواعيد الكثيرة فإن احتج عليك بأهله وولده فقل له : معي دنائير وأنا أدفعها اليك لتجعلها نفقة لهم مدة غيبتك عنهم. وأعلمه أنك تفعل ذلك إيثاراً لصحبته وأنه إذا حصل ببغداد أنزلته دارك وجعلته في دكانك وأعطيته قسماً وافراً من

الريح مما تتجر فيه من مالك فإن أحبّ بعد ما يشاهده المقام أقام وإن أثر العود الى مصر زوّدته من طريق العراق ما يعود به إلى أهله واجهد في حمله معك الى حضرتنا واخدم في ذلك خدمة تحظ [94] بحسن العاقبة فيها وتناول من منير ما تحتاج اليه لنفسك وله واحفظ السر واحترس من حيلة تتمّ عليك واجتز على طريق الموصل في عودك.»

فلما سمعت ذلك كلّه قلت :

- «السمع والطاعة وأرجو أن يوفّقني الله لما أهّلت له.»

فأخذ شكر بيدي وعدل بي الى موضع ونزعت ثيابي والبهت مبطنة ودفعت الىّ عشرون ديناراً وقال :

«هذه نفقة طريقك.»

ثم استدعى أعرابياً اسمه حسن جالساً في الصحن وسلّمني اليه وقال له :

- «هذا الرجل فاحفظه وأوصله^(١) الى حيث وقفت عليه.»

فأخذ الأعرابي بيدي ونزلنا فجلسنا في سمارية من سماريات النوبة وصعدنا باب خراسان ومشينا الى وجه الجامع فإذا هناك أربعة أجمال ورجلان من العرب وركبا وركب الأعرابي وركبت وسرنا وما زلنا من موضع الى موضع آخر حتى وصلنا إلى مصر في سبع وعشرين ليلة فحطّني القوم وقال لي صاحبي منهم: *بوير علوم ردي*

- «امض في حفظ الله وهات علامة بوصلك.»

فقلت : «العلامة أن مولانا قال لي: إذا عدت فخذ على طريق الموصل.»

ولا والله ما سألوني من أنا ولا في أيّ شيء توجّهت.

وقصدت باب الجامع فإذا الخادم الأبيض فسلمت عليه وقلت له [95] ما

١. في الأصل : وواصله (مد).

وَصَيِّتَ بِهِ فَرَحِبَ بِي وَنَهَضَ مَعِيَ فِي الْحَالِ إِلَى مَنْزِلِهِ وَنَزَعَ ثِيَابِي وَأَعْطَانِي ثِيَاباً نَظَافاً مِنْ عِنْدِهِ. وَجَرَى الْأَمْرُ مَعَ عَضْدِ الدَّوْلَةِ ^(١) مَدَّةً مَقَامِي بِمِصْرَ عَلَى مَا كَانَ مِثْلَهُ عَضْدُ الدَّوْلَةِ حَتَّى كَأَنَّهُ حَاضِرٌ مَعَنَا وَمَا زِلْتُ أَرْفُقُ بِالْحَلَاوِي وَأَعِدُّهُ وَأَمْنِيهِ حَتَّى أَجَابَ إِلَى الْخُرُوجِ.

فَعَدْتُ إِلَى الْخَادِمِ وَوَدَّعْتُهُ وَنَزَعْتُ الثِّيَابَ الَّتِي أَعْطَانِيهَا وَلَبِسْتُ الْمِبْطُنَةَ الَّتِي وَصَلْتُ بِهَا وَأَخَذْتُ نَفَقَةً وَتَوَجَّهْتُ أَنَا وَالشَّيْخُ الْحَلَاوِي مَعِيَ وَمَا زِلْنَا نَنْتَقِلُ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ حَتَّى وَصَلْنَا الْمَوْصِلَ وَأَقَارِبِي بِهَا فَزَلْنَا عِنْدَ بَعْضِهِمْ. وَاسْتَأْجَرْنَا فِي كُورَةِ ^(٢) الْبَرِيدِ وَمَا زِلْنَا نَنْتَقِلُ إِلَى أَنْ وَصَلْنَا إِلَى بَغْدَادَ وَانْحَدَرْنَا إِلَى مَنْزِلِي وَالشَّيْخُ مَعِيَ لِنَجِدَ الْوُضُوءَ وَنُصَلِّيَ وَنُعْبِرَ.

فَمَا اسْتَقَرَّرْتُ حَتَّى حَضَرَ نَقِيبٌ مِنَ الدَّارِ يَسْتَدْعِينِي وَمِنْ مَعِيَ فَعَجِبْتُ مِنْ ذَلِكَ وَكَانَ صَاحِبُ الْخَبَرِ قَدْ كَتَبَ يَخْبِرُنَا فَبَادَرْتُ وَمَعِيَ الشَّيْخُ وَعَبَرْنَا إِلَى الدَّارِ وَجَلَسْنَا فِي مَوْضِعٍ مِنْهَا إِلَى أَنْ خَلَا وَجْهُ عَضْدِ الدَّوْلَةِ. ثُمَّ أَدْخَلْتُ وَالشَّيْخَ مَعِيَ وَقَدْ طَارَ لَبَّهِ وَعَظُمَ رَعْبُهُ وَهُوَ يَحْتَسِبُ اللَّهَ عَلَيَّ وَأَنَا أُسْكِنُ مِنْهُ وَقَدْ تَدَاخَلَنِي لَهُ الرَّحْمَةُ الشَّدِيدَةُ وَعَدَلَ بِي إِلَى مَوْضِعٍ فِيهِ شُكْرٌ فَتَزَعْتُ مَا كَانَ عَلَيَّ مِنَ الثِّيَابِ وَأَنَا أَرَاهَا قَدْ أَخَذَتْ [96] وَحَمَلَتْ إِلَى حَضْرَةِ الْمَلِكِ فَأَعْطَيْتُ ثِيَابِي الَّتِي نَزَعْتُهَا عِنْدَ خُرُوجِي وَمِثْلَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ أَنَا وَالشَّيْخُ فَقَالَ :

« كَيْفَ جَرَى الْأَمْرُ ؟ »

قُلْتُ : « كَمَا مِثْلُهُ مَوْلَانَا. »

قَالَ لِلشَّيْخِ :

« أَنْتَ فَلَانُ بْنُ فَلَانِ الْحَلَاوِي ؟ »

قَالَ : « نَعَمْ. »

١. لعله : وَجَرَى الْأَمْرُ مَعَ مَنْ وَصَفَهُمْ عَضْدُ الدَّوْلَةِ (مد).

٢. لعله : رُكُوبَةُ (مد).

قال: «لا تخف وإن كنت قد أسأت الى نفسك وجشمتها السفر عن منزلك بالفضول من قولك وفعلك.»

فبكى الشيخ بكاء شديداً فتركه قليلاً ثم قال:

- «يا هذا هبك رددت الدرهم الذى من ضربنا ولم تحبّ أخذه من الرجل الغريب الذى وقف بك فما بالك شتمته وشتمت الذى أمر بضربه؟ ولولا أنّ فى تأديبك والفتك بك، وأنت شيخ غريب ولعلّ وراءك من يتوقعك ومادته منك، بعض الاثم واللوم لأمرنا بتقويمك لكننا نهب جنايتك لمن خلفك من عيالك وقد تقدمنا بإطلاق نفقة لك تردك الى بلدك فلا تعاود مثل ما كان منك وتحدّث فى بلدك بصفحنا عنك وعن جرمك ومثنتنا عليك.»

فبكى الشيخ حتى كاد يموت ولم يكن له لسان يجيب به وخرجنا وأعطاني شكر عشرين ديناراً وقال:

- «اصرفها فى نفقتك.»

وأعطى الشيخ دنانير وحملته الى منزلى وأكرمه واستأجرت له ما ركبته فى بعض القوافل الى الموصل [97].

فذكر أنّ الشيخ لمّا عاد الى مصر تحدّث بحديثه وشاع ذلك هناك فكان الغريب إذا جلس الى بعض أهل البلد صاحوا: الحذر الحذر. فتمسك الناس عن ذكر عضد الدولة وقال الحسين الحلاوى:

- «كانت فى المبطنة التى لبستها ملطفات وما علمت بها إلا بعد عودى.»

مراعاته للقوانين

فى كلّ الأحوال

وأما ذكر مراعاته للقوانين وحفظها فى الأحوال جميعاً فإنّه كان لا يعوّل فى الأمور إلا على ذوى الكفايات ولا يقضى فيمن لا غناء عنده حقوق

ذوى الشفاعات ولا يجعل لمن حوله من ذوى المناصب ولا لأحد من الأقارب والأباعد مساعاً فى الجنس المفوض الى كل فرقة منهم ويسجى الأمر فى ذلك على أحسن نظام ويزمّه بأحسن زمام.

قال أبو محمد الحسن ابن أبى الفرج ابن مسلمة^(١) الشاهد قال :
- «أحبّ أبو العباس محمد بن نصر بن أحمد بن مكرم الشاهد أن تقبل شهادة أبى يعلى محمد ابنه وكان أبو عمر محمد ابن عبد الله بن أيوب القطان صهره على ابنته ومعاملاً لأبى زهير أسفار [98] ابن كردويه ومختصاً به.»
وقال أبو العباس لأبى عمر :

- «أنا أعلم نبوك عن^(٢) أبى يعلى ابنى لما تنكره من أخلاقه وقد أحببت أن تقبل شهادته وشرعت فى أخذ الخطوط بتزكيتيه وهذا أمر هو فى يدك فإن ساعدتنى عليه مشى وإن وقف فما يقف إلا بك.»
فقال له :

- «والله لا تركت ممكناً.»

فقال أبو العباس :

- «القائد [أبو] زهير كثير القبول منك قليل الخلاف عليك وإن خاطب عضد الدولة على ذلك مع حصول التزكية لم يقع امتناع عليه فيه وأريد أن تجعل هذه الحاجة أكبر حوائجك إليه.»

فقال : «أفعل.»

قال أبو عمر :

- «فدخلت إلى أسفار وقلت له : يا صاحب الجيش قد خدمتك الخدمة التى وجب بها الحق لى عليك، ولى حاجة فيها قيام جاهى فى البلد قد

١. فى الأصل : المسلمة.

٢. وفى الأصل : على.

جعلتها ثمرة أُملى فيك.»

فقال لى :

- «ما هي ؟»

فقلت : «أبو العباس يريد أن تقبل شهادة أبى يعلى ابنه واستشفع بى اليك فى خطاب عضد الدولة.»

فقال : «أفعل، وقد جرت العادة فيما بينى وبين الملك بأن أراسله فيما أريده على لسان ثقة.»

وأحضر الرجل الذى أشار اليه، فحمله فى ذلك رسالة استوفاهها فمضى وعاد وقال :

«يقول لك الملك : مالك وللخطاب فى مثل هذا الأمر؟ [99]»

قال أبو عمر :

«فاستدعانى أسفار حتى سمعت الجواب فقلت : يا صاحب الجيش والله ما يقبل منى أبو العباس ذلك ولا يقدر إلا أنى قد قصرت فى مسئلتك مع علمه بموضعى منك وموضعك من الملك وأنت لا ترد فى الكبير فضلاً عن الصغير.»

فقال : «ما جرت لى عادة بمعاودته ولكنى أعاوده بعد أيام.»

ومضت على ذلك مديدة فأعاد الرجل الرسالة وجدد السؤال فعاد مثل الجواب الأول. فأظهرت الوجوم والإنكسار ومضت أيام وهو يرانى كاسف البال فقال لى :

«يا باعمر قد عملت على الركوب الى الدار فى غد.»

ووصل الى حضرة عضد الدولة ووقف ساعة ثم قال : قد راسلت مولانا فى أمر أبى يعلى ابن مكرم دفعتين وعاد الجواب يرسم فيه الإمساك ولى فى تمام هذا الأمر جاء والقوم الذين سألتونى فى ذلك فى اختلاط وأمل قوى

ومتى وقف انكسر جاهي عندهم وعند الناس.»

فضحك وقال :

«يا بازهير مالك وللخطاب في مثل هذا وفي الشهادة والشهود ؟ إنما يتعلق بك الخطاب على زيادة قائد أو تقويد خاصة نقل رتبة الى رتبة. فأما قبول الشهادة فليس لنا ولك قول فيه وهو متعلق بالقضاة ومتى عرفوا من إنسان ما يرون معه قبول [100] شهادته فعلوا ذلك بغير أمر ولا شفاعاة شافع اليهم وإلينا وإذا أقمت عذر نفسك عند من سألك بمثل ما قلنا لك عرف صحة ذلك.»

وانصرف أسفار بهذا الجواب وحديث أبا عمر به ووقف الأمر في قبول شهادة أبي يعلى إلى أن توفى عضد الدولة.

وأما ما ذكر من صدقاته ومبراته وما تأدى^(١) ذلك من فضل احتياطه ومراعاته فإنه كان يخرج عن افتتاح مال كل سنة شيئاً كثيراً في البر والصدقة ويكتب إلى العمال في النواحي بتسليمه إلى قضاتها ووجوه أهلها ليصرفوه إلى ذوى الحاجة والمسكنة.

قال أبو نصر خواشاده :

أعطاني عضد الدولة في بعض الأيام توقيعاً على أنه بثلاثين ألف درهم للصدقة ورسم وزن ذلك وتفرقته بحسب ما جرت به العادة وكان قد غلط وكتب :

«يخرج من الخزانة ثلاثون بدره للصدقة»

فرددته وقلت :

«يا مولانا المال ثلاثون ألف درهم والتوقيع ثلاثون بدره [101]»

فقال : «أرنيه.»

فقال : «لن أعود فيها فأخرجها.»
فأخرجتها فأطلقت في الصدقات.

وقد شوهد في كثير من تذاكيره وما كان يوقعه في تقاويمه:

- «نذرنا للأمر الفلاني كيت وكيت وكذا وكذا ألف درهم للصدقة»

في مواضع كثيرة. فكان لا يهتم بعزم ولا يكون في سرور أو هم إلا وهو يقدم نذراً: أمّا في السرور فلكماله. وأمّا في الهم فلزواله. وذلك مبنئ على جميل اعتقاد وحسن يقين وصحة إيمان وإقرار بالمعاد.

وكان يطلق للكتاب والعمال المتعطلين إذا شكوا أحوالهم وقصورهم أو اطلع على ذلك منها ما ينسب إلى الأسلاف التي لا يحاسبون بها عند استعمالهم واستخدامهم. وكان المستخدمون يستسلفون من أبي يعلى سليمان بن الحسن الناظر في التمور والأمتعة البصرية على ما يسبب به أرزاقهم ما يأخذون به منه التمر وما يجرى مجراه بفضل في ثمنه فيرغب الطالب في الأخذ للحاجة والاتساع بالسلف ويرغب المعطى في الأسلاف للزيادة في الأثمان والفائدة مردودة للسلطان.

وتوفى عضد الدولة وعلى العتصرفين والمتعطلين من هذه الأسلاف مال جزيل كثير. مركز تحقيق كاميون علوم إسلامي

وبازاء ذلك من احتياطه ما [102] ذكره أبو نصر خواشاذة قال :

قبا سقلاطون للجلوس

في نيروز

حضر نيروز وأراد أن يقطع عضد الدولة فيه قبا سقلاطون يجلس فيه

للهنئة فقال لي :

- «أحضر من الخزانة ثوباً يصلح للقباء.»
 فمضيت فاخترت منها ثوباً حسناً مستعملاً فجئته به فلما وضعته بين يديه
 تأمله وأخذه ورماني به وقال :
 - «ليس من هذا طلبت.»
 فظننت أنه قد استرذله وأراد ما هو أرفع منه فعدت وأخرجت من بابه
 أخرى ما هو أجود منه فأحضرتة. فلما ملا عينه منه قال لي :
 - «يا أعمى القلب ليس من هذا.»
 فبقيت متحيراً لا أدري ما أصنع ورجعت إلى الخزانة فقال لي أبو نصر
 بندار :

«مالي أراك ضيق الصدر وقد أخذت ثوبين ورددتهم.»
 فعرفته الصورة فضحك وقال :
 - «لو أعلمتني لكفيتك ما اشتغل قلبك به.»
 وقام وفتح سقفاً فيه ثياب سقلاطونيات متقاريات يسوى الثوب منها
 خمسة دنائير وأخذ ثوباً واحداً منها فتركه بين يدي وقال :
 - «احمله إليه فإنه يرضيه.»
 فأخذته وجملته فلما وضعته بحضرتة وشاهده وأدخل يده فيه وقلبه قال :
 - «هذا جيد.»
 فتقدم بقطعه وإعداده ولبسه في يوم ذلك الفصل ووهبه لبعض
 الديلم. [103]

وأما حبه للعلم

فأما محبته للعلوم وتقريب أهلها فإنه كان يكرم العلماء أوفى إكرام وينعم
 عليهم أهنأ إنعام ويقربهم من حضرته ويدنيهم من خدمته ويعارضهم في

أجناس المسائل ويفاوضهم في أنواع الفضائل. فاجتمع عنده من كل طبقة أعلاها وجنى له من كل ثمرة أحلاها. وصنفت في أيامه المصنفات الرائقة في أجناس العلوم المتفرقة، فمنها: كتاب الحجة في القراءات السبع، وهو كتاب ليس له نظير في جلالة قدر واشتهار ذكر، ومنها كتاب الإيضاح في النحو، وهو مع قلة حجمه يوفى على الكتب الكبار التي من جنسه في قوة عبارة وجودة صنعة.

وحكى أبو طالب أحمد بن بكر العبدى^(١) صاحب كتاب شرح الإيضاح أن عضد الدولة كان ضنيناً بهذا الكتاب محبباً للاختصاص بقراءته دون كل أحد وإن رجلاً توصل إلى كتبه بخطه بحيلة، فأمر عضد الدولة بقطع يده لنفاسة الكتاب في نفسه وحلاوته في قلبه حتى سئل في أمره فعفى عنه. ومنها الكُنَّاش^(٢) العضدى في الطب [104] المؤلف في أيامه^(٣) الموفى على غيره بياناً وحسن ترتيب وكمالاً وغير ذلك من المقالات الرياضية والرسائل الهندسية.

وأما آثاره الجميلة

وأما ما عمله من الآثار الجميلة فإنه جدّد بفارس وخوزستان، منها ما هو باقى الأثر عند الناظر شائع الخبر عند السامع. وعمد إلى مصالح بغداد فأوجدها بعد العدم وأعادها إلى ريعانها بعد الهرم، واستدّر أفويق الأعمال

١. وردت ترجمته في إرشاد الأريب ١ : ٣٨١ (مد).

٢. في مد: الكناس، والأصح الكُنَّاش: دفتر تدرج فيها الشوارد والفوائد.

والكُنَّاشات هي الأصول التي تتشعب منها الفروع.

٣. ومؤلفه على بن العباس المجوسى يعرف بابن المجوسى وليراجع ترجمته في تاريخ الحكماء

لجمال الدين القفطى ص ٢٣٢ (مد).

بعد أن كانت متصرّمة واستعدّ ينابيع الأموال بعد أن كانت مستهدمة^(١) وفعل في تجديد العمران وبناء البيمارستان ووقف الوقوف الكثيرة عليه ونقل أنواع الآلات والأدوية من كل ناحية إليه^(٢) ما يدرك العيان بعضه إلى الآن، وعمل السكور وأنفق فيها الأموال وأعدّ عليها الآلات ووكل بها الرجال وألزمهم حفظها بالليل والنهار وراعى ذلك منهم أتمّ مراعاة في آونة المدود الجوارف وأزمنة الغيوث الهواطل وأوقات الرياح العواصف.

فقليل: إنّه لما سدّ المطهر بن عبد الله بثق السهلية رتب عليه ابراهيم المعروف بالأغرّ، وأمره بالمقام عليه [105] ومواصلة تعليته الى حين انقضاء المدود.

قال ابراهيم :

فأقيمت على هذا السكر زماناً طويلاً والرجال معي وشقيت شقاء طويلاً وكان لى منزل بجسر النهر وان ويني وبينه مدى قريب فكنت لا أتجانبه على الإلمام به ولا على دخول الحمام إشفاقاً من أن يكتب صاحب الخبر بجسر النهر وان بخبرى.

فلما مضت المدة الطويلة على هذه الجملة من حالى عصفت ريح فى بعض الليالى وورد معها مطر شديد فدخلت القبة المبنية على السكر أستتر بها من الريح والمطر واجتهدنا فى أن نشعل سراجاً فلم يدعنا عصف الريح وضجرت وضاق صدرى ونازعتنى نفسى أن أقوم فأمضى فى الظلمة الى جسر النهر وان وأبيت فى منزلى وأعاود بكرة موضعى. فبينما أنا فى ذلك وقد حققت عزمى عليه إذ سمعت كلاماً على باب القبة فقلت لغلامى :

— «انظر ما هو.»

١. لعله : مسددة (مد).

٢. فى الأصل : مما.

فخرج وعاد وقال :

- «انسان على جمل قد أناخ عندنا.»

ودخل الرجل وسلّم فرددت عليه وقلت للغلام :

- «اشعل سراجاً.»

فقدح وأشعل وجاء بالنار في نفاطة فإذا الرجل من خواص عضد الدولة

عربي قد ورد من بغداد فقلت له :

- «ما تشاء.»

فقال : «استدعاني الساعة الأستاذ شكر وقد خرج من حضرة [106]

الملك فقال : أمر مولانا أن تمضي على جمازة وتقصد سكر السهلية وتدخل

الى القبة التي على ظهر المروحة فإن وجدت ابراهيم الأغرّ هناك فأعلمه أننا

نجازيه على خدمته وطول ملازمته وادفع إليه هذا الكيس ففيه ألف درهم

ليصرفه في نفقته وإن لم تجده وكان قد دخل إلى داره بسجسر النهروان

فاقصده واهجم عليه في منزله وخذ رأسه واحمله.»

وترك^(١) الكيس بين يدي وقال :

- «احمد الله على ما كفاك إيّاه.»

وعاد من وقته، فبقيت حيران وعزمت على نفسي ألا أدخل جسر

النهروان.

مركز تحقيق كالمبيوتر علوم إسلامي

وأما ذكر ما ربّه في تربية أولاده ودبر به

دار مملكته بفارس عند غيبته عنها

فإنّ له من محاسن التدبير في أمثلته التي مثّلها لأصحابه في تذاكير

وُجدت له ما يدلّ على علوّ همّته وحسن سياسته في تربية أولاده وقسمة أيامهم بين آداب البراعة والشجاعة وأوقات الجدّ واللعب والاقتصاد فيما يجرى بينهم من الترافه والتهاجر وتهذيب من يلوذ بهم [107] ويكون في جملتهم. فإنّ الاخلاق بالممازحة^(١) تعدى وبالمجاورة تسرى. وترتبت الأمور بدار مملكته بفارس في حال غيبته بالعراق وغيرها لتجرى على السداد وتستمرّ على الاستقامة والاطراد. فكان إذا بعد عنها بجثمانه لم يبعد عنها بسلطانه كالشمس التي يبعد جرمها عن العالم وضياؤها فيه موجود. والقليل من ذكر سيرته ينبئ عن الكثير فنجنب الإطالة والإكثار إذ قد شرطنا الإقتصار والإختصار.

ونذكر الآن طرفاً مما رواه صاحب التاريخ من أخبار أضافها إلى جملة محاسنه وهي بضدّها أشبه، فأفردناها عنها إذ لا «تستوى الحسنه ولا السيئة»^(٢) «ولا الظلمات ولا النور ولا الظلّ ولا الحرور»^(٣)

ذكر الرسوم التي أحدثها عضد الدولة

زاد في المساحة واحداً في عشرة بالقلم وأضافه الى الأصول وجعله رسماً جارياً واستمرّ الى هذه الغاية في جميع السواد. وأحدث جنائيات لم تكن ورسوم معاملات لم تعهد وأدخل يده في جميع الأرحاء وجبى [108] ارتفاعها وجعل لأهلها شيئاً منه وكثرت الظلامة من ذلك في آخر أيامه... «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ»^(٤)...

١. كذا في مد. ولعلّه «بالممازجة».

٢. س ٤١ فصلت: ٣٤.

٣. س ٣٥ فاطر: ٢٠-٢١.

٤. ١٣ الرعد: ١١.

فأزاله صمصام الدولة بعده وأطلق الإرتفاع للملأك.

وجعل للمراعى وفرائض الصدقات ديواناً وأفرد له عمالاً وكتّاباً وجهابذة فارتفع من أعمال السواد ما زاد على ألف ألف درهم فى السنة. وأدخل يده فى وقوف السواد ورثب لها ناظرين متصرفين وقرّر لأربابها اجارة تطلق لهم عنها فتحصل منها جملة كثيرة وصارت فى المقبوض وخرجت فى الإقطاعات من بعد ذلك.

وقرّر على أسواق الدواب والعمير والجمال عما يباع فيها من جميع ذاك وفعل فى ضرائب الأمتعة الصادرة والواردة ما زاد فيه على الرسوم القديمة وحظر عمل الثلج والقرّ وجعلهما متجراً للخاص وكانا من قبل مطلقين لمن يريد عملهما والمتجر فيهما.

ولعل صاحب التاريخ قصد بإيراد هذه الأخبار فى محاسنه الفضيلة فى إقامة وجوه المال واستنباط ينابيعه.

ولا خير فى مال يسيء ذكراً ويحبط أجراً وكلّما يجمع من أشباه تلك الوجوه فإنه جمعٌ تديد وما يشرب من أمثال هذه المناهل فإنه شرب تصديد [109] والخبر المشهور المروى^(١) عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله: «من سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة ومن سنّ سنّة سيّئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة.»

ذكر أخبار ضبط مسرف لا يليق بملك

حدّث أبو على ابن مكيخا صاحب ديوان الخزائن قال:

سألت عضد الدولة فى بعض الأيام وقد صادفت منه طيب نفس وإقبالاً

على زيادة في عاداته وذكرته له تضاعف مؤنتي وقصور مالي عن كفايتي فقال لي :

- «أليس الموجب لك في كل شهر كذا وكذا ولك من رسم الكسوة كذا وكذا في الفصلين ؟»

قلت : «نعم».

قال : «فأنت تحتاج لراتبك وموئتك وغلمانك ودوايتك الى كذا وكذا فما وجه الإستزادة ؟ هذا فأنت تأكل في كل أيامك مع أبي منصور نصر بن هارون».

فقبلت الأرض وتأخرت، فإذا هو يحاسبني ويعتد علي بما آكله على مائدة أبي منصور.

وحكى أبو علي أيضاً أن عضد الدولة [110] رأى له يوماً بغلة بمركب حديد ثقيل فتركه مدة وقبض عليه وألزمه مالاً فعرض في جملة ما يبيعه من رحله دست ديباج كان له وبلغ عضد الدولة خبره فاستدعاه ليشاهده ويحتسب له بما يقوم به. قال أبو علي :

- «وقد كنت أعطيت فيه ألفاً وخمسمائة درهم».

فقال : «احتسبوا له بألف ومائتي درهم».

فقلت : «قد دفع به ألف وخمسمائة درهم وضمنه علي أكثر من ذلك».

فغاضته هذه المراجعة وتقدم الى الخادم بأن يسلم الي دستا دونه بكثير إلا أنه شبيه به فأخذه ولم يمكني أن أقول شيئاً في أمره فاجتهدت أن يحتسب لي بألف ومائتي درهم المبدولة فقال :

- «لا حاجة بنا الى دسته».

وكان قصاراي ان بعث هذا المسلم بتسعمائة درهم.

وحدث أبو الحسن رستم بن أحمد قال :

استكتبني عضد الدولة لأبى جعفر الحاج بن هرمز عند وروده من ديلمان ورسم لى أن أعمل تذكرة بما يحتاج اليه راتبه فى كل يوم ونفقاته فى كل شهر. فعملت وأحضرت التذكرة وكان فيها رطلية شمع فى كل ليلة فوقف عليها ونقص كثيراً منها وزاد فى أبواب وقال :

- «رطل شمع فى كل ليلة سرف [111] وينبغى أن يكون فى كل أسبوع رطلية وأن يواقف الفراش على أن يتركها فى تورها وتقدم بين يديه المنارة عليها سراج بفتيلتين فإن حضر من يحتشم رُفعت وأحضر التور والشمعة فأوقدت فإذا انصرف شيلت وأعيدت المنارة.»

فقلت : «السمع والطاعة.»

وجرى الأمر على ذلك.

وحدث أبو الحسن على بن أبى على الحاجب قال :

كان لعضد الدولة فرجية سقلاطون مبطنة بقماقم فكان يلبسها كثيراً فى الطريق بين بغداد وهمدان. وكان أحد الديلم قد أغرى بطلبها وواصل المسألة فى بابها وعضد الدولة يعده ويدفعه حتى زاد لجاحه فعارضه يوماً فى موكبه وقال :

- «يا مولانا قد طال الوعد بهذه الفرجية وأسئل انجازه اليوم.»

فاغتاظ وقال بتحقيق كالمؤيد علومى

- «نعم.»

وكان يمشى فى ركابه أصحابه الركاب ومن جانبه الأيمن أحمد بن أبى حفص وفى جانبه الأيسر ابن فارس فقال لهما سرّاً وأرسل كفى الفرجية :

- «اقربا منى وأفتقا البطانة من الظهارة واجذبها وسلمها الى

الموكهدار.»

ففعلاً ذلك ونزل عضد الدولة وحضر الديلمى مذكراً فأخرجت اليه فى

الحال طاقاً بغير بطانة [112] فبقى متعجباً وأخذها وأمسك.

فلما خلا الملك استدعاهما وقال لهما :

- «أنا أعلم أنكما فضوليان وكأني بكما وقد قلتما «ما أشح هذا السلطان ! طلب منه بعض خواصه فروة منذ أمد ودافعه بها فلما أراد عطاها له أمره بكذا بخلاً بالبطانة»»

فقبلا الأرض وقالوا :

- «لا إله إلا الله يا مولانا ان تتصورنا بهذه الصورة.»

فقال : «بلى أنتما كذلك، فاعلما أن في جوانبنا من الثياب السقلاطون ما يمكننا أن نعم به عسكرينا لو أردنا أن نعطي جميعها وهذه البطائن الوبر قليلة وإنما تحمل الينا منها في السنة من البلاد البعيدة الخارجة عن ممالكنا العدة اليسيرة ولو وهبنا لهذا الديلمي بطانة الفرجية لرفعناه الى منزلة لا يستحقها لأنه أقل من أن يدفع إليه مبطناً. ثم طلب منا غداً من هو أجل منه جبة مبطنة بوبر فخرج ما في خزانتنا من هذا الجنس الى نفر قليل.»

وقد ذكر ارسطاطاليس في رسالته المشهورة :

«إن الملوك ملك سخى على نفسه سخى على رعيته وملك شحيح على نفسه شحيح على رعيته وملك سخى على نفسه شحيح على رعيته وملك شحيح على نفسه سخى على رعيته» فسبقهم الى الفضل [113] من كان سخياً على نفسه سخياً على رعيته وتاليه من كان شحيحاً على نفسه سخياً على رعيته وعضد الدولة كان كذلك إلا أن طلب الدرجة العليا أعبق بذوى الكرم وسبب الغاية القصوى أولى بأولى الهمم. ولعل بعض من يقرأ كتابنا يقول: أما كان يسع طي هذا البساط وقطع هذا الرباط فكم قد طوى من خبر ومحا من أثر. بلى ولكننا أردنا الخير وقصدنا النفع حتى إذا تأمل المتأمل ذلك وتلك الأحاديث الجميلة والأفاعيل الشريفة استلذ من طيبها واستروح

من نسيمها الى كل ما يهزُّ أريحته لفعل الخير وبناء المجد وإطالة الذكر
واقتناء الحمد. فإذا انتهى الى ما قد ذكر أخيراً وجد من الكدر في المنهل
والشرق بالزلزال الذي شربه ما يحذّره اهمال اليسير من رياضة أخلاقه
فيصفيها تصفية الذهب الخالص. والسعيد من تأدب بغيره والكمال عزيز في
كل حال.» وقد قيل :

لا سلم من قول الوُشاة وتسلمى

سلمت وهل حى من الناس يسلم [114]

ذكر وفاة عضد الدولة سامحه الله

توفى عن سبع وأربعين سنة وأشهر وعَلته التي توفى بها مشهورة. ولم
تكن أمثال هذا العمر عمله ولا في أضعافه أمله ولكن في خفاء مواقيت
الآجال مشغلة بأكاذيب الآمال. وما أحسن قول عدى بن زيد :

ليس شيء على المنون بياق غير وجه المهيم الخلاق

ذاك عضد الدولة سامحه الله. أعجب بصحة عقله وفيه دهاء، وهذا عضد
الدولة البارسلان رحمه الله، أعجب بقوة بأسه، ومنه ليعلم أن البشر لا يملك
شيئاً وأن الملك لله الواحد القهار.

ونورد ههنا كلمات قيلت عند وفاة عضد الدولة فيها حكمة بالغة وموعظة
نافعة :

ذكر أبو حيان التوحيدي في كتاب الزلفة أنه لما صحت وفاة عضد الدولة
كنا عند أبي سليمان السجستاني وكان [115] القومسي حاضراً والنوشجاني

وابو القسم غلام زحل [و] ابن المقداد والعروضي والأندلسي والصيمري، فتذكروا الكلمات العشرة المشهورة التي قالها الحكماء العشرة عند وفاة الإسكندر فقال الأندلسي :

- «لو قد تقوّض مجلسكم هذا بمثل هذه الكلمات لكان يؤثر عنكم ذلك.»

فقال أبو سليمان :

- «ما أحسن ما بعثت عليك^(١) أمّا أنا فأقول : لقد وزن هذا الشخص الدنيا بغير مثقالها وأعطاهما فوق قيمتها وحسبك أنّه طلب الربح فيها فخرس روحه في الدنيا.»

وقال الصيمري :

- «من استيقظ للدنيا فهذا نومه ومن حلم بها فهذا انتباهه.»

وقال النوشجاني :

- «ما رأيت غافلاً في غفلته ولا عاقلاً في عقله مثله. لقد كان ينقض جانباً وهو يظنّ أنّه مبرم ويغرم وهو يرى أنّه غانم.»

وقال العروضي :

- «أما إنّ لو كان معتبراً في حياته لما صار عبرة [في] مماته.»

قال الأندلسي تقيتكم في علومكم :

- «الصاعد في درجاتها الى سفال والنازل من درجاتها الى معال.»

وقال القومسي :

- «من جدّ للدنيا هزلت به ومن هزل راغباً عنها جدّت له. انظر الى هذا كيف انتهى أمره والى أى حظّ وقع شأنه وإني لأظنّ أنّ الرجل [116] الزاهد

الذى مات فى هذه الأيام ودفن بالشونيزية أخفّ ظهراً^(١). وأعزّ ظهيراً من هذا الذى ترك الدنيا شاغرة ورحل عنها بلا زاد ولا راحلة.»
وقال غلام زحل :

« ما ترك هذا الشخص استظهاراً بحسن نظره وقوّته ولكن غلبه ما منه كان وبمعونته بان.»
وقال ابن المقداد :

« إنّ ماء أطفأ هذه النار لعظيم، وإنّ ريحاً زعزعت هذا الركن لعصوف.»
فقال أبو سليمان :

« ما عندك فى هذا الحديث أحسن مما سمعت أبا أسماعيل الخطيب الهاشمى لقّا نعاه على المنبر يوم الجمعة يقول فى خطبته : كيف غفلت عن كيد هذا الأمر حتى نفذ فيك، وهلاً اتخذت دونه جنّة تفيك. ماذا صنعت بأموالك والعبيد ورجالك والجنود وبخولك العتيد وبدهرك الشديد. هلاً صنعت من عجل على السرير وبذلت له من القنطار الى القطمير. من أين أتيت وكنت شهماً حازماً وكيف مكّنت من نفسك وكنت قوياً صارماً. من الذى وطأ على مكروهك وأناخ بكلّك على ملكك. لقد استضعفك من طمع فيك ولقد جهلك من سلم العزّ لك ! كلا، ولكن ملكك من أخسرك بالتملك وسلبك من قدر عليك بالتهلك^(٢) إنّ فيك لعبرة للمعتبرين^(٣) وإنّك لاية للمستبصرين. جافى [117] الله جنبك عن الثرى وتجاوز عنك بالحسنى، ونقل روحك الى الدرجات العلى وعرفنا من خلقك خيراً وعدلاً يكثر من

١. فى الأصل: أحفظهما. والاقتراح من مد.

٢. فى الاصل بالقهر لك (مد).

٣. فى الاصل إنّ فيك لمعتبرين.

أجلهما الدعاء وثناؤنا عليك أنه على ذلك قدير، وهو عليه بصير^(١)».

ذكر ما جرى عليه الأمر في قيام

صمصام الدولة بالملك

كانت سعادة عضد الدولة قوية في أحواله حتى في موته. فإنه انكتم أمره مع عظم قدره للسياسة التي قَدَّمها في الأمور والهيبة التي أودعها بنات الصدور واحتياره من الأصحاب كل من كان بحسن التدبير خبيراً وبخدمة الملوك جديراً.

فلما توفي أخفى خبره، فأحضر الأمير أبو كاليجار المرزبان إلى دار المملكة كأنه مستدعى من قبل عضد الدولة. فلما حضر أخرج الأمر إليه بولاية العهد والنيابة في الملك واستخلاف أخيه أبي الحسين أحمد بن عضد الدولة بفارس على أعمالها.

وكتبت عن عضد الدولة كتب بذلك إلى كل صقع حسب العادة وضُمّنت ذكر القبض على أبي الريّان حمد بن محمد وذمّ أفعاله واستدعاء [118] أبي منصور نصر بن هارون إلى الحضرة ليقوم مقامه في أعماله، وأنفذ مع كل كتاب نسخة يمين بالبيعة لتؤخذ على الأمراء والقواد وأتباعهم من الأصحاب والأجناد.

مركز تحقيق تكملة علوم إسلامي

وروسل الطائع لله في ذلك وسئل كتب عهد له مقرون بالخلع والألقاب واللواء وإمضاء ما قلّده عضد الدولة من النيابة عنه. فأنعم بالإجابة ولقّب به صمصام الدولة، وشرّفه بالعهد واللواء والخلع السلطانية وجلس صمصام الدولة جلوساً عاماً حتى قرئ العهد بين يديه وهنأ بما تجدد لديه.

١. وفيه قال سبط ابن الجوزي في كتابه مرآة الزمان: بين كلام هؤلاء وأولئك المتقدمين المتكلمين على تابوت الإسكندر كما بين الملكين في المساواة (مد).

ونظر أبو عبد الله ابن سعدان فيما كان أبو الريان ينظر فيه من أمور الأعمال واستمرت الحال في إخفاء وفاة عضد الدولة إلى أن تمهد الأمر لصمصام الدولة.

وفي هذا الوقت أزيل ما كان قرر على الأرحاء والطحون وأجرى الناس على رسومهم القديمة.

وفيه خلع على أبي الحسين أحمد وأبي طاهر فيروزشاه ابني عضد الدولة للتوجه إلى شيراز وأعمالها وخرج معهما أبو الفتح نصر أخو أبي العلاء عبيد الله بن الفضل برسم النيابة عن أخيه في مراعاة أمرهما.

ذكر ما جرى عليه أمرهما [119]

لما أفضى الأمر إلى صمصام الدولة قبض على الأمير أبي الحسين في الدار ببغداد ووكل به.

وكانت والدته ابنة ملك الديلم^(١) وشوكة الديلم قوية فعزمت على قصد الدار متنكرة عند اجتماع الديلم فيها فإذا حصلت فيها استغاثت بهم وهجمت على صمصام الدولة وانتزعت ابنها منه.

فعرف صمصام الدولة ذلك فخاف وراسلها رسالة جميلة ووعداها بالإفراج عنه وتقليده أعمال فارس، وفعل ذلك ووافق على المبادرة ليصل إلى شيراز قبل ورود شرف الدولة أبي الفوارس إليها وأزاح علقته في جميع ما يحتاج إليه.

فسار إلى الأهواز وعليها إذ ذاك أبو الفرج منصور بن خسر، فلما وصل إليها طالبه بمال والتمس منه ثياباً وأشياء أخر فمنعه أيّاها ظاهراً وحملها إليه

١. هو أبو الفوارس ماناذر بن جستان بن المرزيان السلار بن أحمد بن مسافر كذا في مرآة الزمان في ترجمة سنة ٣٧١ (مد).

باطناً مراقبة لصمصام الدولة وانتسجت بينهما حالة جميلة واستقر أن يستوزره عند تمهد أموره. فأشار عليه أبو الفرج بالتعجيل إلى أرجان، فان وصلها وقد سبق شرف الدولة إلى شیراز أسرع الكرة إلى الأهواز.

فلما وصل إلى أرجان ورد الخبر بحصول شرف الدولة بشيراز وكرّ راجعاً ودخل الأهواز وعول على أبي الفرج في مراعاة [120] الأمور وتدبير الأعمال وأظهر المباينة وارتسم بالملك وتلقّب بتاج الدولة، وأقام الخطبة لنفسه. وعرف صمصام الدولة ذلك فجرد إليه أبا الحسن على بن دبعض الحاجب في عسكر كثير.

ونذب الأمير أبو الحسين أبا الأعز دبيس بن عفيف الأسدي للقاءه فالتقيا^(١) بظاهر قرقوب ووقعت بينهما وقعة أجلت عن هزيمة ابن دبعض فأسر وحمل إلى الأهواز وشهره بها.

فاستولى الأمير أبو الحسين على ما كان معداً بالأهواز وبقلعة رامهرمز من الأموال وفرّقها في الرجال وصرف همته إلى جمع العساكر وأرغبهم فمالوا إليه واثالوا عليه فاشتد أمره وسار [إلى] البصرة فملكها ورتب أخاه أبا طاهر فيروزشاه بها ولقبه ضياء الدولة. وجرى أمره على السداد ثلاث سنين إلى أن انصرف إلى أصبهان وقبض عليه شرف الدولة وحمله إلى قلعة في بعض نواحي شیراز.

مسير شیرزِيل من

كرمان واستيلاؤه على شیراز

وفي هذه السنة سار شرف الدولة أبو الفوارس شیرزِيل من كerman إلى

شيراز واستولى على الأمر.

شرح الحال في ذلك [121]

لما توفي عضد الدولة كتب بعض الخواص بالخبر إلى كرمان فصار شرف الدولة عند وقوفه على ذلك إلى فارس كاتماً أمره.

ذكر رأى سديد في كتمان أمر حتى تمّ

فلما وصل إلى اصطخر قدم إبراهيم ديلمسفار أمامه وأمره بالإسراع إلى شيراز وإخفاء خبره والقبض على أبي منصور نصر بن هارون ففعل إبراهيم ذلك ودخل دار أبي منصور على غفلة من أهلها ووجدته في مجلس نظره، فقبض عليه ووكل به وقال للديلم:

«هذا أبو الفوارس فاخرجوا لخدمته.»

فتلقاه العسكر ودخل البلد واستقرّ. ثمّ أظهر وفاة عضد الدولة وجلس للعزاء وأخذ البيعة على أوليائه وأطلق لهم ما جرت به العادة من العطاء.

بِذَا قُضِيَ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ^(١)

مركز تحقيق كاتوير علوم اسلامی

[و] أزال التوكيل عن كورتكين بن جستان وقلّده اصفهسلارية عسكره وأفرج عن الاشراف: أبي الحسن محمد بن عمر وأبي أحمد الموسوي [122] وأخيه أبي عبد الله وعن القاضي أبي محمد [ابن] معروف^(٢) وعن أبي نصر خواشاده بعد أن طال بهم الاعتقال وضعفت في خلاصهم الآمال وكما تطرق

١. البيت للمتنبي.

٢. هو عبيد الله بن أحمد المعتزلي قاضي القضاة ولي بعد عمر بن أكتم وتوفي سنة ٣٨٨.

النواب من حيث لا يحتسب فقد يأتي الفرج من حيث لا يرتقب.
فأما أبو منصور ابن هارون فإنه وكل أمر مطالبته الى المعروف بالشابشتي
الحاجب فعسفه حتى إنه انتهى به إلى أن ملأ طستاً بالجمر ووضع عليه
صدره فمات.

ذكر اتفاق عجيب

كان أبو منصور ابن هارون يبغض هذا الشابشتي في أيام نظره ويبعده من
بين يديه ويقول :
- «إني أكره هذا الرجل كرهاً لا أعرف سببه.»
حتى كان هلاكه على يده وبأن أن تلك الكراهية لعل خافية.

ذكر اغترار بسلامة عاجلة آلت بصاحبها إلى هلاك

كان سبب سوء رأى شرف الدولة في نصر بن هارون اغترار نصر بيومه
وترك النظر لغده وأنه كان يضايقه في أيام عضد الدولة [123] في آرابه
ويستقصى عليه في أسبابه، ثم لعداوة كاثت بينه وبين أصحابه فهم لا يزالون
يوغرون صدره عليه ويقبحون أثره لديه.

ومن سوء التدبير التقصير بأهل بيت الملك فكم قد حر^(١) ذلك من وبال !
ولم يكن سبب هلاك محمد بن عبد الملك الزيات الوزير على يد المستوكل
على الله إلا ما سبق من تقصيره في أيام أخيه الواثق بالله والخبر مشهور^(٢).

١. في مد : حر.

٢. انظر الطبري ١١ : ١٣٧٠.

اغتيال أبي الفرج أبا محمد أخاه

وفي هذه السنة اغتال أبو الفرج ابن عمران أبا محمد أخاه^(١) وانتصب في موضعه وكتب إلى الحضرة يظهر الطاعة ويسئل التقليد والولاية.

ذكر حسد حمل صاحبه على قطيعة رحم

كان أبو الفرج جاهلاً متهوراً فحسد أبا محمد على موضعه فأعمل الحيلة في الفتك به. واتفق أن أختهما اعتلت فقال أبو الفرج لأبي محمد: - «إن أختنا مشفية فلو عدتها».

ففعل وركب إليها ورتب أبو الفرج في دارها قوماً ووافقهم على مساعدته. فلما دخل أبو محمد وقف أصحابه لأنّها دار حرم. وحمل أبو الفرج سيفه على عادته ومشى من ورائه. فلما تمكّن منه [124] جرد السيف وضربه. وخرج القوم الذين رتبهم فساعدوه على الإجهاز عليه ووقعت الصيحة فصعد أبو الفرج اليهم مطلعاً عليهم من سطح الدار وقال:

- «قد فات الأمر ولكم عندي الإحسان».

فسكتوا ثم وضع فيهم العطايا فأطاعوه وأمروه.

مقتل الراعي بنصيبين

وفي هذه السنة قتل أبو علي الحسن بن بشر الراعي بنصيبين وكان واليها وعاملها.

١. هو الحسن بن عمران بن شاهين صاحب البطيحة قد تقدم ذكره وفي الاصل: بن عمر بن أبان والصواب في الكامل لابن الاثير ٩: ١٧ (مد).

ذكر سيرة عادت بخسران دنيا وآخره

كان هذا ابن الراعى ظالماً شريراً وخبره فى سمل عينه قد تقدم فى كتاب تجارب الامم^(١) ثم ولى نصيبين فأساء الى أهل البلد واستحل محارمهم. فلما شاعت الاراجيف بعله عضد الدولة وبعد ذلك بموته ثار العامة وقصدوا داره للفتك به فخرج فى لباس امرأة وغمز عليه فأخذ وقتل ومثل به ثم أحرق.

واستولى أحد الأكراد على البلد وورد الخبر بذلك فأخرج أبو سعد بهرام بن أردشير لتلافي الأمر. فلما وصل الى الموصل تقاعد به أبو المطرف عاملها وانزاح المستولى عليها منها ولحق بباد.

وكان أمر باد قد قوى بميفارقين فمجل بهرام الى قصده واستهان بسأمره وواقعه فأجلت الواقعة عن هزيمة بهرام [125] وأسر جماعة من الديلم الذين معه. وشمت أبو المطرف به وكتب الى أبى القاسم سعد الحاجب يطعن على بهرام ويقول:

- «انه قد جنى على الدولة وأطمع باداً وإننى قد عملت على مكاتبة باد وإعلامه موقع الخطأ فى المكاشفة.»
فأجابه سعد بجواب يقول فيه:

- «أنا وارد. والسيف أصدق أنباء من الكتب.»
فلما وصل الى أبى المطرف الجواب قال:

سيوفٌ لعمري يا لؤيُّ بن غالبٍ جِدادٌ ولكن أين بالسيفِ ضاربٌ

فبلغ ذلك سعداً فأحفظه وأسرَّ في نفسه عليه.

ذكر خبر باد ومبدأ أمره

باد لقبٌ وهو أبو عبد الله الحسين بن دوشنك^(١) من الأكراد الحميدية وكان يتصعلك كثيراً ويمضى إلى الثغور ويغزو بها دائماً وكان فظيع المنظر عظيم الهيكل.

فلما حصل عضد الدولة بالموصل حضر على الباب بوساطة زيار بن شهرأكويه^(٢) ثم هرب.

ذكر فراسة دلت على دهاء [126]

يقال: إنه لما خرج من بين يدي عضد الدولة مضى على وجهه هارباً فسأله أصحابه عن سبب هربه فقال:

- «شاهدت رجلاً ظننت أن لا يبقى عليّ بعد حصولي في يده.»

وطلبه عضد الدولة في أثر خروجه آمراً بالقبض عليه وقال:

- «هذا رجل ذو بأس وبطش وشرّ وغدر ولا يجوز الإبقاء عليه.»

فأخبر بهربه وحصل بثغور ديار بكر وأقام بها إلى أن استفحل أمره. ثم خرج إليه أبو القاسم سعد الحاجب فكان من أمره معه ما سيأتي ذكره في موضعه.

١. ولعله: روشنك.

٢. هو أبو الحرب ذكره إبراهيم الصايي في رسالة كتبها عن صمصام الدولة في سنة ٦٧٥هـ إلى أبي القاسم سعد الحاجب وهو مقيم بنصيبين على محاربة باد الكردي بأمره فيه أن ينفذ إلى الحضرة الوثيقة المكتوبة على باد (مد).

ودخلت سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة
ركوب صمصام الدولة
إلى دار الخلافة

وفيهما ركب صمصام الدولة الى دار الخلافة وخلع عليه الخلع السبع
والعمّة السوداء وسُور وطُوق وتُوج وعُقد له لواآن وحمل على فرس بمركب
ذهب وقيد بين يديه مثله وقرئ عهده بتقليده الأمور فيما بلغت الدعوة من
جميع الممالك وعاد الى داره. وجددت له البيعة وأطلق رسومها وأقيمت
الدعوة وغيّرت السكة.

وزارة الحسين بن
أحمد بن سعدان

وفيهما خلع على أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان خلع الوزارة
وكان رجلاً باذلاً لعطائه مانعاً للقاءه فلا يراه أكثر من يقصده إلا ما بين [127]
نزوله من درجة داره الى زيزبه ومع ذلك فلا يخيب طالب إحسان منه في
أكثر مطلبه لكن يسير البشر أملك للقلوب من كثير البر.
فبسط يده في الإطلاقات والصلوات وتقرير المعاش والتسويات وأحدث
من الرسوم استيفاء العشر من جميع ما تسبب به الاولياء والكتّاب والحواشي
من أموالهم وأرزاقهم والتوقيع في آخر الصكاك الى العمال بمقاصّة أربابها به
وجمعه عليهم وأخذ منهم وصرفه في مشاهرات غلمان الخيول ونفقاتهم.
وانضاف الى ضيق خلقه ما اتفق في وقت نظره من غلاء سعر. فتطيرت
العامة ورجموا زيزبه وشغبوا الديلم عليه لأجله وهجموا على نهب داره
وانتهت الحال الى ركوب صمصام الدولة الى مجتمعهم حتى تلافاهم وردّهم.

ورود زيار وسعد بن محمد

من جرجان

وفيها ورد زيار بن شهراكويه وأبو القاسم سعد بن محمد الحاجب عائدين من جرجان فندب أبو القاسم إلى الموصل لقصد باد وتلافى خطئه وجدد معه عسكرياً اجتهد في عُدته وعُدته.

ذكر ما جرى عليه أمر سعد

بن محمد مع باد [128]

سار سعد، فلما حصل بالموصل قبض على أبي المطرف عاملها وفي نفسه عليه تمثله بالبيت الذي تقدم ذكره واعتقله بالموصل. ويقيم سعد إلى لقاء باد وهو واثق باقتناصه ورب واثق خجل. فتواقعا على خابور الحسينية فانهزم سعد واستولى باد على جميع الديلم فأسر بعضاً وقتل بعضاً ثم ضرب رقاب الأسرى صبراً وسار إلى الموصل. وقد كان سعد سبقه إليها عند الهزيمة فثار العامة به وخرج ناجياً بنفسه حتى بلغ تكريت وكتب إلى الحضرة بخبره فأجيب بأن يقيم في موضعه.

مركز تحقيق تكملة علوم اسلامی

ذكر حصول باد بالموصل وإفراجه عن أبي المطرف

لما حصل باد بالموصل أفرج عن أبي المطرف واستوزره. وقويت شوكته بما تم له من كسر عساكر السلطان دفعة بعد أخرى واستولى على الأعمال وجبى وجوه الأموال وخرج عن حكم البوادي والمتطرفين وصار في اعداد الخوارج المتجوفين وأرجف بأنه محدث نفسه بأخذ سرير الملك وقامت له هيبة في النفوس وعظم ذلك على صمصام

الدولة وابن [129] سعدان وزيره وقطعهما الهيم به عن سائر الأمور.
ولم يبق في الحضرة من يندب لهذا الأمر مع استفحاله إلا زيار بن
شهرაკويه. فوقف على المسير إليه وخلع عليه واستظهر له في العدد والعدد
وأخرج معه شكراً في الغلمان الأتراك وسار إلى الموصل وانضم إليهما أبو
القاسم الحاجب من تكريت وواقعوا بآداً في صفر سنة أربع وأجلت الواقعة
عن انهزام باد وأسر كثير من أقاربه وأصحابه وورد الخبر بذلك فسكن ما
عليه الناس من الأراجيف به.
ثم وصل الأسارى إلى بغداد فشهروا.

ذكر ما جرى عليه أمره بعد الهزيمة

لما انهزم باد وخيم زيار بظاهر الموصل خرج سعد الحاجب إلى الجزيرة
من الجانب الشرقي في عدد وافر وحصل باد في أطراف بلاده يجمع الرجال
إلى نفسه ليقصد ديار بكر.
فرأى ابن سعدان أن كتب إلى سعد الدولة ابن حمدان وبذل له تسليم ديار
بكر إليه على ما كانت مع أبيه واستدعى منه تجريد أصحابه إليها قبل استيلاء
باد عليها.

فأنفذ ابن حمدان أصحابه إلى مياقارقين فأقاموا مديدة ثم انصرفوا ولم
يكن لهم [130] طاقة بمقاومة باد وملك باد مياقارقين وسار إلى تل فافان
مرهباً وراسل في الصلح وتشاغل العسكر الذي مع سعد عن المسير معه إلى
لقائه فعمل على العدول إلى الحيلة ودس رجلاً لقتل باد غيلة^(١).

ذكر حيلة جيّدة لو وافقت قضاء

يقال: إنّ الرجل الذي دسّه دخل على باد في خيمته ليلاً ووصل إلى موضع منامه وضربه بالسيف ضربة على رجله ظنّ أنّها على رأسه وصاح باد وهرب الرجل فلم يُلحق ومرض باد لتلك الضربة حتى أشفى واجتهد سعد في انتهاز الفرصة منه عند مرضه فلم يطاوعه من معه.

وكان شكّر قد توجه مع الأتراك إلى نصيبين على أن يكون مسيرهم ومسير سعد من الجانبين فاضطرب من كان معه من الأتراك عليه.

وراسل باد زياراً وألقى عليه نفسه وردّ أمره إليه. فمال زيار للصلح غير مظهر للميل مراقبة لأبى القاسم سعد وأشار على باد بسلوك سبيل الاستصلاح معه أيضاً.

فلما أعيت سعداً الحيل وكثرت عليه الأسباب والعلل وعلم أنّ كثير الاجتهاد مع معاندة الأيام ضائع وقليله مع مساعدتها نافع، صالح باداً على [131] أن تكون له ديار بكر والنصف من طور عبيد من غربيها وعاد سعد إلى الموصل وزيار بها واتحدّر زيار إلى الحضرة وأقام سعد بمكانه.

وكان أمر هذه الواقعة والصلح في سنة أربع ولكن سياقة الحديث اقتضت إيراد ههنا في اختيار سنة ثلاث.

استيلاء المظفر على الأمر

وفي هذه السنة قتل المظفر بن علي الحاجب أبا الفرج محمد بن عمران وأجلس أبا المعالي ابن أبي محمد الحسن بن عمران في الامارة ثم استولى المظفر على الأمر بعد.

ذكر ما جرى عليه الأمر في ذلك

قد تقدّم ذكر ما كان من أبي الفرج في قتل أخيه أبي محمد. فلما جلس في الإمارة قدّم القوم الذين ساعدوه وجفا مشايخ القوّاد، فأحفظ الأكابر تقدّم الأصاغر.

وكان المظفر أحد قوّاد عمران الذين أبلوا معه في حروبه فاتفق هو والمعروف بابن الشعراني اصفهسلار الجند وقالوا لشيوخ القوّاد:

«قد فعل هذا الرجل ما فعل من استحلال محرّم أخيه وصبرنا عليه مع وجوب حقّه وحق أبيه ولم يقنعه سوء فعله حتى استأنف حطّ منازلنا وتقديم أراذلنا ولا نأمن أن يتعدى الأمر من [132] بعد إلى إزالة نعمتنا واطّراح حرمتنا.»

فاتفقت كلمة الجماعة على كراهيته ثم تكفل المظفر لابن الشعراني بأمر قتله وتكفل ابن الشعراني بأمر جنده وتواعدا على ذلك.

ذكر تهوّر سلم صاحبه بالإتفاق

ثم إنّ أبا الفرج ركب من دار الإمارة إلى بناء استحدثه وعرف المظفر خبره فقصده إلى الموضع ودخل عليه فلما رآه أبو الفرج قال له:

«فيم حضرت؟»

قال: «علمتُ ركوب الأمير فأحببت خدمته.»

وحضر من أعطاه كتاباً. فلما أخذه وتشاغل بقراءته جرّد المظفر سيفه وثار إليه فضربه.

وبادر^(١) من كان بين يديه من خواصه الى المظفر بسيوفهم وهو كالجمل الهائج يدافعهم عن نفسه وأكبَّ على أبي الفرج ضرباً حتى فرغ منه وقد أصابته جراحة في يده وضربات في ذباب سيفه.

ونزل في ورجيته^(٢) إلى المنصورة التي بها دار الإمارة وأخرج أبا المعالي ابن أبي محمد ابن عمران وهو صغير السن فأقامه أميراً وأطلق المال وأرضى الجند.

ومضى أبو الفرج بعد أخيه سريعاً، صرع أخاه فأصبح بعده سريعاً، وباع دينه فخرهما جميعاً، وكذلك كل قاتل مقتول، وكل خاذل [133] مخذول، وكن كيف شئت فكما تدين تُدان.

ونعود إلى ذكر ما جرت عليه الحال بعد ذلك

لما فعل المظفر ما فعله أظهر الصرامة وقيل له في التوثقة من العسكر بالأيمان فقال :

«التوثقة سيفي من استقام غمدته عنه ومن اعوجَّ سللته عليه.»

وكتب إلى الحضرة بما فعله من أخذ ثار أبي محمد وإعادة الأمر إلى ولده^(٣) وسأل في تقليده وأنفذ من استحلف صمصام الدولة له ولنفسه فأجيب إلى ذلك جميعه وأخذ المظفر أمره بالرهبة وقتل الشعراني مع بضعة عشر نفساً من القواد الذين ساعدوه في يوم واحد.

ومضت أيام والمظفر يتولى الأمور وأبو المعالي صبيٌّ لا فضل فيه ولا تدبير، ثم نازعت المظفر نفسه إلى التردّي برداء الإمارة والتفرّد بها لفظاً

١. وفي الأصل : وباد.

٢. كأنه مشتق من ورج (= ارج) كلمة فارسية معناها المرتبة (مد).

٣. وفي الأصل : والده.

ومعنى .

ذكر منصوبة عملها المظفر في إظهار إمارته

أمر كاتبه أن يكتب كتاباً عن السلطان إليه بالتعويل في تدبير الأمور [134] عليه ثم أمره بإحضار ركابى غريب وتسليم الكتاب إليه ومواقفته على الدخول بالكتاب عند احتفال المجلس بالناس مغبر الثياب والوجه كأنه بشعت بشعت^(١) الطريق ففعل ذلك.

فلما كان في غد ذلك اليوم واجتمع الناس دخل الركابى على تلك الصورة وأوصل الكتاب إليه.

فلما أخذه المظفر قبله ودفعه إلى الكاتب فقرأه وأظهر الاستبشار وقال لأبى المعالى فى الوقت :
- « قُم إلى أمك . »

وتظاهر بالإمارة ثم أحضر الجند وتوثق منهم، وقد كان أباد من خاف جانبه ولم يبق إلا من أمن بوائقه، وتلقب بالموفق واستعمال القلوب وعدل عن الطريق الأول.

مركز تحقيق ذكر ما اعتمده من حسن السيرة

لما استتب له الأمر على ما أراد حمل الناس على محبة العدل وخفض لهم جناح اللين وكف يده عن القتل واستعمل الرأفة بعد تلك الفظاظة والرحمة، بعد تلك القساوة.

ورد على أرباب الضياع ما كان قبضه عمران وولده منهم وأجرى على

١. والمعشيت فى مد : يشعت .

أبى المعالى وأمه جراية واسعة وأقرهما فى دارهما مدة طويلة ثم أمرهما بالانصراف فانصرفا إلى واسط وكانت جرايته [135] دائرة عليهما مع بعدهما عنه.

ومضت مدة فعهد فى الأمر إلى أبى الحسن على بن نصر الملقب أخيراً بمهذب الدولة، ولقبه إذ ذاك بالأمير المختار، وإلى أبى الحسن على بن جعفر من بعده وهما ابنا أخته.

وفى هذه السنة ورد الخبر بوفاة مؤيد الدولة بجرجان وجلس صمصام الدولة للعزاء به وجاءه الطائع لله معزياً.

ذكر ما جرى عليه الأمر فى وفاة مؤيد الدولة

وإلى أن استقرت الإمارة لفخر الدولة من بعده

لما انصرفت عساكر خراسان الواردة مع فخر الدولة وقابوس الانصراف الذى تقدّم ذكره استقر مؤيد الدولة بجرجان وجعلها داره وأقام أبو الحسن على بن كامة عنده.

واتصلت الأخبار باشتداد علة عضد الدولة والعهد على صمصام الدولة فى الملك من بعده وأخذ البيعة له على جنده وتفرقة الأموال بالحضرة على الرجال، فشغب الجيش بجرجان وأفرّدوا خيمهم إلى ظاهر البلد والتمسوا الزيادة والإحسان [136] وتوسط زيار بن شيراكويه والحسن بن ابراهيم الأمر معهم حتى سكنوا وعادوا.

فاستأذن بعد ذلك زيار ومن كان معه فى المسير إلى بغداد فرفق مؤيد الدولة بهم إيثاراً لمقامهم فلم يفعلوا نزاعاً إلى أوطانهم مع ما تجدد لهم من أمر صمصام الدولة على ما قد ذكر فقضى عند ذلك حقوقهم وأذن لهم فى الانصراف فانصرفوا شاكرين.

ذكر ما دبره مؤيد الدولة في الاستيلاء على الملك وحالت المقادير دونه

لَمَّا علم مؤيد الدولة بوفاة عضد الدولة سَمَتَ نفسه للاستيلاء على الممالك والقيام مقامه فيها وكان قد أنفذ أبا علي القاسم إلى فارس متحملاً لرسالة إلى الأمير أبي الفوارس ابن عضد الدولة. فورد كتاب أبي علي هذا عليه بوقوع الخطبة له في بلاد فارس وثبوت اسمه على الدينار والدرهم. وقدم أبو نصر خواشاذه ورسول من الأمير أبي الفوارس إليه فلبث عنده أياماً وعاد بالجواب ثم راسل أخاه فخر الدولة بالوعود الجميلة [137] وبذل له ولاية جرجان وتقويته بما يحتاج إليه من الأموال فلم يسكن فخر الدولة إلى قوله وأقام بموضعه.

وبينما الحال على ذلك إذ جاءه الأمر الذي لا يغلب والنسباء الذي لا يحجب فخضع لأمر الأمر مطيعاً ولَبَّى دعوة الداعي سريعاً قضية الله سبحانه في الأولين والآخرين ومشيتته في الزاهبين والغابرين. قال الله تعالى: «لقد أحصاهم وعدَّهم عدداً وكلَّهم آتية يوم القيامة فرداً».^(١)

ذكر كلام سيد للصاحب ابن عباد

ولَمَّا عرضت لمؤيد الدولة علة الخوانيق واشتدت به قال له الصاحب: «لو عهد أمير الأمراء عهداً إلى من يراه يسكن إليه الجند إلى أن يتفضل الله تعالى بعافيته وقيامه إلى تدبير مملكته لكان ذلك من الاستظهار الذي لا ضرر فيه.»

فقال له :

- «أنا في شغل عن هذا وما للملك قدر مع انتهاء الانسان إلى مثل ما أنا فيه فأفعلوا ما بدا لكم.»
ثم أشفى فقال له صاحب :

- «تُب يا مولانا من كل ما دخلت فيه وتبرأ من هذه الأموال التي لست على ثقة من طيبها وحصولها من حلها، واعتقد متى أقامك الله وعافاك صرفها في وجوهها وردَّ كل ظُلامة تعرفها وتقدر على ردّها.»
ففعل [138] ذلك وتلطف به وقضى نحبه ولعلَّ صاحب اقتدى في هذا القول بقصة ابن أبي دؤاد مع الواثق بالله رضى الله عنه إلا أنَّ تلك قول وفعل:

خبر حسن فيه تنبيه على فعل خير^(١)

يقال: إنَّه لما اشتدت علة الواثق التي توفي فيها وكان في حبسه جماعة من الكتاب والعمَّال وهم في ضنك شديد من المطالبة دخل ابن ابي دؤاد عليه وسأله عمَّا يجد فشكا الواثق بالله شدة ما به إليه فقال :

- «يا أمير المؤمنين إنَّ في حبسك جماعة وراءهم عدد كثير من العيال وهم في ضرٍّ وبؤس ولو أمرت بالإفراج عنهم لرجوت لك الفرج من هذه الشدة.»

فقال له :

- «أصبت.»

وأمر بذلك فأفرج عنهم. فلما أصبح حضر ابن أبي دؤاد عنده على رسمه فقال له الواثق :

١. وردت هذه الحكاية رواية عن علي بن هشام في كتاب الفرج بعد الشدة ١ : ٩٩-٩٨.

- «إني وجدت البارحة بعض الخف.»

فقال ابن أبي دؤاد :

- «وفق الله لأمر المؤمنين، فلقد رفعت البارحة ألوف من الأيدي بالدعاء له كانت ترفع من قبل بالدعاء عليه. هذا وقد عاد من أفرج عنهم إلى دور شعبة وعيال جياع وأحوال مختلة ولو قد أطلقت ضياعهم [139] المقبوضة وأعيدت إليهم أموالهم المأخوذة لكان الدعاء أكثر والأجر أعظم.»

فأمر اللوائق عند ذلك بتسليم ضياعهم إليهم وإعادة ما أخذ من أموالهم وخرج الأمر بذلك على يد ابن أبي دؤاد، فقام بتمامه في يومه وأحيا الله أقواماً على يده.

ولم يكن قد بقي للوائق أجل فمضى لسبيله واستصحب أجر ذلك الفعل معه وفاز ابن أبي دؤاد بهذه المنقبة بقية الدهر. ونعود إلى سياقة الحديث.

ذكر ما دبره ابن عباد بعد وفاة مؤيد الدولة

كتب في الوقت إلى فخر الدولة بالإسراع وأرسل أخاه وبعض ثقاته ليستوثق منه باليمين على الحفظ والوفاء بالعهد.

وتجرد الصاحب لضبط الأمر ووضع العطاء في الجند ونصب أبا العباس خسروفيروز بن ركن الدولة في الإمارة تسكيناً للفتنة وإزالة للسخط في عاجل الحال، وكتب الناس مثني^(١) وفرادى إلى فخر الدولة بالطاعة وهو يومئذ بنواحي نيسابور على حالة مختلفة^(٢) وإضاقة شديدة.

وقد أنفذ نصر بن الحسن بن فيروزان^(٣) إلى الصاحب ببخارا مع من نفذ

١. وفي الأصل : مثني الإمارة.

٢. لعله : مختلة.

٣. هو خال فخر الدولة وله قصة مع الصاحب ابن عباد : ارشاد الأريب ٢ : ٣٠٦.

من جهة قابوس من [140] وجوه قواده حين استدعاهما صاحب بخارا للخلف الواقع بينه وبين ابن عمه عبد الملك بعقب انهزام عساكره بسباب جرجان. فاعتذر إليه في تأخرهما عنه بنفوسهما وأنفذ إليه أصحابهما المذكورين.

فلما ورد إلى فخر الدولة كتاب ابن عباد، وتلاه كتب وجوه العساكر أولاً فأولاً، سار على الفور وعرف قابوس الخبر فأرسل إليه :
- «أن بيننا ما أريد مفاوضتك فيه.»

فأجابه بأثنى :

- «قد توجّهت ولا قدرة لى على العود بعد التوجّه ومهما أردت فاكتب

به.»

وبادر يطوى المنازل نحو جرجان.

ذكر وصول فخر الدولة إلى جرجان

واستقراره في دار الإمارة

لما ورد الخبر بقرب وصول فخر الدولة إلى جرجان قال صاحب ابن عباد للجنود :

- «إنما أخذت البيعة عليكم لأبى العباس خسروفيروز على أنه خليفة أخيه فخر الدولة فبادروا إلى تلقيه وخدمته.»

فندبوا عند ذلك أبا الحسين محمد بن على بن القاسم العارض للاستيثاق بجماعتهم، فسار إليه ولقيه بالتعزية بأخيه والتهنئة بالملك والتوثيق [141] للأولياء، فأكرمه فخر الدولة وتقبل منه ما أورده.

وبادر الناس بعد أبى الحسين إلى خدمته فوجاً فوجاً وهو يقربهم ويدنيههم. ثم تلقاه صاحب أبو القاسم ابن عباد مع الأمير أبى العباس

خسرفيروز وأكابر القواد فرحب به فخر الدولة وبالح في إكرامه وتناهى في إعظامه ونزل بظاهر المدينة في الموضع الذي كان مؤيد الدولة معسكراً فيه عند قتال عسكر خراسان، ثم دخل البلد من غده وأخذت البيعة له بالطاعة والمخالصة واستقرت الإمارة عليه.

وكذلك الدهر يتقلب من حال إلى حال وينتقل بأهله بين أسفل وعال والبؤس والنعيم فيه إلى زوال.

ذكر كلام اختبر به ما في نفس فخر الدولة

لما انتظم الأمر لفخر الدولة قال له الصاحب :

- «قد بلغك الله يا مولاي وبلغني فيه ما أملت له لنفسك وأملت لك ومن حقوق خدمتي عليك إجابتي إلى ما أوتره من ملازمة داري واعتزال الجندية والتوفر على أمر المعاد.»

وقال له :

- «لا تقل أيها الصاحب هذا، فإنني ما أريد الملك [142] إلا لك ولا يجوز أن يستقيم أمري إلا بك، وإذا كرهت ملازمة الأمور كرهت ذاك بكراهيتك وانصرفت.»

فقبل الأرض وشكره وقال :

- «الأمر أمرك.»

وتلا ذلك أنه خلع عليه خلع الوزارة وأكرمه منها بما لم يكرم وزير بمثله. ثم عمل فخر الدولة والصاحب جميعاً على أخذ على بن كامه والاستيلاء على ماله وأعماله، وعلما أنهما لا يقدران عليه لجلالة قدره فعدلا إلى أعمال الحيلة في أمره.

ذكر حيلة تمت في قتل علي بن كامة

اجتمع رأيهما على موافقة شرابي كان له على سعه فتوصلًا إليه وقرّرا أمور ذلك واتفق أن علي بن كامة عمل دعوة واحتفل فيها واحتشد وسأل فخر الدولة والصاحب الحضور عنده. فواعداه بذلك وراسلا الشرابي بفعل ما تقرر معه في هذا اليوم وأعطياه سمًا موجباً.

ودخل علي بن كامة خزانة الشراب يتخير الأشرطة ويذوقها فطرح الشرابي السم في بعض ما ذاقه فأحس في الحال باضطراب جسمه فدخل بيتاً وطرح نفسه فيه وألقى عليه كساء وعلم فخر الدولة [143] خبره فتأخر عن الحضور.

وأطعم الناس وسقوا وتركه أصحابه في موضعه وعندهم أنه نائم ولم يقدموا على إنباهه. فلما كان من غد رأوه على خملته فدخلوا إليه فوجدوه ميتاً.

فأنفذ فخر الدولة إلى داره من توكل بها وإلى خزانته من استظهر عليها وإلى قلاعه من أخذها وإلى أعماله من تولّاها. وكان لعلي بن كامة أولاد فلم يتم لهم الأمر مع فخر الدولة.

وليس العجب من فخر الدولة في سم الرجل كالعجب من الصاحب الذي سأل بالأمس في الخبر الذي تقدّم هذا الخبر في الإذن له في ملازمة داره والتوفر على أمر المعاد.

ووصل أبو نصر شهريسلار بن مؤيد الدولة إلى حضرة فخر الدولة في هذا الوقت فأكرمه.

ذكر السبب في ذلك

كان أبو نصر باصبهان مقيماً نائباً عن أبيه مؤيد الدولة في ولده وحرمة. فلما عرف خبر وفاته بادر بمن خفّ معه يريد جرجان فبلغه في بعض الطريق خبر استقرار فخر الدولة في الإمارة فأقام بموضعه وكاتبه يستأذنه في الإتيان إلى حضرته. فأجابه بالجميل وصلة [144] الرحم وأمره بالإتيان والمسير فصار ووصل إلى جرجان فأكرم غاية الإكرام.

وقدم أبو علي القاسم بن علي بن القاسم عائداً من فارس مع المال المحمول وقد كان مؤيد الدولة أنفذه إليها حسب ما تقدم ذكره.

وأنفذ فخر الدولة أبا القاسم القاضي العلوي رسولاً إلى الأمير أبي الفوارس ابن عضد الدولة وأقام بجرجان يجمع الأموال ويملاؤها القلاع إلى أن ورد إليه تاشي هارباً من خراسان فأنزله بجرجان وقرّر عليه ارتفاعها وانصرف هو إلى الري وأقام تاشي بها إلى أن توفي وقيل مات مسموماً.

وفي هذه السنة شغب الأتراك ببغداد وبرزوا متوجهين إلى شيراز بعد أن كانت طائفة منهم قد سارت قبلهم ولحقت بفارس.

فركب زيار بن شيراكويه في أثر هؤلاء ورد أكثرهم وأخذ أبا منصور ابن أبي الحسن الناظر وكان قد خرج هارباً وولده مع شرف الدولة لم يقبض عليه فردّ بعد أن جرح لأنه مانع عن نفسه واعتقل.

وكان خال ولد أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف. فلما عرف عبد العزيز هربه من الليل خاف أن يسعى أبو عبد الله بن سعدان به إلى صمصام الدولة ويوغر صدره عليه وينسب هربه إليه فرأى أن يسبق بإظهار إبراء الساحة قبل أن [145] ينتهز عدوه الفرصة.

ذكر رأى سديد وقع لعبد العزيز بن يوسف أمن به ما خاف وقوعه

وذلك أنه غلّس في صبيحة تلك الليلة إلى الدار وجلس في الدهليز وراعى قيام صمصام الدولة من منامه وانتظر حضور على ابن أبى على الحاجب وكان له صديقاً.

فلما حضر الحاجب خرج إليه عبد العزيز بما فى نفسه وسأله الاستئذان له على خلوة قبل كل أحد فدخل الحاجب وأعلم صمصام الدولة بحضوره فأذن له. فلما حضر قَبِل الأرض وبكا بكاء شديداً وقال :

- «قد خدمت عضد الدولة وخدمتك ولم تعهد منى إلا الصدق والمناصحة.»

وحلف بطلاق صاحبه أخت أبى منصور وبالأيمان المغلظة إن كان عرف خبر أبى منصور فيما عمل عليه من الهرب أو شاوره فيه.

فسكن منه صمصام الدولة وخاطبه بما طابت نفسه به وانصرف من بين يديه وقد زال إشفاقه وخوفه.

وحضر من الغد ابن سعدان وأشار إلى أبى القاسم عبد العزيز فى هرب [146] أبى منصور فى أثناء كلامه إشارة لم يتقبلها منه صمصام الدولة وقال :

- «أبو القاسم برىء من هذا الأمر ولا علة له فيه.»

فأمسك حينئذ ابن سعدان وزادت العداوة بينهما وجدّ أبو القاسم فى إفساد حال ابن سعدان حتى تمّ له القبض عليه والانتصاب فى مكانه حتى يأتى شرح ذلك من بعد بإذن الله تعالى.

ودخلت سنة أربع وسبعين وثلاثمائة

وفيهما شرف فخر الدولة من حضرة الطائع لله بالخلع السلطانية والعهد واللواء وزيادة اللقب وسلّم جميع ذلك إلى أبي العلاء الحسن بن محمد بن سهلويه رسول فخر الدولة.

شرح ما جرى عليه الأمر في ذلك

لما توفي مؤيد الدولة وانتصب فخر الدولة في موضعه شرع أبو عبد الله ابن سعدان في إصلاح ما بين صمصام الدولة وبينه، وكاتب الصاحب أبا القاسم ابن عباد في ذلك.

وتردّد بينهما ما انتهى إلى ورود أبي العلاء ابن سهلويه للسفارة في التقرر وتنجز الخلع السلطانية لفخر الدولة [١٤٧] فأكرمه أبو عبد الله ابن سعدان إكراماً بالغ فيه وأقام له من الأنزال وحمل إليه من الأموال ما جاوز به حدّ مثله.

واتصلت مدة مقامه من المكاتبات ما دلّ على إظهار المشاركة بين الجندين في كل تدبير وتقرير وتجديد السنّة التي كانت بين الإخوة عماد الدولة وركنهما ومعزّها من الاتفاق والألفة.

وسدّى الصاحب في ذلك قوله وألحم، وأسرج فيه عزمه وألجم، حتى أنّه كان لا يجرى أمر ولا بال بحضرة فخر الدولة إلّا كتب به مساهماً ولا يعرف حالاً يتعلق بمصلحة صمصام الدولة إلّا أشار بها مناصحاً.

فمن جملة ما كتب الصاحب بشرحه إلى الحضرة

ذكر وصول أبي سعيد أحمد بن شبيب صاحب جيش خوارزم رسولاً من

أمير خراسان متحملاً من الرسالة ألطف الأقوال وورود كتب أبي [العباس] تاش^(١) مشتملة من القرب والإخلاص على أجمل الأقوال وأن الخطاب دار مع الرسول الوارد في الصلح على قواعد أولها طاعة الخلافة، فهي التي لا دين إلا بها ولا دنيا إلا معها، ثم أن لا يفرج لهم عن شيء من هذه [148] البلاد ولا يكون منهم في باب قابوس قول أو فعل في معونة وإسعاد وأن يرد إلى بخارا ويستخدم في أبعد الأطراف وأن يقتصر على المال المبذول الذي يجرى مجرى المعونة من أمير المؤمنين لهم على ما أسند^(٢) إليهم من الثغور وأنه قد أخرج مع الرسول العائد أبو سعد صالح بن عبد الله، فإذا استتب التقرير واستحصف العقد أنفذت نسخته على شروطه إلى بغداد حسب ما يقتضيه التمازج بين الحضرتين.

ومما نطقت به الكتب من المشورة والرأي

الحث على استمالة الأمير أبي الحسين واستخلاص طاعته وأن فخر الدولة قد راسله وخاطبه في ذلك بما يجرى مجرى التقدم والتوطئة ومتى أريد التكفل بالتمام فهو على غاية الطاعة.

وقد أثبت على الدينار والدرهم اسم فخر الدولة وكتب من البصرة بإقامة الدعوة كما أقامها بالأهواز وليس يتجاوز ما ينهج له ولا يتعدى ما يحكم به، والصواب طلب التوازن والتعاطف وترك التباين والتخالف. ولا يقال هذا إلا من طريق ابتغاء المصالح لصمصام الدولة وجمع الأهواء [149] المتفرقة إليه وردة القلوب النافرة عليه.

ثم لما طال مقام ابني سهلويه وتمادت به الأيام ساء ظن فخر الدولة

١. ليراجع التاريخ اليميني ١: ١٣٤ (مد).

٢. في الأصل: سد. والإقتراح بقرينة «إليهم».

والصاحب ووردت كتب على ابن سعدان بالمعاتبة. وكان السبب في تأخر ذلك خطب باد واتساع الخرق فيه وشغل ابن سعدان به عن كل أمر ينجزه وارب يقتضيه.

فلما ورد الخبر بهزيمة باد واستقر الأمر في ذلك وأسفر الخطب عن المراد كما قد تقدم ذكره، خلا درع ابن سعدان وخوطب الطائع لله على ما يجدده لفخر الدولة من الخلع السلطانية فأجاب.

وجلس على العادة في أمثالها وحضر أبو العلاء الرسول وأحضرت الخلع السبع والعمّة السوداء والسيف والطوق والسواد واللواء والدايتان بمركبي الذهب وقرئ العهد بتولية الأعمال التي في يده وأضيف الى لقبه الأول فلك الأمة وسلم جميعه إلى أبي العلاء.

وضم إليه أبو عبد الله محمد بن موسى الخازن وخرجوا إلى جرجان وسلموا ذلك وعادا وأقام أبو العلاء برسم النيابة عن فخر الدولة بالحضرة إلى آخر أيام صمصام الدولة.

وفي هذه السنة ورد كتاب أبي بكر محمد بن شاهويه مبشراً بإقامة الدعوة لصمصام الدولة بعمان [150].

مركز تحقيق تكملة تاريخ محمد بن موسى عليه الأمر بعمان

إلى أن عادت إلى شرف الدولة

كان المتولى بها في الوقت أبو جعفر أستاذ هرمز بن الحسن^(١) من قبل شرف الدولة فما زال ابن شاهويه يفتل له في الذروة والغارب حتى أماله إلى الحملة وأزاله عما كان عليه من الإنحياز إلى شرف الدولة.

١. وفي الاصل «الحسين» وهو غلط.

وكان صفوه مع من ببغداد لكون أبي على الحسن ولده بها فجمع الأولياء والرعية بعمان على طاعة صمصام الدولة وخطب له على منابر تلك الأعمال.

ووصل الخبر إلى بغداد فأظهرت المسرة وجلس صمصام الدولة للتهنئة وكتب كتب البشائر إلى أصحاب الأطراف على العادة وأنفذ إلى أستاذ هرمز العهد بالتقليد مع الخلع والحمالان.

وأحضر ابنه أبو على الحسن وخلع عليه ونقله من رتبة النقابة إلى رتبة الحجة.

ولما عرف شرف الدولة عصيان أستاذ هرمز أخرج إليه أبا نصر خواشاده في عسكر استظهر فيه ووقعت بينهما وقعة أجلت عن ظفر أبي نصر وحصول أستاذ هرمز أسيراً تحت اعتقاله واستيلانه على رجاله وأمواله.

وعند بلوغ أبي نصر ما أراد من ذلك [151] رتب بعمان من يراعيتها ويشحنها بمن يحميها وعاد إلى فارس ومعه أستاذ هرمز فشهر بها ثم قرّر عليه مالا ثقيلاً وحمل إلى بعض القلاع مطالباً بتصحيحه.

وفي هذه السنة أفرج شرف الدولة أبو الفوارس عن أبي منصور محمد بن الحسن بن صالحان وعن أبي القاسم العلاء بن الحسن وعن أبي الحسن الناظر أخيه واستوزر أبا منصور من بينهم وردّ الأمور إلى نظره.

ذكر ما جرى عليه الأمر في اعتقالهم والإفراج عنهم

والتعويل على أبي منصور في الوزارة

ولما وصل شرف الدولة أبو الفوارس إلى شيراز قبض على نصر بن هارون كما تقدّم ذكره واستوزر أبا القاسم العلاء بن الحسن فقصر أبو القاسم في أمور الحواشي والخواص وهم أفسدوا رأى شرف الدولة فيه وأغروه به

وبأخيه أبي الحسن الناظر على سخيمة كانت في نفس فخر^(١) الدولة على أبي الحسن فقبض بعد مدة يسيرة عليهما وعلى أبي منصور محمد بن الحسن ابن صالحان معهما وأمر بحملهم إلى بعض القلاع. وردّ النظر إلى أبي محمد [152] على بن العباس بن فسانجس وإلى أبي الحسن محمد بن عمر العلوي فإنه أشار به للمودة البغدادية التي جمعتهم وعوّل على أبي منصور في الوزارة من بينهم فاتفق له بالعرض ما صار سبباً لثباته فيها.

ذكر اتفاق حميد صار سبباً لثبات قدّم

حكى أبو محمد^(٣) ابن عمران أنّ شرف الدولة أنفذ رسولاً إلى القرامطة. فلما عاد الرسول من وجهه سأله عن مجارى الأحوال، فقال له في جملة الأقوال :

«إنّ القرامطة سألونى عن الملك فوصفت لهم حسن سياسته وجميل سيرته. فقالوا: من حسن سيرة الملك أنّه استوزر في سنة واحدة ثلاثة لغير ما سبب.»

فحصل هذا القول في نفس شرف الدولة ولم يغيّر على أبي منصور أمراً وبقي في خدمته إلى أن توفى.

وأما أبو الحسن الناظر فإنه أنفذ إلى جرجان برسالة وتوفى بها. وأما أبو القاسم العلاء فإنه أقام في داره إلى أن خرج شرف الدولة إلى الأهواز فخرج معه على ما [153] سيأتى ذكره في موضعه.

١. لعله يريد شرف الدولة (مد).

٢. وفي الأصل : ابن.

٣. لعله : أبو الحسن محمد (مد).

وفى هذه السنة قبض على أبى عبد الله الحسين بن أحمد بن سعدان ومن يليه وعلى أبى سعد بهرام وأبى بكر بن شاهويه وسائر أصحابهم ونظر أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف فى الأمور ودبرها مديدة.

ودخلت سنة خمس وسبعين وثلاثمائة فيها شورك بين أبى القاسم وبين أبى الحسن أحمد بن محمد بن برمويه فى الوزارة وتنفيذ الأمور وخلع عليهما جميعاً.

شرح الحال فيما جرى عليه أمر هذه الوزارة المشتركة كانت الحال فيما بين أبى القاسم وبين أبى الحسن بن برمويه ثابتة على الإخاء جائزة على الصفاء، وكانا يتجاوران فى منازلهما ويتزاوران فى مجالسهما، فهما أبداً عاكفان إماً على معاشرة وإماً على مشاورة. فلما توفى أبو الحسن على بن أحمد العماني كاتب والده صمصام الدولة سعى أبو عبد الله ابن سعدان لأبى نصر والده فى كتابتها فعمل أبو القاسم عبد العزيز فى [154] عكس ذلك للعداوة التى بينهما.

مركز كلام سيد لعبد العزيز بن يوسف
فى تحذير صمصام الدولة من الحجر عليه

قاله له : إن أبا عبد الله قد استولى على أمورك وملك عليك خزائنك وأموالك وإذا تم له حصول والده مع السيدة حصلنا تحت الحجر معه وهذا أبو الحسن ابن برمويه رجل قد خدم عضد الدولة وهو أسلم خبيّة وأظهر

أمانة وألبق خدمة للحرم^(١) لأنه كان خصياً خصاه [ابن] الياس^(٢) واشتراه
عضد الدولة من البلوص عند حصوله في أسرهم.
فوقّر هذا القول في سمع صمصام الدولة وقبله وقلّد أبا الحسن كتابة
والدته.

فلما نظر أبو القاسم بعد أبي عبد الله ابن سعدان استخلف أبا سعد
القيروزي أبا عبد الله ابن الحسين بن الهيثم. فاستوحش أبو الحسن ابن
برمويه بعدوله عنه بعد أن قدّر أن الأمور تكون مفوضة إليه للحال التي
بينهما. فواصله أياماً على رسمه ثم انقطع عنه وصار يجتاز ببابه ولا يدخل
إليه.

وشرع مع والدته صمصام الدولة في طلب الأمر لنفسه فتغيّر أبو القاسم [155]
عليه واعتقد كل واحد منهما عداوة صاحبه.

ذكر رأي ضعيف أشارت به والدته صمصام الدولة عليه فعمل به
خاطبته على أن يجمع بين أبي القاسم وبين أبي الحسن في الوزارة
فأجلبها إليه وخطوب أبو القاسم في ذلك فامتنع. وجذّت السيدة في الأمر
وتردد من الخطاب ما انتهى آخره إلى إلزامه الرضا^(٣) به فخلع عليهما
وسوى في الرتبة والخطاب بينهما وجلسا جميعاً في دست واحد في دست
الوزارة المنصوب، وتقرّر أن يكون اسم أبي القاسم متقدماً في عنوانات
الكتب عنهما.

١. والمثبت في مد: الحرم.

٢. هو الياس بن محمد بن الياس وكان انهزم إلى خراسان بعد استيلاء عضد الدولة على قلعة
بردسير في سنة ٣٥٧ كما تقدّم ذكره.

٣. كذا في مد: الرضا (بالمدة).

فلم يتم ذلك واستعلى أبو الحسن بقوة سرّه واستظهاره بعناية السيدة به وخوف الناس منه، وصار الأمر سخيلاً بهذا الرأي الضعيف. والدولة إذا كفلها النساء فسدت أحوالها ووهنت أسبابها وبدأ اختلالها وولّى اقبالها والأمر إذا ملكته انتقضت قواه وانهدم بناه ولم تحمد عقباه والرأى إذا شارك فيه قلّ سداؤه وضلّ رشاده وعند ذلك يكون الفساد إلى الأمور أسرع من السيل إلى الحدود.

لاجرم أنّ أبا القاسم احفظه ذلك وما عاملته السيدة [156] من نصرة أبي الحسن عليه و[لما] رأى أنّ أبا الحسن أشدّ بطشاً في عداوته من ابن شهرأكويه^(١) شرع في إخراج الملك من يدى صمصام الدولة واستغوى أسفار بن كردويه ووافقته على ذلك.

ذكر ما جرى عليه الأمر في عصيان أسفار

كان قد تردّد بين صمصام الدولة وبين زيار بن شهرأكويه أسرار اطّلع عليها أبو القاسم بحكم امتزاجه بالخدمة وخرج بها إلى أسفار وخاض فيها الغمرات وأشعر قلبه وحشة أخرجه من أنس الطاعة.

وتقرّر بينهما في ذلك ما أحكما عقده ودخل معهما في هذا الرأي المظفر أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وأبو منصور أحمد بن عبيد الله الشيرازى كاتب الطائع يومئذ وقد كان صمصام الدولة اعتلّ علة أشفى فيها. فواقف أسفار أكابر العسكر وأصاغرهم على خلع صمصام الدولة وإقامة الأمير أبى نصر - وسنّه في الوقت خمس عشرة سنة - خليفة لأخيه شرف الدولة ووعدهم بمواعيد الاحسان واستظهر عليهم بمواثيق الأيمان وابتدأ

الفتنة بالتأخر عن الدار واستعمال التخبّي^(١) وترددت [157] إليه من صمصام الدولة مراسلات التأنيس والتسكين فما زادته إلا إغراء وتغميراً. فصار إليه أبو القاسم عبد العزيز وأبو الحسن ابن برمويه وأبو الحسن ابن عمارة العارض برسالة من صمصام الدولة هي اللفم ممّا تقدم. فلما حصلوا عنده امتنع من لقائهم وقبض عليهم وجمع العسكر وأحضر الأمير أبا نصر ونادى بشعار شرف الدولة وأفرج عن أبي القاسم لأنّ القبض عليه كان بموافقة منه واجتمعوا على تدبير الأمور وترتيبها، وتولّى المظفر بن الحسن بن حمدويه وأبو منصور الشيرازى أخذ البيعة على الجند. وبلغ صمصام الدولة الخبر وقد أبلّ من مرضه، فتحير فى أمره وجمع غلمان داره وراسل الطائع لله فى الركوب، فاستعفى وامتنع منه.

ذكر رأى سديد واتفاق حميد اتفقا لصمصام الدولة

أسفر بهما الأمر عن المظفر

لما رأى الخطب معطلاً استنصر فولاذ بن ماناذر^(٢) مستصرخاً وبذل له المواعيد الكثيرة على ذلك وكان فولاذ مع القوم فيما عقدوه لكنّه أنف من بعد رتبة الانحطاط لأسفار عن رتبة المتابعة.

وكان من [158] حميد الاتفاق إطلال المساء وحجاز الليل، ولو سار أسفار فى الوقت الذى أظهر فيه ما أظهره الى صمصام الدولة لأخذه ولم يكن له دافع عنه لكنّه ظنّ أن لن يفوته الأمر وكان قدراً مقدوراً.

فأصبحوا وقد خالفهم فولاذ وانحاز إلى صمصام الدولة فحضر لديه وأكّد

١. والمثبت فى مد: التخبّي.

٢. وفى الأصل: ماناذار. هو ملك الديلم وابنه فولاذ مذكور مع الصاحب ابن عباد: ارشاد الأريب

العهد والعقد عليه وتنجز منه توقيماً بجميع ما التمسه من جهته وتكفل له بالذب عن دولته والقيام بخدمته.

وانضاف إلى صمصام الدولة فولاذ ورجاله والجيل وهم أقاربه وأخواله وغلمان داره وعدتهم كثيرة وشوكتهم قوية ففتح خزانتي السلاح والمال وعجل لهم وأعطاهم ووعدهم من بعد ومناهم وسار بهم فولاذ مصعداً للقاء القوم.

ذكر تدبير جيد دبره فولاذ في أمر الحرب

نزل إلى زبب صمصام الدولة وجلس على كرسيه في دسته وعلى رأسه علامته ومن ورائه وأمامه الزبازب والطيارات، حتى ظن الناس أن صمصام الدولة قد خرج بنفسه. وسير العسكر بإزائه على الظهر. فلما انتهى إلى الجزيرة بسوق يحيى وجد الجيل وعدتهم قليلة يقاتلون ديلم أسفار^(١) وقد [159] ثابتهم وصابروهم.

فصعد من الزبب وعبى المصاف، وسار قليلاً قليلاً حتى صدم عسكر أولئك - وعندهم أن تحت العلامة صمصام الدولة - فانكسروا. ورآهم أسفار من روشنه مولين فأيقن بالهزيمة، فركب وولى هارباً، وتبعه طائفة من أقاربه وشيعته وأبو القاسم عبد العزيز، وأفلت أبو الحسن ابن عمارة العارضى جريحاً وأخذ الأمير أبو نصر وحمل إلى صمصام الدولة. فرق له لما شاهده وعلم أنه كان لا ذنب له فلم يؤاخذه وتقدم باعتقاله وترفيهه فكان في الخزانة محروساً مراعى.

ونهب دور الديلم والأترك العاصين ودور أتباعهم وأشياعهم.

١. أسفار: لعل أصله الفارسي «الأسوار»: الفارس. عُرِبَت الواو فيه إلى الفاء.

وقتل في الليلة التي وقعت في صبيحتها الهزيمة أبو عبد الله ابن سعدان.

ذكر مكيدة لعبد العزيز في أمر ابن سعدان صارت سبباً لقتله

لما قبض أسفار على أبي القاسم وأبي الحسن ابن برمويه وأبي الحسن ابن عمارة انتهز أبو القاسم الفرصة وأرسل في الحال إلى صمصام الدولة يغريه بأبن سعدان ويوهمه أن الذي جرى كان من فعله وتديبره وأنه لا يؤمن ما يتجدد [160] منه في محبسه فسبق في هذا القول إلى ظنه.

وكان أحمد بن حفص المحري عدوًّا له فزاد بالإغراء به فأمر حينئذ بقتله وقتل معه أبو سعد بهرام على سبيل الجرف وقد كان خليفته وقت نظره وقتل أبو منصور غيظاً لأبي القاسم.

قال الله تعالى : «وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً»^(١)
وكان أبو بكر ابن شاهويه معتقلاً فسلم لحسن اتفاق.

ذكر اتفاق عجيب سلم به ابن شاهويه من القتل

كان محبوساً في حجرة تتصل بالحجرة التي فيها هؤلاء، لكن بابها خلف الأخرى فإذا فتح ذلك غطي هذا فلا يؤبه له، فانستر لهذه العلة وسكنت سورة الفتنة فأفرج عنه من بعد.

وأطلق أبو الريان حمد بن محمد من الإعتقال وعول عليه في الوزارة وعلى أبي الحسن علي بن طاهر في كتابة السيدة، وكتب الكتب بذكر البشارة إلى فخر الدولة وسائر الأطراف وقبض على أخوي أبي القاسم وكتابه

وأصحابه.

وكان المظفر أبو الحسن ابن حمدويه وأبو منصور الشيرازي هرباً من دار أسفار يوم الهزيمة فظفر بهما وقرّر أمرهما [161] على مال صودرا عليه. وخلع الطائع لله على صمصام الدولة وجدّد له تشريفاً وإكراماً وخلع على أبي نصر فولاذ بن ماناذر الخلع الجميلة وخطوب بالإنصافهسلارية^(١) بعد أن استحلف على الوفاء والمناصحة. ومضى أسفار بن كردويه وأبو القاسم ومن معهما إلى الأهواز مغلولين.

ذكر ما جرى عليه أمر أسفار وعبد العزيز بن يوسف
والأتراك الخارجين من بغداد

خرجوا من بغداد إلى جسر النهران وساروا إلى الأهواز. فلما حصلوا بها تلقاهم الأمير أبو الحسين وأرغبهم في المقام. فأما الأتراك فبأنهم أظهروا الموافقة وأسروا غيرها، ثم ركبوا في بعض الأيام غفلة وساروا. فتقدّم الأمير أبو الحسين إلى سابور بن كردويه يتتبعهم ورتّبهم فركب وراءهم ولحقهم بقنطرة أزيق^(٢) فلم يكن له بهم طاقة وجرت بينهم مناوشة ورموه فأصابوا بعض أصحابه ومضوا هم وعاد هو.

وأما أسفار بن كردويه فإنه أقام بالأهواز مكرماً وكان أخوه سابور زعيم [162] الجيش فقدم عليه أسفار لكبر سنّه وجلالة قدره وأقام على ذلك إلى أن أقبل شرف الدولة من فارس، فأنفذه الأمير أبو الحسين إلى عسكر مكرم لضبطها في خمسمائة رجل من الديلم. فلما حصل شرف الدولة

١. الإنصافهسلارية: قيادة الجيش، رئاسة الجيش. وأصله الفارسي: «سياه» أي الجيش أو العسكر، و«سالار» أي الرئيس والقائد.

٢. أزيق: ويقال بالكاف: أربك. من نواحي رانهرمز من خوزستان (مرصد الإطلاع).

بالأهواز صار أسفار إليه، فأمر بالقبض عليه وحمل إلى بعض القلاع بفارس. وكان بها إلى أن توفي شرف الدولة وأفرج عنه عند الإفراج عن صمصام الدولة وأقام بفارس مديدة ومضى إلى الرى.

وأما أبو القاسم عبد العزيز، فإن أبا الفرج منصور بن خسرته تكفل بأمره وأعظم منزلته وعرف له حق تقدمه فجازى أبو القاسم إحسانه بسوء النية فيه وحذت نفسه بطلب مكانه وألقى ذلك إلى بعض من عول عليه فيه. فأحس أبو الفرج واستظهر لنفسه بالتوثيق من الأمير أبي الحسين ومن والدته باليمين على إقراره فى نظره وترك الاستبدال به.

ولم يزل يتوصل حتى غيّر نية الأمير أبي الحسين فى أبي القاسم ونقصه فى المنزلة التى كان أنزله أياها فى ابتداء وروده وأطرح الرجوع فى شىء من الأمور إلى رأيه «وجزاء سيئة سيئة مثلها»^(١) والبادئ أظلم. وبقي على هذه الحال إلى أن ورد شرف الدولة فقبض عليه مع أسفار وأنفذ إلى القلعة وأفرج عنه بعد وفاته.

ورود إسحق وجعفر

الهجريين

وفى هذه [163] السنة ورد إسحق وجعفر الهجريان فى جمع كثير وهما من القرامطة الستة الذين يلقبون بالسادة. فملكا الكوفة وأقاما بها الخطبة لشرف الدولة.

فوقع الإنزعاج الشديد من ذلك بمدينة السلام لما كان قد تمكّن فى قلوب الناس من هيبة هؤلاء القوم وقوة بأسهم ومسالمة الملوك لهم لشدة

مراسهم حتى إنَّ عضد الدولة وعزَّ الدولة قبله أقطعاهم إقطاعات بواسط
وسقى الفرات. فكانت مآربهم تقضى ومطالبهم تُمضى وأبوبكر ابن شاهويه
صاحبهم يجرى بالحضرة مجرى الوزراء فى حاله، والإصغاء من الملوك
راجع إلى أقواله، وأكابر الناس يخشونه مجتملين لكبره منقادين لأمره، ولا
سبب إلاَّ اعتزأؤه إلى هؤلاء القوم.

ذكر ما جرى عليه أمر اسحق وجعفر القرمطيين

لما ورد الخبر باستيلائهما على الكوفة بدأهما أبو الريان بالمكاتبة وسلك
معهما طريق الملاطفة والمعاتبة ودعاهما إلى المودعة والمقاربة وبذل لهما ما
يحاولانه. وعوّل على أبى بكر ابن شاهويه فى [164] الوساطة معهما وكان
قد أطلقه من الإعتقال وتلافى بالاحسان إليه والإجمال. فعدلا فى الجواب
الى التعليل والتدفع، وجعلا ما كان من القبض على ابن شاهويه حجة فى
اللوم والتقريع، وزاد الخطب معهما فى بث أصحابهما فى الأعمال ومدّ
أيديهما الى استخراج الأموال، حتى لم يبق للصبر موضع ولا فى القوس
منزع.

وحصل المعروف بأبى قيس الحسن بن المنذر وهو وجه من وجوه
قوادهم بالجامعين فى عدد كثير، فجرد إليهم من بغداد أبو الفضل المظفر بن
محمود الحاجب فى عدّة من الديلم والأتراك والعرب وأخرج أبو القاسم ابن
زعفران إلى ابراهيم بن مرح العقيلي لتسييره فى طائفة من قومه.

وحصل أبو الفضل الحاجب بجسر بابل والقوم بإزائه فعقدوا جسراً على
الفرات. فإلى أن فرغ منه وصل ابراهيم وابن زعفران وحصلا مع القرامطة
على أرض واحدة وتناوشوا وتطاردوا وفرغ الجسر وعبر سرعان الخيل من
الأتراك وفرسان الديلم وحملوا مع ابراهيم بن مرح وأصحابه على القوم

حملة واحدة انكشفت عن هزيمتهم وأسر أبو قيس زعيمهم مع جماعة من قوادهم وأسرع إليه ابراهيم بن مرج، فضرب عنقه لئلا يثار له عنده. وعاد الفلّ إلى الكوفة. وجاء البشير إلى بغداد فأظهرت البشارة بها. [165]

ذكر ما كان من القرمطيين بعد قتل أبي قيس صاحبهما

لما عاد الفلّ إليهما هزّتهما الحميّة - وللقرامطة نفس أبيّة - فجّهزا جيشاً جعلاً عليه قائداً من خواصّهما يعرف بابن الجحيش واستكثروا معه من العُدّة^(١) والعُدّة، ووصل الخبر بذلك إلى بغداد فأخرج أبو مزاحم بسجكم الحاجب في طوائف من العسكر وعبر إلى القوم وهم بغربي الجامعين وواقعهم وقعة أجلت عن قتل ابن الجحيش وأسر عدد من قوادهم وانتهاب معسكرهم وسوادهم ونجا من نجا منهم هارباً إلى الكوفة. فرحل القرمطيان فيمن تخلف عندهما وولّوا أدبارهم.

ودخل أبو مزاحم الكوفة وقصّ آثارهم حتى بلغ القادسية، فلم يدركهم وعاد إلى الكوفة. وزالت الفتنة وبطل ناموس القرامطة عند ذلك وذهبت الهيبة التي اشرأبت النفوس منها.

ولكلّ قوم سعادة تجرى إلى أجل معدود وتنتهي إلى أمل محدود ثم تعود إلى نقصان وزوال وتغيّر من حال إلى حال، إلّا سعادة الدين فإنّها إلى نماء، فإذا انفصلت من دار الفناء [166] اتصلت بدار البقاء.

وفي هذه السنة أفرج عن ورد الرومي ومن معه من الأسرى بسفارة زيار بن شهرაკويه.

شرح ما جرى عليه أمر ورد في الإفراج عنه وإصعاده إلى بلد الروم

قد تقدّم ذكر القبض عليه في أيام عضد الدولة وبقي في الإعتقال إلى هذا الوقت فسفر زيار في إطلاقه وخاطب صمصام الدولة على اصطناعه فاشتراطت عليه وله شروط وتوثق منه فيها ووثق له على الوفاء بها.

وأما ما اشترط عليه فهو أن يعترف لصمصام الدولة بالصنيعة ويكون حرباً لمن حاربه مسلماً لمن ساله من المخالفين في الدين والموافقين عليه وأن يفرّج عن جماعة المسلمين بين من أحاطت ربة الأسر برقابهم^(١) أو طالت يد الحصر في أعناقهم ويعينهم على النهوض إلى بلادهم وحراستهم على طبقاتهم في نفوسهم وأموالهم وحرّمهم وأولادهم، وأن لا يجهز جيشاً إلى ثغر ولا يغضى العين لأحد من أصحابه في مثل ذلك على غدر، وأن يسلم سبعة من حصون الروم برساتيقها ومزارعها أهلة عامرة [167] وأن يفي بقيّة ما عاش بجميع ما قرّر معه واشترط عليه.

وأما ما شرط له فالتخلية عن سبيله وحمايته من الأيدي الخاطفة حتى يخرج هو ومن في صحبته موفورين من البلاد التي تضمّها مملكة صمصام الدولة وأن يكون أمر الحصون إذا سلّمها مجرى العادة المستمرة في حراسة أهلها وإقرارهم على أملاكهم وحقوقهم وإجرائهم في المعاملات والجبايات^(٢) على رسومهم وطقوسهم^(٣).

واستوثق من أخيه قسطنطين ومن ابنه أرمانوس بمثل ما استوثق منه

١. والمثبت في الأصل: بأرقابهم.

٢. وفي الأصل: والجبايات.

٣. والمثبت في مد: طسوقهم.

وكتب بذلك كتب وسجلات استوذن الخليفة الطائع لله فى إمضائها فأذن فيها وأمر بإحكام قواعدها ومبانيها.
فلما استقرت القاعدة أفرج عنه وحمل إليه مال وثياب وجلس صمصام الدولة للقاءه.

ذكر ترتيب جلوس صمصام الدولة بحضور وزد

قال صاحب التاريخ : عهدى بصمصام الدولة وجلس حتى يلقاه وزد ويشاهده ويخدمه ويشكره وقال : كان الوقت شتاء والدار ومجالسها مملوءة بالفرش الجليلة وستور الديباج النسيجة معلقة على [168] أبوابها وغلمان الخيل بالبزة الحسنه والأقبية الملونة وقوف سباطين بين يدي سدة وكانت قد نصبت فى السدلى الذهب الذى تفتح أبوابه إلى البستان وإلى بعض الصحن، والديلم من بعدهم على مثل ترتيبهم وزيمهم إلى دجلة.
وعبر ورد وأخوه وابنه فى زيزب أنفذ إليهم يمشون بين السباطين إلى حضرة صمصام الدولة وبحضرته كوائين من ذهب موضوعة فيها قطع العود توقد. فلما قرب منه ورد طأطأ رأسه قليلاً وقبّل يده، ووضع له كرسي ومخذة فجلس عليهما.

وسأله صمصام الدولة عن خبره فدعا له وشكره بالروصية^(١) والترجمان يفسر عنه وله. وقال قولاً معناه :

« قد تفضلت أيها الملك ما لا أستحقّه وأودعت جميلاً عند من لا يجهله، وأرجو أن يعين الله على طاعتك وتأدية حقوق فعلك. »
وقام ومشى الحجاب والأصحاب بين يديه كفعلهم عند مدخله وعبر فى

١. كذا: بالروصية. وفى المواطن الآتية: الروصية.

الزيزب إلى داره.

ذكر ما جرى عليه أمر ورد

بعد إصعاده من بغداد [169]

لَمَّا تَوَجَّهَ تَلْقَاءَ بَلَدِهِ اسْتَمَالَ كَثِيرًا مِنَ الْبَوَادِي وَأَطْمَعَهُمْ فِي الْعَطَاءِ وَالْإِحْسَانِ وَأَخَذَ فِي الْمَسِيرِ حَتَّى نَزَلَ عَلَى مَلْطِيَّةٍ وَبِهَا كَلِيبٌ عَامِلًا لِمَلِكِي الرُّومِ عَلَيْهَا وَكَلِيبٌ مِنْ أَصْحَابِ وَرْدٍ - كَمَا قَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ فِي الْمَشْرُوحِ الَّذِي وَجَدَ بَخْطَ ابْنِ شَهْرَامٍ - فَأَطَاعَهُ وَحَفِظَ عَهْدَهُ وَسَلَّمْ إِلَيْهِ مَا كَانَ مَعْدًّا عِنْدَهُ فَلَمَّ بِهِ شَعْتَهُ وَقَوَّى بِهِ حَزْبَهُ وَعَمَلَ عَلَى الْمَسِيرِ إِلَى وَرْدِيسَ بْنِ لَوْنٍ مَظْهَرًا حَرْبَهُ.

فَتَرَدَّدَتْ بَيْنَهُمَا رِسَائِلٌ انْتَهَتْ إِلَى تَقْرِيرِ قَاعِدَةٍ فِي الصَّلْحِ عَلَى أَنْ يَكُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةً وَمَا وَالَاهَا مِنْ جَانِبِهَا لُورْدِيسَ بْنِ لَوْنٍ وَمَا كَانَ مِنَ الْجَنَابِ الْآخَرِ مِنَ الْبَحْرِ لُورْدٍ وَاتَّفَقَا بَعْدَ تَوْكِيدِ الْأَيْمَانِ بَيْنَهُمَا عَلَى الْإِجْتِمَاعِ. وَسَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلْقَاءِ صَاحِبِهِ فَاجْتَمَعَا عَلَى مِيعَادٍ، فَلَمَّا تِمَكَّنَ مِنْهُ ابْنُ لَوْنٍ قَبْضَ عَلَيْهِ.

ذكر غدر ورديس بن لاون بورد وقبضه عليه

ثم مراجعته الحسنى بالإفراج عنه

كَانَ وَرْدٌ قَدْ وَثِقَ بِمَا أَكَّدهُ مِنَ الْعَهْدِ الَّتِي أَطْمَأَنَّ إِلَيْهَا وَاعْتَقَدَ وَرْدِيسَ [170] بِالْبَدِيهَةِ أَنَّهُ فُرْصَةٌ قَدْ قَدَّرَ عَلَيْهَا فَغَدَرَ بِهِ وَقَبِضَ عَلَيْهِ وَحَمَلَهُ إِلَى بَعْضِ الْقَلَاعِ.

فَلَمَّا رَاجَعَ رَوِيَّتَهُ عَلِمَ أَنَّهُ أَقْدَمَ عَلَى خَطَّةٍ شَنْعَاءَ تَبْقَى عَلَيْهِ سَعَةُ الْغَدْرِ وَتَجَلَّبَ إِلَيْهِ وَصَمَةٌ فِي الذِّكْرِ وَأَجْرَى إِلَى فَعْلِهِ نَكْرًا يَنْفِرُ كُلُّ قَلْبٍ عَنْ

معاهدته ويحمل كل قريب على مباعده. فاستدرك الأمر بتعجيل الإفراج عنه والإعتذار إليه وتجديد الموائيق معه، فعادا إلى ما كانا عليه من الألفة والاتفاق ودفعاً لأسباب الفرقة والشقاق.

وانصرف ورديس فنزل بإزاء قسطنطينية منازل لباسيل وقسطنطين ملك^(١) الروم، وقد اجتمعت الكلمة عليه وانضوى العساكر وأهل البلاد إليه، وبقي الملكان في قل من الناس متحصنين بالمدينة ويحصينها.

ذكر تدبير لملكي الروم عاد به أمرهما إلى الاستقامة بعد الإضطراب

لما انتهت الحال منهما إلى الضعف راسلا ملك الروسية واستنجدها. فاقترح عليهما الوصلة بأختهما، فأجاباه إلى ذلك وامتنعت المرأة من تسليم نفسها إلى من يخالفها في دينها. وتردد من الخطاب في ذلك ما انتهى إلى [دخول] ملك الروسية في النصرانية وتتمت الوصلة معه وهديت المرأة [171] إليه فأنجدهما من أصحابه بعدد عديد وهم أولو قوة وأولو بأس شديد.

فلما حصلت النجدة بقسطنطينية عبروا البحر في السفن للقاء ورديس وهو يستقلهم في النظر ويهزأ بهم: كيف أقدموا على ركوب الغرر. فما هو إلا أن وصلوا إلى الساحل وحصلوا مع القوم على أرض واحدة حتى نشبت الحرب بينهم واستظهر فيها الروسية وقتلوا ورديس وتفرقت جموع عساكره.

وثاب أمر الملكين إلى الاستقامة والاعتدال واشتد ملكهما بعد التضعع والإنحلال وراسلا ورداً واستمالاه وأقرّاه على ولايته. فأقام على جملته

مديدة ثم توفى وقيل: إنه سُم.

وتقدّم بسيل^(١) في الملك وظهر منه حسن سياسة وأضاء له رأى وقوة عزم وثبات قلب، حتى إنه صبر على قتال بلغر خمساً وثلاثين سنة يواقعهم ويواقعونه والحرب [لم تزل] بينهم حتى ظفر بهم وملك ديارهم وأجلى عنها الجَمّ الغفير منهم وأسكنها الروم بدلاً عنهم.

وشاع ذكره في عدله ومحبته للمسلمين وطال عهده^(٢) في بلادهم وملكه بالكفّ عن بلادهم وإحسان معاملته مع من يحصل في ممالكهم منهم. وفي هذه السنة همّ صمصام الدولة بأن يجعل على الثياب الأبريسميات والقطنيات [172] التي تنسج ببغداد ونواحيها ضريبة العشر في اتعامها.^(٣)

ذكر السبب في ذلك

كان أبو الفتح الرازي كثر ما يحصل من هذا الوجه وبذل تحصيل ألف ألف درهم منه في كلّ سنة.

فاجتمع الناس بجامع المنصور وعزموا على المنع من صلاة الجمعة وكان المدن تفتتن، فأعفوا من إحداث هذا الرسم.

مركز تحقيق كتاب فتوى الخوارزمي الفقيه

في انتحار المعذب

وفيها مات أبو العباس ابن سابور المستخرج تحت المطالبة بالتعذيب والمعاقبة. فقليل: إنه عرضت فتوى على أبي بكر الخوارزمي الفقيه مضمونها:

١. بسيل = باسيل.

٢. والمثبت في مد: أعده.

٣. في الأصل: انعامها.

- «ما يقول الشيخ في رجل مطالب معاقب قد ترددت عليه مكاره هؤنت عليه الموت، هل له فسحة في قتل نفسه وإراحتها مما تلاقيه.»
فكتب في الجواب :
- «إنه لا يجوز ولا يحل فعله، والصبر على ما هو فيه أدعى إلى تضاعف ثوابه وتمحيص ذنوبه.»
فلما انصرف حاملها، قال بعض الحاضرين لزهير بن أبي بكر :
- «هذه فتوى ابن سابور المستخرج.»
قال أبو بكر :
- «رُدُّوا حاملها.»
فردّوه، فسأله عنها، فأخبر أنها لابن سابور فقال أبو بكر :
- «قل له : إن قتلت نفسك أو أبقيت عليها [173] فعاقبتك إلى الخسارة ومصيرك إلى النار.»

حركة شرف الدولة من فارس طالباً للعراق

وفيها اتصلت الأخبار بحركة شرف الدولة ^(١) من فارس طالباً للعراق. فأخرج إليه أبو عبد الله محمد بن علي بن خلف رسولاً وسفيراً في تقرير الصلح.

فورد كتابه من الأهواز يذكر فيه : أنه صادف شرف الدولة بها فبلغ ما تحمّله من الرسالة فقبول بالجميل الدالّ على حسن النية، ووعد بإحسان السراح وضمّ رسول إليه ليقرّر أمر الصلح والصلاح.

١. وفي الأصل : سيف الدولة.

القبض على أبي الريّان

وبعد ذلك قبض على أبي الريّان حمد بن محمد وعلى أصحابه وأسبابه.

ذكر السبب في ذلك

كان أبو الحسن على بن طاهر قد استولى على أمور والده صمصام الدولة بحكم كتابتها، وعظمت حاله ومنزلته عندها وعند صمصام الدولة لأجل خدمتها.

وقد تقدّم القول بأنّ تملك النساء لأموال الدولة عائد عليها بعظيم الخلل، فلا يزال بهنّ النقض والإبرام حتى تزيغ القلوب وتزلّ الأقدام. وكان ابن طاهر هذا وأبو عبد الله ابن عمّه قد استوحشا من أبي الريّان، فأفسدا حاله عند صمصام الدولة واستعانوا بالسيدة عليه، وقرفاه بالميل إلى شرف الدولة وأنّ نفوذ^(١) ابن خلف لإصلاح [174] أمره معه، ومازالا يعملان الحيلة حتى تمّ القبض عليه.

ذكر ما جرى عليه أمر أبي الريّان

حضر الدار على رسمه وجلس ينظر فيما جرت عاداته بالنظر فيه. ومن غريب الاتفاق أنّه فقد خاتمه في تلك الحال ولم يعلم كيف سقط من يده وطلب فلم يوجد. ثم استدعى إلى حضرة صمصام الدولة وعدل به إلى الخزانة ووقع القبض عليه. فكانت مدة وزارته هذه سبعة أشهر وأياماً. واستولى أبو الحسن وأبو عبد الله ابن عمه على الأمور كان إليهما مصادر

١. وفي الأصل: نفوذ.

الأوامر في الأصول، ونصبها أبا الفتح ابن فارس وأبا عبد الله ابن الهيثم لمراعاة الفروع وكانا يحضران في حجرة لطيفة في دار المملكة ويوقعان بإخراج الأحوال وإطلاق الصكوك واستيفاء الأموال وجرت الحال على ذلك إلى أن زال صمصام الدولة.

وورد في أثر القبض على أبي الريان أبو نصر خواشاهه رسولاً عن شرف الدولة ومعه أبو عبد الله ابن خلف فتلقاه صمصام الدولة في خواصه وقواده وأكرمه. [175]

ذكر ما جرى عليه الأمر في وروده

قد كان أبو نصر هذا وأبو القاسم العلاء بن الحسن وأكثر الحواشي الذين مع شرف الدولة يحبون المقام بفارس لأنها وطنهم وبها أهلهم ونعمهم وفي جبلّة البشر حبّ الأوطان واختيار الثواء بين الأهل والإخوان.

وكان أبو الحسن محمد بن عمر يشير على شرف الدولة بقصد العراق وهم لا يتابعونه في الرأي على هذا الاتفاق، ويقولون: غرضه العود إلى مستقرّ قدمه والرجوع إلى بلده وأملاكه ونعمه وأنّ عضد الدولة منذ أعرض عن فارس وأقبل على العراق لم يكن له بال رخي ولا عيش هنيئ.

وكان شرف الدولة يوعبهم لهذا الأمر سمعاً ويحبّ المقام بشيراز طبعاً لأنّ، فيها مولده وبها منشأه ولما قيل:

بِلَادُهَا نَيْطَتْ عَلَى تَمَائِي وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تُرَائِيهَا

فلذلك كانت كلمة هذه الجماعة عنده قويّة ومشورتها لديه مقبولة مرضيّة. فلما ورد عليه ما ورد من كتب صمصام الدولة ووالدته وأبي الريان يبذل

الطاعة والبخوع بالتباعة والإذعان بإقامة الدعوة [176] والتظاهر بشعار النبابة، وجد هذا القول من قلبه قبولاً وأنفذ أبو نصر خواشاذة لإتمام هذه القاعدة رسولاً وأصحابته تذكرة تشتمل على التماس الخلع السلطانية واللقب وإقامة الخطبة وإنفاذ الأمير أبي نصر مكرماً واستدعاء آلات وفرش وخدم وجوار عازماً على القناعة بذلك. فلما حصل بالأهواز وأتته الدنيا طوعاً بإقبالها وألقت البلاد مفاتيح أقالها بدا له من ذلك الرأي فعزم على قصد العراق مصمماً وسار نحو بغداد متمماً. وسيأتي ذكر ذلك في موضعه بإذن الله تعالى.

شرح الحال في مسير شرف الدولة من فارس واستيلائه على الأهواز
وانصراف الأمير أبي الحسين عنها

لما عزم شرف الدولة على المسير من فارس كتب إلى الأمير أبي الحسين بالجميل والإحسان وبذل له إقراره على ما في يديه من الأعمال والبلدان وأعلمه أن مقصده بغداد لاستخلاص الأمير أبي نصر أخيه وأنه لا يحدث في الاجتياز في بلاده أمراً يضره أو يؤذيه.

فلم يقع هذا القول [177] من الأمير أبي الحسين موقع التصديق وعرض له من سوء الظن ما يعرض للشقيق.

واتفق أن والدته توفيت وهي بنت ملك ماناذر ملك الديلم ولها الحسب الصميم والخطر العظيم، وكانت تكاتب شرف الدولة وتجاهله وشرف الدولة يجعلها لبيتها الجليل ويراقبها لإذعان طوائف الديلم لها بالتبجيل. فلما مضت لسبيلها خلا سابور بن كردويه بالأمير أبي الحسين فثناه عن هذه الطريقة.

ذكر رأى أشار به سابور على الأمير أبي الحسين فى هذه الحال

قال له : إنَّ هذه الكتب الواردة هى على وجه الخديعة والمكر، وإذا اغتررت لم تأمن أن تحصل معه فى حبائل الأسر فما سار من فارس إلَّا لطلب الممالك جميعها والإحتواء على عاصيها ومطيعيها ولا يبدأ إلَّا بك ومالنا لا نحاربه ونقاتله ولنا من العسكر والعدة ما نقاومه ونماثله ؟ فأصغى إلى قوله وعمل لأمر المحاربة معدًّا، وشمر عن ساق المباينة مُجدًّا.

فبينما هو فى ذلك إذ ورد الخبر بنزول قراتكين الجهشيارى أرجان على مقدمة شرف الدولة ونزل شرف الدولة أرجان وسار قراتكين إلى رامهرمز. [178]

وتبرَّز الأمير أبو الحسين إلى قنطرة أربق وأنفذ أسفار بن كردويه إلى عسكر مكرم لضبطها وبدأ الديلم يتسللون إلى شرف الدولة لواءً وتقطعت الكلمة المجتمعة جذاذًا، وتخيَّز الغلمان الأتراك إلى جانب من العسكر ونادوا بشعار شرف الدولة. فأشرف الأمير أبو الحسين وسابور بن كردويه وأبو الفرج ابن خبيرة على أن يؤخذوا ويسلموا. فعرَّج الأمير أبو الحسين إلى فورة الإختلاط على الجبل وسار من ورائه طالباً صوب المأمونية وراسل سابور بن كردويه باللحاق به. فلحقه بعد هنات جرت له حتى خلص إليه، وثلاثهما أبو الفرج ابن خسره وتبعهما غلام من غلمان داره فسار هو ومن معه طالبين حضرة فخر الدولة حتى وردوا أصفهان.

فكتب منها إلى فخر الدولة وهو يومئذ بجرجان يشكو إليه أمره ويرجو منه نصره، وكتب فى جوابه وعدًّا لم يعقبه وفاء وأظهر له ودًّا لم يتبعه صفاء. ووقع له على الناظر بأصفهان بما قدره فى الشهر مائة ألف درهم فاجتمع

عنده بتطاول مقامه فلّ من الديلم الذين كانوا في جملته، وتبيّن له سوء رأى
فخر الدولة فألبس عليه أمره وضلّ طريق الصواب عنه.

ذكر تدبير سيّئ [179] ألقى

به نفسه إلى الهلاك

لما يش من صلاح حاله أظهر لمن كان بأصفهان من الأولياء ما لا حقيقة
له وأعلمهم أنّ بينه وبين شرف الدولة مراسلة استقرّ معها النداء بشعاره
والإنضواء إلى أنصاره واستمال قوماً من الجند المقيمين بها وعمل على
التغلّب على البلد.

وكان المتولى لتلك الأعمال أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبيّ^(١) ونذّر
الخبر إليه، فعاجل الأمر وقصد دار الأمير أبي الحسين في عدّة قويّة وأوقع
به وانهزم من كان حوله من ليفه وأسر هو وأبو الفرج ابن خُسْرَه واعتقلا في
دار الإمارة.

وأما أبو الفرج فإنه قتل من يومه، وأما الأمير أبو الحسين فإنه صُفد
وحمل إلى الري واعتقل بها مدّة يسيرة ثم نقل إلى قلعة بيلاد الديلم ولبت
فيها عدّة سنين.

فلما اشتدّت بفخر الدولة العلة التي قضى فيها نحيه أنفذ إليه من قتله.
ويروى له بيتان قالهما في الحبس وكان يقول الشعر وهما:

هَبِ الدَّهْرَ أَرْضَانِي وَأَعْتَبَ صَرْفُهُ
وَأَعْقَبَ بِالْحَسَنَى وَفَكَ مِنَ الْأَشْرَى

١. وترجمته في إرشاد الأريب ١: ٦٥ وليراجع فيه أيضاً ٢: ٣١١ - ٣١٠ (مد).

فَمَنْ لِي بِأَيَّامِ الشُّبَابِ الَّتِي مَضَتْ

وَمَنْ لِي بِمَا قَدَفَاتِ فِي الْحَبْسِ مِنْ عُمْرِي [180]

وسار شرف الدولة من أرجان ودخل الأهواز وقد تمهّدت الأمور فأطلق من كان اعتقاله الأمير أبو الحسين من أصحابه وقبض على أسفار وعبد العزيز ابن يوسف وعلى أصفهان^(١) على بن كامة الوارد معه، وأخرج العلاء بن الحسن إلى البصرة للقبض على الأمير أبي طاهر ابن عضد الدولة وعلى من كان في جملته من الخواصّ فقبض عليه وعاد العلاء بن الحسن بعد تقرير أمر البصرة وأعيد إلى شيراز للمقام بها.

واستدعى أبو منصور محمد بن الحسن ابن صالحان وعوّل على أبي نصر سابور^(٢) بن اردشير في مراعاة الأمور إلى أن يصل أبو منصور وأزمع شرف الدولة على المسير إلى العراق.

الطائع لله يبرز للتعزية

وفي هذه السنة ورد الخبر ب وفاة ابن مؤيد الدولة فجلس صمصام الدولة للعزاء وبرز الطائع لله لتعزيته.

قال صاحب التاريخ: عهدي بالطائع لله وهو في دسته منصوب على ظهر حديدي وهو لابس السواد والمعّمة الرصافية السوداء، وعلى رأسه شمسة وبين يديه الحجاب والمسودة^(٣) وحول الحديدي الأنصار والقراء والأولياء في الزبازب، وقد قدم إلى مشرعة دار المملكة من باب الميدان فنزل

١. في مد: أصفهان بن (بزيادة «بن»).

٢. وفي الأصل: ابن سابور.

٣. وفي الأصل: المسوّد.

صمصام الدولة إليه وقبّل الأرض بين يديه وردّه [181] بعد خطاب جرى بينهما فى العزاء والشكر.

ودخلت سنة ستّ وسبعين وثلاثمائة

فيها وقع الخوض مع أبى نصر خواشاذه فى إنجاز ما وعد به وإحكام قواعده ومبانيه، فأجيب إلى جميع ما تضمنته التذكرة إلّا إنفاذ الأمير أبى نصر، فإنّه أرجى أمره إلى أن يستبين أمر الصلح.

ذكر ما تقرر الأمر عليه مع أبى نصر خواشاذه فى ذلك

قرّرت أقسام الصلح على أقسام ثلاثة: قسم منها يعمّ الفريقين، وقسمان يخصّ كلّ فريق قسم منها.

فأمّا الأمر الذى يعمّ فهو: تألّف ذات البين حتى لا يدرك طالب نبوة مقصداً فى تنفير، وتصافى العقائد حتى لا يجد جالب وحشة مطمعاً فى تكدير، فإن ظهر عدوّ مباين لأحدهما ناضلاً جميعاً عن قوس الموافقة والمساعدة ودافعا المظاهرة والمعاضدة، وأن يمنع كلّ واحد من تعرّض ببلاد الآخر ولا يُطمع فيها جنداً ولا [182] يقطع منها حداً ولا يجير منها هارباً ولا يأوى متحيزاً أو متوازياً.

وأما ما يخصّ شرف الدولة: فهو أن يوفيه صمصام الدولة فى المخاطبة ما يقتضيه فضل السنّ والتقديم، ويلتزم من طاعته ما يوجبه حتى الإجلال والتعظيم، ويقيم له الخطبة على منابر مدينة السلام وسائر البلدان التى فى يديه ويقدم بعد إقامة دعوة الخليفة عليه.

وأما ما يخصّ صمصام الدولة: فهو أن يكفّ شرف الدولة عن سائر ممالك وحدودها ويمنع أصحابه كافة عن طرقها وورودها وأن يراعيه فى

كل أمر يستمدّ فضله فيه مراعاة الأخ الأكبر لأخيه وتاليه.
 وصدر كتاب المواضعة بالإتفاق على تقوى الله تعالى وطاعة الخليفة
 الطائع لله وامتنال ما أمرهما به من الألفة على الشروط المذكورة. وجعل
 على نسختين ختم أحدهما بيمين حلف بها صمصام الدولة معقودة بأن يحلف
 بمثلها شرف الدولة.

فلما تحرر ذلك جلس الطائع لله وحضر الأشراف والقضاة والشهود ووجوه
 أصحاب صمصام الدولة وأبو نصر خواشاذه وقرئ كتابه إلى شرف الدولة
 وزين الملة بالتلقيب والتقليد وسلّمت الخلع الكاملة واللواء.

ونذب أبو القاسم على بن الحسن الزينبي الهاشمي [183] وأحمد بن نصر
 العباسي الحاجب ودعى الحاجب للخروج من قبل الطائع لله بذلك وأبو على
 ابن محمان من قبل صمصام الدولة برسالة جميلة مشتملة على خفض
 الجناح والاستمالة إلى الصلاح والإذعان بالطاعة والولاء والترقيق بالرحم
 والإخاء وسارت الجماعة على هذه القاعدة المذكورة.

ووجد فيما خلفه أبو الحسن ابن حاجب النعمان^(١) نسخة أخرى بمثل
 الذي تقدم ذكره واتّصلت بها يمين، واشتمل آخرها على لفظ شرف الدولة
 بذلك، وأنه قد أُلزم ذلك وأشهد الله عليه به وحلف باليمين المذكورة فيه.
 وعلى ظهرها بخط أبي الحسن ابن حاجب النعمان :

«بسم الله الرحمن الرحيم: ثبت بحضرة سيدنا ومولانا الإمام الطائع لله
 أمير المؤمنين أطل الله بقاءه، وأعزّ نصره وأدام توفيقه وكبت عدوّه، ما تضمّنه
 الإتفاق المكتوب في باطن هذا الكتاب وصحّ عنده التزام شرف الدولة وزين
 الملة أبي الفوارس أمدّ الله تأييده، لصمصام الدولة وشمس الملة أبي كاليجار

مولى أمير المؤمنين أعزَّ الله نصره، ما شرح فيه بعد أن ألزم له مثله. فحكم مولانا أمير المؤمنين أعزَّ الله نصره عليهما به وجمعهما إلى الائتلاف عليه في طاعته وخدمته وقطع [184] به بينهما الفرقة والإختلاف.

وأمر بهذا التوقيع تأكيداً لما تصافيا عليه وإلزاماً لهما الوفاء به وأنعم بعلامة يخط يده الكريمة في أعلاه والحكم الشريف النبوى في منتهاه والله عون مولانا أمير المؤمنين على ما التزماء وتوخياه.

«وكتب على بن عبد العزيز بالحضرة الشريفة وعن الإذن السامى والحمد لله حمد الشاكرين.» علامة الطائع لله: «الملك لله وحده» نقش الخاتم فى الإسرنجة^(١) المسك والعنبر: «الطائع لله».

وأمر هذه النسخة عجيب لأن هذا الصلح لم يتم وما عاد به أبو نصر خواشاه ونفذ فيه أبو على ابن محمان لم يلتئم، وربما يكون ذلك فيما كتب بالأهواز وأنفذ إلى بغداد ثم انتقض والله أعلم.

ذكر ما جرى عليه أمر الرسل الخارجين إلى شرف الدولة انحدرت الجماعة إلى واسط ومدبرها قراتكين الجهشيارى. فأكرمهم الكرامات الوافية وأقام لهم الإقامة الكافية وسار أبو على طريق الظهر.

فورد كتاب شرف الدولة فى أثر ذلك إلى قراتكين بالقبض عليه وحمله إلى الأهواز. فركب فى جماعة من [185] الغلمان متبعاً له فلحقه بياذيين^(٢) وقد نزل بها، فقبض عليه وعلى جميع ما صاحبه مما كان حمل إلى شرف الدولة، وردّه إلى واسط واعتقله. ثم أنفذه وما كان معه على طريق البصرة.

١. لعله: إسرنجة (دون الألف واللام).

٢. باذيين: قرية كبيرة كالبلد تحت واسط على ضفة دجلة (مراصد الإطلاع).

وتوجّه أبو نصر خواشاده في الماء إلى البصرة مع رسل الطائع لله وتمّم منها إلى حضرة شرف الدولة فوجده وقد تغيّر عما فارقه عليه من حاله، وانقادت له الأمور انقياداً ألواه عمّا كان مائلاً إليه.

وخلا به أبو الحسن محمد بن عمر فثناه إلى ما أراد، فلم يكن لأبي نصر موضع قول إلّا فيما علّاء بناء هذه الرأي وشيّد.

وقد كان العمّال والمتصرفون مضوا إلى شرف الدولة من كلّ بلد من أعمال العراق وتقدّم أبو عليّ التميمي من واسط وتلاه أبو عبد الله ابن الطيّب من النهروانات وأبو محمد الحسن بن محمد بن مكرم من الكوفة. وقصد الناس حضرته على طبقاتهم من كلّ فجّ عميق ووافاه الديلم والأترار فوجاً بعد فوج وفريقاً أثر فريق. وكان نفوذ قراتكين الجهشياري إلى واسط على مقدمته بعد وصول أبي عبد الله ابن الطيّب فضمّه إليه ناظراً في البلد وأعماله ومقيماً لنفقات قراتكين الجهشياري ورجاله.

فعدّ ابن الطيّب جناحه على الأعمال ويده إلى [186] الأموال. فلمّا حصل [أبو] محمد ابن مكرم بالأهواز كثرت الأقوال على ابن الطيّب فيما أخذه من النهروانات عند مفارقتها لها وبواسط عند حصوله بها، أخرج أبو محمد ابن مكرم للقبض عليه والنظر بواسط.

مركز تحقيق تكملة علوم اسلامی

ذكر ما جرى الأمر عليه في ترتيب القبض على ابن الطيّب

وإخفاء الحال فيه إلى أن تمّ

أنفذ أبو محمد من الأهواز وفي الظاهر أنّه رتب في إقامة المير لشرف الدولة وعساكره بين الأهواز وواسط وفي الباطن قرّر معه النظر بواسط والقبض على أبي عبد الله ابن الطيّب وإخوته، فأصبح كتباً باطنة وظاهرة بذلك.

فلما حصل بواسط واجتمع مع قراتكين وواقفه على ما ورد فيه قبض على الجماعة الحاضرين والغائبين في يوم واحد بتدبير دبره وبقوم قدم إنفاذهم إلى كل من عاتبا على ميعاد قرّره ومقدار وقته.

ورأى أن يسلك مع أبي عبد الله على طريق المياسرة والمقاربة، فأحتسب له بجميع الظاهر [187] المأخوذ منه في جملة مال المطالبة واعتمد مع إخوته إظهار بعض التشديد والإستقصاء ثم سهّل أمورهم عند التحقيق والإستيفاء وعلم أنّ أعمال السلطان عواريّ، فتساهل وقارن وجامل وقارب.

فمن أحسن فإنما يحسن لنفسه ومن أساء إنّما يسيء إليها، والعارية في الحالين مردودة، وأيام لبثها عند المعار معدودة، ومهما سلّكه الإنسان من طريق فنجاحه فيه بهداية وتوفيق.

ذكر مسير شرف الدولة من الأهواز

لما استتبّت له الأمور بواسط

سار إليها في عساكر كثيرة بالجموع الظاهرة التجلّ و كانت زينته وأهيبته في صاحته^(١) من كل نوع على أحسن ما شوهد فقليل: إنّ جماله كانت ثلاثة عشر ألف رأس وجمال عسكره أكثر من هذا العدد وغلمان خيوله مع الخدم ألف وثمانمائة ما بين غلام وخادم إلى ما يتبع ذلك ويشاكله من كلّ ما يكون للملوك المخولين والولاطين الممولين.

يقول صاحب التاريخ هذا القول ويستكثر هذا القدر. ولو أدرك هذه الدولة القاهرة ورأى سلطانها وغلمانها وأركانها [188] وعدّتها ورجالها وزينتها وأموالها لعلم أنّ الذي استكثره في قبيل الإقلال، ولأقرّ أنّ البحر لا يقاس

١. كذا في مط: صاحته. وهي أرض لا تنبت شيئا.

بالأوشال.

فلما استقرّ شرف الدولة بواسطة سار قراتكين إلى دير العاقول ولما أُجلت الأحوال بمدينة السلام حذر بالأمير أبي نصر ابن عضد الدولة إلى حضرة شرف الدولة مع غلام من الخواص.

وزادت أمور صمصام الدولة اختلالاً وتناقصت حالاً فحالاً، وشغب الديلم حتى أحاطوا بداره مطالبين بالمال ورفعوا سجف المراقبة ونادى سلاشوخ بشعار شرف الدولة، وثار العامة في عرض هذه الفتنة وكبسوا حبس الشرطة فأطلقوا من فيه، وآذنت^(١) دولته بزوال وعقدته بانحلال ولم يزل الأولياء والحواشي والنظار والعمّال يصيرون إلى حضرة شرف الدولة بالأهواز وبواسطة من غير احتشام ويقدمون من غير احجام. فلما رأى صمصام الدولة ووالدته وأبو حرب زيار وفولاذ بن ماناذر ما قد انتهى الأمر إليه، أجالوا الرأي بينهم.

ذكر رأى شديد رآه زيار في تلك الحال وأشار به

على صمصام الدولة فلم يعمل به [189]

أشار بالإصعاد إلى عكبرا ليعرف بذلك من هو معهم ممن هو عليهم ويتميز الآنس بهم من النافر عنهم. وقال :

« إِنَّ الْجِيلَ كُلَّهُمْ فِي طَاعَتِنَا مَخْلُصُونَ وَفِي سَلْكِنَا مَنْخَرُطُونَ وَلَا بَدَّ مِنْ أَنْ يَنْضَافَ إِلَيْهِمْ قَوْمٌ آخَرُونَ فَإِنْ رَأَيْتُمْ عَدَّتْنَا كَثِيرَةً وَشَوَّكْتْنَا قُوَّةً بِحَيْثُ تَتَكَافَى فِي الْمَقَارَعَةِ أَخْرَجْنَا مَا فِي أَيْدِينَا مِنَ الْمَالِ وَأَطْلَقْنَاهُ لِلرِّجَالِ، وَإِنْ ضَعَفْنَا عَنِ الْقِرَاعِ وَعَجَزْنَا عَنِ الدِّفَاعِ تَمَمْنَا إِلَى الْمَوْصِلِ وَيَنْضَمُّ أَبُو الْقَاسِمِ سَعْدُ الْحَاجِبِ وَمِنَ الْعَسَاكِرِ إِلَيْنَا وَيَكْثُرُ جَمْعُنَا وَيَقْوَى أَمْرُنَا. فَإِنَّ الدِّيلِمَ

١. والمثبت في مد: أذن. آذن بالشئ: أعلم به.

والأتراك سيكثرون عند شرف الدولة ثم لا يزال بهم التنافس والتحاسد حتى يحدث بينهم التباين والتباعد وبإزاتهم منك ملك تعلق به آمالهم وتطمح نحوه أبصارهم وهي الأيام والغير والقضاء والقدر والأمر يحدث بعده الأمر.»

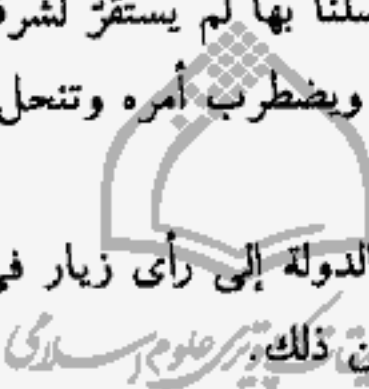
ذكر رأى آخر سديد أشار به فولاذ فلم يقبل منه

قال فولاذ:

- «الصواب المسير إلى قرميسين والحصول فى أعمال بدر بن حسنويه ومكاتبة فخر الدولة - وكان فى صلح صمصام الدولة [190] بحسب ما نسجه ابن عباد بينهما - واستعداد عسكر والمسير على طريق أصفهان إلى فارس والتغلب عليها.»

وفىها آخر:

«اين شرف الدولة وذخائره؟ فليس بإزائنا فى تلك الأعمال أحد يقاومنا ويدافعنا، وإذا حصلنا بها لم يستقر لشرف الدولة قدم بالعراق ولم يستمر له أمر على الإتساق ويضطرب أمره وتنحل قراه وينزل فى الصلح على حكم اختياره ورضاء.»

فمال صمصام الدولة إلى رأى زيار فى الإصعاد ووقع الشروع فى ترتيب أسبابه ثم بدا له من ذلك  

ذكر رأى خطأ استبد به صمصام الدولة

فى إسلام نفسه إلى شرف الدولة

لما رأى الخرق قد اتسع والأمر قد التبس ضاق صدره وقل صبره. وكل ملك لم يكن صدره فى النائبات رحباً وصبره فى الحادثات عتيداً ونفسه فى المعضلات مديداً أو شك أن يضمحل شأنه ويولّى زمانه.

فعمل على أطراح ذلك كله والإنحذار إلى شرف الدولة ونزل إلى زبزه^(١) مستبداً برأيه غير ناظر في بصائره ووارداً على أمر غير [191] عالم بمصادره. فلما حصل تحت روشن^(٢) زيار قدم^(٣) إلى فئائه وتقدم باستدعائه فنزل إليه وعنده أنه يصعد إلى داره. فلما لم يبصر لصعوده أثراً قال :

- «إلى أين أيتها الملك؟»

قال : «إلى أخى.»

قال : «أوقد تغير رأيك عما كنا عليه.»

قال : «نعم.»

قال : «لا تفعل فإن الملك عقيم والخطب عظيم، والملوك لا تصل أرحامها ولا ترعى للقريبى ذمامها، وفي إسلام النفوس أخطار وحسن الظن في مثل هذه المواطن اغترار، فراجع فكرك وتبصر أمرك.»

فقال له : «ما أرى لنفسى رأياً صواباً إلا ما عملت عليه.»

قال له : «خار الله لك.»

ثم قال له صمصام الدولة :

- «فعلى ماذا عملت أنت؟»

قال : «إذا كنت قد رأيت ذلك رأياً وأنت أنت لم أرغب بنفسى عن نفسك، ولم يكن خوفى أعظم من خوفك.»

فقال له : «أما أنت فلا أرى لك أن تضع يدك في يد شرف الدولة.»

وودّعه وانحدر.

فلما قرب من معسكر شرف الدولة وقد خيم بنهر سابس أنفذ من يؤذن

١. الزبزب : ضرب من السفن.

٢. الرّوشن : الكوة . فارسيّة .

٣. والمثبت في مد : قدّم ، بتشديد الدال .

بوصوله. فوافى أبو نصر خواشاذه في زيزب وقرب من زيزبه وخدمه. ثم قال له :

- «الملك يتعرّف خبر الأمير، والحمد لله على ما وفّقك من هذا العزم الذي يبلغ فيه مراده.»

ثم صار إلى المشرعة وهناك دابة قد قدّمت لأجله [192] فركبها ونزل عند خيمة شرف الدولة وهو واقف ينتظره وبين يديه حواشيه وخواصّه وقد ارتجّ المعسكر بالخبر.

فلما وصل إليه قبل الأرض ثلاث مرّات بين يديه وقرب منه. فقبل يده فسأله شرف الدولة عن حاله في طريقه فاستصوب رأيه في وروده. فأجابه صمصام الدولة جواباً شكره فيه وأراه قوّة نفسه به. فوقف قليلاً، ثم قال له شرف الدولة :

- «تمضى وتغيّر ثيابك وتتودّع من تعبك.»

فخرج من حضرته وحمل إلى خيمة وخرّكاه قد ضربتا له بغير سرّادق وفي صدر الخرّكاه ثلاث مخادّ. فدخل وجلس على المخدّتين وأطرق إطراق الواجم وأبصر أمر غلظه، فبان عليه أسف النادم.

وأخرج أبو العيسن نحرير وأبوبكر البازيار إلى بغداد للأحتياط على ما في دار المملكة والخزائن والإصطبلات.

ذكر ما جرى عليه أمر زيار وفولاذ

لما انحدر صمصام الدولة ولم يبق لهما ملجأ أعيتهما الحيل وضائق بهما السبل فحدّثا نفوسهما بالإنحذار ووقع في قلوبهما حسن [193] الظنّ لتبيّن مواقع الأقدار، فغابت عنهما الآراء وظلّت عليهما تلك الأنحاء.

وقام الرشيد فانحدر بعد صمصام الدولة على الأثر وحملّا أمرهما على

الغرر، فأما زيار، فإنه قُبِضَ عليه بعيد وصوله وقتل. وأما فولاذ، فاعتُقِلَ ثم حمل إلى قلعة نهر.

وسار أبو على التميمي من دير العاقول إلى مدينة السلام بعد انحذار صمصام الدولة فدخلها وسكَّنَ البلد. وورد شرف الدولة ونزل الشفيعي في شهر رمضان واجتمع في عسكره من الديلم الواردين والمقيمين تسعة عشر ألف رجل ومن الأتراك ثلاثة آلاف غلام فاستطال الديلم على الأتراك ف وقعت بينهم مناوشة.

ذكر الفتنة التي جرت بين الديلم والأتراك

كان الديلم قد أعجبهم كثرتهم وغرَّتْهم قوَّتْهم فجرت منازعة بين نفر من الطائفتين في دار واصطبل جرَّت خطباً عظيماً:

فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تُذَكَّى وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوَّلُهَا كَلَامٌ^(١)

فاجتمع الديلم بالحلبة وركب الغلمان وجرت بينهم حرب كانت [194] اليد فيها للديلم. وقيل: إنهم ذكروا صمصام الدولة وهموا بانتزاعه.

مركز تحقيق كاميون علوم إسلامي

ذكر اتفاق سلم به صمصام الدولة من القتل

بعد إشرافه عليه

قال أبو منصور أحمد بن الليث: حدَّثني صمصام الدولة قال: كنت في خركاه بالشفيعي وليس بيني وبين شرف الدولة إلا لِبْدُها وثوب

خيمة تجاورها، وقد ثارت الفتنة وذكُرت في الديلم، فسمعت تحرير الخادم يشير على شرف الدولة بقتلى ويقول:

«نحن على شرف أمر عظيم فما يؤمننا أن يهجم الديلم علينا وينتزعونه من أيدينا فيصير إلى الملك ونصير إلى الأسر.»

وشرف الدولة يمتنع عليه وعلى من كان يشدّ رأيه فلما زاد الأمر أقيماً على باب الخركاه التي كنت فيها غلام بسيف وأظنه وصّى بقتلى إن هجم الديلم فارتعت وأقبلت على القراءة في مصحف كان في يدي، واستخلصت في الدعاء إلى الله تعالى بالخلاص، ففضل الله بالسلامة وتفرّق جمع الديلم.

ذكر تفريط جرى من [195] الديلم في هذه الحرب

حتى آل أمرهم إلى التشرّد والهلاك

كان الإستظهار للديلم على الأتراك في أول الأمر، لأنهم أفلتوا من أيديهم مؤلّين. فحملهم الحنق والطمع فيهم حين قلّوا في أعينهم على تتبع آثارهم وتشوّشت مصافهم والديلم إذا اضطربت تعبيتهم بانت عورتهم. فوجد الأتراك مجالاً من ورائهم وأمامهم فحملوا عليهم من وجوههم وظهورهم. وكانت الدائرة على الديلم ولم يمض إلا ساعة حتى قتل منهم زهاء ثلاثة آلاف رجل وكثر الغلمان إلى البلد فنهبوا دُورهم واحتوا على أموالهم وقتلوا كل من أدركوه منهم، وتشرّد الديلم فبعض أصعد إلى عكبرا وبعض مضى إلى جسر النهر وان، ولاذ الأكثر منهم بخيم شرف الدولة.

وبان سداد الرأي الذي كان رآه زيار لصمصام الدولة في الإصعاد إلى عكبرا. فلو أنه قبل منه لكان مع هذه الفتنة قد ثاب أمره إلى الصلاح لكن القدر غالب والتسليم للقضاء واجب.

ودخل شرف الدولة [196] في ثاني هذا اليوم والديلم اللائذون به قد

أحدقوا بركابه ونزل في المضارب تحت الدار الملكية.
وركب الطائع لله في غد في الحديدى مهنتاً له بالسلامة، وتلقاه شرف
الدولة إلى آخر دار الفيل، فقَبِل الأرض بين يديه وعاد الطائع لله إلى الدار.
ووقع الشروع في إصلاح ما بين الديلم والأتراك فيسر الله إتمامه وأخذت
العهود على الطائفتين فتصالحوا وتواهبوا وتهذبت الأمور وجرت على الإرادة
وكان ذلك من أقوى دلائل الإقبال والسعادة.

ذكر جلوس شرف الدولة للتهنئة وما جرى أمر

صمصام الدولة عليه في الإعتقال

لَمَّا حضر عيد الفطر جلس شرف الدولة جلوساً عاماً، ودخل الناس على
طبقاتهم. وجاء صمصام الدولة فقَبِل الأرض بين يديه ووقف من جانب
السريـر الأيمن وجاء بعده الأمير أبو نصر ابن عضد الدولة وفعل مثل ذلك
ووقف. وحضر الشعراء فأنشدوا، وعَرَّض بعضهم [197] بذكر صمصام الدولة
بما فيه غميرة عليه، فأنكر شرف الدولة ذلك ونهض من المجلس.

ولم يُعرف لصمصام الدولة خبر بعد ذلك الموقف حتى قيل: إنه حمل إلى
فارس فاعتقل في القلعة وسيأتى ذكر ما جرى عليه الأمر في كحله، ثم عود
الملك إليه بفارس في موضعه، بأذن الله.

ولَمَّا حصل شرف الدولة بمدينة السلام سأل عن أبي الريان وطُلب فوجد
ميتاً مدفوناً بقيوده في دار أبي الهيجاء عتبة بن عتاب الحاجب، وكان سلم
إليه بعد القبض عليه وأمر بقتله فقتله. فأخرج من مدفنه وسُلم إلى أهله.

وفي هذه السنة ورد الخبر بوفاة أبي القاسم المظفر بن علي الملقب
بالموفق أمير البطيحة واستقرار الأمر بعده لأبي الحسن علي بن نصر بالعهد
الذي عهده إليه حسب ما تقدّم ذكره، وكتب إلى شرف الدولة ببذل الطاعة

والخدمة ويسئل التقليد والتلقيب والخلع. فأجيب إلى ذلك جميعه ولقب بالمهذب، أولاً ثم بمهذب الدولة، من بعد.

ذكر استقرار الإمارة بالطيحة على الملقب بمهذب الدولة [198]

لما توفي المظفر انتصب أبو الحسن علي بن نصر في موضعه. وكان أبو الحسن علي بن جعفر يفوقه في كثير من الخلال سخاء وشجاعة وأبوة ولكنه قدّمه ووطئ عنقه تمسكاً بالوصية التي أحكم المظفر عقدها وقلدها عهداً. وكان مع تقديمه إياه ينزل نفسه منه منزلة المشارك في الأعمال والمشاطر في الأموال. فأبقاه علي بن نصر وقاربه وأفرد له النواحي الكثيرة والمعاش الجليّة، وخلق بينه وبين ارتفاعها.

واستمرت الحال على ذلك [إلى] أن توفي علي بن جعفر فارتجع علي بن نصر ما كان في يديه سوى أملاكه الصحيحة فإنه أقرها على ولديه. وتدرّجت الأحوال لعلي بن نصر الملقب بمهذب الدولة في أفعاله الرضيّة إلى الرتبة العلية حتى عظم قدره وسار ذكره واستجار به الخائف فأجاره بأمانه ولاذ به المهوف، فوطأ له كنف إحسانه وسلك بالناس طريقة جميلة في العدل والإنصاف وصارت الطيحة معقلاً لكل من قصدها من الأطراف واتخذها الأكابر وطناً فبنوا فيها الدور وشيّدوا فيها القصور، وقصدها المسترفد^(١) [199] والشعراء من كل صوب وفجّ إلى بابه، فأوسعهم جوداً ونوالاً وإكراماً وإفضالاً.

وكاتب ملوك الأطراف وكاتبوه وقاربهم وقاربوه وزوّجه بهاء الدولة ابنته

١. قال في حواشي مد: «لعله سقط شيء، ولم يسقط.

ونقلها إليه، واستعان به في عدة أوقات فأعانه واستدان منه فأدانه، وخطب له بواسط والبصرة وأعمالها وصرفت إليه الدنيا أعنة إقبالها. وتوَّجت الأيام مفرق مفاخره بمقام القادر بالله رضوان الله عليه في جواره فضاعفت له هذه المنقبة حسباً وصارت له إلى استحقاق المدح سبباً ولولا كرم نفسه وخيرها لما مدحت البطيحة ولا أميرها:

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَّدَتْ عِصَاماً وَعَوَّدَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِقْدَامَا

وهذه عقبى أفعال الخير، فإنها تبلغ بصاحبها درجة تُوفى على آماله وتنتهى به إلى منزلة لا تخطر بباله. فالسعيد من قَدَّم عملاً صالحاً لأخراه وخَلَّف ذكراً جميلاً في دنياه. وسيأتى ما تصرَّفت به الأمور في مواضعه بعون الله تعالى وحسن توفيقه.

ذكر ما اعتمده شرف الدولة من الأفعال [200]

الجميلة عند استقراره بمدينة السلام

رَدَّ على الشريف أبي الحسن محمد بن عمر جميع ما كان له في سائر البقاع من الأملاك والضياع، وجَدَّدَ عنده آثار النعمة والاصطناع. فاستضاف ضياعاً إلى ضياعه وتضاعفت موارد ارتفاعه، فكان خراج أملاكه في كل سنة ألفي ألف وخمسمائة ألف درهم يصحبها في ديوان السلطان، وناهيك بذلك ثروة حال وكثرة استغلال.

وردَّ على الشريف أبي أحمد الموسوى أملاكه وأقرَّ ابن معروف على قضاء

القضاة وراعى لكل من الكتاب والمتصرفين معه^(١) وادّر عليه معيشة ورزقة ورفع أمر المصادرات وقطع أسباياها وردم^(٢) طرق السعايات وسدّ أبوابها.

ذكر اتفاق عجيب دلّ على حسن نيّة وعاد بصرف أذيّة

ذكر أبو الفضل مهيار بن حاتم المجوسى أستاذ الدار أنّه سلّم إلى شرف الدولة [201] مدرجاً فيه سعاية، فوقف عليه وطواه وتركه على كرسيّ مخادّه ونهض من مجلسه وانسيه. فلما كان بعد أيام ذكره فقال لى :

« يا بالفضل، امض الى ذلك المجلس واطلب مدرجاً تركته هناك. »

فمضيت إلى المكان فلم أجده، وسألت عنه فلم أعرف خبره. فعدت إليه فأخبرته فشقّ عليه وشدّد علىّ في الكشف عنه. فخرجت من بين يديه وأنا قلق لما رأيت من شغل قلبه، وأحضرت كلّ حاضر فى الدار وغائب عنها من الحواشى والفراشين وبالغت فى الوعيد والتهديد وكدت أوقع ببعضهم.

فبينما أنا فى ذلك إذ حضر فراش ومعه قطعة من قرطاس وقال :

« وجدت الغزلان عند المخادّ وقد أكل أكثره وبقيت منه بقيّة هي هذه. »

فدخلت إلى شرف الدولة وشرحت له ما قال الفراش وأريسته القطعة الموجودة. فلما تأملها سرى عنه وقال :

« هذه قطعة من المدرج وقد كنت عازماً على تعفية أثره لئلا يقف أحد

على خبره. فإذا كان الغزال قد كفانا أمره فقد أراد الله تعالى بذلك صرف الأذى عن الناس، ولعن الله الشرّ وأهله. »

فانظر إلى آثار الخير ما أحسن موضوعها، وأصغ إلى أخبار العدل ما

١. لعلّه : حقّه.

٢. والمثبت فى مد : وذمّ. والتصحيح من اقتراح مد.

أطيب مسموعها، وقسها بضدها من الشر والظلم [202] تجد لهما منظراً فظيماً ومسمعاً شنيعاً. فطوبى لمن حكم في التمييز سمعه وبصره، ثم وُفق في الاختيار للأحسن وتتبع أثره.

ونظر أبو نصر سابور بن اردشير في الأعمال والمعاملات وغمس يده فيما انحلّ عن الديلم من الإقطاعات ونظر في الأمور ونقّذها إلى حين ورود أبي منصور محمد بن الحسن بن صالحان على ما يأتي ذكره.

ودخلت سنة سبع وسبعين وثلاثمائة

فيها ورد الأمير أبو منصور وتلقاه الناس كافة من مدينة السلام إلى المدائن. ثم تلقاه شرف الدولة إلى الشفيعى فدخل البلد على غاية الإكرام. وانتظمت الأمور على يديه كل الانتظام وطالب العمال بعمل المصالح وأخذهم بإقامة العمارات ووجد الأسعار متزايدة والأقوات متعذرة فرتب نقل الغلات من بلاد فارس في البحر وجدّ في حملها من كل بلد. واستتر سابور ابن اردشير مدة، ثم توسط أبو بكر الفَرَّاش حاله على أخذ الأمان له من أبي منصور فأمنه.

مركز تحقيق تكويت مركز علمي
ذكر بعض أخلاقه وطرائقه [203]

كان الغالب عليه فعل الخير وإيثار العدل وحسن الطريقة في الدين. فإذا سمع الأذان بالصلاة ترك جميع شغله ونهض من مجلسه لأداء فرضه، ثم عاد بعد ذلك إلى أمره.

قال صاحب التاريخ:

«ما رأينا وزيراً دبر من المعالك ما دبره، فإن مملكة شرف الدولة أحاطت بما بين الحد من كرمان طولاً إلى ديار ربيعة وبكر، وعرضاً إلى

الإحساء والرقّة والرحبة وحلوان.

وكانت له تجارات وحمولات بنيسابور تقبل توقيعاته عليها في المعاملات وإنه عرضت عليه رجال باستحقاق بعض الجند والحواشي فوقّع بمالها على الموصل وعمان نصفين^(١).

ونحن نقول: كيف به لو أدرك زماننا ورأى هذه الدولة القاهرة التي تجول عساكرها وجُند ملكها في الأقطار^(٢) بأمره، فترةً مشاريع الخليج كما تردّ مشاريع جيحون وسراياها الآن بالخفار قاربة لورد النيل، وكفى بما بين هذه الموارد الثلاث ممالك واسعة الطول والعرض، وأوامر وزيره نافذة فيها بالإبرام والنقض، والدهماء ساكنة في جميعها برأيه وتدييره، والهيئة ضابطة لجميعها بسياسته وتقريره.

وأين من يوقع على الموصل وعمان ممن يوقع على أعمال الشام وأقاصي خراسان! إن الفرق بينهما بعيد:

كُريِنِي الشَّهْأ [204] وَأُريِه القَمَرُ

وأى فخر في أن يقبل في بلاد المخالفين خطّ يكتب على معاملة تجارية^(٣) فإن يكن ذلك من جملة المناقب فأمرُ التجار إذا أنفذ في المشارق والمغارب. لأنهم يكتبون بالأموال الجمّة على معاملاتهم فيكون أسرع في الرواج من مال الجباية والخراج. وإنما الفخر في نفاذ الأحكام على البلاد التي مهّدت السيوف للأقلام والملك ما قطر الدم من الصفائح في افتتاح أعماله ثم جرى المداد في الصحائف بإطلاق أمواله.

١. روى هذا بعينه سبط ابن الجوزي في تاريخه مرآة الزمان عن ابن الصابي (مد).

٢. وزاد في مد [نافذ] والعبارة مستقيمة بدون.

٣. لعله: تجارية (مد).

وليس هذا موضع بسط المقال في ذكر هذه الفضائل ولكننا ننتهز الفرصة أولاً فأولاً في إقامة الشواهد والدلائل على تفصيل والدليل على تفضيل زماننا حسب^(١) ما قدّمنا ذكره في صدر كتابنا هذا لتكون أقوالنا محققة بالبيان ودعاويننا مصدقة بالبرهان. فأحسن القول ما صاحبه الصدق فزانه، وأسوأه ما مزجه الكذب فشانه. والله تعالى وليّ حسن التوفيق بمنّه. ونعود إلى سياقة التاريخ.

وفي هذه السنة ندب قراتكين الجهشياري لقتال بدر بن حسنويه وخلع عليه الخلع الجليلة وفيها السيف والمنطقة الذهب وخرج شرف الدولة إلى معسكره لوداعه. [205]

ذكر ما جرى عليه أمر قراتكين في هذا الوجه

كان شرف الدولة مغيظاً على بدر بن حسنويه لإنحرافه عنه وتحيزه إلى فخر الدولة فلما استقرت قدمه وقرب من طاعته كل جامع شرع في تدبير أمر بدر. وكان قراتكين قد جاز الحد في التبسط، فرأى أن يخرج في هذا الوجه. فإما أن يظهر ببدر ويشفي منه صدره وإما أن يستريح من قراتكين فيلغى أمره. فجرد معه من العساكر وأصحابه من الخزائن ما استظهر فيه وعرف تداريجه فاستعد واحتشد وتلاقيا على الوادي بقرميسين.

ذكر خدعة تمت لبدر على قراتكين وعسكره

لتفريطهم وقلة حزمهم

لما تواقعوا انهزم بدر حتى توارى عنه، وظنّ قراتكين وعسكره أنه قد

مضى على وجهه. فنزلوا عن خيولهم وتفرقوا في خيمهم فلم يلبثوا ساعة [206] حتى كثر بدر راجعاً وأكبّ عليهم إكباباً أعجلهم من الإستعداد والتجمع وقتل منهم مقتلة عظيمة واحتوى على جميع ما في معسكرهم. وأقلت قراتكين بحشاشة نفسه في شرذمة من غلمانهِ وعاد في يومين إلى جسر النهر وان وتلاحق الفلّ به واحد بعد واحد، وحُمِل إليه من بغداد ما لمْ به شعثه ودخل إلى داره. واستولى بدر بعد ذلك على أعمال الجبل وما والاها وقويت شوكته.

ذكر ما جرى عليه حال قراتكين بعد عوده في سوء تدبيره

وما انتهى أمره إليه حتى آل إلى قتله

قد تقدّم القول فيما كان حصل في نفس شرف الدولة منه لإسرافه في استعمال الدألة واستيلاء كتّابه وأصحابه والتجاء كلّ متعزز إلى بابه. وعاد من الهزيمة المذكورة وقد زاد تجنّيه وتغضّبه وتضاعفت تبسّطه وتسحبّه، وأغرى الغلمان بالتوتّب في دار المملكة على الوزير أبي منصور حتى لقوه بالصعب، وقالوا له :

« أنت كنت السبب [207] في هزيمتنا بتأخيرك المال والسلاح والنجدة عنا. »

فلوطفوا ودفعوا عنه. ثمّ وقع الشروع في إصلاح الحال بين الوزير وبين قراتكين فتمّ.

وأسرّ شرف الدولة من ذلك غيظاً فكتمه في قلبه وأمسك مَرَوِيّاً في تدبير خطبه. فلم تمض أيام حتى قبض عليه وقيد ثمّ قتل من يومه وأنفذ إلى داره من قبض على أصحابه وكتّابه واحتاط على معاملاتهم وأسبابهم. وخاض الغلمان في الشعب لأجله. فلما أيقنوا بقتله وأرضى أكابرهم تبعهم أصاغرهم

فأمسكوا.

وقدّم طغان الحاجب بينهم وأقيم مقامه فيهم. فلزموا بعد ذلك الطريقة السويّة واستشعروا المراقبة والتقّيّة.

ومن أعظم الأغلاط دألة الأتباع على السلاطين وإن سبقت خدمهم وسلفت حرّمهم. فإنّها موزنة بزوال نعمهم منذرة بورود مناهل الحمام.

ومثل المدال على السلطان بتمكّنه منه كمثّل راكب الأسد: فبينما تراه عزيزاً ربيعاً إذ صار بين برائته ذليلاً صريعاً ألا وأنّ ذلك لمن أخطر المراكب وأحقّها بسوء العواقب.

وكفاك بقصّة قراتكين تذكرة وتبصرة.

ولما تمهّدت الأمور عُقد مجلس حضره الأشراف والقضاة والشهود [208] وجُدّدت التوثقة فيه بين الطائع لله وبين شرف الدولة، واستقرّ ركوب شرف الدولة إلى دار الخلافة.

ذكر ما جرى عليه الأمر في جلوس الطائع بحضور شرف الدولة

ركب شرف الدولة في الطيّار بعد أن ضربت له القباب على شاطئ دجلة وزُيّنت الدُور التي عليها في الجانبين بأحسن زينة، وجلس الطائع لله جلوساً عاماً وخلع عليه الخلع السلطانية وتوجّه وسوره وطوّقه وعقد له بيده لوائين أسود وأبيض وقرئ عهده بين يديه.

وخرج من حضرته فدخل على أخته المتصلة بالطائع لله، وأقام عندها إلى وقت العصر، ثم انكفأ إلى داره والناس مقيمون على انتظاره.

ولما حمل اللواء تخرّق وانفصلت منه قطعة، فتطير من ذلك، فقال له الطائع لله:

«إنما حملت الريح منه قطعة، وتأويل ذلك أن تملك مهبّ الريح.»
 وكان أبو عبد الله محمد بن أحمد معروفاً في جملة من حضر مع شرف
 الدولة. فلما رآه الطائع لله قال له:

مَرْحَباً بِالْأَجَبَةِ الْقَسَادِمِينَا أَوْ حَشُونَا وَطَالَ مَا آتُسُونَا.

[209]

فقبل الأرض وشكر ودعا.

وفي هذه السنة ورد الخبر بوفاة سعد الحاجب بالموصل.

ذكر ما جرى عليه أمر سعد بعد انحذار زيار

من الموصل إلى أن توفي

لما أراد زيار الإنحذار أقرّ سعداً على الحرب وأبا عبد الله ابن أسد على
 الخراج. فلم يلتأم ما بينهما وحصل على وحشة.

وورد شرف الدولة مدينة السلام فكتب سعداً بإقراره على الأمر تأنيساً له
 وكان من عزمه أن يضربه بأيى على التميمي بوعد سبق من شرف الدولة إليه
 فمات أبو على وبطل ذلك.

وعرف شرف الدولة ما يجرى بين سعد وأبي عبد الله ابن أسد من الخلاف
 في الأمور، فأمر باستدعاء ابن أسد وترتيب ابن أخيه في مكانه نائباً عنه
 وكتب سعد يذكر تضاعف ما تأخر للأولياء من أرزاقهم وفرط مطالبتهم بما
 اجتمع في استحقاقهم، فعوّل به في الجواب على بقايا للموصل وأعمالهم^(١)
 بحسب ما ذكره ابن أسد بالحضرة.

وأخرج إليه أبو سعد الحسن بن عبد الله الفيروزآبادي وأمر بمناظرة الديلم

على النزول عن الفائق جميعه أو معظمه. فلما وصل أبو سعد إلى [210] الحصباء خيم بها فحمل إليه سعد أنزالاً فلم يقبلها.

ذكر رأى سَيِّئٍ لأبى سعد من ردّ ما حمله

ومكيدة لسعد تمت عليه

كان من غلط الرأى ما اعتمده أبو سعد من ردّ ما حمله إليه سعد من الأنزال. فإنّ ذلك عاد بسوء ظنّه فيه وأوجس في نفسه أنّه لم يفعل ذلك إلّا عن قاعدة أحكمت في طلب مكروهه.

وكان الديلم يميلون إلى سعد ويطيعونه، فأوحشهم من أبى سعد ووضعهم باطناً على الإيقاع به فشغبوا وراسلوا سعداً: بأنك لم تنزل تعدنا وتمطلنا بورود من يرد من حضرة السلطان للنظر في أمورنا وقد ورد هذا الرجل وما رأينا وجهاً لما كنّا نتوقعه وبلغنا أنّه معول على المسير إلينا لاستنزالنا عن أموالنا وإرضائنا من البقايا وهذا ممّا لا نقنع به.

فأجابهم جواباً ظاهراً أسكتهم به وراسل أبا سعد بأنّ: الصواب أن ترفق بهم إذا راسلوك رفقاً لا تلين لهم فيه وتستوفى عليهم استيفاء لا تنفّرهم به. فلما حضره رُسُلهم [211] غلظ في جوابهم فوثبوا به وهمّوا بقتله فهرب وألقى نفسه إلى دجلة فاستنقذ منها إلى بعض السفن وهو مجروح وعبر إلى الجانب الشرقى إلى أن سكنت النائرة. ثم ردّه سعد الحاجب وأنزله داره وأمر بمداواته ممّا به.

ومضت أيام فاعتلّ سعد الحاجب وقضى نحبه - وقيل إنّ أبا سعد الفيروزاباذى واطأ بعض خواصه على سمّه - فلما توفّى ظهر أبو سعد وجلس في داره واحتاط على ماله وتولّى الأمور إلى أن وصل إليه من الحضرة من اجتمع معه على تحصيل التركة وحملها.

وأخرج أبو نصر خواشاذه إلى الموصل لحفظ أكنافها وزم أطرافها.
وتجدد لباد بن دوشنك مع وفاة سعد الحاجب طمع في التغلب على البلاد
فصار إلى طور عبيدين وهو جبل مطلق على نصيبين.

ذكر ما جرى عليه أمر أبي نصر خواشاذه مع باد
عند إصعاده من الموصل

لما عرف أبو نصر الخبر دعت الضرورة لقصد نصيبين لدفع باد [212]
فكتب إلى الحضرة يستمد ويستنجد، فأمد وأنجد بما هو غير كاف، وخاف
أن يجرى حاله مع باد على ما جرت عليه حال أبي سعد بهرام وأبي القاسم
سعد فاستدعى بني عقيل واستدناهم وعول في حرب باد عليهم، لأنهم أخف
خيولاً وأسرع خروجاً وقفولاً والأكراد خيولهم بطاء وعددهم للحرب ثقال.

ذكر رأى رآه أبو نصر في إقطاع البلاد
حين تعذرت عليه وجوه الإطلاق

كان الوزير أبو منصور يقصده لشغب بينهما، فأخر أمره وعلله بالمواعيد
ثم كان قدّر ما حمله له بعد تلك المواعيد المكررة ثلاثمائة ألف درهم، وأين
يقع ذلك القدر من مثل هذا الخطب!
وكان أبو نصر يعلل من معه بوصول الحمل. فلما عرف مبلغه رأى أن
يكتّم أمره خوفاً أن يظهر فتقطع الآمال وتفرّق الرجال،^(١) ويهجم عليه باد
فينهزم بأسوأ حال.

فعدل إلى تفرقة البلاد على العرب وتسليمها إليهم وقال :

١. والمثبت في مد: «الآجال» وفقاً للأصل. والنصحیح أيضاً من اقتراح مد.

- «هذه بلاد بإزاء عدوّ وقد استفحل أمره وإذا حصلت لهؤلاء العرب دفعوا عنها في عاجل الحال لنفوسهم دفع القوم عن حريمهم. فإن قوى أمر السلطان [213] كان انتزاعها من أيديهم أسهل من انتزاعها من يد باد. فكان الواحد منهم يكتب قصّة ويسأل فيها إقطاعه الخربة الفلانية - وتكون ضيعة جليلة - فيوقع له بها من غير إخراج حال ولا تعرّف ارتفاع. وارتفق كاتبه على ذلك أموالاً جمّة.

ذكر حيلة سحر بها باد عين من بإزائه واسترهبهم
كان يقيم البقر على رؤس الجبال ويجعل بينها رجالة يبرقون بالسيف والحرا ب فإذا شوهدوا من بعد ظنّوا رجلاً فلا يقدم العسكر على الصعود إليهم.

فاتفق أنّه نزل أخ لباد وقاتل قوماً من العرب فقتل وبلغ قتله من باد كلّ مبلغ وضعف أمره. فبينما هو في ذلك إذ ورد الخبر على أبى نصر بوفاة شرف الدولة فكتمه وعاد إلى الموصل فأظهر فيها العزاء به.

وانفسح باد وأصحابه وتمكّن من طور عبيدين واستضافها إلى ديار بكر ولم يقدم على الإصحار خوفاً من العرب. فصار الجبل له والسهل لبنى عقيل ونمير.

وكان أبو نصر على إصلاح أمره ومعاودة حرب باد إذ أصعد إبراهيم وأبو عبد الله الحسين ابنا ناصر الدولة [214] إلى الموصل. وسيأتى ذكر ما جرى عليه أمرهم من بعد بإذن الله تعالى.

ودخلت سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة
فيها قبض على شكر الخادم من الموضع الذى كان مستتراً فيه وحمل إلى

حضرة شرف الدولة وعلى أبي منصور أحمد بن عبيد الله بن المرزبان الشيرازي لأجله.

شرح الحال في ذلك

كان شكر قد أسلف إلى شرف الدولة ما أوحشه وتولّى إبعاده عن بغداد إلى كرمان في حياة عضد الدولة وقام بأمر صمصام الدولة، فحقد عليه شرف الدولة. فلما انحل أمر صمصام الدولة ووقع اليأس منه خاف شكر. وكان أبو منصور أحمد بن عبيد الله بن المرزبان الشيرازي صديقاً خصيصاً له فقال له :

- «شرف الدولة قد أقبل وأرى الإستظهار لنفسى بالإستتار ثمّ أعمل الحيلة في الخروج عن البلد فأعدّ لي موضعاً عندك لأصير إليك.» فقال له أبو منصور :

- «أما حصولك في داري فلا يخفى لكثرة من يطرقها ولكن أختار لك مكاناً منه.»

فلما كان في [215] الليلة التي انحدر فيها صمصام الدولة إلى شرف الدولة استدعى من قبل أبي منصور من يصير به ليلاً إلى الموضع الذي أعدّه. فأنفذ إليه زوجته بنت أبي الحسين ابن مقلّة ونزل شكر في سمارية وأصعد إلى الجسر كأنّه ماض إلى عكبرا. ثم انتقل إلى سمارية أخرى مع المرأة ولبس خفّاً وإزاراً كان قد استصحبهما وصارت به إلى دار أبي بكر محمد بن موسى الخوارزمي الفقيه، فأقام عنده مديدة.

فقطن به فانتقل إلى دار رجل بزاز في رحبة خاقان يعرف بابن هارون كان أبو منصور الشيرازي يثق به.

ذكر رأى سديد رآه البزاز وقبله شكر
ثم خالفه فيه من بعده

قال له :

« أتيتها الأستاذ، ملاك أمرك وأمرى في سترك أن أتولى خدمتك ولا
يدخل إلى بينى وبينك وبين هذه المرأة - أشار إلى زوجته - رابع. »
فقال : « افعل. »

فقام الرجل بخدمته. فلما مضت مدة راسل شكر أباً منصور وقال له :
« لى جارية حبشية، وأنا أثق بها وأريد أن تتولى خدمتى. »
فأجابه : بأننى لا آمن عليك.

فراجعته حتى استقرَّ الأمر على [216] إحضارها فأحضرت وأقامت معه.
وكان قد علق قلبها بهوى. فكانت تأخذ من الدار المأكول وغيره وتخرج إلى
حيث يدعوها هواها وربما احتبست فى أكثر الأوقات فلحق شكرًا ضجرًا من
فعلها ومنعها من الخروج فلم تمتنع.

ذكر فساد رأى شكر فيما دبّر به أمره

لم يقنع بما غلط فيه من الخروج بسره إلى غير أهله وقد قيل فى المثل
« لا تفش سرّك إلى أمة » حتى غلط ثانياً بالضجر فى غير وقته. فإنه لما كثر
ضجره منها رماها فى بعض الأيام بحميدى أصاب به وجهها فخرجت من
الدار غضبى ومضت إلى باب شرف الدولة وصاحت « النصيحة النصيحة »
فستلت عنها فقالت :

« لا أقولها إلا له. »

فأدخلت الدار وأخرج إليها بعض خواص الحاشية، فأخبرته بحال شكر.

فرثب مع صاحب المعونة من الخواص من يمضى للقبض عليه فقالت :
 - « قد جرى بيني وبينه نفرة ، وربما استوحش وانتقل ، فابدهوا بدار أبي منصور الشيرازي . »

ففعّلوا ذلك فما شعر أبو منصور وهو قاعد في داره عند حرمه [217] إلا بهجوم القوم عليه بغتة ، فقبض عليه وفتشت الدور والحجر فلم يوجد شكر . فمضوا إلى دار البزاز وكبسوها وأخذوا شكراً منها وحملوا جميعاً إلى حضرة شرف الدولة . فأما شكر فإنّ تحريراً استوهبه قبل وصوله فوهبه له وعدل به إلى داره وأحسن إليه .

ومضت مديدة وحضر وقت الحج فسأله الإستانان له في الحج فأذن له وخرج ثم عدل عن مكة إلى مصر وحصل عند صاحبها . وأما أبو منصور فإنه اعتقل فتلطّف الوزير أبو منصور ابن صالحان في أمره .

ذكر تدبير لطيف عمله الوزير أبو منصور

في خلاص أبي منصور الشيرازي

قال لشرف الدولة :

- « هذا رجل إليه ديوان الضياع وعليه علق وخسبانات وأنا آخذه إلى الديوان وأتولّى محاسبته ومطالبته بما عليه . »
 فسلم إليه ونقله إلى حجرة تجاور داره ، وأولاه الجميل . ثم توصّل إلى إطلاقه بعد شهر .

ولم يوجد في بقية أحداث هذه السنة ما فيه ذكر تدبير وسياسة . [218]

ودخلت سنة تسع وسبعين وثلاثمائة

فيها أنفذ الطائع أبا الحسن عليّ بن عبد العزيز [بن] حاجب النعمان كاتبه

إلى دار القادر بالله رضوان الله عليه، وهو أمير للقبض عليه فخباه الله تعالى منه.

ذكر السبب في ذلك وما جرى عليه الأمر فيه

لما توفي اسحق بن المقتدر بالله والد القادر بالله رحمة الله عليهم، جرى بينه وبين أخته آمنة بنت معجبة منازعة في ضيعة وطال الأمر بينهما وعرضت للطائع لله علة^(١) أشفى منها ثم ابل.

فسعت آمنة بأخيها القادر بالله إلى الطائع لله وقالت له :

- «إنه شرع في تقلد الخلافة عند علتك.»

فظن ذلك حقاً وتغير رأيه فيه. وأنفذ أبا الحسن ابن حاجب النعمان وأبا القاسم ابن أبي تمام الزينبي^(٢) العباسي الحاجب للقبض عليه فأصعدوا في الماء إلى داره بالحرير الطاهري.

فحكى القاضي أبو القاسم التنوخي عن صفية بنت عبد الصمد ابن القاهرة [219] بالله قالت :

- «كنت في دار الأمير أبي العباس - تعني القادر بالله - يوم كبست بمن أنفذه الطائع لله وقد جمع حرمه في غداة هذا اليوم وكنت معهن. فقال لنا: رأيت البارحة في منامي كأن رجلاً يقرأ على «الذين قال لهم الناس أن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم

١. وفي الأصل : على.

٢. أبو تمام الزينبي هو الحسين بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن محمد الشريف قاضي القضاة قدم بغداد مع معز الدولة واشترى داراً بأربعة وعشرين ألف دينار وولي نقابة بغداد وتفقه على أبي الحسن الكرخي توفي سنة ٣٧٢. كذا في تاريخ الاسلام (مد).

الوكيل»^(١) وقد خفت أن يطلبني طالب. وهو في حديثه إذ شاهد زيزب ابن حاجب النعمان قد قدم إلى درجة داره فقال:

- «إنا لله، هذا حضور مريب بعقب هذا المنام.»

وصعد القوم من الزيزب إليه وتبادرنا إلى وراء الأبواب، فقالوا له:

- «أمير المؤمنين يستدعيك.»

فقال: «السمع والطاعة.»

وقام فقال له أبو الحسن:

- «إلى أين؟»

فقال: «ألبس ثياباً تصلح للقاء الخليفة.»

فعلق بكمّ ومنعه. فبرزنا إليه وأخذناه من يده ونزل إلى سرداب في الدار ووقفنا في صدره حتى تخلص، وعاد القوم إلى الطائع لله وعرفوه الحال^(٢). وانحدر القادر بالله بعد ذلك مستخفياً إلى البطيحة، فأقام عند مهذب الدولة إلى أن عقدت له الخلافة. وجعل علامته حين تقلد الأمر «حسينا الله ونعم الوكيل» تبركاً بالرؤيا التي رآها.

ومن بعد هذه [220] الحكاية نقول: إن الله تعالى إذا اصطفى عبداً أظهر عليه آثار الكرامات ودلّ على اصطفائه بالآيات والعلامات، وإذا اختاره لأمر هيئاً له أسبابه وفتح عليه أبوابه ونجّاه من كل سوء يخشاه وجعل إلى الخير مآله وعقباه.

قال سبحانه في محكم التنزيل «وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون»^(٣).

١. س ٣ آل عمران: ١٧٣.

٢. وردت هذه الحكاية في الدول المنقطعة رواية عن ثابت بن سنان (مد).

٣. س ٣٩ الزمر: ٦١.

كحل صمصام الدولة

وفى هذا الوقت أخرج محمد الشيرازى الفَرَّاش لكحل صمصام الدولة.

ذكر ما جرى عليه الأمر فى ذلك

كان تحرير الخادم يحضُّ شرف الدولة على قتل صمصام الدولة ويقول له :

- «إنه ملك قد قعد على السرير ولا يؤمن الدهر وحوادثه ودولتك مع بقائه على خطر.»

فيعرض شرف الدولة عن هذا القول. فلما اعتلَّ وأشفى ألحَّ عليه فى ذلك وقال له :

- «إن لم تر القتل فالكحل إذا.»

فأخرج محمد الفَرَّاش لسمل صمصام الدولة، وسلَّم إليه شيئاً أمر بأن يكحله به ثلاثة أيام كحلاً ويشدَّ عليه عينيه. فمضى الفَرَّاش. فقبل أن يصل توفى شرف الدولة.

فحصل الفَرَّاش بسيراف والقلعة التى فيها [221] صمصام الدولة كانت من أعمالها وعاملها رجل يهودى يسمى روربه. فذكر الفَرَّاش للعامل ما ورد فيه فقال :

- «هذا أمر قد بطل حكمه مع وفاة شرف الدولة، ولا يجوز تمكينك منه إلا بعد إعلام أبى القاسم العلاء بن الحسن الناظر.»

فكتب إليه يستأذنه فعاد جوابه بتمكينه مما ورد فيه. فقصد القلعة وكحل صمصام الدولة بما صاحبه فذهب ناظره.

ذكر قلّة حزم في استرسال عاد على صاحبه بوبال
كان في جملة الموكلين بصمصام الدولة فرّاش يسمّى بنداراً وقد أنس به
لتطاول المدة. فقال له قول المترثي :

- «كيف الملك ؟»

فقال له بالإسترسال :

- «قد بقيت من نظري بقيّة أبصرُ بها من تلك الكوّة.»

فأعاد بندار قوله على محمد. فاجتمعا على أن يحصّأ^(١) عينيّه بمبضع.
فلما عاد صمصام الدولة إلى الملك بفارس، رام بندار أن يخدمه على
رسمه فأمر صمصام الدولة بأن يكون مع الستريين^(٢) بالبعد منه. فقال بندار :
- «هكذا استحقّ من الملك بعد خدمتي له وصحبتى معه ؟»

فأعيد قوله عليه. فقال :

- «أما يرضى بالإبقاء [222] عليه حتى يُدلّ بهذه الدالّة.»

واتصل الحديث بالأمير أبي طاهر وأطلع على قصّته، فأمر بأخذه وصلبه
فصلب. وكان صمصام الدولة يقول :

- «ما سملني^(٣) إلا العلاء بن الحسن فإنه أمضى فنيّ أمر ملك قد مات.»
ولما قبض عليه واقفه على ذلك ثم عفا عنه.

وحصل محمد الفرّاش ببغداد. فلما ورد عميد الجيوش أبو علي الحسن
بن أستاذ هرمز من العراق قال :

- «أريد أن أشفي صدرى بقتله جزاء له على سوء فعله.»

١. حصّ الشيء : قطعه وأخذ منه حصّة.

٢. قال ابن بطوطا أن الستاريين الذين يمسكون دواب الخدام على باب المشور.

٣. والمثبت في مد : سملني . وهو تصحيف.

فهرب منه إلى مصر وأقام بها إلى أن مات عميد الجيوش.
وفى هذه السنة توفى شرف الدولة وقام الأمير أبو نصر مقامه في الملك.

ذكر ما جرى عليه الأمر في علّة شرف الدولة

واستقرار الأمر للأمير أبي نصر بعده

اعتلّ شرف الدولة العلّة التي توفى فيها وكانت من استسقاء. فلما اشتدت به ندب أبا علي ولده إلى الخروج إلى فارس للنيابة عنه بها وأخرج معه والدته وجماعة من حُرّمه وأصحابه جلّ عدده [223] من مال وسلاح وضمّ إليه عدداً كثيراً من وجوه الأتراك.

وعلى أثر انحدار ولده غلب عليه المرض حتى غلب اليأس منه على الرجاء فيه. فاجتمع وجوه الأولياء وراسلوه باستخلاف الأمير أبي نصر فيهم إلى أن يُبَلّ من مرضه فأجابهم إلى سؤالهم وروسل الأمير أبو نصر بالحضور، فامتنع وأظهر القلق والجزع.

واستقرّت الحال على إظهار استخلافه في غد ذلك اليوم. وغدا الناس إلى دار المملكة لذلك. فجرى من بعض القوّاد والخواصّ مطالبة باستحقاقهم خرجوا فيها إلى التشديد، فتقوّض الجمع من غير تقرير أمر. وعاجلت شرف الدولة مَنِيَّتَهُ. فقضى نحبّه وكُتِم أمره ليلة واحدة وأصبح الناس وعند أكثرهم خبره. واجتمع العسكر فطلبوا الأمير أبا نصر برسم البيعة وتردّد الخوض معهم في أمر العطاء ومبلغ ما أطلق لكلّ واحد منهم.

فتولّى خطابهم بنفسه وأعلمهم خلو الخزائن من المال الذي يعمّهم ووعدهم بكسر ما فيها من الأواني والصياغات وضربها عيناً وورقاً وصرفها إليهم. وأطلّ المساء وراحوا إلى منازلهم من غير استقرار وباكروا الغدو إلى الدار فوجدوا الأمير أبا نصر قد أظهر المصيبة وجلس للتعزية [224] فأمسكوا

عن الخطاب، وخرج تابوت شرف الدولة وتقدم للصلاة عليه أبو الحسن محمد بن عمر العلوي وحمل إلى المشهد بالكوفة.

فكان مقام شرف الدولة ببغداد سنتين وثمانية أشهر وأياماً وعاش ثمانين وعشرين سنة وخمسة أشهر، ثم بلغ الكتاب أجله ودعاه الداعي فاستعجله، وبزته المنية ثوبى ملكه وشبابه واختطفته من بين حشمه وأصحابه، فمضى غصاً طرياً إما سعيداً وإما شقيماً فى سبيل لا بد للخلائق من سلوكها، ولا فرق فيها بين سوقتها وملوكها. ولربما كانت السوقة أخفّ ظهوراً وأسرع فى تلك الغمرات عبوراً.

فأفّ لدار هذه صورة سكّانها ولشجرة هذه ثمرة أغصانها! لقد ضلّ من اتخذ هذه الدار قراراً واستطاب من هذه الشجرة ثماراً. فطوبى لمن قصّر فى الدنيا أمله وأصلح للآخرة عمله. قال الله تعالى: «إِنَّمَا هَذِهِ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ»^(١)

وتردّدت بين الأمير أبى نصر وبين الطائع لله مراسلات انتهت إلى أن حلف كل واحد منهما لصاحبه على الصفاء والوفاء وركب الطائع لله من غد للعزاء. [225]

مركزية ذكرى جري عليه الأمر فى ركوب
الطائع لله للتعزية

قدم الطيّار على باب الدرجة، وفرش سطحه بدبقي وعليه مقرمة ديباج حمراء منقوشة ووسطه بديباج أصفر وعليه مقرمة دبقيّة، ووقف الغلمان الأتراك الأصاغر بالسيوف والمناطق فى دائر المجلس الأوسط ووافى

حجّاب شرف الدولة الأتراك والمولّدون في الزبازب بالثياب السود والسيوف والمناطق وكلّ منهم قائم في زبزه واجتمع من السفن التي فيها العامة عدة كثيرة.

وخرج الطائع لله من داره وتحتّه فرس صِنابيّ بمركب خفيف وسرج مغرّي^(١) أحمر، وعليه قباء ملحم أسود وعمامة خزّ سوداء على رُصافية وهو متقلّد بسيف، وبين يديه خمسة رؤس فوق سروجها جلال الديباج ونزل إلى الطيّار فجلس في المجلس الأوسط على المقرمة في الدست على خلاف عادة الخلفاء فإنّهم كانوا يجلسون على سطح حرّاقة وبين يديه مجلس طيّار وقيل: إنّ فعل ذلك لأنّه كان في عقيب علّة، وأراد أن يخفي ما بوجهه من آثارها.

فوقف بين يديه أبو الحسن علي بن عبد العزيز كاتبه ودّجى خادمه [226] والعباس حاجبه. وسار الطيّار إلى دار المملكة بالمخرم فنزل الأمير أبو نصر متّشحاً بكساء طبرى والديلم والأتراك بين يديه وحواليه إلى المشرعة التي قدّم إليها الطيّار وقبّل الأرض وصعد أبو الحسن ابن عبد العزيز إلى الأمير أبي نصر فأدّى إليه رسالة عنه بالتعزية، فقبّل الأرض ثانياً ودعا وشكر.

وعاد أبو الحسين إلى حضرة الطائع لله وأعلمه شكره ودعاءه، وعاد الصعود إلى الأمير أبي نصر لودّاعه عن الطائع لله، فأعلمه شكره ودعاءه، فقبّل الأرض ثالثاً وانحدر الطيّار على مثل ما أصدع وعاد الأمير أبو نصر إلى داره.

ثم ركب الأمير أبو نصر بعد خمسة أيّام إلى حضرة الطائع لله، فخلع عليه الخلع السلطانية ولقّبه بهاء الدولة وضياء الملّة، وقرئ عهده بين يديه بالتقليد

١. مَغْرّة: موضع بالشام، من ديار كلب.

وقُدِّم إليه فرس بمركب ذهب وقِيْد بين يديه آخر بمثل مركبه وسار العسكر حواليه إلى باب الشماسية في القباب المنصوبة ونزل إلى الطيَّار وانحدر إلى دار المملكة.

ذكر ما دَبَّره بهاء الدولة عند قيامه بالملك [227]

أقرَّ الوزير أبا منصور ابن صالحان على الوزارة وأصحاب الدواوين وغيرهم على ما كان إليهم. ثم صرف أبا سعد ابن الخياط عن ديوان الإنشاء مع مدَّ يده وعوَّل فيه على أبي الحسن علي بن محمد الكوكبي المعلم، وخلع عليه الطائع لله وكنَّاه ولقَّبه بالكافي، وكانت الخلعة دُرَّاعة ديبقية^(١) وعمامة قصب وحمله على فرس بمركب. وقبض على تحرير الخادم وأبى نصر ابن كعب فاعتقلا ثم قُتلا.

فأمَّا تحرير فكان هلاكه على يد الحسين الفَرَّاش، فأمَّا أبو نصر ابن كعب فعلى يد أبي الحسن الكوكبي.

شرح الحال في ذلك

كان بهاء الدولة شديد الميل إلى تحرير كثير الثناء عليه. فلمَّا توفَّى شرف الدولة أراد منه أن يجري في خدمته على ما كان عليه في خدمة شرف الدولة. فامتنع تحرير وتظاهر بلبس الصوف، واجتهد معه كل الإجتهد مراسلة بالشریف أبي الحسن محمد بن عمر والوزير أبي منصور محمد بن صالحان ومشافهة بنفسه، فما أجدى معه نفعاً. [228]

١. دَبَّق: بليدة كانت بين الفرما والتتيس من أعمال مصر، تُنسب إليها الثياب الديبقيَّة (مراسد الإطلاع).

ذكر ما ارتكبه نحرير من اللجاج

حتى آل به شرّ مآل

لم تزل الحكماء وأولو العقول الراجحة يحذرون ركوب مطيئة^(١) اللجاج،
فإنها كثيرة الكبوة والنفور، تلقى صاحبها إلى الورطة والنبور.
قال أبو نصر الحسين بن الحسن المعروف بالأستاذ الفاضل :
كنت قائماً بين يدي بهاء الدولة وهو يخاطب نحريراً ويقول له :
« لا تزهد فيّ مع رغبتى فيك، فأنا أولى بك على ما كنت عليه من
قبل. »

ونحرير يقبل الأرض ويستعفى. إلى أن انتهى بهاء الدولة إلى أن قال له
باللغة الفارسية وقد دمعت عيناه :
« أفعل لله. »

فأقام نحرير على أمر واحد في اللجاج الذي لا يقابل الملوك بمثله
وانصرف من بين يديه ودخل الحسين الفّراش بعد ساعة وقال :
« قد طلب نحرير عشرين ألف درهم من الخزانة. »
فقال : « احملوها إليه. »

مركز تحقيق كاميون علوم إسلامي

ذكر حيلة عملها الحسين الفّراش نفّر بها

قلب بهاء الدولة من نحرير حتى

أمر بالقبض عليه [229]

لما حملت الدراهم إلى نحرير عاد الحسين الفّراش وقال :

١. والمثبت في مد : مطبه.

- «عرفت أنه معول على الهرب في هذه الليلة وأنه أخذ الدراهم وجعلها في أكياس نفقة الطريق.»

فانزعج بهاء الدولة لذلك وسهر ليلته يراعيه وينفذ فرأشاً بعد فرأش إلى داره ليعرف ما هو فيه. إلى أن أسفر الصبح ولم يكن لما ذكره الحسين الفرأش أصل وإنما أراد الإغراء به.

وعطفت الجماعة بعد ذلك على بهاء الدولة باللوم له ولا سيما أبو الحسن ابن عمرو فإنه كان عدواً لنحرير وقال :

- «أيتها الملك قد أسرفت في مداراة هذا الخادم إسرافاً يشيع ذكره وأصرّ على مخالفتك إصراراً يصغر عنه قدره.»

وما زالوا بهذا القول وأمثاله حتى غيّرُوا رأيَه في نحرير وزادوا غيظه منه. فحضر نحرير بعد أيام ومعه أبو نصر ابن كعب وكان خصيصاً به، وأبو الحسن محمد بن عمر وأبو منصور الوزير وأبو سعد ابن الخياط في الحجرة مجتمعون، فأذن بهاء الدولة في القبض عليه.

ورأى أبو نصر أمارات التغير والتنكر، فأشار إلى بيده وقال :

- «ما الخبر؟»

فأومأت إليه بالقيام فقام وتبعه أبو سعد ابن الخياط، وأخذ أبو نصر ابن كعب إلى الخزانة فاعتقل فيها. وبقي أبو الحسن محمد بن عمر ونحرير. فقال له محمد بن عمر: [230]

- «يا هذا قد أسرفت في الدولة ومن أنت وما قدرك حتى تمتنع من خدمة هذا الملك العظيم؟»

فأغلظ له في القول ونحرير مطرق. فلما زاد الأمر عليه رفع رأسه وقال له :

- «أيتها الشريف، أين كان هذا القول منك في أيام مولاي وأنت ترى

أفضل آمالك إذا تبسّمت في وجهك؟ فأما الآن وأنا على هذه الحال فاستعمال ما أنت مستعملة لؤم قدرة وسوء ملكة، وكيف ألام على ترك الدنيا بعد ملك ابتاعني بألف درهم، ثم رفعتني إلى أن كنت تخدمني ولا أخدمك، وتحتاج إليّ ولا أحتاج إليك؟»

فاغتاظ أبو الحسن ابن عمر وانصرف.

وأخذت بيد تحرير فأعدته على الفراش من الأرض فقال لي: «أريد أن تحمل إليّ مصحفاً وأن تقول لمولانا الملك: ما كان امتناعي عليك إلّا ما جرت به الأقدار من إدياري وقد خدمتك وخدمت أخاك وأوجبت عليك حقاً بذلك وأسألك أن لا تسلمني إلى عدوّ يشتفي منّي وأن تكون أنت الأمر بما تفعل بي.»

وأعدت قوله على بهاء الدولة فقال:

«ارجع إليه واحمل إليه مصحفاً كما طلب وقل له: هذه ثمرة لجاجك، فإلى من تريد أن أسلمك؟»

وحملت إليه المصحف وأعدت عليه القول، فقال: «إلى أبي جعفر الحجاج.» وعدت إلى بهاء الدولة فأعلمته، فاعترض [231] الحاضرون على ذلك، فلم يصنع بهاء الدولة إلى أقوالهم وتقدّم بحمله إلى أبي جعفر فحمل.

ذكر مكيدة أخرى عملها الحسين الفراش

ليتمكّن بها من قتل تحرير

جاء الحسين الفراش بعد أيام، فقال لبهاء الدولة:

«أيها الملك قد بلغني عن ثقة صادق أن أبا جعفر الحجاج معول على الركوب في غد و [على] مسئلتك في أمر تحرير، فإن أجبته إلى ذلك أفرجت عن عدوّ لا تأمنه فيما عاملته به، وقد علمت طاعة الأتراك له، وإن منعت

أضفت إلى استيحاءش تحرير استيحاءش أبي جعفر.

قال: «فما رأى؟»

قال: «أن تسبقه إلى أخذه من داره.»

قال: «فإلى أين يُحمل؟»

قال: «إلى داري التي نأمن فيها على مثله.»

فأمر عند ذلك بإفاد من يأخذه، فنقل واعتقل في غرفة.

ومضت أيام واتفق أن بهاء الدولة خرج يوماً في آخر النهار من الحجرة والحسين الفَرَّاش يسار أخاه وظهره إلى الموضع الذي خرج منه بهاء الدولة فلم يشعر به، حتى رآه أخوه فأنذره. فأقبل إليه فقال له بهاء الدولة وقد رأى في وجهه وجوماً وتغيراً:

«في أي شيء أنت؟»

قال: «يا مولانا ذكر أخى أن جماعة من الغلمان الشرقيّة [232] اجتازوا على داري ورآهم تحرير من الغرفة فصاح إليهم وقال لهم: أنا تحرير، فاهجموا على الدار واستخلصوني. فخاف الموكلون به أن يؤخذ من أيديهم فقتلوه.»

فقال: «ويلك ما تقول؟»

قال: «ما يسمعه مولانا.»

فورد على بهاء الدولة من ذلك ما أزعجه وعرف بعد ذلك أن ما حكاه الحسين الفَرَّاش باطل، وأنه هو الذي أمر الموكلين بقتله، فأسرها في نفسه ولم يبديها له.

ذكر ما جرى عليه أمر أبي نصر
ابن كعب في قتله

كان أبو الحسن الكوكبي نقله إلى داره وأخذ منه مالاً. فلما قُتل نحرير
خاف أن يظهر ما وصل إليه منه.

قال أبو نصر المعروف بالأستاذ الفاضل :

كنت في بعض الأيام جالساً مع الكوكبي، فوافاه بعض غلمان الخزانة
وأسرَّ إليه شيئاً لم أسمع به وعاد فقال لي الكوكبي :
- «أتدري ما نحن فيه.»

قلت : «لا.»

قال : «قد أسقى ابن كعب السمّ دفعتين وما عمل فيه، وسقى ثالثاً وكان
غاية فعله أن أظهر نفخاً في وجهه.»

فوجمتُ من قوله. فلما كان في غد قال لي :

- «أعندك خبر ابن كعب؟»

قلت : «لا.»

قال : «لم ينفع ذلك السمّ حتى [233] أعنّاه بالسيف» وهو يضحك.

مركز تحقيق كاتوير علوم إسلامي

ذكر مقابلة عجيبة فيها عبرة وتذكرة

لما تجرّأ الفرّاش والكوكبي على ما تجرّأ عليه عجّل الله الانتقام منهما
جميعاً. فأما الفرّاش فإنه اعتقل في دار نحرير وقتل بعد قليل، وأما الكوكبي
فإنه سقى السمّ عند قتله مراراً فلم يعمل فيه حتى خنق بحبل الستارة،
وحضر بعض الأتراك فوجأه بسكين كانت معه.

فانظر إلى هذه المقابلة الوجيعة الشريفة كيل الصاع بالصاع :

كُنْ^(١) كَيْفَ شِئْتَ كَمَا^(٢) تَدِينُ تُدَانُ

وإذا كانت هذه حال الدنيا التي عود الله فيها للمقابلة إمهالاً، فما ظنك في الآخرة التي جعل الله فيها لكل ذرة مثقالاً؟ فتعساً للظالم ما أشقاء وتباً له ما أجهله وأعناه. أتظن أنه ظلم غيره؟ كلا، إنه ما ظلم إلا نفسه. أما تعلم أن الحاكم عدلٌ وأن القضاء فصل؟ فهلاً أعد لموقف سؤاله جواباً في اليوم الذي قال الله تعالى: «يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمْتُ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تَرَاهُ»^(٣).

قتال بين الديلم والأتراك

وفى هذا الوقت جرت منافرة بين الديلم والأتراك أثارت من الصدور [234] اضطرابات ولقحت بينهم حرباً عواناً. وتحصن الديلم بالدروب وعظمت القصة واستمر القتال بينهم حرباً عواناً. وتحصن الديلم بالدروب وعظمت القصة واستمر القتال أياماً حتى برز بهاء الدولة إلى معسكر الأتراك وخيم عندهم لأنهم كانوا أحسن في القوة جانباً وألين في الطاعة عريكة. فتلافى الأمر وراسل الديلم ورفق بالأتراك حتى ألفت الحرب أوزارها ووقع الصلح وعاد الأتراك إلى البلد وتواهبوا وتصافحوا وحلفت كل طائفة للأخرى.

١. في الأصل ومد؛ وكن، بزيادة الواو.

٢. في الأصل ومد؛ فكما، بزيادة الفاء. هذا إذا اعتبرناه مصراعاً من بيت، كما اعتبر في مد.

٣. س ٧٨ النبأ: ٤٠.

وقويت شوكة الأتراك وعلت كلمتهم وضعف أمر الديلم بعد هذه الواقعة وتفرّق جمعهم وتسلبوا في كلّ طريق، ومضى فريق بعد فريق.

ذكر ما جرى عليه أمر أبي علي بعد انحداره

انحدر الأمير أبو علي ومن في صحبته علي ما تقدّم ذكره. فلما حصلوا بواسط استعجمت عليه أخبار شرف الدولة وانقطعت النوبة المترددة بالكتب، فساءت الظنون. ثم ورد عليهم ما دلّ على اليأس منه، فسار الأمير أبو علي والأتراك على الظهر وانحدرت الخزائن والحرم والأثقال إلى البصرة ووقع الاجتماع بمطارا.

ووردت الكتب بوفاة شرف الدولة وانحدر [235] أبو شجاع بكران بن أبي الفوارس والحاجب أبو علي ابن أبي الريان ليرد الجماعة فأشير على الأمير أبي علي بالتعجيل إلى أرجان،^(١) ففعل وصحبه خواص الحرم في عمّاريات واستصحب ما خفّ محمله وعوّل على طاهر بن زيد صاحب عبادان في توجيه بقية الحشم والأثقال التي معهم في البحر إلى أرجان فقدّم بتنفيذ شيء منها.

ووصل بكران وابن أبي الريان فاستوقفا كلّ من كان تأخّر مع بقية الأثقال وقالوا لهم:

«إنما وردنا لتطبيب قلوبكم.»

[ثم] ورد الأمير أبو علي إلى حضرة بهاء الدولة عمّه ليقضى فيه حقّ شرف الدولة عليه وأعاد الجماعة من عبادان إلى البصرة.

ثم شغب الديلم بالبصرة وطلبوا رسم البيعة ولم يكن للمال وجه، فأخذ

١. أَرْجَان، وعامّة العجم يسمّونها أَرْغَان، وقد خفّف المتنبي الراء في شعره. وهي مدينة كبيرة كثيرة الخير، وهي بَرِّيَّة بحريّة، سهليّة جبلية، وهي من كورة فارس (مرصد الإطلاع).

بكران على سبيل القرض من تلك الثياب والصياغات شيئاً كثيراً وصرفه اليهم ثم وقع اليأس من عود الأمير أبي على فتسلّم البقية. وحصل الأمير أبو على بالرجال وكان أبو القاسم الرضيع بها على ما رتبته شرف الدولة من النيابة عنه وحصل معهما عدد الأتراك وفيهم مثل خمارتكين الحمصي^(١) وأبو الغارات والبكى ومن يجرى مجراهم وكانوا جمهور العسكر فعملوا على المسير إلى فارس.

ذكر رأى رآه أبو القاسم [236] العلاء بن الحسن

بالبادرة وندم عليه بعد الروية

لما انتهى إليه تميّز القوم خاف أن يستقيم الدولة للأمير أبى على ولا يكون له فيها قدم. فاستعجل بمكاتبة الأمير أبى على وأبى القاسم الرضيع وعرفهما ما اعتمده من جمع كلمة الديلم على الطاعة. وكان المرتب في القلعة التي فيها صمصام الدولة والأمير أبو طاهر قد أطلقهما وكذلك المرتبة التي فيها فولاذ بن ماناذر أيضاً وحصل الثلاثة...^(٢) كلمة الديلم على تمليك صمصام الدولة وأبى طاهر ونادوا بشعارهما وقام فولاذ بتقرير ذلك.

وندم أبو القاسم العلاء بن الحسن على مكاتبة الأمير أبى على، وعلم أن أبا القاسم الرضيع بأسيتلاته سيستعلى عليه ويستبد بالأمر دونه، فكاتب صمصام الدولة وأبا طاهر [و] فولاذ واستدعاهم ووعدهم ومناهم. وسار الأمير أبو على حتى نزل على ثلاثة منازل من شيراز.

١. وفي الأصل «بن الحفصى» والصواب فيما بعد.

٢. يياض في الأصل، نعله سقط «واجتمعت».

ذكر ما دبره أبو القاسم العلاء بن الحسن في أمر الرضيع
حتى قبض عليه [237]

اختار ستين رجلاً من وجوه الديلم وواقفهم على أن يلتقوا الأمير أبا علي
ويخدموه، ويعرفوه عن الأولياء طاعتهم له، ويطالبوه بالقبض على أبي القاسم
الرضيع قبل الدخول إلى البلد، وترتيب من يقوم مقامه بعد الاستقرار فيه.
وضمن العلاء بن الحسن لهؤلاء الوجوه إقطاعات الرضيع بفارس وكانت
كثيرة فطمعوا فيها وبالغوا في خطابهم حتى أجيبوا إلى القبض على الرضيع
وحمل إلى العلاء بن الحسن فأنفذه إلى القلعة. وتمم الأمير أبو علي والأتراك
إلى شيراز فخيّموا بظاهرها.

ذكر حيلة رتبها العلاء بن الحسن أفسد بها الحال
بين الديلم والأتراك حتى بلغ غرضه

أحضر غلاماً من الأتراك يعرف بانوشتكين وخدعه وقال له :
« هل فيك لاستخدامك في أمر يكون فيه رفع لقدرك وتقديم لمنزلتك ؟ »
قال : « نعم. »
قال : « تعرّض للديلم فقتل منهم رجلين أو ثلاثة على سبيل الغيلة
وتهرب لأظهرك من بعد وأوفى لك بما وعدتك به. »

فانخدع الغلام لجهله وخرج [238] وصعد إلى حائط بستان ورمى رجلين
من الديلم جازاً تحته بفردات أصابت مقاتلتهما وشارت الفتنة بين الديلم
والأتراك ثم وقع الشروع في إصلاح ما بين الفريقين وتمّ على ذلك.
وعدل العلاء بن الحسن إلى مراسلة الأمير أبي علي ووالدته ويحذرهما
من الديلم وبوادرهم لما ظهر من ميلهم إلى صمصام الدولة وأبى طاهر.

فخرج الأمير أبو علي من دار الإمارة مستخفياً بالليل إلى مخيم الأتراك وتبعته والدته.

وأصبح الديلم قد أجمعوا رأيهم على الإبتداء بالأمير أبي علي والاحتياط عليه فوجدوهم قد برزوا إلى المعسكر فكشفوا القناع ونابدوا الأتراك وجرت بينهم مناوشات في عدة أيام.

ثم ارتحل الأتراك بالأمير أبي علي وساروا إلى فسا، فوجدوا بها أبا الفضل ابن أبي مكتوم عاملاً وتحت يده مال معدٌ يريد حمله إلى شيراز وعنده نحو أربعمائة من الديلم. فراسلوه واستمالوه فمال إليهم واستوزره الأمير أبو علي وفرّق المال المجتمع عليهم وحاصروا الديلم المقيمين بها في دار لجؤا إليها. فلما فتحوها قتلوهم بأسرهم وقوى أمر الأتراك بما حصل في أيديهم من أسلابهم.

وعاد الأمير أبو علي مع علافهم إلى أرجان ومضى البكي ومعه جمرة العسكر إلى باب شيراز وقد حصل فيها صمصام الدولة [239] فأقاموا بظاهرها مدة يقاتلون الديلم وينهبون السواد. ثم ضجروا من المقام فانصرفوا إلى أرجان.

ذكر سوء تدبير ابن أبي مكتوم في عداوة البكي

حتى هلك

كان قد جرى بين [ابن] أبي مكتوم وبين البكي تنافر أصرّ البكي على عداوته فيه. فلما قرب من البلد تلقاه الأمير أبو علي [و] ابن أبي مكتوم معه يسير على جانبه. فحين وقف للقاء الواردين سبقوا إليه وخدموه والبكي بمعزل عنهم.

ثم تقدّم أحد الأتراك إلى ابن أبي مكتوم فجذبه بكمّ دراعته وساعده

الباقون على سحبه إلى البكى فضرب عنقه.

وسار البكى لوقته إلى الأمير أبي على وقد ماج الناس وتواري أكثر الحواشي. فحين بصر به قبّل الأرض بين يديه واعتذر إليه وقال :
- «إِنَّ عبيدك ما أقدموا على قتل هذا الرجل إِلَّا لما عرفوه من سوء نيته فيك وفيهم واطلعوا عليه من مكاتبة صمصام الدولة وتسليمك وتسليمهم ونحن خدمك ومماليك ورؤوسنا ونفوسنا دونك.»
فأجابه بما أظهر به الرضاء^(١) عنه.

ومضت مديدة ووافى أبو على [240] الحسن بن محمد بن نصر رسولاً من حضرة بهاء الدولة بالمواعيد الجميلة فكأثر الأتراك وكأثروه واستمالهم في السر حتى اتفقت كلمتهم على الإنكفاء إلى حضرة بهاء الدولة بواسطة.
فلما قرب منها تلقى وأكرم ووصل إلى حضرة بهاء الدولة وهو في مجلس أنس فقرّبه وأدناه وبأسطه وسقاه ثم قبض عليه بعد أيام وحدر إلى البصرة واعتقل بها. وسار بهاء الدولة إلى فارس. فلما عاد إلى العراق استدعاه وتولّى أبو الحسن الكوكبي المعلم قتله خنقاً بيده.

ذكر ما جرى عليه أمر صمصام الدولة في خلاصه
وعوده إلى الملك بفارس بعد شرف الدولة

قد تقدّم ذكر خلاصه وخلاص أبي طاهر وحصولهما بسيراف. فلما ارتحل الأمير أبو على والأتراك من باب شيراز كتب أبو القاسم العلاء بن الحسن إليهما بما فعله من تمهيد الأمور وأشار عليهما بتقديم السير فساروا ونزلوا بدولتآباد، ثم دخلا البلد.

١. كذا في الأصل : الرضاء ، بالمد .

فاستولى الأمير أبو طاهر على الأمر بقوة نفسه وشدة بأسه، وتقلد فولاذ بن ماناذر أمور الديلم [241] ومايله العلاء بن الحسن فتعاضدوا، وصارت كلمتهما واحدة.

ثم مات الأمير أبو طاهر وقيل: إنه سُمِّ، فغلب فولاذ على الأمور واستبدَّ بالتدبير وعرض من فساد الحال بينه وبين العلاء ما صار سبباً لانفصاله عن فارس وحصوله بالرئ. وسيرد ذلك في موضعه إن شاء الله.

وفي هذا الوقت ورد الخبر بمسير فخر الدولة من همدان طالباً أعمال خوزستان ومحدثاً نفسه بقصد العراق.

ذكر السبب في حركة فخر الدولة لطلب العراق

كان صاحب ابن عبّاد على قديم الأيام وحديثها يحبّ بغداد والرياسة فيها ويراصد أوقات الفرصة لها. فلمّا توفّى شرف الدولة سمت نفسه لهذا المراد وظنّ أنّ الغرض قد أمكن. فوضع على فخر الدولة من يعظّم في عينيه ممالك العراق ويسهل عليه فتحها وأحجم صاحب عن تجريد رأى ومشورة بذلك نظراً للعاقبة وتبرّياً^(١) من العهدة إلى أن قال له فخر الدولة:

- «ما الذي عندك أيها صاحب فيما نحن فيه.»

فقال: «الأمير لشيأهائشاه وما يذكر [242] من جلالة تلك الممالك مشهور لا خفاء به وسعاده غالبة، فإذا همّ بأمر خدمته فيه وبلغته أقصى مراميه.»

فعزم حينئذ على قصد العراق وسار إلى همدان ووافاه بدر بن حسنويه وأقام بها مدة يجيل الرأى ويقلّبه ويدبّر الأمر ويرتبه، حتى استقرّ العزم على أن يسير صاحب وبدر بن حسنويه على طريق الجادة، ويسير فخر الدولة

١. ما في مد: تبرّناً.

وبقية العسكر على طريق الأهواز، ورحل صاحب مرحلة.

ذكر رأى أشير به على فخر الدولة اقتضى
ردّ صاحب من الطريق

قبل لفخر الدولة :

- « من الغلط مفارقة صاحب لك، لأنك لا تأمن أن يستميله أولاد عضد الدولة فيميل إليهم. »

فاستعاده وسارت الجماعة إلى الأهواز وكان أبو منصور ابن عليكا والياً للحرب بالأهواز، وأبو عبد الله ابن أسد ناظراً في الخراج على ما رتبهما شرف الدولة. فلما توفي شرف الدولة عمل أبو الحسن الكوكبي المعلم في تغيير أمر أبي منصور ابن عليكا والقبض عليه، وندب لذلك أخاً للحسين الفَرَّاش، وانتهى [243] الخبر إلى أبي منصور من أصحابه بالحضرة فترك داره ورحله وأكثر كراعه، ومضى مع بعض العرب قاصداً حضرة فخر الدولة ونهب الديلم بعد انصرافه رحله، وكان شيئاً كثيراً.

ذكر رأى سديد لأبي عبد الله ابن أسد استرجع به المأخوذ
وحفظ فيه السياسة

جمع قواد الديلم وقال لهم :

- « إنَّ هذا الرجل والكراع المأخوذ هو اليوم لبهاء الدولة، وإذا أخذ ونُهب كان ذلك خروجاً عن الطاعة. فإمّا أن تردُّوا المأخوذ وإمّا أن تخلوا عني لأفارق موضعي وأنتم بشأنكم أبصر. »

فقالوا : « إمّا فعل ذلك أصاغرنا الذين لا قدرة لنا على انتزاع ما في أيديهم. »

فراجعهم وراجعوه حتى التزموا ردَّ المنهوب وتحالفوا على استخلاصه. ففعلوا ذلك فأعادوه. ثم عدلوا إلى المطالبة بمال البيعة فجمع أبو عبد الله صدرًا من مال الإرتفاع وقوم بقية الرحل والكراع على القوم وأرضاهم به. وشاع خبر مسير فخر الدولة فوقع بين الديلم والأتراك [244] تنافر أدى إلى حرب بينهما أتماماً. ثم سار الأتراك ومن مال إلى بهاء الدولة من الأهواز على سمت العراق.

ذكر ما جرى عليه أمر فخر الدولة عند حصوله بالأهواز وما اعتمده من سوء التدبير والسياسة حتى عاد بالخيبة

كان صاحب أبو القاسم إسماعيل بن عبّاد سبق إلى الأهواز وملكها ولحقه فخر الدولة بعد عشرين يوماً وخيّم ببستان البریدی. وتشوّف الجند إلى ما يكون من عطائه واحسانه. فلم يكن منه في ذلك ما اقتضته الحال ولا بعض ما كانت عليه الآمال. وحضر المهرجان فقاد القواد الخوزستانية خيلاً برسم خدمته على ما جرت به العادة في مثل هذا الفصل، فردّها عليهم وسامهم أن يمكنوا المخيّرين من اختيار ما يرتضونه لمراكبه، وأخذ من خيلهم جيادها فنفرت قلوبهم لذلك.

ثم حظر على إقطاعاتهم ومنعهم التصرف في ارتفاعها وإن لم يظاهروها بحلها وارتجاعها ومدّ العمّال في أثناء الخطر أيديهم في تناول موجودها. فضاقوا صدوراً وازدادوا نفوراً.

فأمّا وجوه الديلم الذين وصلوا مع فخر الدولة، فإنّ نيّاتهم ساءت

أيضاً [245] لأنَّ إقطاع كل واحد منهم بالرئى وأعمال الجبل كان من عشرين ألف درهم إلى ثلاثين ألف درهم. ورأى كل واحد من قواد الديلم الخوزستانية وإقطاعه ما بين مائتى ألف درهم إلى ثلاثمائة ألف درهم فكثرت حسدهم وظهر تحاقدهم.

وكان من عجيب الاتفاق (ليقضى الله أمراً كان مفعولاً) ^(١) أنَّ دجلة الأهواز زادت فى تلك الأيام زيادة لم تجربها العادة ودخل الماء إلى الخيم فأخذ بعضها. فرحل فخر الدولة وعسكره وعظم فى أعينهم ما رأوه لأنهم ألفوا المدود ^(٢) وقال بعضهم لبعض: إنما حملنا الصاحب إلى هذه البلاد طلباً لهلاكنا.

فأشمازت قلوبهم وساءت ظنونهم وتقلقل الأمر ولاح من كل وجه وهى أسبابه. واتصلت الأخبار إلى بغداد بحصول فخر الدولة بالأهواز.

ذكر ما دبّره بهاء الدولة فى تجهيز

العسكر للقاء فخر الدولة

لما عرف وصول فخر الدولة إلى الأهواز انزعج انزعاجاً شديداً وندب الحسين بن على الفرائش للخروج فى هذا الوجه والقيام بتدبير الحرب، وقدمه وعظمه ولقبه: الصاحب، مغايظة لابن عباد وخلع عليه [246] خلعاً توفى على قدر من هو أوفى منه، وأصحابه من المال والسلاح والآلات كل خطير كثير وجرد معه أبا جعفر الحجاج بن هرمز وألفتكين الخدام ومعهما عسكر جرّار.

وسار بعد أن خرج بهاء الدولة لتوديعه فرتب نفسه فى طريقه لترتيب

١. س ٨ الأنفال: ٤٢.

٢. الصواب: ما كانوا ألفوا، كما سيأتى.

الملوك في مجالسه ومواكبه وانخرق في العطاء وأسرف في التدبير.
 وكان السبب في بلوغه هذه المرتبة مع عناية بهاء الدولة تجرد أبي
 الحسن الكوكبي المعلم لتشييد أمره لا عن صفاء له، وإنما قصد بمساعدته
 على ذلك إبعاده عن الحضرة والاستراحة منه. فإنه كان شديد الاستيلاء على
 بهاء الدولة.
 فلما حصل بواسط وبعد، حكيت عنه حكايات وأقوال، ووجد في تغير
 رأى بهاء الدولة متسع ومجال.

ذكر السبب في تغير رأى بهاء الدولة في الحسين
 الفَرَّاش وما جرى عليه الأمر في القبض
 عليه وردّه من الطريق إلى بغداد
 وقتله في دار تحرير [247]

قال أبو نصر المعروف بالأستاذ الفاضل: لما أراد الحسين الفَرَّاش التوجه،
 قال لي بهاء الدولة:

«أريد أن أشاهده إذا ركب في موكبهِ وبرز إلى مضاربه.»
 فقلت: «الأمر لك.»

فخرج ووقف من باب الخطّابين ينظر إلى الطريق، فاجتاز للحسين عدّة
 غلمان أترّك بالسيوف والمناطق وتحتهم الخيل بالمراكب الجميلة فقال لي:
 «يا بانصر هذه المراكب من الخزانة؟»

قلت: «نعم، لما بيعت ابتاعها وطراها.»

واجتازت بعد ذلك جنائبه بمراكب ذهب وغير ذهب، وفيها بغلة عليها
 مركب كان يحبّه بهاء الدولة، فأخرج فيما بيع وحصل له فقال:
 «يا بانصر هذا مركبي الفلاني؟»

قلت : « نعم . »

ولم يزل يسأل عن شيء شيء ويقول :

- « متى جمع هذا وحصله ! »

فلما مضى الحسين عاد بهاء الدولة إلى مجلسه . ورأيت وجهه قد تغير ونشاطه قد فتر ، ودخل الحجرة فنام إلى العصر ولم يطعم طعاماً إلى آخر النهار ، ثم راسله الحسين الفَرَّاش على لسانى يسأله الأذن فى ضرب طبول القطاع .

فامتنع عليه من ذلك وقال :

- « هذا لا يجوز . »

وعُدت إليه بهذا الجواب فاشتط وقال :

- « بمثل هذه المعاملة يُراد منى أن أدفع فخر الدولة وقد استولى على

المملكة مما ذهب فيه مذهب الجهل ؟ »

واتَّفَق أنَّ أحمد الفَرَّاش كان حاضراً معى [248] وسامعاً لما يجرى . وقمنا

وسبقنى أحمد الفَرَّاش فحدّث بهاء الدولة بما جرى . ثم جئت من بعد

فسألنى عما كان من الجواب ، فقلت :

- « قد كان أحمد الفَرَّاش حاضراً وتقدّمنى إلى حضرتك ولعلّه قد

شرحه . »

فقال : « أعدّه . »

فحسنت ما أوردّه ، فقال :

- « ما كان هكذا . »

قلت : « إذا كان مولانا قد عرف الأمر على صحّته فما الفائدة فى تكرير

إعادته ؟ »

ثم تتابعت الأخبار بما يفعله الحسين فى طريقه من الأفعال التى تجاوز

الحَدُّ فوجد أبو الحسن الكوكبي سبيلاً إلى تقبيح آثاره، وحكى عنه الحكايات التي أدت إلى بوازه.

فقال له بهاء الدولة في بعض الأيام وقد جراه ذكره: «أنفذ من يقبض عليه.»

فانتهاز أبو الحسن الكوكبي الفرصة ويادر بإنفاذ أبي الفتح أخى أبي عبد الله بن عليان وأبى الحسن على بن أبي على لذلك.

ذكر اتفاق عجيب انكم به الأمر عن الحسين الفَرَّاش حتى قبض عليه

ذكر الثلاثة المنحدرون أنهم لما وصلوا إلى مطارا والحسين بها ساء ظنه بورودهم فأنفذ إلى زبازبهم من فتشها وأخذ ما وجده من الكتب فيها. [249] فلحسن الاتفاق لهم وسوء الاتفاق عليه كانوا قد استظهروا بترك الملطفات المكتوبة بالقبض عليه في سمارية كانت في صحبتهم، إلا أنها مفردة من جملة ما يخصهم، فلم يجدوا إلا الكتب الظاهرة التي كانت إليه فأنس وسكن.

ثم اجتمعوا مع أبي جعفر وأفتكين فأوصلوا إليهما الملطفات ووقفوهما على ما رسم فيها وصاروا إلى الحسين واجتمعوا في خركاه له وحادثوه ساعة ونهضوا من عنده وأطبقوا عليه بابها ووكلوا به وبخزائنه، ثم حملوه مقيّداً إلى البصرة وسلموه إلى بكران بن أبي الفوارس وأبى على ابن [أبى] الريان فحمل منها إلى بغداد، وقد أوغر عليه صدر بهاء الدولة، فحبس في دار تحرير وأمر بإخراج لسانه من قفاه، فمات ورُمى من بعد إلى دجلة. فكان بين استخدامه في الكنس والفرش وبين الخلع عليه مدة يسيرة وبين الخلع عليه وبين قتله مدة أيسر من الأولى.

وإنَّ من صعد من الحضيض الأوهْد إلى محلِّ الفرقْد، ولم يكن ليديه بأسباب الخير تعلُّق، ولا لقدميه في أبواب البر تطرُّق، يوشك أن يهوى سريعاً ويخرَّ سريعاً فتنبتَّ حباله^(١) وتنقطع أوصاله فتحوِّل حاله إلى الفساد. وتحوِّر ناره إلى الرماد. فالنار في الحلقاء أعجل وقوداً [250] وصعوداً ولكنها أسرع خموداً وهموداً، وهى فى جزل الغضا أبطأ عملاً، لكنها أبقي جمرأ وأفسح مهلاً. والمعوِّل فى كل حال على العاقبة فعندها تبين الناجية من العاطية. وعوِّل بهاء الدولة بعد أخذ الحسين الفَراش على أبى العلاء عبيد الله بن الفضل فى هذا الوجه وأنجح فيه ما يأتى شرحه بأذن الله تعالى.

ذكر ما رتبَه فخر الدولة فى تجهيز الجيش إلى الأهواز

لَمَّا عرف فخر الدولة دنوَّ عسكر بهاء الدولة من أعمال خوزستان جرَّد العساكر للقائهم فسار ابن الحسن خاله وشهفروز بن الحسن وغيرهما فى ثلاثة آلاف من الديلم وبدر بن حسنويه فى أربعة آلاف من الأكراد ودييس بن عفيف الأسدى وكان قد انحاز إليه فى عدة كثيرة من العرب. فلَمَّا تلاقى العسكران أجلبت الحرب عن هزيمة أصحاب فخر الدولة.

ذكر اتفاقات كانت سبباً لهزيمة

عسكر فخر الدولة [251]

لم يكن فى التقدير وظنَّ النفس ورأى العين أن يثبت لهم عسكر بهاء الدولة لولا النصر فإنَّه من عند الله.

١. والمثبت فى مد: حاله، واقترح أن يكون «حباله» والحقَّ معه.

فاتفق أن المعركة كانت بقرب أنهار وجاءت زيادة مد أخذ الصحارى وظنّ عسكر فخر الدولة أنها مكيدة عملت بفتح بثق عليهم يغرقون فيه، ولم يكن لهم علم بحال المدود ولا هي عندهم من المألوف والمعهود. فولّوا أدبارهم ونكصوا على أعقابهم^(١) إلى الأهواز واستأسر أناس من أكابرهم واستأن كثير من أصاغرهم.

وقيل: إن بدر ابن حسنويه وقف بنجوة من الأرض واعتزل الحرب وإنّ دُبّيس بن عفيف انصرف قبل اللقاء. وربما كان سبب هذا الفعل من صاحب ما اعتمده فخر الدولة معه من الإرتياب به وردّه حين سار من همذان على جادة العراق خوفاً من ميله إلى أولاد عضد الدولة ومثل ذلك ما أثر في القلوب وأقام البرىء مقام العريب، ثم ما استمر من مخالفته إياه في آرائه. فلما عاد الفلّ إلى الأهواز قلق فخر الدولة وتقلقل رأيه وتململ.

ذكر رأى سديد رآه صاحب لم يساعده

عليه فخر الدولة [252]

قاله له: أمثال هذه الأمور تحتاج إلى توسع في العطاء وضايقت الناس مضايقة وأضعفت فينا آمالهم وقطعت منا حبالهم. فإن استدركت الأمر بإطلاق المال واستمالة الرجال ضمنت لك ردّ أضعاف ما تطلقه بعد سنة من ارتفاع هذه البلاد.

فلم يكن منه اهتزاز لهذا القول وكان قصارى ما فعل تلافى القواد الأهوازية بإزالة الحظر عن إقطاعاتهم فلم يقع هذا الفعل موقعاً منهم مع ذهاب ارتفاعها في تلك السنة.

١. والمثبت في مد: أعناقهم، وهو تصحيف.

ولم تسمح نفس فخر الدولة بعطاء، للشع^(١) الغالب عليه. وأخذ الناس في التسلسل للاحقين بإصحاب بهاء الدولة حتى كان النقباء يطوفون في صبيحة كل يوم على الخيم فيجدون كثيراً منها قد خلا من أصحابها. واتسع الخرق على الراقع وأعزل الداء على الطبيب:

كَمَا أَنَّ الْأَدِيمَ إِذَا تَفَرَّى بَلَى وَتَعَفَّنَا غَلَبَ الصَّبَاحَا^(٢)

فضاق فخر الدولة ذرعاً بالمقام مع انتشار الحبل في يديه وتفرق الناس عنه وانصرف عائداً إلى الريّ وقبض في طريقه على جماعة من القواد الرازية وقتلهم. ووافى أبو العلاء عبيد الله بن الفضل فدخل الأهواز وملك الأعمال.

وأما أبو عبد الله بن أسد فإنّ الديلم قبضوا عليه قبل وصول [253] صاحب إلى الأهواز وتوفى في الاعتقال من علّة عرضت له. ومرض صاحب بالأهواز مرضاً أشفى منه ثم أقيّل فتصدّق بجميع ما كان في داره من المال والثياب والأثاث، ثم استأنف عوض كل شيء من بعد.

ذكرت فيما حفظ عليّ صاحب في مقامه بالأهواز

قيل: إنّ قوماً تظلموا إليه من حيف لحقهم فوقّع على ظهر قصّتهم: يظلمون شهراً وينصفون دهرأ. وهذا توقيع طريف. فهل يجوز الغفول عن الظلم ساعة فكيف شهراً وما يدرية لعل الله يُحدث قبل الشهر أمراً. وقيل: إنّ رسم لكتاب البلد عمل حساب بإرتفاع كل كورة، فعملوه

١. وفي الأصل: للشيخ.

٢. لعله الدباغا: والمثل المشهور: كدابة وقد حلم الأديم (مد).

وحملوه إليه. فأمر بجمع العمّال والمتصرفين وأن يخرج ارتفاع كل ناحية ويعرض عليهم ويزايد بينهم. فكان ينادى على النواحي بين العمّال كما ينادى على الأمتعة بين التجّار. وهذا الحديث مستطرف في حكم النظر. وقيل: إنه غير مستنكر عند كتاب الرىّ وتلك البلاد، لأنّ معاملاتهم جارية على عقود وقوانين. فأما العراق وما والاها فلم نسمع بمثل ذلك فيها [254] إلا ما كان من قديم الناس من المزايدة بين التجّار فى غلّات السلطان.

ذكر خبر مستحسن فى ذلك

قيل: إنّ أحد الوزراء - وأظنّه على بن عيسى والله أعلم - جمع التجّار إلى مجلس نظره فى بعض السنين لبيع الغلّات عليهم فتقاعدوا بالأسعار على اتّفاق بينهم فبرز أحدهم فزاد زيادة توقّف عنها الباقون ظناً منهم أنّه لن يقنع بذمّة رجل واحد دون الجماعة. لأنّه مال عظيم فأمضى الوزير البيع له. فلما خافوا فوت الأمر زادوه عشرة آلاف دينار فقال الوزير: - «قد نفذ السهم وسبق القول والغلّات للرجل والثلث لنا وله الإختيار فى قبول الزيادة منكم أو ردّها عليكم فهى له خالصة دوننا.» فسألوا الرجل قبول الزيادة أو المشاركة فقبل الزيادة وولّاهم البيع وبرئت ذمّته من الثمن وعاد إلى منزله بعشرة آلاف دينار.

فما أحسن هذا الفعل الكريم والمذهب المستقيم وكم فى أثناء الوفاء بالعقود والثبات على الشروط والصدق فى الوعود، من مصلحة خالصة وسياسة شاملة! وإن لاح فى أولاهها بعض الغرم ففى عواقبها كل النعم وإذا لم يوثق بأقوال الصدور فعلام [255] تُبنى قواعد الأمور؟ والسياسة بنيان والصدق قاعدة، والبنيان يشدّ بعضه ببعضه. فإذا اضطربت القاعدة آل البنيان

إلى النقص. ونعود إلى سياقة التاريخ.
وفي هذه السنة أفرج عن أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف وعاد إلى بغداد ناجياً من الهلاك بعد أن كان أشرف عليه.

ذكر أناءة اعتمدها العلاء بن الحسن في بابه أدت إلى خلاصه

كان قد حصل في القلعة معتقلاً على ما تقدّم ذكره والعلاء بن الحسن يراعيه مراعاة مستورة.

فورد عليه في آخر أيام شرف الدولة [من] يسأمره بقتله فانزعج لهذه الحال، لما كان بينهما من حرمة الإتصال وثبت في إمضاء ما ورد. وتجدد من وفاة شرف الدولة ما تجدد، فأنفذ في تلك الفترة من أخرجه من الحبس وأشار عليه بقصد العراق فسار إلى البصرة واستأذن في الإصعاد فاذن له.

ذكر القبض على ابن عمر العلوي وعلى كاتبه

وفيها قبض على أبي الحسن محمد بن عمر العلوي وعلى كاتبه أبي الحسن علي بن الحسين.

ذكر ما جرى عليه الأمر في ذلك [256]

كانت حال أبي الحسن محمد بن عمر قد تضاعفت في أيام شرف الدولة، وقد تضاعف ارتفاع أملاكه حتى إن أبا الحسن علي بن طاهر لما خرج إلى نواحي سقى الفرات لتأمل أحوالها في أيام شرف الدولة، عمل في عرض ما راعاه عملاً بارتفاع ضياعه اشتمل على عشرين ألف ألف درهم. وعرف

الشریف أبو الحسن ذلك فضاقت صدره وساء ظنه.

ذكر رأى سدید رآه ابن عمر فی تلك الحال

استمال به قلب شرف الدولة

استدعى على بن الحسين الفَرَّاش الملقَّب بالخطير. فلما أحضر عنده قال له :

«أحمل عني رسالة إلى الملك وقل له : يا مولانا ما لأحد عليّ نعمة كنعمتك ولا منّة كمنتك. أطلقتني من حبسى ومننت عليّ بنفسى ورددت أموالى وضياعى إليّ وزدت فى الاحسان اليّ. وبلغنى أن ابن طاهر عمل بضياعى عملاً بعشرين ألف [ألف] درهم وهذه الضياع هى لك ومنك. وقد أحببت أن أجعل نصفها للأمير أبى على هدى ونحلة طيبة عن طيب نفس وانشرح صدرى.»

فأعاد^(١) على بن الحسين الفَرَّاش الرسالة على شرف الدولة.

ذكر جواب لشرف الدولة عن [257] رسالة أبى عمر

تدلّ على شرف نفس وعلوّ همّة

قال شرف الدولة فى الجواب:

«قل له : قد سمعت رسالتك وكلّ جميل اعتدلت به فاعتقادى يوجب لك أوفى منه. والله لو أنّ ارتفاعك أضعاف ما ذكرته لكان قليلاً لك عندى. وقد وفرّ الله عليك مالك وأملاكك وأغنى أبى على عن مداخلتك فى ضياعك، فكن فى السكون والطمأنينة على جملتك. فانظر إلى هذه الهمّة ما أشرفها

وأعلاها، وأنصت إلى هذه الأحداث ما أطيبها وأحلاها. وتلك مواهب من الله يخص بها من يشاء من عباده والمرء يصيب بحسن التوفيق لا بحوله واجتهاده.»

فلما توفي شرف الدولة وانتقل الملك إلى بهاء الدولة استولى أبو الحسن المعلم على الأمور وامتدت عينه إلى حاله، وأشار على بهاء الدولة بأخذ نعمته وقبض أملاكه، فقبض عليه وعلى وكلائه وكتابه وبقي في الاعتقال الذي يرد ذكره فيما بعد.

وفي هذه السنة خرج أمر بهاء الدولة بإسقاط ما يؤخذ من المراعى من سائر السواد.

وفيها عاد أبو نصر خواشاذه من الموصل بعد إصعاد ابنى حمدان إليها.

ذكر خروج ابنى حمدان من [258] بغداد وذكر ما جرى

عليه أمرهما في حرب أبي نصر خواشاذه

لما توفي شرف الدولة شرع أبو طاهر ابراهيم وأبو عبد الله الحسين ابنا حمدان في الخروج إلى الموصل واستأذنا في ذلك فوجدا رخصة انتهزا بها الفرصة. فأصعدا بأهلها أجمعين وعلم من بالحضرة وقوع الغلط في إصعادهما فكتب أبو نصر خواشاذه بدفعهما وردهما.

فلما وصلا إلى الحديثه راسلها أبو نصر بالرجوع من حيث جاءا. فهما إن خالفاه ودخلا البلد قبض عليهما فأجاباه جواباً جميلاً ببذل الطاعة وقبول ما يؤمران به. وعاد الرسول وسار [١] على أثره حتى نزلا بالدير الأعلى.

وثار أهل الموصل على الديلم والأتراك فنهبوا أرحالهم وأخذوا أموالهم وخرجوا إلى ابنى حمدان وأظهروا المباينة والعصيان.

فأنفذ أبو نصر من كان معه من العسكر لقتالهم فقامت الحرب بينهم إلى

العصر ثم انهزم أصحاب السلطان وهلك منهم عدد كثير قتلاً وغرقاً ولحق الباقيون بأبي نصر فاعتصموا بدار الإمارة التي هو نازل فيها وتبعهم ابنا حمدان والعامّة، ففلقت الأبواب دونهم واستوعب القتال بقية النهار، ثم حجز الليل بينهم وعاد ابنا حمدان إلى مخيمهما.

ذكر رأى سديد رآه ابنا حمدان [259]

فأحسننا فيه الظنّ علماً للعاقبة

لما جرى ما جرى [و] علماً أنّ العامّة لا تقنع إلّا بقتل الديلم وأنّ السلطان لا يغمض على مثل هذه الجناية خافا عواقب الأمر وراسلا أبا نصر في ليلتهما وقالوا له :

- «نحن خدم السلطان وقد جرت الأقدار بغير الاختيار ولا قدرة لنا الآن على ضبط العامّة لما في نفوسهم من الديلم وهم في غد يحرقون الدار ويسفكون الدماء فإمّا أن تصير إلينا وإمّا أن تعلم أنّك مهلك نفسك.»
فعرف أبو نصر خواشأه أنّهما قد نصحاه وخرج إليهما ليلاً فأكرماه ثم عدلا إلى تدبير أمر العامّة فأحضرا شيوخهم ووجوههم وقالوا لهم :

- «إنّ كنتم تؤثرون مقامنا بين ظهرائيّكم فولّونا أموركم ولا تشفوا بقتل أصحاب السلطان ^{يصدوركم}، فإنّه شفاء يعقب داء عضالاً، ولا تجدون من السلطان في ذلك إغضاء وإجمالاً. والذي نراه أن تكفّوا أحداثكم عن القتل وانصرف هؤلاء القوم عنكم صرفاً جميلاً ويتلطف السلطان اقدامنا عندهم.»
فأجابوه بالسمع والطاعة وبذل المكنة والاستطاعة وبكر العوام إلى الدار فلم يزل ابنا حمدان والمشايخه بهم رفقا ولطفاً حتى استقر الأمر بعد هناة على أن يهبوا الدم وينهبوا الأموال وأن يصعد الجند إلى [260] السطوح ويقف على الدرج من الشيوخ من يمنع العامّة من الصعود.

ودخلوا الدار وخرجوا بنهب الموجود. ثم غلقت الأبواب وصار جند السلطان محبوسين أيتاماً إلى أن انحدروا بأسوأ حال في الزواريق إلى بغداد وأفرج عن أبي نصر وأحسن إليه وعاد إلى الحضرة. وتشاغل ابنا حمدان بالنظر في أمورهما وانثال عليهما من بنى عقيل العدد ولم يكن لهما من الجند إلا العامة والثلاثون ألف من الحمدانية.

ثم دخلت سنة ثمانين وثلاثمائة

فيها كانت الوقعة بين باد وبين أبي طاهر^(١) وأبى عبد الله ابنى ناصر الدولة بن حمدان وبين بنى عقيل بظاهر الموصل.

ذكر ما جرى عليه الحال في هذه الوقعة

من قتل باد وهزيمة أصحابه

لما حصل أبو طاهر وأبو عبد الله ابنى ناصر الدولة بظاهر الموصل استضعفهما باد وطمع في قصدهما وأخذ البلد منهما. وعلم أن لا جند لهما سوى العامة فكتب أهل الموصل واستمالهم. فأجابهم بعضهم وسار في ستة آلاف رجل من أصناف الأكراد ونزل في الجانب الشرقي.

فخافه [161] ابنا حمدان وعلماً أن لا طاقة لهما به فلبأ إلى بنى عقيل وراسلأ أبا الدواد محمد بن المسيب وسألاه النصرة وبذلا له النزول على حكمه فالتمس منهما الجزيرة ونصيبين وبلد وعدة مواضع فأجاباه إلى ملتسمه.

فلما استقرت بينهم هذه القاعدة سار إليه أبو عبد الله ابن حمدان ووافى به

١. وفي الأصل : أبى نصر.

فى ألفى فارس إلى بلد وهى فى أعلا الموصل فى الجانب الغربى^(١) وعبرا دجلة وحصلا مع باد على أرض واحدة وباد عنهما غافل وبحرب أبى طاهر وأهل الموصل متشاغل.

فجاءته طليعة من طلائعه تخبر بعبورهما فخاف أن يعبر إليه من بازائه ويكبسه أبو عبد الله وبنو عقيل من ورائه. فتقدم إلى أصحابه بالانتقال واللؤذ بأكناف الجبال، واضطربوا واخلطوا ما بين سابق مستعجل ولاحق مرتحل وثابت فى المعركة مستقبل.

ذكر اتفاق عجيب آل إلى هلاك باد بعد انقضاء مدته

بينما الحال على ما ذكر من اختلاط أصحاب باد إذ قتل عبد الله حاجبه المعروف بعروس الخيل، ففجع به وانزعج لفقده وأراد الانتقال من فرس [262] إلى فرس، فحوّل رجله من ركاب إلى ركاب ووثب فسقط إلى الأرض بثقل بدنه، فاندقت ترقوته والحرب قائمة بين الفريقين حتى عرف أبو^(٢) على الحسن بن مروان ابن أخته خبره. فصاروا إليه فقالوا له:

«احمل نفسك كي تلحق الخيل.»

فقال لهم:

«لا حراك بى فخذوا نفوسكم.»

فانصرفوا فى خمسمائة فارس طالبين الجبل عرضاً حتى خلصوا إليه من السهل. وجدل بنو عقيل منهم فرساناً وسلم بنو مروان وأكثر من معهم وساروا فى لحف الجبل إلى ديار بكر.

وحصل باد فى جملة القتلى وبه رمق فعرفه أحد بنى عقيل، فأخذ رأسه

١. بلد: اسم لمواضع كثيرة. انظر مراصد الإطلاع.

٢. وفى الأصل: أباً.

فحمله إلى ابني حمدان وأخذ عليه منهما جائزة سنّية ودل على جثته فحُمِلَ إلى الموصل وقطعت يده ورجله وحُمِلت إلى بغداد وصُلِبَ شِلْوُهُ على باب دار الإمارة بالموصل.

فثار العامة وقالوا:

- «هذا رجل غاز فلا تحلّ المثلة به.»

فحطّ وكفّن وصلى عليه ودفن. وظهر من محبة العامة له بعد هلاكه ما كان طريفاً. بل لا يستطرف من الغوغاء تناقض الأهواء ولا يستنكر للرعاع اختلاف الطباع، وهم أجراً الخلق إذا طمعوا وأخبتهم إذا قمعوا.

ومضى أبو علي ابن مروان من فوره إلى قلعة كيفا، وهي قلعة على دجلة حصينة جداً وبها زوجة باد الديلمية. [263]

ذكر حيلة لابن مروان ملك بها القلعة

لَمَّا وصل إلى باب القلعة قال لزوجته باد:

- «قد أنفذني خالي إليك في مهمّات.»

فظنّته حقاً. فلَمَّا صعد وحصل عندها أعلمها بهلاكه، ثم تزوّج بها ورثب أصحابه فيها ونزل فقصّد حصناً حصناً حتى رثب أمر جميع الحصون، وأقام ثقاته فيها وصار إلى ميفارقين^(١).

ونهب أبو طاهر وأبو عبد الله ابنا حمدان إلى ديار بكر طمعاً في فتح القلاع وحملها معهما رأس باد، فوجدا الأمر ممتنعاً وقد أحكم ابن مروان بناء وحمى حماه. فعدّلا إلى قتاله ووقعت بينهما وقعة كان الظفر فيها لابن مروان، وحصل أبو عبد الله ابن حمدان أسيراً في يده.

١. ميفارقين: أشهر مدينة بديار بكر. قيل: ما بُنى منها بالحجارة فهو بناء أنوشروان، وما بُنى منها بالآجر فهو بناء أبرويز (مراصد الإطلاع).

ذكر جميل لابن مروان إلى أبي عبد الله عند أسره
لم يشكر عليه فسأت عاقبة أمره

لَمَّا أُسِرَ ابن مروان أبا عبد الله أحسن إليه وأكرمه وأفرج عنه. فصار إلى أخيه أبي طاهر وقد نزل على آمد. فأشار عليه بمصالحة ابن مروان [264] وموادعته والإنكفاء عن ديار بكر فأبى أبو طاهر إلا معاودة حربه مع جمع كثير من بنى عقيل ونمير، واضطر أبو عبد الله إلى مساعدته كما ينصر الأخ أخاه ظالماً ومظلوماً.

وسارا إلى ابن مروان فواقعا وكان النصر له فهرهما وأسر أبو عبد الله أسراً ثانياً، فأساء إليه وضيّق عليه واعتقله زماناً طويلاً إلى أن كاتبه صاحب مصر فى بابه فأطلقه بشفاعته وخطابه ومضى إلى مصر وتقلّد منها ولاية حلب^(١) وأقام بتلك الديار حتى توفّى وله بها عقب.

وأما أبو طاهر فإنه انهزم ودخل نصيبين وقصده أبو الدؤاد محمد بن المسيّب، فأسره وعلياً ابنه والرغفير أمير بنى نمير فقتلهم صبراً. وملك محمد بن المسيّب الموصل وأعمالها وكاتب السلطان وسأل إنفاذ من يقيم عنده من الحضرة. فأخرج المظفر أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن حمدويه وذلك عند غيبة بهاء الدولة عن بغداد ومقام أبى نصر خواشاذه بها فى النيابة عنه.

فلم تدخل يد المظفر إلا فى أبواب المال وفيما كان له ولأبى نصر خواشاذه من الأموال والإقطاع فى النواحي، فاستولى بنو عقيل على سوى ذلك.

١. وفى تاريخ ابن القلانسي ص ٥١ أنه فى سنة ٣٨٧ ولى صور من قبل الحاكم صاحب مصر (مد).

القبض على صاحب المعونة

ببغداد وقتله

وفى هذه السنة قبض على أبى الفرج محمد بن أحمد بن الزُطّى صاحب المعونة ببغداد. [265]

ذكر ما جرى عليه أمره فى القبض

عليه إلى أن قتل

كان هذا الرجل قد تجاوز حد الناظرين فى المعونة وأسرف فى الإساءة إلى الناس حتى وترهم، وبالع في أيام صمصام الدولة بعد فتنة أسفار فى منع أسباب أبى القاسم عبد العزيز بن يوسف وتطلب حُرمة واستيصال أمواله ونعمه، وأغرق فى الفعل القبيح معهم ومع غيرهم. وكثرت الطوائل لديه واجتمعت الكلمة عليه وأطمع بهاء الدولة وأبو الحسن الكوكبى المعلم فى ماله وكثر عندهما مبلغ حاله فقُبض عليه واعتقل فى الخزانة وكرّر الضرب عليه أياماً. ووقع الشروع فى تقرير أمره فاجتمع أبو القاسم عبد العزيز وأبو محمد ابن مكرم على نصب الحبائيل لهلاكه، ووضعوا أبا القاسم الشيرازى على أن يضمّنه بمال كثير.

ذكر مكيدة تمّت لعبد العزيز بن يوسف

فى أمر الزُطّى حتى هلك [266]

قال أبو نصر الحسين بن الحسن المعروف بالأستاذ الفاضل : إنّ أبا القاسم عبد العزيز هو الذى سعى واجتهد فى أمر ابن الزطى وذكره عند المعلم بكل

ما خَوْفُه منه وقال :

- «نحن بصدد حرب والمسير للقاء عدو، والحوادث لا تؤمن ومتى استبقيت هذا الرجل لم نأمنه جميعاً على من نخلفه ورائنا من حرماننا وأولادنا وفي الراحة منه قربة إلى الله تعالى وأمن في العاقبة.»

قال المعلم :

- «إنَّ الملك قد أطمع في مال كثير من جهته.»

فقال عبد العزيز :

- «لعمري إنَّه ذو مال ولكنَّه لا يذعن به طوعاً ولا يعطيه عفواً. وهذا أبو القاسم الشيرازي يبذل فيه ألف ألف وخمسمائة ألف درهم ويقول: إنَّ المال لا يصحَّ وهو حيُّ تخافه أصحاب الودائع.»

وحضر الشيرازي وبذل مثل ذلك بلسانه.

قال الأستاذ الفاضل : فقلت له :

- «هل أنت على ثقة مما بذلته؟»

فقال لي سرّاً :

- «على الإجهاد، فإن بلغت المراد وإلا حملتُ إلى زوجة هذا - وأشار

إلى المعلم - عشرة آلاف درهم وقد خلصتني من يده.»

وضحك وضحكته.

ولم يزل عبد العزيز بالمعلم حتى تقرّر الأمر على قتله. واستؤذن بهاء الدولة وتحقق عنده المال المبدول عنه. فأذن في ذلك وعُبر بالرجل إلى الجانب الغربي وحمل رأسه إلى المعلم، فأنفذه إلى محمد بن مكرم فوضعه في غد في دهليزه ليشاهده الناس.

وهذه حكاية عجيبة [267] وليس العجب من قتل ابن الزطى. فإنَّه كان من الأشرار وما آل إليه الأشرار من البوار، وإنَّما العجب من استيلاء المعلم

على بهاء الدولة واستيلاء المرأة على المعلم حتى يلعبا بالرجال ويتحكما بالدماء والأموال. وإن أمثال هذه الأحوال لتكسو الدول من العار بروداً وتنظم لها من المساوى عقوداً. فإذا أحب الله صلاح دولة طهرها من مثل هذه الأدناس وقبض لتدبيرها أخيار الناس، فتكون ما بقيت منصوراً مؤيدة، ثم تبقى محاسنها في الصحف محفوظة مؤيدة.

وعول بعد قتل ابن الزطى على أبى محمد الحسن بن مكرم الحاجب وخلع عليه، فأبان فيها أثراً جميلاً وأخذ العيارين والدُّعَار أخذاً شديداً بعد أن كان قد استشرى أهل الفساد.

فقامت الهيبة واستقامت الأمور على السداد، وأمن البلد وهرب كل ذى ريبة. ثم استعفى منها وخرج فى الصحبة إلى واسط.

ذكر السبب فى ذلك

كان رأى أبى الحسن المعلم فاسداً فى الوزير أبى منصور، وإنما أقره على الوزارة تأنيساً لأبى القاسم العلاء بن الحسن وتقريراً لحيلة تتم عليه.

فلما فعل بفارس ما فعله ووقع اليأس من خداعه بعد كشف قناعه، قدّم على^(١) القبض [268] على الوزير أبى منصور ما كان آخر، وعول على أبى نصر^(٢) سابور بن أردشير فى النظر وخلعت عليه خلع الوزارة ونُقل الوزير أبو منصور إلى الخزانة ونزل أبو نصر سابور داره.

وعلى ذا مضى الناس ! منصور ومخدول ومولى ومعزول ومختار ومردود ومشتهى ومملول، وأعمال السلطان عوارى لا بد من استرجاعها، وملايس لا بد من انتزاعها. والسعيد من حسنت من تلك العوارى حاله، وكرمت فى

١. قال فى مد: «لعله : من.» ولا داعى لذلك.

٢. فى الأصل : منصور.

خلال تلك الملابس خلاله. فإذا ارتجعت منه بقي له من المجد حظٌ موفور، وإذا انتزعت منه صفاً عليه من الحمد بُرد محبَّرٌ، فختمت بالصالحات أعماله وذكرت بعده بالخيرات أفعاله.

مسير بهاء الدولة إلى شیراز

وفيها سار بهاء الدولة متوجّهاً إلى شیراز بعد استتباب أبي نصر خواشاده في خلافته ببغداد وخلع عليه وطرح له دستاً كاملاً في دار المملكة الأولى وثلاث مخاد في الدار الداخلة وما رُئي^(١) أحد من الوزراء والأكابر جلس في هذه الدار على مثل ذلك، وكتب له عهد ذكر فيه بـ «شيخنا»، وهو أول من خطب بهذا الاسم من العواشي.

وعوّل على أبي عبد الله ابن طاهر في النيابة عن الوزير أبي نصر سابور ببغداد فلم يستقم ما بينه وبين أبي نصر [269] خواشاده واستمرّ الفساد بينهما إلى أن عاد بهاء الدولة، فقبض عليهما على ما يأتي ذكره في موضعه.

ذكر ما جرى عليه أمر بهاء الدولة في هذه السفرة

انحدر ومعه أبو الحسن المعلم والوزير أبو نصر سابور، والأمر لأبي الحسن في الكبير والصغير وهو الغالب على الرأي في التدبير. وأقام بواسط أياماً وسار ونزل بمعسكر أبي جعفر ابن الحجاج ودخل البصرة فشاهدها وعاد إلى مخيمه.

وورد عليه خبر وفاة أبي طاهر أخيه، فجلس لعزائه. ثم توجه إلى الأهواز وسيّر أبا العلاء عبيد الله بن الفضل على مقدّمته ومعه جمهور عسكره

١. في الأصل: رؤى.

فصار إلى أرجان ودخلها، وفتح القلعة بالجند وملكها، وكان فيها من أصناف الأموال شيء كثير.

فلما وصل الخبر إلى بهاء الدولة سار إلى أرجان ونزلها وأمر بحط جميع ما كان في القلعة من المال وغيره وتسليمه إلى الخزان وكان من العين ألف^(١) ألف دينار ومن الورق ثمانية آلاف ألف ألف درهم^(٢) ومن الجواهر والثياب والآلات والأسلحة ما يذخر الملوك مثله. [270]

ذكر ما جرى في أمر هذا المال حتى تفرق أكثره

لما حصل المال في الخزائن أحب بهاء الدولة تنصيبه بأجناسه في مجلس الشرب. فنضد جميعه على أحسن تنضيد ووكل الحفظة والخزان به في موضعه أياماً. فكان منظرأً أنيقاً إلا أنه شاع من ذلك ما صار إلى التفرقة طريقاً.

فعند ذلك شغب الأتراك والديلم شغباً متتابعاً. فأطلقت تلك الأموال حتى لم يبق منها بعد مديدة غير أربعمئة ألف دينار وأربعمئة ألف^(٣) ألف درهم حملت إلى الأهواز.

وتوجه أبو العلاء ابن الفضل من أرجان إلى النوبندجان، وهزم من كان بها من عساكر صمصام الدولة وأثبت أصحابه في نواحي فارس. وبرز أبو منصور فولاذ بن ماناذر من شيراز، وسار على مقدمة صمصام الدولة وواقع أبا العلاء بخواباذان^(٤) فهزمه.

١. لعله زائد.

٢. كذا: ثمانية آلاف ألف ألف درهم.

٣. لعله زائد (مد).

٤. كذا في الأصل: خواباذان. وما في المراد: خوبذان: وهو موضع بين أرجان والنوبندجان من أرض فارس وهناك قنطرة عجيبة الصفة عظيمة القدر (مراد الإطلاع).

ذكر هذه الواقعة والمكيدة التي كانت سبباً

لهزيمة عسكر بهاء الدولة

لما حصل أبو العلاء والأتراك بإزاء فولاذ والديلم في وادي خواباذان وقنطرة [271] حجاز بين الفريقين تطرّق قوم من الغلمان إلى جمال الديلم فساقوها وعادوا بها إلى معسكرهم ورآهم بقية الغلمان الأتراك فطمعوا في مثل ذلك، وركب من الغد منهم سبعون غلاماً من الوجوه وعبروا القنطرة. وكان الديلم قد أرسلوا جمالاً مهملة لا حمة معها على سبيل المكر والخديعة فاستاقهم الغلمان وكرّوا راجعين.

ووقعت الصيحة فركب في أثرهم فرسان من الديلم والأكراد كانوا معدّين ووصل الغلمان إلى القنطرة فوجدوا من دونها خمسمائة رجل من الديلم كان فولاذ قد رتبهم وراء جبل بالقرب. فلما عبر الغلمان بأموالهم رأوهم على القنطرة بالرصد فلم يكن للغلمان سبيل إلى العبور ولحقهم الفرسان فأوقعوا بهم وقتلوهم عن بكرة أبيهم، وأخذوا رؤوس أكابرهم فأنفذوها إلى شيراز. وكان ذلك وهنا عظيماً وثلماً كبيراً في عسكر بهاء الدولة.

وراسل فولاذ أبا العلاء فأطمعه وخدعه ثم سار إليه وكبسه، فانهزم من بين يديه وعاد إلى أرجان مفلولاً. ولما وصل الخبر بذلك إلى صمصام الدولة سار من شيراز.

وغلت الأسعار بأرجان ونواحيها وضافت المير والعلوفة. ثم وقع الشروع في الصلح وتردّدت فيه كتب ورُسُل فتّم على أن يكون لصمصام [272] الدولة فارس وأرجان، ولبهاء الدولة خوزستان والعراق، وأن يكون لكل واحد منهما إقطاع في بلاد صاحبه.

وعقدت العقود وأحكمت العهود وحلف كل واحد منهما للآخر على

التخالص والتصافي بيمين بالغة، وشُرطت وحُرِّرت على النسختين وعاد بهاء الدولة إلى الأهواز.

وورد أبو عبد الله الحسين بن علي بن عبدان نائباً عن صمصام الدولة بالحضرة وناظراً فيما أفرد له من الإقطاع بالعراق، وعوّل على أبي سعد بNDAR ابن الفيروزان في النيابة عن بهاء الدولة بفارس.

وفاة صاحب مصر الملقب بالعزیز

وفي هذه السنة ورد الخبر بوفاة أبي الفرج يعقوب بن يوسف وزير صاحب مصر الملقب بالعزیز^(١).

ذكر حاله وما جرى عليه أمر الوزارة بمصر من بعده

كان أبو الفرج كبير الهمة عظيم الهيبة فاستولى على الأمر ونصح صاحبه فيه فقرب من قلبه وتمكّن من قرب، ففوّضت الأمور إليه واستقامت على يديه.

فلما اعتلّ علّة الوفاة ركب إليه صاحب مصر عائداً ووجده على شرف اليأس فحزن له وقال:

«يا يعقوب، وددت أن تُباع فأبتاعك بملكي أو تُفدى فافتديك. فهل من حاجة توصي بها؟»

فبكى [273] يعقوب وقبّل يده ووضعها على عينه وقال:

«أما فيما يخصني فلا، فإنك أرعى لحقّي من أن أسترعيك، وأرأف

١. والوزير هو ابن كلس. وردت هذه القصة في تاريخ أبي يعلى ابن القلانسي ص ٣٢ وهي مأخوذة من تاريخ هلال الصابي. وفي إرشاد الأريب ٢: ٤١١ وردت قصة ابن كلس هذا مع ولد للوزير أبي الفضل ابن حنّابة (مد).

بمخلفي من أن أوصيك، ولكني أقول لك فيما يتعلق بدولتك: سأل الروم ما سألوك واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة، ولا تبق على المفرج بن دغفل ابن الجراح متى أمكنت فيه الفرصة.»

ولم يشغله ما كان فيه من فراق دنياه عن نصيح صاحبه ومحبته وهواه، وكذلك حال كل ناصح صدوق.

ثم توفي فأمر صاحب مصر بأن يدفن في قصره في قبة كان بناها لنفسه وحضر جنازته فصلى عليه وألحده بيده في قبره، وانصرف من مدفنه حزينا لفقده وأغلق الدواوين أيتاماً من بعده.

واستخدم أبا عبد الله الموصلى مدة ثم صرفه وقلد عيسى بن نسطورس وكان نصرانياً. فضبط الأمور وجمع الأموال ومال إلى النصارى وولاهم الأعمال وعدل عن الكتاب والمتصرفين من المسلمين، واستناب بالشام يهودياً يعرف بمنشا بن ابراهيم بن الفرار، فسلك منشاً مع اليهود سبيل عيسى مع النصارى، واستولى أهل هاتين الملتين على جميع الأعمال.

ذكر حيلة لطيفة عادت بكشف هذه الغمة [274]

كتب رجل من المسلمين قصة وسلمها إلى امرأة وبذل لها بذلاً على اعتراض صاحب مصر بالظلمة وتسليمها إلى يده وكان مضمونها:

«يا مولانا، بالذى أعز النصارى بعيسى بن نسطورس واليهود بمنشا بن الفرار وأذل المسلمين بك إلا نظرت فى أمرى.»

وكانت لصاحب مصر بغلة معروفة إذا ركبها مرّت فى سيرها كالريح ولم تلحق. فوقفت له المرأة فى مضيق، فلما قاربها رمت بالقصة إليه ودخلت فى الناس. فلما وقف عليها أمر بطلبها فلم توجد وعاد إلى قصره متقسم الفكر فى أمره واستدعى قاضيه أبا عبد الله محمد بن النعمان وكان من خاصته

وأهل أنسه فشاوره في ذلك فقال ابن النعمان :

« أنت أعرف بوجه الرأي. »

فقال : « لقد صدقت المرأة في القصة ونبّئت من الغفلة. »

وتقدّم في الحال بالقبض على عيسى بن نسطورس وسائر الكتّاب من النصارى وكتب إلى ^(١) الشام بالقبض على منشأ بن الفرار وجماعة المتصرفين من اليهود، وأمر برّد الدواوين والأعمال إلى الكتّاب المسلمين والتعويل في الإشراف عليهم في البلاد ^(٢).

ذكر تدبير توصل به عيسى بن نسطورس

إلى الخلاص والعود إلى النظر [275]

كانت بنت المتلقّب بالعزيز المعروفة بسوّ الملك كريمة عليه حبيبة إليه لا يرّد لها قولاً. فاستشفع عيسى بها في الصفح عنه وحمل إلى الخزانة ثلاثمائة ألف دينار. وكتب إليه يذكره بخدمته وحرمة فرضى عنه وأعادته إلى ما كان ناظراً فيه وشرط عليه استخدام المسلمين في دواوينه وأعماله.

فتنة العيّارين

وفي هذه السنة كثرت فتنة العيّارين بعد انحدار بهاء الدولة ورفعت الحشمة وجرى من الحرب بين أهل الدروب والمحالّ نوبة بعد نوبة ما أعيا فيه الخطب وتكرّر الحريق والنهب تارة على أيدي العيّارين وتارة على أيدي الولاة. وولى المعونة عدّة فما أغنوا شيئاً واستمرّ الفساد إلى حين عود بهاء الدولة.

١. وفي الأصل : من.

٢. وفي تاريخ ابن القلانسي ص ٣٣ : على القضاة في البلاد (مد).

ودخلت سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة

ذكر القبض على

سابور الوزير

فيها قبض على أبي [نصر] سابور الوزير بالأهواز ونظر أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف في الأمور.

ذكر السبب في ذلك

لما عاد بهاء الدولة بعد الصلح إلى الأهواز شغب الديلم والأتراك وطالبوا [276] بإطلاق المال وذكروا أبا الحسن المعلم وأبا نصر سابور وأبا الفضل محمد بن أحمد عارض الديلم وعلى بن أحمد عارض الأتراك وجأهروا بالشكوى منهم وظاهرُوا بالكراهية لهم.

وتردّدت بينهم وبين بهاء الدولة مراسلات انتهت إلى أن استوهب منهم أبا الحسن المعلم وأبا القاسم على بن أحمد وأرضاهم بالقبض على أبي نصر سابور وأبي الفضل محمد بن أحمد، وقلّد أبا القاسم عبد العزيز الوزارة وخلع عليه. ومن حسن سياسة الملوك أن يجعلوا خاصّتهم كلّ مهذب الأفعال محمود الخصال موصوفاً بالخير والعقل معروفاً بالصلاح والعدل فإنّ الملك لا تخالطه العامّة ولا أكثر الجند، وإنّما يرون خواصّه. فإن كانت طرائقهم سيّدة وأفعالهم رشيدة عظمت هيبة الملك في نفس من يبعد عنه لإستقامة طريقة من يقرب منه.

فقد ورد عن الاسكندر أنّه قال :

«أنا إذا فتحنا مدينة عرفنا خيارها من شرارها قبل تجربتهم.»

قيل له :

- «كيف؟»

قال : «لأننا نرى خيارهم يتصافون إلى خيارنا وشرارهم إلى شرارنا.»
وروى عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال :
- «ما شيء أدل على شيء ولا الدخان على الدخان»^(١) من صاحب
على صاحب.

قال عدئ بن زيد : [277]

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَأَبْصِرُ^(٢) قَرِينَهُ فَإِنَّ الْقَرِينَ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي

وإذا كان خواص الملك ممن يُقدح فيهم وتذكر مساوئهم، قلَّت الهيبة في
النفوس فأظهر الجند استقلالاً لامره، ثم صار الإضرار نجوى بينهم، ثم
زادت الحيرة فصارت النجوى إعلناً. فعند ذلك تقع المجاهرة وترتفع المراتبة
ويتحكمون عليه تحكُّم الأمر لا المأمور، والقاهر لا المقهور.
وفي هذه السنة أنفذ خلف بن أحمد عمراً ابناً إلى كرمان ودفع تمرتاش عنها.

شرح [ما] ^(٣) عليه أمر خلف بن أحمد صاحب سجستان

في إنفاذ عمرو ابنه إلى كرمان ويتصل هذا

مركزية الحديث بما جرى بعد هذه السنة

من أحوال تلك البلاد

كان أبو أحمد خلف بن أحمد المعروف بابن بنت عمرو^(٤) بن الليث

١. لعله : النار.

٢. ويروى : وسئل عن «بدل» وأبصر.

٣. سقط : «ما» في الأصل.

٤. وفي الأصل : عمر. والصواب فيما بعد.

الصفار قد ورد العراق في أيام معز الدولة، وخلع عليه بالحضرة الخلع السلطانية لولاية سجستان.

وكان رديء الدخيلة في الباطن جيد الناموس في الظاهر، شديد الطمع في الأموال، متوصلاً إلى أخذها باللطف والإحتيال، ويقول: [278] «ليس يجب أن يكون للرجال من الرعية أكثر من عشرة آلاف درهم. لأنها ذخيرة لذي الحاجة وبضاعة لذي التجارة».

ذكر الحيلة التي استمر عليها خلف بن أحمد في أخذ أموال رعيته

كان يتبع أمور أهل البلاد في مكاسبهم ومتاجرهم وبضائعهم وذخائرهم. فإذا عرف استظهار قوم منهم عمل ثبثاً بأسمائهم. وخرج على وجه التنزه والتصيّد ونصب رجلاً من أصحابه في النيابة عنه ووافقه على أخذهم ومطالبتهم بالفضل الذي يقدر أنه في أيديهم. فإذا علم أن المال معظمه قد صحّ من جهتهم، رجع فيشكون إليه ما عوملوا به. فيظهر لهم التوجّع ويتقدّم بالإفراج عن من بقى منهم في الاعتقال ومسامحتهم بما تأخر عليهم من المال، ويحضر صاحبه الذي استنابه فيجلله بالإنكار، وربما ضربه بمشهدهم ليزول ما خامر قلوبهم من الإستشعار.

وكان يمشى إلى المسجد الجامع في كل جمعة بالطيلسان. وربما خطب وصلى بالناس وأملى الحديث وله إسناد عالٍ ورواية عن شيوخ العراقيين ومحدثي الحرمين.

وكان عضد الدولة عند حصوله بكرمان^(١) قرّر معه هُدنة علي أن لا

يتعرض [279] كل واحد منهما ببلاد صاحبه، وكتباً بينهما كتاباً بذلك شاع ذكره عند أمراء سامان^(١) وكبراء أهل خراسان وجرى الأمر على المسالمة مدة أيام عضد الدولة.

فلما توفي وملك شرف الدولة وانصرف أبو علي الحسين بن محمد الحاجب عن كرمان وتقلدها تمرتاش وسار شرف الدولة إلى العراق، تحدثت نفس خلف بالغدر، ثم أحجم عن الأمر.

فلما توفي شرف الدولة وملك صمصام الدولة فارس ووقع الخلف بينه وبين بهاء الدولة قوى طمعه وجهز جيشاً مع عمرو ابنه، فلم يشعر تمرتاش بهم حتى نزلوا بعيص أردشير ليلاً، وكان هو وعسكره فى موضع يعرف بتركياباد من أبنية أبى عبد الله بن إلياس^(٢) ومعهم أموالهم وعلاهم. فكان قصاراهم أن تركوا الدور وما فيها من الأموال ودخلوا بردشير^(٣) بما أمكنهم حمله وحصلوا فى الحصار وملك عمرو بن خلف جميع أعمال كرمان سوى بردشير وجبى الأموال وصار تمرتاش^(٤) إلى فارس.

وكانت بينه وبين العلاء بن الحسن عداوة من أيام شرف الدولة فوجد العلاء فى هذا الوقت الفرصة التى كان يتوقعها فى أمره.

ذكر الحيلة التى رتبها العلاء بن الحسن فى القبض

على تمرتاش وقتله من بعد [280]

قال العلاء ابن الحسن لصمصام الدولة :

١. فى الأصل : ساسان .

٢. أظنه اليسع ابن محمد بن إلياس (مد).

٣. وفى المراسد بالسين المهمة : أعظم مدينة بكرمان وبينها وبين السرجان مرحلتان .

٤. وفى الأصل : وصادر الناس .

- «إنّ تمرتاش فى جنبه بهاء الدولة ولا يؤمن أن يميل إليه ويقيم الخطبة له.»

وقرّر معه تجهيز عسكر كثير من الديلم لمعاونته وموافقة وجوهم على القبض عليه عند الحصول ببردشير، فأخرج أبا جعفر نقيب نقباء الديلم وتقدّم إليه بذلك.

وسار أبو جعفر إلى كرمان وعرف عمرو بن خلف حصوله بالشيرجان^(١) فعاد إلى بَمَ ونرماشير. وتمّم أبو جعفر إلى بردشير. فاستقبله تمرتاش مبعداً فى استقباله وسارا جميعاً إلى الخيم التى ضربت لأبى جعفر. فلما وصلا إليها قال أبو جعفر لتمرتاش :

- «بنى وبينكم ما يجب أن نتواقف عليه فى هذا العدو والصواب أن تقدّمه.»

فعاد إلى مضاربه. وكان أبو جعفر قد رتب فيها قومان من الديلم لما يريد فحين نزلا قبض عليه وقيّده فأنفذ إلى داره من احتاط على خزائنه وإصطبلاته وكان ممولاً، فوجد له ما عظم قدره. وحمل تمرتاش إلى شيراز فحبسه العلاء، ثم قتله.

ولما فرغ أبو جعفر من أمر تمرتاش سار بالعسكر الذى صحبه وبمن كان مقيماً ببردشير يطلب مواقعة عمرو بن خلف.

ذكر ما جرى عليه أمر [281] أبى جعفر فى هزيمته

لما التقى الفريقان بدارزين وهى فى سهل من الأرض يتسع فيها أطراد الفرسان استظهر ابن خلف عليه بكثرة من الفرسان وضافت العير على أبى

١. قال فى المراد ذيل «شيرجان»: وما أظنّها إلا سيرجان قصبة كرمان.

جعفر ومن معه. فهرب ليلاً وعاد على طريق جبرفت.
وبلغ الخبر صمصام الدولة ومدبري أمره فأنزعجوا منه، ثم أجمعوا أمرهم
وأخرجوا العباس بن أحمد الحاجب إلى هذا الوجه في عدد كثير من طوائف
العسكر وسار متوجّهاً للحرب.

ذكر ما جرى عليه أمر عمرو بن خلف في هذه
الوقعة وهزيمته وما آل حاله إليه من القتل

لَمَّا حصل العباس بن أحمد الحاجب بقرب الشيرجان، برز إليه عمرو بن
خلف ووقعت الوقعة على باب البلد. فكانت الدائرة على عمرو وأسر الفتيكين
وكان وجيهاً في عسكره والمعروف بابن أمير الخيل صهر خلف وعدد كثير
من السجزيّة وذلك في محرم سنة اثنتين وثمانين.

وعاد عمرو إلى سجستان مفلولاً مع نفر من أصحابه. ولَمَّا دخل إلى أبيه
قيّده وأزرى به وعجزه [282] في هزيمته. وحبسه أَيْاماً ثم قتله بين يديه،
وتولّى غسله والصلاة عليه ودفنه في القلعة.

فليت شعري ما كان مراده من قتل ولده! ما^(١) كان عذره في قطع يده
بيده؟ أترأه ظنّ أنّه يشفى غلته أو يجبر وهنه بقتّ عضده؟ كلا بل خاب
ظنه وزاد وهنه وطال حزنه لَقَدْ فعل في الدنيا نكراً وحمل للآخرة وزراً.
فويل للقاسية قلوبهم ما أبعدهم من الصواب وأقربهم من العذاب!

ووصل أبو علي ابن أستاذ هرمز إلى فارس وقرب من خدمة صمصام
الدولة فشرع في إنفاذ أستاذ هرمز أبيه^(٢) إلى كرمان وقرّر الأمر معه واستعيد
العباس وتوجّه أستاذ هرمز.

١. والمثبت في مد: أما.

٢. وفي الأصل: ابنه.

فقال أبو بكر ابن عمرو بن يعقوب كاتبه: لما انتهى الخبر إلى خلف بن أحمد وجم لذلك الجند، ورأى أنه قد رُمى^(١) بحجره حين لا قدرة له على الذب عن حريمه لتمزُّق رجاله واضطراب حاله، وعلم أنه متى قصده في عقر داره وهو على هذه الصورة انتهز فيه الفرصة، فعمد إلى أعمال الحيلة.

ذكر حيلة عملها خلف بن أحمد في تعليل

أستاذ هرمز عن قصده [283]

كتب كتاباً غير معنون أقام فيه العذر لنفسه وجعل حجته في نقض الهدنة العُضدية اختلاف صمصام الدولة وبهاء الدولة. إذ كان من شروط الهدنة أنها ماضية بينهما مدة حياتهما ومنقلة إلى أولادهما بعدهما ما لم يختلفوا وأن نقضها لها كان لهذا العذر، وأنه متى استونف معه الصلح أجاب إليه.

وأنفذ الكتاب على يد أحد الصوفية. قال أبو بكر: فلما وصل الكتاب قرأته على أستاذ هرمز وعرفته ما في الصلح من الصلاح. فتقدَّم إلى بكتب جوابه على نحو ما وقع الإبتداء، ففعلت.

واستمرَّ خلف على هذه الطريقة في مواصلة المكاتبة وتقرير أمر الهدنة حتى استقرت. وكتب بها كتاباً أخذ فيه خطوط الشهود وتسوَّق بالأيمن والعهود. واتصلت المهاداة والملاطفة بين الجهتين وخلف في أثناء هذه الأحوال يجمع المال ويثبت الرجال ويتجدد العهد، حتى إذا قويت شوكته نقض عهده.

وأظهر كتاباً من المعتضد بالله رحمة الله عليه، ببلاد كرمان إقطاعاً لجده عمرو [ابن] الليث الصفار وجعل ذلك عذراً عند ملوك الأطراف العارفين بما

١. وفي الأصل: وفي.

استقرّ من تلك المعاهدة.

ذكر مكيدة لخلف أراد بها [284] إساءة

سمعة أستاذ هرمز

كان بسجستان قاض يعرف بأبي يوسف البرّاز مقبول القول بين الرعيّة يعظمونه غاية الإعظام ويجرونه عندهم مجرى الإمام. فاستدعاه خلف وأخرجه رسولاً إلى أستاذ هرمز وضّمّ إليه رجلاً من الصوفية يعرف بالحلبى كالمؤانس له، وسلّم إلى المتصوّف سمّاً وواقفه على أن يقتله فى طعام يحمل إليه من دار أستاذ هرمز وفى عقب حضوره على طبقه، لينسب الناس قتله إليه. ورثب للصوفى جمّازات بين سجستان وبمّ وقال له :
- «إذا قضيت الأرب فأهرب.»

فتوجّه أبو يوسف غافلاً عمّا يُراد به، ووصل إلى أستاذ هرمز وهو بيمّ، فأكرمه وسمع منه ما أورده عليه ووعدّه بالجواب عنه. ودخل الصوفى بينهما فى السفارة وحصلت له بها قدم عند أستاذ هرمز فأنس به. فأشار عليه باستدعاء أبي يوسف إلى طعامه ليُشاهد فضل مروءته فيتحدّث به فى بلده. فقبل منه واستدعى أبا يوسف لذلك، فاستعفاه وامتنع. فصار الصوفى إلى أبي يوسف وقال له :

- «إنّ فى امتناعك عليه إيحاشاً له.»

ولم يزل به حتى لبّى دعوته وحضر عنده فى بعض ليالى شهر رمضان. واتّخذ الصوفى شيئاً كثيراً من القطائف. فمعه ما عمله بالفانيد السجزي على عادة تلك البلاد ومنه ما عمله بالسكّر [285] الطبرزد واللوز على رسم أهل بغداد، وجعل السمّ فى البغدادى.

فلما انصرف أبو يوسف من دار أستاذ هرمز بعد إفطاره معه، سأله الصوفي عن حاله وما شاهده من مروءته. فما زال أبو يوسف يذكر شيئاً شيئاً حتى أفضى الحديث إلى ذكر القطائف. فوصف أبو يوسف جودة ما أحضر منه على الطبق. فقال الصوفي :

- «ما أظنّ القاضي أكل ممّا يصلح عندنا في العراق، وقد عملت منه شيئاً ليأكله ويعلم أنّ لبغداد الزيادة على كلّ بلد.»

وقام وأحضر ما أودعه السمّ. فاستدعى أبو يوسف جماعة من أصحابه ليأكلوا معه. فقال له الصوفي :

- «هذا شيء نحبّ أن يتوفّر عليك، وقد عملت لإصحابنا ما يصلح لهم.» وأحضر ما كان عمله على رسم تلك البلاد، ودعا القوم إليه، وأكل أبو يوسف من المسموم^(١) وأمعن فيه.

وخرج الصوفي من الدار وقصد باب البلد وركب جمّازة معدّة ودخل المفازة متوجّهاً إلى سجستان ونام أبو يوسف. فما مضت ساعة حتى عمل السمّ فيه وطلب الصوفي، فلم يلحق ولا عرف له خبر، فأحسّ بالحيلة. قال أبو بكر الكاتب :

- «فجاءني رسوله في جنح الليل يستدعيني. فجئته وهو كما به يتقلّب على فراشه ويحتسب الله على خلف. فوضّاني بحفظ ما يخلفه ومعاونة أصحابه على حمله إلى بلده وتسليمه إلى ورثته. وبقي ساعة وقضى [نحبه] [286] وعرف أستاذ هرمز الخبر فقلق لأجله. ثم رأى كتمان الأمر وأحسن إلى أصحاب أبي يوسف وأعادهم موفورين.»

ووصل الصوفي إلى خلف وحدثه الحديث، فقرر معه أن يقول في المحفل

١. وفي الأصل : المصوم.

الذى يجتمع الناس فيه : أن أستاذ هرمز غدر بأبى يوسف وسمّاه وقتله، وأراد أن يفعل بى مثل ذلك فخرجت على وجهى هارباً منه، وأنه قد نقض العهد وعزم على المسير إلى هذه البلاد.

ثم عقد مجلساً فيه القضاة والشهود ووجوه الخاصة والعامة وأحضر الصوفى حتى أورد ما توافقا عليه. فما استتم الصوفى كلامه حتى أجهش بالبكاء والنحيب وقال :

« وا أسفاه على القاضى الشهيد. »

ونادى : « النفير لغزو كرمان. »

فكتب محاضر بذلك، وأنفذها إلى أصحاب الأطراف، وشنع على أستاذ هرمز بالغدر والنكث. وندب ولده طاهراً المعروف بشير بابك^(١) مع أربعة آلاف غلام وخمسة آلاف رجل من السجزيّة إلى كرمان.

فسبحان من خلق أطواراً وجعل منهم أخياراً وأشراراً ! ما كان أجراً^(٢) هذا الرجل على فعل المحذور وقول الزور ! أترأه ما سمع قول الله تعالى : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً »^(٣). وقوله سبحانه : « ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثم يَرِمْ بِهِ بَرِيئاً فَقَدْ أَحْتَمَلَ [287] بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً. »^(٤)، « إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ »^(٥) ولقد أقدم على ظلم عظيم.

١. وفى تاريخ هلال الصاوى هو « شير ياريك » (مد).

٢. والمثبت فى مد : أجرى.

٣. س ٤ النساء : ٩٣.

٤. س ٤ النساء : ١١٢.

٥. س ١٤ إبراهيم : ٣٤.

ذكر ما جرى عليه أمر طاهر بن خلف بكرمان

سار طالع مع عسكره إلى نرماسير وبها شهفروز ابن بنت ملكا بن وندا خرشيد في عدة من وجوه الديلم والجيل^(١) وفيهم سراهنك بن سياهجيك الجيلي قريب زيار بن شهاكويه، وكان فارساً شجاعاً، فوصلوا إلى باب البلد سحراً، فما شعر الناس إلا بنعرة الأتراك.

وبادر الديلم عند ذلك إلى ميدان في البلد، فاجتمعوا فيه وتشاوروا فيما بينهم فيما يدبرون به أمرهم مع قصورهم عن مقاومة من نزل بساحتهم. فبينما هم في تراجع القول إذ أحرق السجزية أحد أبواب البلد وصعدوا السور. واستقر رأي الديلم على الخروج من باب يفضى إلى البساتين والحيطان وسلوك طريق بينهما تضيق عن مجال الفرسان وتوجهوا على هذه النية.

فلما وصلوا إلى الباب صادفوا السجزية داخلين منه. فتلاقوا وكان يقدم الديلم سراهنك بن سياهجيك. فرمى مليلين^(٢) الدواتى أحد قواد خلف بزوبين سقط منه صريعاً ورمى آخر فقتله وثلث. فانهزم السجزية ناكسين على أعقابهم [288] إلى الصحراء.

وخرج الديلم بأهلهم وأموالهم ولزموا حيطان البساتين وقصدوا جبلاً كان قريباً منهم وصعدوا فيه حتى خلصوا ومضوا إلى جيرفت. ولم يقدم فرسان ابن خلف على اتباعهم في تلك الطريق ودخل طاهر بن خلف نرماسير^(٣) بعد انصرافهم منه.

١. وفي الأصل: والخيل.

٢. كذا في الأصل.

٣. ورد هذا الاسم في هذا الكتاب بضبطين: بالسين المهملة والشين المعجمة.

وبلغ أستاذ هرمز الخبر وهو ببم، وكان في القلعة التي هو بها سلاح كثير له خطر كبير.

ذكر ما دبّر به أستاذ هرمز أمره

عند وصول الخبر إليه

جمع إليه من كان معه من الديلم وشاورهم في الأمر فقالوا:

« لا طاقة لنا اليوم بهذا الرجل مع قوة شوكته، لاسيما وقد انقطع عنا العسكر الذين كانوا بنرماسير، والصواب أن نحمل من هذه الأسلحة ما نقدر على حمله ونحرق الباقي، لنلا يستظهر العدو به علينا ونمضي إلى جيرفت ونقرّر رأينا هناك».

فاستصوب رأيهم وعمل به وبادر إلى جيرفت وأقام بها يستكثر من الرجال ويستعدّ للقتال.

وسار ابن خلف إلى بردسير^(١) لأنها قطب كرمان ومن ملكها وقيلعتها تمكّنت قدمه واستقام ملكه. [289]

ذكر ما جرى عليه أمر ابن خلف في قصد

بردسير وما آل أمره إليه من الهزيمة

كان الحامي ببردسير في ذلك الوقت أبو بكر محمد بن الحسن قريب أبي الوفاء طاهر بن محمد، فجاهد في الذبّ عن البلد ثلاثة أشهر ثم ضاقت الميرة، فكتب إلى أستاذ هرمز يعلمه اشتداد الحصار به وأنه متى لم يدركه سلّم البلد.

١. ورد هذا الاسم في هذا الكتاب حيناً بالسين المهملة وحيناً بالشين المعجمة.

فبلغ ذلك من أستاذ هرمز كلّ مبلغ وخاف أن تتمّ الحيلة فيه. فسار من جيرفت في سنة أربع وثمانين والزمان شاتٍ، ولاقى عسفاً في طرق سلكها وأخطار ركبها. فلمّا قرب من بردسير أخذ في لحف الجبل حتى صار بينه وبين القلعة ثلاثة فراسخ ثم رتب مصافه وسار.

وعرف من في القلعة وروده، فضربوا البوقات والطبول وبرزوا. وتلاقى السجزية عسكر أستاذ هرمز واقتتلوا عامّة النهار وأستاذ هرمز زحف بعسكره إلى باب البلد حتى إذا شارفه قلع السجزية مضاربهم من موضعها وتأخروا واختلطوا محاصرين^(١) لعسكر أستاذ هرمز.

وقوى بعضهم ببعض وهابهم السجزية وأحجموا عن الإقدام عليهم وأقاموا يوماً واحداً. [290] ثم أوقدوا النيران ليلاً يوهمون بها أنهم مقيمون، ورحلوا. وعرف أستاذ هرمز خبر انصرافهم سحراً فأنفذ أبا غالب ابنه في جماعة من الفرسان لاقتصاص آثارهم فسار مجدداً في طلبهم وقتل جماعة ظفر بهم منهم.

ورحل أستاذ هرمز يطوى المنازل إلى نرماسير، فوصلها وقد دخل طاهر بن خلف المفازة عائداً إلى سجستان. ونعود إلى سياقة التاريخ.

مركز تحقيق كاتوير علوم اسلامی

عود بهاء الدولة من

الأهواز إلى مدينة السلام

وفي هذه السنة عاد بهاء الدولة من الأهواز إلى مدينة السلام وقبض على أبي نصر خواشاده وأبي عبد الله ابن طاهر.

١. يريد: واختلط عسكر المحاصرين بعسكر أستاذ هرمز (مد).

ذكر السبب في ذلك

كان أبو الحسن المعلم يتوقع في كل ناظر خدمة وهدية وكان أبو نصر فيه شح يمنع عن ذلك، فإذا أشير عليه قال :

- «إنما يفعل هذا الفعل من يرتزق أو يرتفق.»

ففسد رأى أبي الحسن فيه فساداً عرفه كل أحد، وبلغ أبا نصر فخافه وهم بالهرب عن قرب بهاء الدولة، واستدعى من العرب من يخرج معه، ثم توقف وأشار عليه أهل أنسه بتلافي أبي الحسن بما يحمله إليه، فنالهم إلى ألف دينار. فقالوا له :

- «تكون وزناً يُلقى بها بواسط.»

فلم يفعل وأخذ خط بعض الباعة به وأنفذه إليه فلم يقع موقعه، إلا أنه قبله تأنيساً له. وورد مدينة [291] السلام فقبض عليه وأخذ له عند القبض عليه من عدة مواضع ما بلغ قيمته ألفي ألف دينار وأفرج عنه بعد ذلك بمدة. فانظر إلى هذا الشح المطاع كيف ألقى صاحبه في المهالك، وأخرجه إلى ضيق المسالك. فإنه ضيع الكثير من حيث حفظ القليل.

والجواد أملك لماله من الشحيح. لأن ذلك يبذله: إما لنفع عاجل وإما لذخر آجل. وهذا يخزنه: إما لحادث وإما لوارث. فذاك محظوظ وهذا محروم. وذاك مشكور وهذا مذموم.

وقد قيل: أنفق في حالتي الإقبال والإدبار والإنفاق في زمن الإقبال لا ينقص حالاً والإمساك في زمن الادبار لا يحفظ مالاً. قال الله تعالى: «وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(١).

القبض على ابن طاهر

فأما أبو عبد الله ابن طاهر فإنه كان نائباً عن أبي نصر سابور، إلا أنه أقر على أمره عند القبض على سابور بالأهواز، لأنه أعطى أبا الحسن المعلم ما أرضاه، ثم [لم]^(١) يدفع عنه كراهة منه لايحاش أبي القاسم عبد العزيز، فقبض عليه وقرّر أمره على مال صحّحه وخلّى عنه.

سكون فتنة العيّارين

وفيها سكنت الفتنة وتتبع العيارون وأخذوا وقتلوا واطمأن الناس وقامت الهيبة. وكان في جملة العيّارين المأخوذين إنسان يعرف بابن جوامرد^(٢) من وجوههم، وكان قد أبقى في أيام [صمصام الدولة] [292] وحرس الأسواق. فسئل بهاء الدولة في أمره فأمنه،^(٣) ومن أبقى أبقى عليه، ومن أساء أساء^(٤) إليه، ومن أحسن أحسن إليه.

وفيها هرب أبو منصور فولاذ بن ماناذر من شیراز.

ذكر السبب في هرب فولاذ

لما استفحل أمره بفارسي وزاد على حدّ أصحاب الجيوش حصل صمصام الدولة تحت حكمه وجعل اسمه مقترناً باسمه في المناشير وكتب فيها : «هذا كتاب من صمصام الدولة وشمس الملة أبي كاليجار بن عضد الدولة

١. وفي الأصل : يدفع، بدون «لم».

٢. أصله الفارسي : جوائمزد : ذو الفتوة : العيّار.

٣. الضبط في مد : فأمنه.

٤. لعله : أسىء. هذا إذا اعتبرنا الكلام تعقيباً من صاحب الكتاب.

يمين أمير المؤمنين، ومن عبده وصاحب جيشه نجم الدولة أبي منصور مولى أمير المؤمنين.»

كانت بينه وبين العلاء بن الحسن المودة التي تقدّم ذكرها. ثم استحالَت عداوة ثبتت على الأيام أصولها وبسقت فروعها. فعمل فولاذ على القبض عليه وخاطب صمصام الدولة على ذلك، فأجابه إلى مراده منه.

ذكر الحيلة التي رتبها فولاذ على العلاء بن الحسن

وانعكاسها حتى صارت الدائرة على فولاذ [293]

صار فولاذ إلى دار الإمارة وفيها أبو القاسم العلاء بن الحسن على عادته. فقدم إليه واستقبله وقضى حقّه وأخذ بيده وماشاه وحادثه. ثم وقف على باب بيت ودفع في صدره حتى حصل بالبيت وأغلق بابه عليه ووكل به قوماً.

فاشتغل فولاذ بقاء الديلم وسلامهم وخطابهم على أمورهم. وكان البيت الذي حصل فيه له باب آخر قد سمر فعالجه حتى فتحه وخرج منه ودخل على صمصام الدولة في حجرة خلوته. فقال له :

- «قد قبض هذا الرجل علىّ، وغرضه في ذلك أن لا يترك بين يديك من يخدمك، وفي نفسه أن يعلو على الملك.»

قال : «فما الرأي.»

قال : «أن تقبض عليه إذا دخل إليك الساعة وعلىّ أن لا يجرى من العسكر قول في معناه.»

ففعل وتقدّم إلى بعض الحواشي بالقبض عليه إذا أقبل إلى حضرة صمصام الدولة والعدول به إلى بعض البيوت.

وسمع عليُّ الأرزباني^(١) النديم الحديث، وكان يتجسس على صمصام الدولة لفولاذ. فلما وافى فولاذ أومي علي^(٢) إليه بيده أن:

«ارجع فإنك مأخوذ.»

فرجع فولاذ نافراً وانصرف إلى داره.

وخرج العلاء بن الحسن إلى وسط المعسكر على أثره وأظهر لهم عصيانه ونادى للركوب إليه والقبض عليه. فعرف فولاذ ما عوّل عليه العلاء، فأخذ ما خفّ من ماله على الجمّازات وسار.

وتبعه العلاء مغدّاً في طلبه^(٣) قانعاً بما تمّ عليه [294] من هربه. ومضى فولاذ إلى الأكراد الخسروية فنزل عليهم. وعاد العلاء وأقطع الديلم إقطاعات فولاذ واستقام الأمر له.

وكاتب الأكراد وطالبهم بفولاذ وسبق إليهم بالوعيد إن لم يسلموه وكانوا قد طمعوا في مال فولاذ. وانضاف إلى الطمع فيه الخوف من العلاء، فنهبوه وأفلت بنفسه منهم وحصل بالريّ وأقام عند فخر الدولة، إلى أن توفى. فأما عليُّ الأرزباني، فإنّ صمصام الدولة أمر بقتله فقتل.

ذكر القبض على عبدالعزيز

بن يوسف وأصحابه

وفيها قبض على أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف وعلى أصحابه وأسبابه. وكانت مدة نظره ببغداد شهرين ونصفاً. وقلّد أبو القاسم علي بن أحمد الأبرقوهي الوزارة وخلع عليه.

١. وفي الأصل: الأرزباني.

٢. والضبط في مد: عليّ.

٣. لعله سقط: ثم انصرف (مد).

وفى هذا الوقت قبض على الطائع لله وقد جلس لبهاء الدولة.

ذكر السبب فى القبض على الطائع لله رضوان الله عليه

كان أبو الحسن المعلم - وبش القرين هو - قد كثر عند بهاء الدولة مال الطائع لله وذخائره وأطمعه فيها وهون عليه أمراً عظيماً وجزأه على خطة شنعاء، فقبل منه وقبض عليه. ثم لم يحظ من ذلك إلا بسوء الذكر إلى آخر الدهر. ولولا أن حسنات أيام القادر بالله رضوان الله عليه، أسبلت [295] على مساوئ هذا الفعل سترأ، لما وجد عند الله تعالى ولا عند المخلوقين عذراً. لكن محاسن ذلك الإمام التقى الرضى أعادت وجه الدين مشرقاً وعُود الإسلام مورقاً.

فأما شرح ما جرت عليه الحال يوم القبض فلم نذكره إذ لا سياسة فيه فتحكى، ولا فضيلة فتروى. إلا أبياتاً للرضى أبى الحسن الموسوى رحمه الله. فإنه كان فى جملة من حضر. فلما أحس بالفتنة أخذ بالحزم وبادر الخروج من الدار، وتلوّم من تلوّم من الأمائل، فامتهنوا وسلبت ثيابهم وسلم هو فقال:

أعجب لمسكة نفسى بعد ما رميت
ومن نجائى يوم الدار حين هوى
مرقت منها مروق النجم منكدرأ
وكننت أول طلاع ثنيتها
من بعد ما كان رب الملك مبتسماً
أمسيت أرحم من أصبحت أغبطه
ومنظر كان بالسراء يضحكنى
من النوائب بالأبكار والعون
غيرى ولم أخل من حزم ينجيني
وقد تلاقى مصاريع الردى دونى
ومن وراءى شر غير مأمون
إلى أدنيه فى التجوى ويدنيني
لقد تقارب بين العز والهون
يا قزب ما عاد بالضراء يبكىنى

هيات أغتر بالسلطان ثانية قَدْ ضَلَّ وَلَاجُ أَبوابِ السلاطين^(١) [296]

وبالله تعالى نستعين من شرّ الفتن وانقلاب الزمن، وإيّاها نسأل سلامة
شاملة وعاقبة حميدة بمنّه.



١. من قصيدة طويلة له، أولها:

لواعجُ الشوق تُخطيهم وتُضميني واللومُ في الحبّ يَنهاهم ويُغريني

أنظر: ديوان الشريف الرضي، طبعة وزارة الإرشاد بالآفست، طهران ١٤٠٦ هـ. ق. ج ٢، صص ٤٤٤-

خلافة القادر بالله

ولما انصرف بهاء الدولة إلى داره - وقد حمل الطائع لله قبله إليها واعتقل فيها - أظهر أمر الخليفة القادر بالله أبي العباس أحمد بن اسحق بن المقتدر بالله رضوان الله عليهم، ونادى بشعاره في البلد.

وكتب على الطائع كتاباً بالخلع وتسليم الأمر إلى القادر بالله رضى الله عنه، وشهد الشهود فيه عليه، وكانت مدة خلافته سبع عشرة سنة وثمانية أشهر وخمسة أيام.

وانحدر إلى حضرة القادر بالله من خواص بهاء الدولة من يهئيه بالخلافة ويصعد في خدمته إلى مدينة السلام.

وشغب الديلم والأتراك مطالبين برسم البيعة ومنعوا من الخطبة باسم الخليفة في يوم الجمعة، فقبل:

- «اللهم أصلح عبدك وخليفتك القادر بالله»^(١).

فقبل: «اللهم أصلح عبدك وخليفتك»^(٢) ولم يُسم.

وتردّت الرسل بين بهاء الدولة وبين العسكر، فأرضى الوجوه والأكابر ثم

١. وزاد في مد: «الخليفة في يوم الجمعة» اعتبرناه زائداً وخطأً.

٢. وزاد في مد: القادر بالله. حذفناه بدليل قوله: «ولم يسم».

قَرَّر لكل واحد ثمانمائة درهم وأخذت البيعة على الجماعة واتفقت الكلمة على الرضا^(١) والطاعة.

وأقيمت الخطبة باسم أمير المؤمنين القادر بالله أبي العباس أحمد رضوان الله عليه، في يوم الجمعة الثالث من شهر رمضان. وقيل: إنَّ القادر بالله [297] رضوان الله عليه، رأى رؤيا قبل ورود الخبر إليه بمصير الأمر إليه.

ذكر الرؤيا التي رآها القادر بالله رضوان الله عليه

قال هبة [الله] بن عيسى كاتب مهذب الدولة:

كنت أغشى مجلس القادر بالله في مقامه بالبطيحة في كل أسبوع يومين. فإذا حضرت رفعني وإذا رُمت تقبيل يده منعتني. فدخلت إليه يوماً فوجدته قد تأهَّب، لم تجر عادته بمثله ولم أر منه ما عودنيهِ من الإكرام، وجلست دون موضعي فما أنكر ذلك مني، ورمت تقبيل يده فمدها إليَّ. فاختلفت بي الظنون لزلة مني، فإن تكن فأسأل إعلامي بها، فإمّا أن أطلب مخرجاً منها بالعذر، أو ألوذ فيها بالعفو. فأجابني بوقار أن اسمع:

- «رأيت البارحة في منامي كأنَّ نهركم هذا - وأومى إلى نهر الصليق - قد اتسع حتى صار عرض دجلة دفعات، وكأني متعجب من ذلك وسرت على حافته [مستظماً] لأمره ومستظرفاً لعظمه. فرأيت دستاهيج قنطرة عظيمة^(٢) فقلت: ترى من قد حدّث نفسه بعمل قنطرة في هذا الموضع على مثل هذا البحر الكبير؟ وصعدته فكان [298] بثقا محكماً ومددت عيني وإذا بازائه مثله، وزال الشك عني في انهماك دستاهيج قنطرة وأقبلت أصد وأصوب في التعجب. فبينما أنا واقف عليه إذ رأيت شخصاً قد تأملني من ذلك الجانب

١. كذا في مد: الرضاء.

٢. وفي مرآة الزمان: وإذا بقواعد قنطرة عظيمة. وكلمة دستاهيج، لعل معناها درايزين (مد).

وناداني: يا أحمد أتريد أن تعبر؟ قلت: نعم. فمدّ يده حتى وصلت إليّ وأخذني وعبر بي. فهالني فعله فقلت له وقد تعاظمني أمره: من أنت؟ قال: عليّ بن أبي طالب. هذا الأمر صائر إليك ويطول عمرك فيه، فأحسن إليّ ولدي وشيعتي.»

فما أنهى الخليفة هذا المقال من قوله حتى سمعنا صياح ملاحين وضجيج ناس. فسألنا عن ذلك فقليل:

- «ورد أبو عليّ ابن محمد بن نصر وجماعة معه.»

فإذا هم الواردون للإصعاد به فقد تقرّرت الخلافة له. فعاودت تقبيل يده ورجله وخاطبته بإمرة المؤمنين وبابيعته.

ثم قام مهذّب الدولة بخدمة الخليفة في إصعاده وانحداره أحسن قيام، وحمل إليه من المال والثياب والآلات ما يحمل مثله إلى الخلفاء، وأعطاه الطيّار الذي كان صنعه لنفسه، وشيّعه إلى بعض الطريق وأنفذ هبة [الله] بن عيسى في خدمته.

فلما وصل إلى واسط اجتمع الخدم بها وطالبوا برسم البيعة وجرت لهم خطوب انتهت إلى أن وعدوا بإجرائهم مجرى البغداديين.

فلما تقرّرت أمورهم عليه ورضوا، سار. فلما بلغ الجبل انحدر بهاء الدولة ووجوه الأولياء وأمائل الناس لتلقّيه [299] وخدمته ودخل دار الخلافة ليلة الأحد ثاني عشر رمضان.

ذكر جلوس القادر بالله أمير المؤمنين رضوان الله عليه

على سرير الخلافة

جلس ثاني يوم حصوله في الدار جلوساً عاماً وهتئ بالامر وأنشد المديح

بالشعر. وكان من ذلك قصيدة للرضي أبي الحسن الموسوي^(١) أولها:

شَرَفُ الْخِلَافَةِ يَا بَنِي الْعَبَّاسِ الْيَوْمَ جَدَّدَهُ أَبُو الْعَبَّاسِ
هَذَا الَّذِي رَفَعْتَ يَدَاهُ بِنَاءَهَا الـ عَالِي وَذَاكَ مَوْطِدَ الْآسَاسِ^(٢)
ذَا الطَّوْدُ بَقَاءَ الزَّمَانِ ذَخِيرَةً مِنْ ذَلِكَ الْجَبَلِ الْأَشْمُ الرَّاسِي

وتعالمها مثبت في ديوان شعره^(٣) ولقد صدق الموسوي في قوله^(٤).

إِنَّ الْقَادِرَ بِاللَّهِ جَدَّدَ مَعَاهِدَ الْخِلَافَةِ وَأَنَارَ أَعْلَامَهَا، وَكَشَفَ غَمَمَ الْفِتْنَةِ وَجَلَّى ظِلَامَهَا، وَيَقُولُونَ: لَئِنْ كَانَ لِكُلِّ مِنَ الْإِثْمَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مَنَاقِبُ مَرْوِيَّةٍ وَطَرَائِقُ مَرْضِيَّةٍ، فَإِنَّ لِأَرْبَعَةٍ مِنْهُمْ فَضَائِلَ أَفْرَدُوا بِمَزَايَاهَا وَحَظُّوا بِمَرْبَاعِهَا وَصَفَايَاهَا؛ قَامَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ السَّقَّاحُ سَفَحَ دِمَاءَ الْأَعْدَاءِ وَتَأَخَّى كَشْفَ الْغَمَاءِ^(٥) وَتَفَرَّدَ وَتَفَضَّلَ بِفَضِيلَةِ الْإِبْتِدَاءِ؛ وَالْمَنْصُورُ بِاللَّهِ، أَيْدٍ بِالنَّصْرِ فِي تَوْطِيدِ [300] قَوَاعِدِ الْأَمْرِ، فَذَلَّلَ كُلَّ صَعْبٍ وَأَزَالَ كُلَّ شَعْبٍ وَثَقَّفَ كُلَّ مَنَادٍ^(٦) وَمَهَّدَ لِمَنْ بَعْدَهُ أَحْسَنَ مَهَادٍ؛ ثُمَّ الْمَعْتَضِدُ بِاللَّهِ عِضْدَ الدَّوْلَةِ بِحَسَنِ تَدْبِيرِهِ وَسِيَاسَتِهِ وَتَلَاَفَاها بِشَرَفِ نَفْسِهِ وَعُلُوِّ هِمَّتِهِ وَأَعَادَهَا بَعْدَ الضَّعْفِ إِلَى

مركز تحقيق تكملة علوم اسلامی

١. وفي كتاب عمدة الطالب (طبع بمبئي ١٣١٨ ص ١٨٤) أنه كان الرضي يرشح إلى الخلافة وكان أبو اسحق الصابي يطعمه فيها ويزعم أن طالعه يدل على ذلك.

٢. والمثبت في مد: الأساس.

٣. انظر: ديوان الشريف الرضي، طبعة وزارة الإرشاد بالأفست، طهران ١٤٠٦ هـ. ق. ج ١، ص ٥٤٦ - ٥٤٩.

٤. قوله: شعره. والكلام الآتي لصاحب الكتاب.

٥. في الأصل: كسف ناجي الغماء (مد).

٦. كذا في مد.

القوة وبعد اللين إلى الشدة وبعد الأود إلى الإستقامة وبعد الفتنة إلى السلامة ؛
ثم القادر بالله قدّر من صلاحها على ما لم يقدر عليه سواه وسلك من طريق
الزهد والورع ما تقدّمت فيه خطاه، فكان راهب بنى العباس حقاً وزاهدهم
صدقاً. ساس الدنيا والدين وأغاث الإسلام والمسلمين واستأنف في سياسة
الأمر طرائق قديمة ومسالك مأمونة سليمة هي إلى الآن مستمرة والقاعدة
عليها مستقرّة لم تعرف منه زلّة ولا ذمّت له خلّة. فطالت أيامه وطابت
أخباره وأقفيت آثاره وبقيت على ذريته الشريفة أنواره رضى الله عنه رضاه
عن الائمة المتقين، وجعلها كلمة باقية في عقبه إلى يوم الدين.»

حمل ما كان أخذ من دار الخلافة

وحمل إلى القادر بالله بعض ما كان أخذ من دار الخلافة من الآثار
والأواني والآلات وجعل كتّابه وحجّابه وحواشيه جميعهم من أصحاب بهاء
الدولة، ثم أعاد القادر بالله بعد ذلك حاشية الدار القدماء إلى مواضعهم. وكان
مدة مقامه [301] بالبطيحة من يوم وصلها إلى يوم خرج منها سنتين وأحد
عشر شهراً.

مركز تحقيق كتاب توفيق أمير المؤمنين

فأما أخت بهاء الدولة التي كانت في حبال الطائع لله فإن دارها حرس
يوم القبض من النهب. ثم نقلت إلى دار بمشرعة الصحراء أقامت فيها موقرة إلى
أن توفيت.

وفي هذه السنة ورد الخبر بوفاة سعد الدولة أبي المعالي ابن سيف الدولة

بعد قتله بكجور غلامه^(١).

شرح الحال في عصيان بكجور وما آل إليه أمره من القتل

ونُبذ من أخبار المصريين تتصل بها

في هذه السنة وما بعدها

كان لسعد الدولة غلام يعرف ببكجور فاصطنعه وقلّده الرقّة والرحبة واستكتب له أبا الحسن علي بن الحسين المغربي.

فلما طالت مدّته في ولايته جسد الإحسان وحدث نفسه بالعصيان واستغوى طائفة من رفقاءه فصاروا إليه وخرج إلى أبي الحسن المغربي بسرّه، فأشار إليه بمكاتبة صاحب مصر الملقّب بالعزيز والتحيز إليه فقبل منه وكاتبه واستأذنه في قصد بابه فأذن له. وسار عن الرقّة بعد أن خلف عليها سلامة الرشيقى غلامه وأخذ رهائن أهلها على الطاعة. فلقيته كُتب صاحب مصر وخِلمه [302] وعهده على دمشق، فنزل بها وتسلمها معن كان والياً عليها. ووجد أحداثها وشبّانها مستولين، ففتك بهم وقتل منهم، وقامت هيئته بذلك.^(٢) وترددت بينه وبين عيسى بن نسطورس الوزير مكاتبات خاطبه فيها بكجور بخطاب توقّع عيسى أوفى منه. ففسد ما بينهما وأسرّ عيسى العداوة له وأساء غيبه وقطع بكجور مكاتبة عيسى وشكاه إلى صاحب مصر، فأمر عيسى باستئناف الجميل معه فقبل ظاهراً وخالف باطناً.

وخاف بكجور عيسى ومكيدته فاستمال طوائف من العرب وصاهرهم فمالوا إليه رغبة وعاد إلى الرقّة وكتب إليه صاحب مصر يعاتبه على فعله فأجابته جواب المعتذر الملائف.

١. وأما ابتداء أمر بكجور هذا فليراجع تاريخ ابن القلانسي ص ٢٧ (مد).

٢. وهذا في سنة ٣٧٧: ابن القلانسي ص ٣٠ (مد).

ذكر السبب في مسير بكجور إلى حلب لقتال مولاه^(١)

كان لبكجور رفقاء بحلب يوادونه. فكاتبوه وأطمعوه في الأمر وأعلموه تشاغل سعد الدولة باللذة، فاغترَّ بأقوالهم وكتب إلى صاحب مصر يبذل له فتح حلب ويطلب منه الإتيان والمعونة فأجابه إلى كل ملتمس. وكتب إلى نزال الغوري وإلى طرابلس بالمسير إليه متى^(٢) استدعاه من غير معاودة. وكان نزال هذا [203] من قواد المغاربة وصناديدهم ومن صنائع عيسى وخواصه.

ذكر الحيلة التي رتبها عيسى مع نزال في التقاعد ببكجور حتى ورّطه

كتب عيسى إلى نزال سرّاً بأن يظهر لبكجور المسارعة ويبطن له المدافعة. فإذا تورّط مع مولاه وصادمة تأخّر عنه وأسلمه. فرحل بكجور عن الرقة وكتب إلى نزال بأن يسير من طرابلس ليكون وصولهما إلى حلب في وقت واحد وسار إليها. ورحل نزال وأبطأ في سيره وواصل مكاتبة بكجور بنزوله في منزل بعد منزل وقرب عليه الأمر في وصوله. وقد كان سعد الدولة كتب إلى بسيل عظيم الروم وأعلمه عصيان بكجور عليه وسأله مكاتبة البرجى صاحبه بأنطاكية بالمسير إليه متى استنجد به بالمسير إليه فسار. وبرز سعد الدولة في غلمانه وطوائف عسكره - ولؤلؤ الجراحى الكبير

١. ليراجع ابن القلانسي ص ٣٤ (مد).

٢. وفي الأصل : من.

يحجبه - ولم يكن معه من العرب إلا عمرو بن كلاب وعدّتهم خمسمائة فارس إلا أنّهم أولو بأس ومن سواهم من^(١) عدّته وعدّته. فنزل إلى الأرض وصلى وعقر خذّيه وسأل الله تعالى النصر.

ثم استدعى كاتبه وأمره بأن يكتب إلى [304] بكجور عنه ويستعطفه ويذكره الله ويبذل له أن يقطعه من الرقّة إلى باب حمص ويدعوه إلى المودعة ورعاية حقّ الرقّ والعبودية.

ومضى بالكتاب رسول فأوصله إليه. فلمّا وقف عليه قال: الجواب ما يراه عياناً. فعاد الرسول وأعاد على سعد الدولة قوله وأخبره أنّه سائر على أثره. فتقدّم سعد الدولة وتقارب العسكران ورتّب المصافّ ووقع الطراد.

ذكر جود عاد على سعد الدولة بحفظ دولته

وشعّ آل بكجور إلى ذهاب مهجته

كان الفارس من أصحاب سعد الدولة إذا عاد إليه وقد طعن أو جرح خلع عليه وأحسن إليه. وكان بكجور شحيحاً فإذا عاد إليه رجل من رجاله على هذه الحال أمر بأن يكتب اسمه لينظر مستأنفاً في أمره.

وقد كان سعد الدولة كاتب العرب الذين مع بكجور وآمنهم ووعدهم ورغّبهم. فلمّا حصلت كُتبه بالأمان معهم عطفوا على^(٢) سواده ونهبوه واستأمنوا إلى سعد الدولة.

ورأى بكجور ما تمّ عليه من تقاعد نزّال به وانصراف العرب عنه وتأخّر رفقاته الذين كانوا كاتبوه ووعدوه بالإنحياز إليه إذا شاهدوه. فاستدعى أبا

١. زاد هاهنا ابن القلانسي ص ٣٤: ومن سواهم من بطون العرب بنى كلاب مع بكجور.... وأعجبه - يعني سعد الدولة - ما رأى من عدته وعدته الخ (مد).

٢. وفي الأصل: عن.

الحسن المغربي كاتبه وقال له :

- «لقد غررتني فما الرأي الآن؟»

قال له :

- «أيها الأمير لم أكذبك في شيء قلته ولا أردت [305] إلا نصحك.

والصواب مع هذه الأسباب أن ترجع إلى الرقة وتكاتب صاحب مصر بما

اعتمده نزال معك وتعاود استنجاهه.»

وكان في العسكر قائد من القواد يجري مجراه في التقدم فسمع ما جرى

بينهما فقال لهكجور :

- «هذا كاتبك إذا جلس في دسته قال: الأقلام تنكس الأعلام. فإذا

تحققت الحقائق أشار علينا بالهرب والله لا هربنا.»

وحلف بالطلاق على ذلك وسمع أبو الحسن المغربي قوله فخاف وكان قد

واقف بدويّاً من بني كلاب على أن يحمله إلى الرقة متى كانت هزيمة وبذل

له ألف دينار على ذلك.

فلما استشعر ما استشعر قدّم ما كان آخره وسأل البدوي تسييره إلى الرقة

فسيره.

مركز تحقيق ذكر ما دبره بكجور بفضل شجاعته

فحالت المقادير دون إرادته

لما رأى الأمر معضلاً عمل على أن يعمد إلى الموضع الذي فيه سعد

الدولة من المصاف ويحمل عليه بنفسه ومن ينتخبه من صناديد عسكره

موقعاً به فأختار وجوه غلمانه وقال لهم :

- «قد حصلنا من هذه الحرب على شرف أمرين صعبين من هزيمة

وهلاك وقد عوّلت على كيت وكيت فإن ساعدتموني رجوت لكم الفتح.»

فقالوا: «نحن طوعك وما نرغب بنفوسنا عن نفسك.»
فغدر واحد من الغلمان واستأمن إلى لؤلؤ [306] الجراحى وأعلمه بما عوّل عليه.

ذكر ما فعله لؤلؤ من اقتداء مولاه بنفسه

فنجّاهما الله بحسن النية

أسرع لؤلؤ إلى سعد الدولة وأخبره الحال وقال:

- «قد أيس بكجور من نفسه وهو لاشكّ فاعل ما قد عزم عليه، فانتقل

من مكانك إلى مكانى لأقف أنا فى موضعك وأكون وقاية لك ولدولتك.»

فقبل سعد الدولة رأيه ووقف لؤلؤ تحت الراية وجال بكجور فى أربعمائه

غلام شاكين فى السلاح ثم حمل فى عقيب جولته حملة أفرجت له العساكر

ولم يزل يخبط من تلقاء بالسيف إلى أن وصل إلى لؤلؤ وهو يظنه سعد الدولة

فضربه على الخوذة ضربة قذّها ووصلت إلى رأسه ووقع لؤلؤ إلى الأرض.

وحمل العسكر على بكجور وبادر سعد الدولة عائداً إلى مكانه مظهراً

نفسه لغلمانه. فلما رأوه قويت شوكتهم وثبتت أقدامهم واشتدوا فى القتال

حتى استفرغ بكجور وسعه، ثم انهزم فى سبعة نفر.

مركز تحقيق كالمبيوتر علوم إسلامي

ذكر ما جرى عليه أمر بكجور بعد الهزيمة

إلى أن قُتل

كان تحته فرس ثمنه ألف دينار فانتهى إلى ساقية تحمل الماء إلى رحا

الطريق سعتها [307] قدر ذراعين فجهد الفرس على أن يعبرها خوفاً أو وثباً

فلم يكن^(١) فيه ووقف ولحقته عشرة فوارس من العرب فرجلته وأصحابه
وجردوهم من ثيابهم وآبوا عنهم بأسلابهم.
ونجا بكجور ومن معه إلى الرحا فاستكنوا فيه.

بكجور ورجل من بنى قطن

ثم خرجوا من بعد إلى قراح فيه زرع فمرّ بهم قوم من العرب وكان فيهم
رجل من بنى قطن كان بكجور يستخدمه كثيراً فى مهمّاته فناداه: أن ارجع،
فرجع وهو لا يعرفه فأخذ ذمامه، ثم عرّفه نفسه وبذل له على إيصاله الرقة
حمل بغيره ذهباً، فأردفه وحمله إلى بيته وكساه.
وكان سعد الدولة قد بثّ الخيل فى طلبه وجعل لمن أحضره حكمه.
فساء ظنّ البدوى وطمع فيما كان سعد الدولة بذله واستشار ابن عمه فى
أمره فقال:

- «هو رجل بخيل وربما غدر فى وعده وإذا قصدت سعد الدولة به
حظيت برفده.»

فأسرع البدوى إلى معسكر سعد الدولة وأشعره بحال بكجور واحتكم
عليه مائتى فدان زراعة ومائة ألف درهم ومائة راحلة محمّلة برّاً وخمسين
قطعة ثياباً فبذل له سعد الدولة ذلك جميعه.

وعرف لؤلؤ الجراحى الخبر وتقرّر أن يمضى البدوى ويحضره. فتحامل
وهو مشخن بالضربة التى أصابته ومشى يتهادى على أيدى غلمانة حتى حضر
عند سعد الدولة.

١. كذا فى مد. ولعله «لم يتسكّن».

ذكر حزم أخذ به لؤلؤ دُلّ منه [308]
على أصالة رأي

لَمَّا حضر سأل عَمَّا يَقُولُهُ الْبَدَوِيُّ فَأَخْبَرَ بِهِ فَقَبِضَ لَوْلُؤَ عَلَى يَدِهِ وَقَالَ لَهُ :
- «أَيْنَ أَهْلُكَ.»
فَقَالَ :

- «فِي الْمَرْجِ عَلَى فَرَسٍ.»

فَاسْتَدْعَى جَمَاعَةً مِنْ غُلَمَائِهِ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْرِعُوا إِلَى الْحَلَّةِ وَيَقْبِضُوا عَلَى
بُكْجُورٍ وَيَحْمِلُوهُ فَتَوَجَّهُوا وَهُوَ قَابِضٌ عَلَى يَدِ الْبَدَوِيِّ، وَالْبَدَوِيُّ يَسْتَغِيثُ.
فَقَدَّمَ لَوْلُؤَ إِلَى سَعْدِ الدَّوْلَةِ وَقَالَ :

- «يَا مَوْلَانَا لَا تَنْكَرْ عَلَيَّ فَعَلِي، فَإِنَّهُ مِنِّي عَنْ اسْتِظْهَارٍ فِي خِدْمَتِكَ فَلَوْ
عَادَ هَذَا الْبَدَوِيُّ إِلَى بَيْتِهِ لَمْ نَأْمَنْ أَنْ يَبْذُلَ لَهُ بِكْجُورَ مَالًا جَمًّا فَيَقْبِلَ مِنْهُ
وَيَتَطَلَّبَ مِنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ أَثَرًا بَعْدَ عَيْنٍ وَالَّذِي طَلَبَهُ الْبَدَوِيُّ مَبْذُولٌ وَمَا ضَرَّ
الْإِحْتِيَاظَ.»

فَقَالَ لَهُ سَعْدُ الدَّوْلَةِ :

- «أَحْسَنْتَ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ، اللَّهُ دَرَكُ.»

وَلَمْ يَمُضْ سَاعَاتٌ حَتَّى أَحْضَرَ بِكْجُورَ فَشَاوَرَ سَعْدَ الدَّوْلَةِ لَوْلُؤًا فِي أَمْرِهِ،
فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِقَتْلِهِ خَوْفًا مِنْ أَنْ تَسْأَلَ أُخْتُ سَعْدِ الدَّوْلَةِ فِيهِ فَيُفْرِجَ عَنْهُ، فَأَمَرَ
عِنْدَ ذَلِكَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ.

فَسَارَ سَعْدُ الدَّوْلَةِ إِلَى الرِّقَّةِ فَنَزَلَ عَلَيْهَا وَفِيهَا سَلَامَةُ الرَّشِيقِيِّ وَأَبُو الْحَسَنِ
الْمَغْرِبِيِّ وَأَوْلَادُ بِكْجُورٍ وَحَرَمُهُ وَأَمْوَالُهُ وَنَعْمَهُ. فَأَرْسَلَ إِلَى سَلَامَةِ يَلْتَمِسُ مِنْهُ
تَسْلِيمَ الْبَلَدِ فَأَجَابَهُ :

- «بَأْنِي عَبْدُكَ وَعَبْدُ عَبْدِكَ إِلَّا أَنْ لِبُكْجُورٍ عَلَى عَهْدٍ وَمَوَاقِيقٍ لَا مَخْلَصَ

لى عند الله منها إلا بأحد أمرين: إما أنك تدم لأولاده على نفوسهم وحرمتهم [309] وتقتصر فيما تأخذه منهم على آلات الحرب - وعددها - وتحلف لهم على الوفاء به، وإما بأن أبلى^(١) عذراً عند الله تعالى فيما أخذ على من عهد وعقد معى من عقد.

فأجابه سعد الدولة إلى ما اشترطه من الذمام وحلف له بيمين مستوفاة الأقسام ودخل فيها الأمان لأبى الحسن المغربى بعد أن كان قد هدر دمه. إلا أنه أئنه على أن يقيم فى بلاده. فهرب إلى الكوفة وأقام بمشهد أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام.

ذكر ما جرى عليه أمر سلامة الرشيقى وأولاد

بكجور فى خروجهم من الرقة وغدر

سعد الدولة

لما توثق سلامة لنفسه ولأولاد بكجور سلم حصن الرافقة وخرجوا منها ومعهم من الأموال والزينة ما كثر فى عين سعد الدولة. فإنه كان يشاهدهم من وراء سرادقه وبين يديه ابن أبى الحصين القاضى وقال له :

- « ما ظننت أن حال بكجور انتهت إلى ما أراه من هذه الأثقال

والأموال. » مركز تحقيق كالمبيوتر علوم إسلامي

فقال له ابن أبى الحصين :

- « إن بكجور وأولاده مماليكك وكلما ملكه وملكوه هو لك لا حرج

عليك فيما تأخذه منهم ولا حنت فى الأيمان التى حلفت بها، ومهما كان

فيها من وزر وإثم فعلى دونك. » [310]

١. فى الأصل أبى : والصواب عند ابن القلانسي (مد).

فلما سمع هذا القول أصغى إليه وغدر بهم وقبض على جميع ما كان معهم.

فما كان أسوأ محضر هذا القاضي الذي حسن لسعد الدولة تسويل الشيطان وأفتاه بنقض الأيمان، ثم لم يقنع بما زين له من غدره ولئس عليه من أمره حتى تكفل له بحمل وزره. وهل أحد حامل وزر غيره؟ أما سمع قول الله تعالى في أهل الضلالة: «وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلنَحْمِلَ خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ»^(١). وكان أولاد بكجور كتبوا إلى العزيز بما جرى على والدهم وسألوه مكاتبة سعد الدولة بالإبقاء عليهم.

ذكر ما جرى بين صاحب مصر وسعد الدولة من المراسلات

وما اتفق من وفاة سعد الدولة بعقب ذلك

كتب صاحب مصر إليه كتاباً يتوعده فيه ويأمره بالإبقاء عليهم وتسييرهم إلى مصر موفورين ويقول في آخره:

- «فإن خالفت كنت خصمك ووجهت العساكر نحوك».

وأنفذ الكتاب مع فائق الصقلي^(٢) أحد خواصه وسيّره على نجيب إسرعاً به. فوصل فائق إلى سعد الدولة وقد وصل من الرقة إلى ظاهر حلب وأوصل إليه الكتاب. فلما وقف عليه جمع وجوه عسكره وقراه عليهم ثم قال لهم:

- «ما [311] الرأي عندكم».

قالوا له:

- «نحن عبيد طاعتك ومهما أمرتنا به كنّا عند طاعتك منه».

١. س ٢٩ المنكبوت: ١٢.

٢. وفي الأصل: الصقلي. والصواب عند ابن الفلانسى ص ٣٨ (مد).

فأمر بإحضار فائق فأهانته وقال له ^(١) :

- «عُدْ إلى صاحبك وقل له : لست ممن يستفزّه وعبيدك وما بك حاجة إلى تجهيز عسكر إليّ، فإنني سائر إليك وخبري يأتيك من الرملة.»
وقدّم قطعة من عسكره إلى حمص أمامه وعاد فائق إلى صاحبه فعرفه ما سمعه ورآه فأزعجه وأقلقه. وأقام سعد الدولة بظاهر حلب أياماً ليرتب أموره ويتبع العسكر الذي تقدّمه، فعرض له القولنج أشفى منه وعاد إلى البلد متداوياً وأبلّ وهنئ بالسلامة.

وعوّل على العود إلى المعسكر، فحضرت فراشه في الليلة التي عزم على الركوب في صبيحتها إحدى حظاياه، وتبعته النفس الشهوانية المهلكة فواقعها وسقط عنها وقد جفّ نصفه. وعرفت أخته الصورة فدخلت إليه وهو يجود بنفسه واستدعى الطبيب فأشار بسجر النّد ^(٢) والعنبر حوله فأفاق قليلاً فقال له الطبيب :

- «أعطني يدك أيها الأمير لِأُخَذَ مجسّك.»

فاعطاه اليسرى فقال :

- «يا مولانا اليمين.»

فقال : «أيتها الطبيب ما تركت لى اليمين يميناً.»

فكأنه تذكر ما فرط من خيائنه وتدم على نقض العهد ونكته.

ومضت عليه ثلاث ليال وقضى نحبّه بعد أن قلّد عهده لولده أبى الفضائل ووصّى إلى لؤلؤ الجراحى به [312] وبقيّة ولده.

١. وزاد ابن القلانسي أنّه أمر بإعطائه الكتاب ولطمه حتى يأكله (مد).

٢. وفي الاصل : النار. والصواب ما قاله ابن القلانسي (مد).

ذكر قيام أبي الفضائل ابن سعد الدولة بعد أبيه

وما جرى له مع العساكر المصرية

جذّ لؤلؤ في نصب أبي الفضائل في الأمر وأخذ له البيعة على الجند،
وتراجعت العساكر إلى حلب واستأمن منها إلى صاحب [مصر] وفاء
الصقلي^(١) وبشارة الاخشيدى ورياح وقوم آخرون فقبلهم وأحسن إليهم
وولّى كلّاً^(٢) منهم بلداً.

وقد كان أبو الحسن المغربي بعد حصوله في المشهد بالكوفة كاتب
صاحب مصر وصار بعد المكاتبة إلى بابه. فلما توفى سعد الدولة عظم أمر
حلب عنده وكثر له أموالها وهون عليه حصولها وأشار باصطناع أحد الغلمان
وإنفاذه إليها.

فقبل منه إشارته وقدم غلاماً يسمى منجوتكين فحوّله وموّله ورفع قدره
ونوّه بذكره وأمر القواد والأكابر بالترجّل له وولّاه الشام واستكتب له أحمد
بن محمد القشورى وسيّره إلى حلب وضمّ إليه أبا الحسن المغربي ليقوم
بالأمر والتدبير.

ذكر منجوتكين من مصر إلى حلب

ونزوله عليها [313]

لما وصل إلى دمشق تلقاه قوادها وأهلها وعساكر الشام كلّها فأقام بها
مدّة. ثم رحل إلى حلب وقد استعدّ واحتشد ونزلها في ثلاثين ألف رجل
وتحصّن أبو الفضائل ابن سعد الدولة ولؤلؤ بالبلد.

١. وفي تاريخ ابن الفلانسى ص ٣٩: رقى الصقلي.

٢. والمثبت في مد: كل.

وقد كان لؤلؤ عند معرفته بورود العساكر المصرية كتب إلى بسيل عظيم الروم وذكره ما كان بينه وبين سعد الدولة من المعاهدة والمعاقدة، وبذل له عن أبي الفضائل ولده الجرى على تلك العادة، وحمل إليه أطلافاً كثيرة واستنجدته وأنفذ إليه ملكوثاً^(١) السرياني رسولاً.

فوصل إليه ملكوثا وهو بإزاء عساكر ملك البلغر مقاتلاً. فقبل ما ورد فيه وكتب إلى البرجي صاحبه بأنطاكية بجمع عساكر الروم وقصد حلب ودفع المغاربة عنها.

فسار البرجي في خمسة آلاف رجل ونزل بجسر الحديد بين أنطاكية وحلب وعرف منجوتكين وأبو الحسن ذلك فجمعوا وجوه العسكر وشاوراهم في تدبير الأمر.

ذكر مشورة أنتجت رأياً سديداً

كان في أثنائه الظفر بالروم

أشار ذو الرأي والحصافة منهم بالإتصاف عن حلب وقصد الروم [314] والإبتداء بهم ومناجزتهم لئلا يحصلوا بين عدوين، فأجمعوا على ذلك وساروا حتى صار بينهم وبين الروم النهر المعروف بالمقلوب.

فلما ترأى الجمعان تراموا بالنشاب وبينهم النهر، وليس للفريقين طريق إلى العبور. فبرز من الديلم الذين في جملة منجوتكين شيخ في يديه ترس وثلاث زوبيئات ورمى بنفسه إلى الماء والمسلمون ينظرون إليه والروم يرمونه بالنبل والحجارة وهو يسبح قدماً والترس في يده والماء إلى صدره. وشاهد المسلمون ذلك وطرحوا نفوسهم في أثره، وطرحت العرب خيولهم

١. في الأصل : ملكوثا. والصواب عند ابن الفلانسى ص ٤١ ص ١٤ (مد).

فى النهر وهجم العسكر عن المخاض، وحصلوا مع الروم على أرض واحدة ومنجوتكين يمنعهم فلا يمتنعون، وأنزل الله تعالى النصر عليهم وولى الروم أدبارهم^(١) بين مقتول ومأسور ومفلول.

وأفلت البرجى فى عدد قليل وغنمت منهم الغنيمة الكثيرة وجمع من رؤس قتلاهم نحو عشرة آلاف رأس وحملت إلى مصر. وتسم منجوتكين إلى أنطاكية ونهب رساتيقها وأحرقها وكان وقت إدراك الغلة. فأنفذ لؤلؤ وأحرق ما يقارب حلب منها، إضراراً بالعسكر المصرى وقاطعاً الميرة عليهم. وكر منجوتكين راجعاً إلى حلب.

ذكر تدبير لطيف دبّره لؤلؤ فى صرف

العساكر المصرية عن حلب [315]

لما رأى لؤلؤ هزيمة الروم وقوة العساكر المصرية وضعفه عن مقاومتهم كاتب أبا الحسن المغربى والقشورى ورغبهما فى المال وبذل لهما منه ما استمالهما به، وسألهما المشورة على منجوتكين بالإنصراف عن حلب فى هذا العام والمعاودة فى القابل^(٢) لعلّ تعذر الأقوات والعلوفات.

فأجاباه إلى ذلك وخاطبا منجوتكين به فصادف قولهما منه شوقاً إلى دمشق وخفض العيش وضجر من الأسفار والحروب وكتبت الجماعة إلى صاحب مصر بهذه الصورة واستأذناه فى الإنكفاء. فقبل أن يصل الكتاب ويعود الجواب رحلوا عائدين وعرف صاحب مصر ذلك. فاستشاط غضباً ووجد أعداء أبى الحسن المغربى طريقاً إلى الطعن عليه فصرفه بصالح بن

١. وفى ابن القلانسى ص ٤٢: وولت الروم وأعطوا ظهورهم وركبهم المسلمون ونكروا فيهم النكاية الوافية قتلاً وأسراً وقهراً وأفلت البرجى الخ.

٢. أى العام القابل.

على الروذبارى.

ذكر ما دبّره المتلقب بالعزیز فی إمداد العسكر بالميرة

وإعادتهم إلى حلب

آلى على نفسه أن يمدّ العسكر بالميرة من غلات مصر. فحمل مائة ألف
تليس - والتليس قفيزان بالمعدّل - فى البحر إلى طرابلس ومنها على الظهور
إلى حصن أفامية^(١).

ورجع منجوتكين فى السنة الثانية إلى حلب ونزل عليها وصالح بن على
الروذبارى المدبر. فكان يوقع للغلمان بجراياتهم وقضيم دوابهم إلى أفامية
على [316] خمسة وعشرين فرسخاً فيمضون ويقبضونها ويعودون بها. وأقاموا
ثلاثة عشر شهراً وبنوا الحمامات والخانات والأسواق وأبو الفضائل ولؤلؤ
ومن معهما متحصّنون بالبلد. وتعذّرت الأقوات عندهم فكان لؤلؤ يبتاع
القفيز من الحنطة بثلاثة دنائير ويبيعها على الناس بدينار رفقاً بهم ويفتح
الأبواب فى الأيام ويخرج من البلد من تمنعه المضرتان عن المقام^(٢) وأشير
على منجوتكين بتسبع من يخرج وقتله، ليمتنع الناس من الخروج ليضيق
الأقوات عندهم فلم يفعل.

وأنفذ لؤلؤ فى أثناء هذه الأحوال ملكوثا إلى بسيل عظيم الروم معاوداً
لاستنجاده. وكان بسيل قد توسّط بلاد البلغر فقصد ملكوثا إلى موضعه
وأوصل إليه الكتاب وقال له :

- «متى أخذت حلب فتحت أنطاكية بعدها وأتعبك التلافى وإذا سرت

١. أفامية (= فامية) : مدينة حصينة من سواحل الشام وكورة من كور حمص (مراد الإطلاع).

٢. كذا فى الأصل وعند ابن الفلاس ص ٤٣ : ويخرج من الناس من أراد من الفقراء من الجوع
وطول المقام وقد كان أشير الخ. والمضرتان هما الجوع والوباء (مد).

بنفسك حفظت البلدين جميعاً وسائر الأعمال.»

ذكر مسير بسيل إلى الشام لقتال العساكر المصرية
وما جرى عليه أمره في ذلك

لما سمع بسيل قول ملكوثا سار نحو حلب وبينه وبينها ثلاثمائة فرسخ.
فقطعها في سنة وعشرين يوماً، وقاد الجنائب بأيدي الفرسان، وحمل
الرجالة [317] على البغال.

وكان الزمان ربيعاً وقد أنفذ منجوتكين وعسكره كراهم إلى المروج
لترعى فيها وقرب هجوم بسيل عليهم من حيث لا يشعرون.

ذكر ما دبّره واعتمده لؤلؤ من رعاية
حرمة الإسلام وإنذار منجوتكين
بخبر هجوم الروم

أرسل إلى منجوتكين يقول له:

«إنّ عصمة الإسلام الجامعة لنا تدعوني إلى إنذاركم والنصح لكم وقد
أظلمكم بسيل في جيوش الروم، فخذوا الحذر لأنفسكم.»
وجاءت طلائع منجوتكين بمثل الخبر فأحرق الخزائن والأسواق والأبنية
التي كان استحدثها ورحل في الحال منهزماً.

ووافى بسيل فنزل على باب حلب وخرج إليه أبو الفضائل ولؤلؤ ولقياه،
ثم عاد ورحل في اليوم الثالث إلى الشام. وفتح حمص ونهب وسبى ونزل
على طرابلس فمنعت جانبها منه فأقام تيفاً وأربعين يوماً، فلما أيس منها عاد
إلى بلاد الروم.

وانتهى الخبر إلى صاحب مصر فعظم ذلك عليه وأمر فنودي بالنفير فنفر الناس.

ذكر مسير المتلقب بالعزیز من [318] مصر

لغزو الروم وما اتفق من موته وجلوس ولده

المتلقب بالحاكم فى موضعه

خرج من داره مستصحباً جميع عساكره وعدده وأمواله وسار منها مسافة عشرة فراسخ حتى نزل بلبیس^(١) وأقام بظاهرها.

وعارضته علل كثيرة أيس منها من نفسه فأوصى إلى أرجوان^(٢) الخادم الذى كان خصيصاً به ومتولياً لأمر داره، بولده المتلقب بالحاكم من بعده، ثم قضى نحبه.

وقام أرجوان بأمر الحاكم ودعا الناس إلى البيعة وحالفهم على الطاعة وأطلق لهم العطاء وذلك فى شهر رمضان سنة ست وثمانين وثلاثمائة، وانكفاً الحاكم إلى قصر أبيه وهو يومئذ ابن خمس عشرة سنة.

وتقدم أبو محمد الحسن بن عمار وكان شيخ كُتامة وسيدها، ويلقب بأمين الدولة، وهو أول من لقب فى دولة المغاربة ونفذ أوامره فى الخزائن والأموال إطلاقاً وعطاءً حتى على جوارى القصر هبة وعتقاً. واستولى أصحابه وقتلت مبالاتهم وأشاروا عليه بقتل الحاكم فلم يعبأ به استصغاراً لسنه واستهانة بأمره. وأرجوان فى أثناء ذلك يعرس الحاكم ويلازمه ويمنعه الركوب والظهور من قصره.

واتفق شكر العضدى معه فتعاضدا وصارت كلمتهما واحدة [319] حتى تمَّ لهما ما أراداه.

١. وفى الأصل : بتليس. والصواب عند ابن القلانسى ص ٤٤ (مد).

٢. أو : يرجوان (مد).

ذكر ما دبره أرجوان في أمر ابن عمار ومكاتبة

منجوتكين والإستنصار به عليه

لما زاد أمر ابن عمار في تمكنه كتب أرجوان إلى منجوتكين وشكا إليه ما هم فيه، ودعاه إلى قصد مصر ومقابلة نعمة العزيز عنده وكشف هذه الغمة عن ولده.

فتقبل منجوتكين كتابه وركب إلى المسجد الجامع بثياب المصيبة وجمع الناس وذكرهم جميل العزيز إليهم. ثم خرج إلى ذكر ما له عليه خاصة من الإصطناع وما يلزمه من خدمة ولده بعده. ثم ذكر تغلب ابن عمار على الملك وسوء سيرته وما يلقاه أئمتنا المقيمون بمصر من الذلة والهوان، وبكى بكاء شديداً رقت له القلوب وخرق ثيابه واقتدى الناس به في البكاء وتخريق الثياب وأجابوه إلى الطاعة وبذل المهج من غير التماس عطاء ولا مؤونة. فشكرهم وعاد إلى داره وأجمع أمره للمسير فصار إلى الرملة.

ذكر ما دبره ابن عمار في تجهيز [320] الجيش

وما آل إليه أمر منجوتكين من الهزيمة

لما وصل الخبر إلى ابن عمار بما فعله منجوتكين عظم عليه وجمع وجوه كتامة^(١) وأخبرهم بما تجدد، وأظهر أن منجوتكين قد عصى على الحاكم فبذلوا الطاعة والانتهاة إلى ما يأمرهم به.

وأحضر أرجوان وشكر العضدى واستمالهما واستحلفهما على المساعدة والمعاضدة، فحلفا له اضطراراً.

١. وفي الأصل: كتابه.

ونذب العساكر لقتال منجوتكين وقدم أبا تميم سالم^(١) بن جعفر عليها وأمدّه من الأموال والعدد ما أسرف فيه. وكان عيسى بن نسطورس على حاله في الوزارة، فبلغه عنه ما أنكره فضرب عنقه.

إلتقاء أبي تميم ومنجوتكين

وسار أبو تميم من مصر ورحل منجوتكين من الرملة بعد أن ملكها والتقى بعسقلان وتواقعا. فأجلت الواقعة عن هزيمة منجوتكين وأصحابه وتتبعوا. وجعل أبو تميم لمن يأتيه بمنجوتكين عشرة آلاف دينار ومائة ثوب. فانبثت العرب في طلبه وأدركه على بن الجراح فأسرّه وجاء به إلى أبي تميم فسلمه إليه وقبض المال منه. فحمل إلى مصر وأبقى ابن عمّار عليه واصطنعه وأحسن إليه استمالة للمشاركة بذلك.

وسار أبو تميم فنزل طبرية وأنفذ أخاه عليّاً إلى دمشق فاعتصم أهلها عليه ومنعوه الدخول، وكاتب أخاه بعصيانهم واستأذنه [321] في قتالهم. فكتب أبو تميم إلى متقدميهم من الأشراف والشيوخ وحذّره عواقب فعل سفهائهم. فلما وصل الكتاب إليهم خافوا وخرجوا إلى عليّ مدعين بالطاعة ومنكرين لما فعله أهل الجهالة فلم يعبأ بقولهم وزحف إلى باب البلد، فملكه وأحرق وقتل وعاد إلى معسكره.

ووافى أبو تميم في غد، فأنكر على أخيه ما فعله، وتلقاه وجوه الناس فشكوا إليه ما أظلمهم. فأحسن لقاءهم وأمن^(٢) جناتهم، فسكنوا وعادوا إلى معائشهم.

١. وعند ابن الفلانسى ص ٤٦ سليمان. وهو ابن فلاح.

٢. والمثبت في مد: وأمن، دون تشديد.

ذكر ما اعتمده أبو تميم الكتامي^(١)

من حسن سيرة ملك بها قلوب الرعية

ركب إلى المسجد الجامع في يوم الجمعة بزى أهل الوقار، واجتاز في البلد بسكينة وبين يديه القراء وقوم يفرقون الدراهم على أهل المسكنة، وصلى الجمعة وعاد إلى القصر الذي نزل به بظاهر دمشق، وقد استمال قلوب العامة بما فعله. ثم نظر في الظلمات وأطلق من العيوس جماعة من أهل الجنائيات، فازدادوا له حباً واستقرت قدمه واستقام أمره.

وعدل من بعد إلى النظر في أمور السواحل فهذبها، وولى أخاه طرابلس وصرف عنها جيش^(٢) بن الصمصامة. وكان جيش هذا من شيوخ [322] كُتامة أيضاً إلا أنه كانت بينه وبين أبي تميم عداوة.

فلما عزله عن طرابلس مضى إلى مصر وجهاً واحداً واجتمع مع أرجوان سرّاً ورمى نفسه عليه فقبّله وبذل له المعاونة.

ورأى أرجوان الفرصة قد أمكنت ببعد كُتامة عن مصر، إلا العدد القليل منهم. فقرّر مع الأتراك المشاركة الفتك بهم وأحكم الأمر في الإستيثاق.

وأحس ابن عمّار بذلك فعمل على الفتك بأرجوان وسبقه إلى ما يحاوله منه.

ذكر ما هم به ابن عمّار من الفتك بأرجوان وشكر

وما دبراه في التحرّز منه حتى

سلما منه وتورّط هو

رتّب ابن عمّار جماعة في دهليزه وواقفهم على الإيقاع بأرجوان وشكر

١. وفي الأصل: الكنانى.

٢. وفي الأصل: حبش.

إذا دخلا داره. وكان لأرجوان عيون على ابن عمّار فصاروا إليه وأخبروه بما قد رتبّه. فاجتمع أرجوان وشكر وتفاوضا الرأى فى التحرّز مما بلغهما وقرّرا بينهما أن يركبا عند ركوبهما جماعة من الغلمان يتبعوهما. فإن أحسّا على باب ابن عمّار بما يرييهما رجعا القهقري وفى ظهورهما من يمنع عنهما. فرتّبّا ذلك وتوجّها إلى دار ابن عمّار. فلمّا [323] قربا من الباب بانّت لهما شواهد الشرّ وما كانا أخبرا به. فكّر راكضاً ومنع عنهما الغلمان الذين كانوا وراءهما ودخلا قصر الحاكم باكيين صارخين وثارّت الفتنة. واجتمع المشاركة وعبيد الشرى على باب القصر، وركب الحسن بن عمّار فى كتامة ومن انضاف إليهم من القبائل إلى الصحراء، وفتح أرجوان الخزائن ففرّق الأموال وحثّ الرجال. وبرز ثلاثة من وجوه الأتراك فى خمسمائة فارس لقتالهم فواقعوهم وكسروهم وهرب ابن عمّار واستتر عند بعض العامة.

ذكر ما دبر به أرجوان أمر الملك

لمّا تمّ له الظفر فتح باب القصر وأخرج الحاكم وأجلسه وأخذ له بيعة مجدّدة على الجند وأمن وجوه كتامة وقوادها فحضروا وأعطوا أيديهم بالطاعة ومهدّ الأمور فى يومه وليلته.

وكتب الملطّفات إلى الأشراف وإلى وجوه العامّة بدمشق بالإيقاع بأبى تميم ونهيه والى المشاركة بمعاونتهم عليه.

ذكر ما تمّ على أبى تميم من أهل دمشق [324]

بقلة حزمه وضعف رأيه

كان أبو تميم مع سياسته مستهتراً باللذات ووصلت الملطّفات وأبو تميم

مشغول بلهوه. فلم يشعر إلا بهجوم المشاركة والعامّة على قصره. فخرج هارباً على ظهر فرسه، ونهبوا خزائنه وأوقعوا بمن كان فيه من كتامة وعادت الفتنة بدمشق واستولى الأحداث.

وكان فهد بن ابراهيم النصراني المكنى بأبى العلاء يكتب لأرجوان من قبل. فلما صار الأمر إليه استوزره. ولم يزل أرجوان^(١) يتلطف للحسن بن عمّار حتى أخرجه من استتاره وأعادته إلى داره وأجرأه على رسمه فى إقطاعاته واشترط عليه إغلاق بابه واستحلفه على لزوم الطريقة المستقيمة. وكان أهل صور قد عصوا وأثروا عليهم رجلاً ملاحاً يعرف بالعلاقة، وكان المفرج^(٢) بن دغفل بن الجراح قد نزل على الرملة وعاث فى البلاد وانضاف إلى هذين الحادثين نزول الدوقس صاحب الروم فى عسكر كثير على حصن أفامية.

فاصطنع أرجوان جيش بن محمد بن الصمصامة وقدمه وجّهز معه عسكراً وسيّره إلى دمشق وبسط يده فى الأموال ونفذ أمره فى الأعمال.

ذكر ما جرى عليه أمر جيش [325] بن الصمصامة

فى هذا الوجه إلى أن توقى

سار جيش ونزل على الرملة وعليها وحيد الهلالى والياً فتلقاه طائعاً، وصادف أبا تميم بها فقبض عليه قبضاً جميلاً.

وندىب أبا عبد الله الحسين بن ناصر الدولة بن حمدان فى عسكر إلى صور، بعد أن كان أنفذ إليها مراكب فى البحر مشحونة بالرجال. فأحاطت العساكر بها برّاً وبحراً، وضعف أهل صور عن القتال وأخذ العلاقة فحمل إلى

١. الأصل محرّف والصواب عند ابن القلانسى ص ٥ (مد).

٢. وفى الأصل: الفرّج.

مصر فسلخ وصلب بها وأقام ابن حمدان بصور والياً عليها.
وسار جيش لقصد المفرج بن دغفل بن الجراح، فهرب من بين يديه
واتبعه حتى كاد يدركه. فضاقت الأرض على ابن الجراح وعاذ بالصفح وأنفذ
إليه عجائز نسائه يطلب الأمان. فكفّ جيش عنه وأمنه واستحلفه على ما
قرّره معه وعاد سائراً إلى عسكر الروم النازل على حصن أفامية.
فلما وصل إلى دمشق تلقاه أهلها في أشرافها ووجوه أحداثها مدعين له
بالإنقياد راغبين إليه في استصحابهم للجهاد فجزاهم خيراً.

ذكر مكيدة بدأ جيش بها في هذه النوبة

مع أحداث دمشق إلى أن أمكنته [326]

الفرصة منهم في الكرة الثانية

أقبل على رؤساء الأحداث وبذل لهم الجميل ونادى في البلد برفع المؤن
وإباحة دم كل مغربي يتعرض لفساد. فاجتمعت الرعيّة وشكروه وسألوه
دخول البلد والنزول بينهم. فلم يفعل وأقام ثلاثة أيام وسار بعد أن خلع على
رؤساء الأحداث ووصلهم، ونزل بجمع وأجتمعت عساكر الشام وتوجّه إلى
حصن أفامية. فوجد أهلها وقد اشتدّ بهم الحصار فنزل بإزاء عسكر الروم
وبينه وبينهم النهر المعروف بالمقلوب، ويعرف بالعاصي.

التقاء المسلمين والروم عند نهر العاصي

ثم التقى الفريقان من بعد وتنازعا الحرب وكان المسلمون يومئذ في
عشرة آلاف من الطوائف وألف فارس من بني كلاب. فحملت الروم على
المسلمين فزحزحوهم عن مصافهم وانهزمت الميمنة والميسرة واستولى الروم
على كراعهم وعطفت بنو كلاب على أكثر ذلك فنهبوه، وثبت بشارة

الاخشيدى فى خمسمائة فارس.

ورأى من فى حصن أقامية من المسلمين ما أصاب إخوانهم، فأيسوا من نفوسهم وابتهلوا إلى الله تعالى يسألونه الرحمة، فاستجاب لهم.

ذكر ما أنزل الله تعالى على المسلمين [327] من النصر

فقتل زعيم الروم على يد أحدهم

كان الدوقس^(١) قد وقف على رابية وبين يديه ولد له وعشرة غلمة وهو يشاهد ظفر أصحابه وأخذهم للغنائم. فقصده كردى يعرف بأحمد بن الضحّاك السليل على فرس جواد ويده اليمنى خشت^(٢) فظنه الدوقس مستأمناً إليه أو مستجيراً فلم يحفل به. فلما دنا منه حمل عليه فرفع الدوقس يده متقياً وضربه الكردى بالخشت فأصاب خلا في الدرع فخرقه ونفذ فى أضلاعه وسقط إلى الأرض ميتاً.

وصاح المسلمون:

«إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ قَدْ قُتِلَ!»

ونزل النصر فانهزمت الروم وتراجع المسلمون، ونزل من كان فى الحصن وقتل من الروم مقتلة عظيمة. وباتوا غانمين مستبشرين بنعمة من الله وفضل و«إِنَّ اللَّهَ لَا يَضِيعُ أَجْرُ الْمُحْسِنِينَ»^(٣).

ثم سار جيش بن الصمصامة إلى باب أنطاكية فسبى وأحرق، وانصرف عائداً إلى دمشق وقد عظمت هيئته فى النفوس.

١. هو داميانوس ويعرف بالدلاسينوس : كذا فى تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي (مد).

٢. ولعله تصحيف «خشب»، أو هو «خشت»: الأجر غير المطبوع (فارسي).

٣. س ٩ التوبة : ٢٢.

ذكر تمام هيئته في المكيدة التي كان بدأ
بها جيش في تسكين أحداث دمشق [328]
حتى ظفر بهم

لَمَّا عاد إلى دمشق استقبله أهلها مهتئين داعين. فتلقاهم بالبشاشة والبشر
وزادهم من الكرامة والبرّ وخلع على وجوه الأحداث وحملهم على الخيل
والبغال ووهب لهم الجوارى والغلمان. وعسكر بظاهر البلد وسألوه الدخول
والجواز في الأسواق وقد كانوا زينوها إظهاراً للسرور فلم يفعل وقال: هذه
عساكر وإذا دخلت لم آمن أن تثقل وطأتهم.

والتمس منهم أن يخلوا قرية على باب دمشق^(١) ليكون مقامه فيها،
فأجابوه إلى ذلك وتوفّر على استعمال العدل وتخفيف الثقل، فاستخصّ
رؤساء الأحداث واستعجب جماعة منهم. وكان يعمل لهم سماطاً يحضرونه
في كل يوم للأكل عنده ويبالغ في تأنيسهم.

فلَمَّا اطمأنّوا ومضت مدّة على ذلك أحضر قوّاده وتقدّم بأن يكونوا على
أهبة لما يريد استخدامهم فيه وتوقّع ما يأمرهم به في رقاع مختومة والعمل
بما فيها.

ثم كتب رقاعاً يقسمه البلد وعيّن لكل من قوّاده الموضع الذي يدخل منه
ويفتك فيها وختمها وأعدّها. ثم رتب في حمام داره قوماً من المغاربة وتقدّم
إلى أحد خواصّه بأن يراعى حضور رؤساء الأحداث طعامه. فإذا أكلوا [329]
وقاموا إلى المجلس الذي جرت عاداتهم بغسل أيديهم فيه، أغلق بابه عليهم
وأمر المتكمنين في الحمام بالخروج على أصحابهم والإيقاع بهم.

١. وعند ابن القلانسي ص ٥٢: يعرف ببيت لها (مد).

وحضر القوم على رسمهم وبادر جيش بإنفاذ الرقاع إلى قواده وجلس معهم للأكل. فلما فرغ وفرغوا نهض إلى حجرته ونهضوا إلى المجلس فأغلق الفَراش عليهم بابه وخرج من فى الحمام فأوقعوا بإصحابهم وقتلوهم بأسرهم.

وركب القوَاد ودخلوا البلد فقتلوا قتلاً ذريعاً وثلموا السور من كل جانب ونزلت العفارية دُور دمشق وركب جيش، فدخل دمشق وطافها واستغاث الناس به ولاذوا بعفوه، فكف عنهم واستدعى الأشراف استدعاءً حسن ظنهم فيه. فلما حضروا أخرج رؤساء الأحداث وأمر بضرب رقابهم بين أيديهم، ثم صلب كل واحد منهم فى محلته، حتى إذا فرغ من ذلك قبض على الأشراف وحملهم إلى مصر واستأصل أموالهم ونعمهم ووظف على البلد خمسمائة ألف^(١) دينار.

ثم جاءه أمر الله الذى لا يُغلب وقضاؤه الذى لا يوارب ولاقته المنية التى تجعل العزيز ذليلاً والكثير قليلاً^(٢) فما أغنت عنه عندها قدرة ولا حيلة ولا نفعته معها فدية ولا وسيلة.

وكان سبب منيته علّة باطنة حدثت به [330]:

وَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ مَاتَ بِغَيْرِهِ تَنَوَّعَتِ الْأَسْبَابُ وَالذَّاءُ وَاحِدٌ

وورد الخبر إلى مصر بموته فقلّد محمد ولده مكانه.

واستقامت الأمور على يد أرجوان وجرت بينه وبين بسيل عظيم الروم

١. زدنا كلمة «ألف» من ابن القلانسي (مد).

٢. وأما موت جيش وقصته مع أبى بكر الحرمى الزاهد فليراجع فيه ابن القلانسي ص ٥٤ : وأبو بكر هو محمد بن عبد الله بن حسن بن هارون الوضاحى توفى سنة ٤٣٦ كذا فى تاريخ الإسلام (مد).

مراسلات وملاطفات انتهت إلى تقرير الهدنة مدّة عشر سنين وصلحت الحال مع العرب.

وكان يواصل النظر في قصر الحاكم نهاره أجمع، إلا ساعة في وقت الظهر، ثم يعود إلى منتصف الليل ويوفى السياسة حقّها وفهد بن ابراهيم بين يديه ينقذ الأمور أحسن تنفيذ. فلم يزل على هذه الوتيرة إلى أن قتل.

ذكر السبب في قتل أرجوان

وشرح الحال في ذلك

كان أرجوان يأخذ الحاكم بتهديب الأخلاق وينصحه - والنصح مرّ المذاق - ويمنعه كثرة الركوب لفرط الإشفاق ويصدّه عن التّذير في غير موضع الاستحقاق. فصارت له هذه الأحوال ذنوباً، ثم لأنّ لكل امرئ أجلاً مكتوباً. وكان مع الحاكم خادم يعرف بريدان^(١) الصقلبي قد خصّ به، فأنس في شكوى أرجوان إليه فزاده ريدان إغراء به وقال: إنّه يريد [331] أن يجعل نفسه في موضع كافور الاخشيدى ويجريك مجرى ابن الاخشيد في الحجر عليك.

ولم يزل بالحاكم حتى حمّله على قتل أرجوان واستقرّ بينهما أن يستدعى أرجوان في وقت الظهر بعد انصرافه إلى داره وأن يؤمر الناس بالركوب إلى الصيد ليتفرّقوا، فإذا حضر أمر بقتله. ففعل ذلك وقال الحاكم لريدان: «إذا حضر أرجوان وتبعني إلى البستان فأتبعه. فإذا التفت إليك فاغتنله بالسكين.»

فبينما هما في الحديث إذ دخل أرجوان فقال:

١. وفي الأصل: زيدان. وهذا غلط. وليراجع ابن القلانسي ص ٥٥ (مد).

- «يا مولاي الحرّ شديد، والبزاة لا تصيد في مثله.»

فقال: «صدق، ولكنّا ندخل البستان ونطوف ساعة ونخرج.»

فقام ومشى أرجوان خلفه وريدان بعده فأهوى ريدان عند التفات الحاكم إليه بالسكين إلى ظهر أرجوان فأطلعها من صدره. فقال أرجوان:

- «يا مولاي غدرت.»

وصاح الحاكم بالخدم وتكاثروا وأجهزوا عليه، وخرج الخدم الكبار، فردّوا الجنائب وبغال الموكب والجوارح. فسألهم شكر العضدى عن الحال فلم يجيبوه، فجاء الناس أمر لم يفهموه. وعاد شكر والموكب وشهر الجند سيوفهم وظنّوا حيلة تمّت لابن عمّار على الحاكم وأحاطوا بالقصر وعظم الأمر واجتمع القوّاد والوجوه.

فلما رأى الحاكم زيادة الإحتياط ظهر من منظره على أعلى الباب وسلّم على الناس، فترجّلوا له [332] وخدموه، وأمر بفتح الباب وأنفذ على أيدي أصحاب الرسائل رقاعاً بخطّ يده إلى شكر وأكابر الأتراك والقوّاد مضمونها: - «إنّي أنكرت من أرجوان أموراً أوجبت قتله وقتلته. فالزموا الطاعة وحافظوا على ما في أعناقكم من الأيمان.»

فلما وقفوا عليها أذعنوا وسلّموا، واستدعى الحسين بن جوهر، وكان من شيوخ القوّاد، فأمره بصرف الناس. فصرفهم وعادوا إلى دورهم والنفوس خائفة وجلّة من فتنة تثور بين المشاركة والمغاربة.

ثم جلس الحاكم بعد عشاء الآخرة واستدعى الحسين بن جوهر وفهد بن إبراهيم، وتقدّم بإحضار الكتاب فحضروا وأوصلهم إليه وقال لهم:

- «إنّ فهداً كان كاتب أرجوان وهذا اليوم وزيرى، فاسمعوا له وأطيعوا.»

وقال لفهد:

- «هؤلاء الكتاب خدمى، فاعرف حقوقهم وأحسن إليهم.»

وأمر بأن يكتب إلى سائر وُلاة البلاد بقتل أرجوان وتسكينهم في أعمالهم ونفذت الكتب وسكن الناس وأمن ما خيف من الفتنة. وكان ذلك في سنة تسع وثمانين وثلاثمائة.

ومضى أرجوان كأنه لم يكن ولو علم أن هلاكه على يد الحاكم لأقصر عن ذلك الإجهاد في حفظه.

وربّ حافظ دواء داوؤه فيه، وحامل سلاح حتفه به، وضمن بذخري وباله منه. ومع الأحوال كلها فالإفراط [333] في منع الملوك عن شهواتهم جنائية، والإقصار عما يلزم من نصحتهم خيانية، لكن بشرط الإقتصاد. وقد قيل: كثرة المراقبة نفاق، وكثرة المخالفة شقاق. وكم من شفيق على الملوك قد هلك بفراط شفقتة وحبيب صار بغيضاً بكثرة نصحه.

ولم يبعد العهد بما شوهد من فعل الملك أبي كاليجار بخادمه المتلقب بالمؤيد وقصته مناسبة لقصة أرجوان.

وما أحسن الرواية التي تُروى عن المأمون رضوان الله عليه، حين سأل جلساءه عن أرفه الناس. فقال كل واحد منهم قولاً لم يعجبه فقال المأمون: «أرفه الناس عيشاً رجل أتاه الله كفاية لا يعرفنا ولا نعرفه.»

وقال بعض العقلاء:

«مثل السلطان كمثل النار: فلا تقرب منها قريباً تباشر فيه لهباً، ولا تبعد

عنها بعداً تفقد معه ضوءها.»

وجملة القول، أن القرب من الملوك عزّ مع تعب، والبعد منهم ذلّ مع راحة، والعيش في الخمول، وتختلف الطباع في هذا الاختيار، وكلّ امرئ ميسّر لما خلق له.

ذكر ما جرت عليه الأمور بعد

قتل أرجوان [334]

استوزر فهد بن ابراهيم وقدم الحسين بن جوهر ولقبه بقائد القوَّاد. ثم استمرَّ الفتك منه بالناس، فقتل في المدة اليسيرة العدد الكثير.

واستحضر بعد أربعة أشهر الحسن بن عمار من داره. فلقبه بالإحسان وأعطاه يده بالأمان وانصرف مسروراً إلى داره وركب الناس إليه يهتئون به بالعفو عنه، ثم قتله بعد أسبوع.

ثم قتل فهد بن ابراهيم بسعاية كاتبين من كتَّاب الدواوين به، وولاهما الأعمال ثم قتلها. ثم قتل الحسين بن جوهر ولم يكن في شرح أحوال قتلها ما يستفاد منه تجربة، لأنَّه اختباط واختلاط.

ثم قتل علياً ومحمداً ابني المغربي وأمر بإحضار أبي القاسم الحسين بن علي صاحب الشعر والرسائل الذي وزر ببغداد وأخويه. فظفر بأخويه فقتلا واستتر الوزير أبو القاسم وما زال يعمل الحيلة حتى هرب مع بعض [أهل] (١) البادية وحصل عند الحسن بن المفرج بن الجراح واستجار به وأجاره.

وقد كان في نفس الحاكم ما جرى على عساكر مصر بباب حلب. فعول على يارختكين (٢) العزيزي للخروج إلى الشام وقدمه وكثَّر أمواله ونعمه وأمر وجوه القوَّاد بتبجيله والترجُّل في موكبه.

وكان في جملة من أمر بخدمته والترجُّل له عليٌّ ومحمود ابنا المفرج [وجاءا] إلى أبيهما وعرفاه ما أمرا به من الترجُّل ليارختكين والمشى بين [335] يديه وما لقيه من ذلك من المشقة وإنَّ نفوسهما تأبى الصبر على

١. الكلمة زدناها.

٢. وعند ابن الفلانسى هو «ختكين» والصواب «ياروختكين» في تاريخ الاسلام (مد).

هذه المذلة ثم حذراه يارختكين وتوجهه وقال :

- «إِنَّكَ لَا تَأْمَنُ أَنْ يَنْتَهَزَ فَيْكَ فُرْصَةٌ وَيَسْتَفْجِلَ أَمْرَهُ فَيَنْبُو^(١) بِكَ وَبِنَا
المقام في هذه الديار فدبر أمرَكَ في فسحة من رأيكَ وعاجله في الجفار قبل
وصوله إلى الرملة واعتضاده بعساكرها.»

وكان يارختكين سار في عدة قليلة على أن يجمع عساكر الشام ويسير
بها إلى حلب، وصحبه أهله وماله وعدد كثير من التجار. فلما توسط الجفار
أشار أبو القاسم المغربي على حسان بن المفرج بلقائه وانتهاز الفرصة فيه.
فسار حسان إلى أبيه وسهل عليهما الأمر، فاجتمع رأيهما على ذلك.
وجمعا العرب ورصدا وصول يارختكين إلى غزّة وعرف يارختكين الخبر
فجمع ذوى الرأي من أصحابه وشاورهم.

ذكر رأيين كلّ منهما سديد

لو ساعد القدر فيه

قال أحدهم له :

- «إِنَّكَ مِنَ الرَّمْلَةِ عَلَى عَشْرَةِ فَرَاسِخٍ وَبِهَا خَمْسَةُ آلَافٍ رَجُلٍ، وَعِنْدَكَ
خِيُولٌ مُضْمَرَةٌ. وَلَوْ أُسْرِيتَ لَيْلًا لَصَبَحْتَ الرَّمْلَةَ وَحَصَلْتَ فِي قَصْرِكَ آمِنًا،
وَعَرَفْتَ الْعَرَبَ خَبْرَكَ فَهَابُوكَ وَرَاقِبُوكَ، وَسَرْنَا بِعَدِكَ عَلَى طُمَأْنِينَةٍ.» [336]
فاعترض آخر وقال :

- «هَذَا الْمَرْءُ الْيَوْمَ فِي ابْتِدَاءِ أَمْرِهِ فَإِذَا^(٢) شَاعَ بَيْنَ النَّاسِ أَنَّهُ أَشْفَقَ وَهَرَبَ
لَمْ تَبْقَ لَهُ هَيْبَةٌ فِي النُّفُوسِ وَلَكِنِ الرَّأْيُ أَنْ يَسْتَدْعَى قَائِدًا مِنْ قَوَادِ الرَّمْلَةِ فِي
أَلْفِ فَارَسٍ لِيَلْقَانَا بِعَسْكَانٍ.»

١. في الأصل ومد: ينبوا.

٢. كذا في مد: فإذا.

فاستقرّ الأمر على ذلك وكتب يارختكين إلى قائد يعرف بابن سرحان يستدعيه وأنفذ الكتاب مع رسول قدّر لوصوله وخروج ابن سرحان ثلاثة أيام.

فاتفق أنّ الرسول أخذ في الطريق قبل وصوله إلى ابن سرحان.

ذكر عجلة ضاع الحزم بها

لما مضى يومان من الثلاثة التي قدّرها يارختكين سار على طريق الساحل وهو لا يشكّ في تعجيل ابن سرحان إليه.

وكان حسان بن المفرج قد عرف خبره. فبثّ الخيل من كلّ جانب، فوقعت على يارختكين وجرت بين الفريقين حرب شديدة كانت الغلبة فيها للعرب وأسر يارختكين وأخذ ولده وحرمه وأموال التجّار وجعل أكثر ذلك في يد حسان.

وعادت العرب إلى الرملة وشتّوا الغارة على رساتيقها وخرج العسكر الذي بها فقاتلوهم قتالاً همت العرب معه بالإنصراف.

ذكر رأى أشار به ابن [337] المغربي

مركز تحقيق كاتبة علوم في تلك الحال

قال لهم الوزير أبو القاسم ابن المغربي :

« إن رحلتكم على هذه الصورة وقع الطمع فيكم، وإن صبرتم حتى تفتحوا البلد خافكم الحاكم وملكتم الشام. والرأى أن تبادروا وتنادوا في السواد وتسمعوا الشراة في الجبال بإباحة النهب والغنيمة.»

فقبلوا منه وحشروا فنادوا، فوافى خلق كثير وزحفوا إلى البلد وملكوه وأساؤا الملكة بالفتك والهتك.

وتأدى الخبر إلى الحاكم فانزعج وكتب إلى المفرج بن دغفل كتاباً عاتبه فيه وحذّره سوء العاقبة وطالبه بانتزاع يارختكين من يد حسان وحمله إلى مصر ووعدّه على ذلك بخمسين ألف دينار.

ذكر رأى لابن المغربى قصد به تأكيد الوحشة بين حسان وصاحب مصر

قال لحسان :

- «إنّ والدك سيركب إليك ولا يبرح من عندك إلا بيارختكين ومتى أفرجتم عنه وعاد إلى الحاكم ردّه إليكم فى العساكر التى لا قبيل لكم بها.»
فلما سمع حسان ذلك - وكان فى رأسه نشوة - أحضر يارختكين بقيوده، فضرب عنقه صبراً، وأنفذ رأسه إلى المفرج. فشقّ عليه ما جرى وعلم فوت الأمر فأمسك. [338]

ثم اجتمع الوزير أبو القاسم مع المفرج وأولاده وقال لهم :
- «قد كشفتم القناع فى مباينة الحاكم ولم يبق من بعد للصالح موضع.»
وأشار عليهم بمراسلة أبى الفتوح الحسن بن جعفر العلوى واستجذابه به إليهم ومبايعته على الإمامة، فإنّه لا مغمز فى نسبه، وسهل الخطب عليهم فى ذلك.

ذكر ما جرى عليه أمر أبى الفتوح العلوى المتلقّب بالراشد بالله

كان أبو الفتوح بمكة أميراً. فمضى إليه ابن المغربى. وأطمعه فى الأمر فطمع فيه. وجمع بنى حسن وشاورهم، فصبوا إلى العزّ وأعطوه أيديهم

بالببيعة. ثم عاد^(١) الناس إليه وتلقّب بالراشد بالله، وصعد المنبر وخطب لنفسه.

واتفق أن إنساناً موسراً توفّي تلك السنة بجدة، ووصّى لأبى الفتوح من تركته بمال لكى يسلم الباقي لورثته. فمذّ يده إلى التركة فاستوعبها بمشورة ابن المغرّبي عليه بذلك وسار لاحقاً بآل الجراح. فلما قرب من الرملة تلقّوه وقبّلوا الأرض بين يديه وسلّموا عليه بإمرة المؤمنين ونزل الرملة.

ونادى فى الناس بأمان الخائفين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ونسى نفسه فى أخذ تركة التاجر بجدة، إلا أن الناس تراجعوا إلى معاشهم [339] وظهروا من استتارهم. وركب فى يوم الجمعة والمفرج وأولاده وسائر أمراء طيّ مشاة بين يديه حتى دخل المسجد ودعا ابن نباتة الخطيب^(٢) وأمره بصعود المنبر وأسرّ إليه بما لا يبدأ به^(٣) فصعد وقد طالت الأعناق. فحمد الله وأثنى عليه وقرأ:

«بسم الله الرحمن الرحيم. طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إن فرعون غلا فى الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذّبّع أبناءهم ويستحيى نساءهم إنه كان من المفسدين ونريد أن نمّن على الذين استضعفوا فى الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون»^(٤).

ولما فرغ أبو الفتوح من الصلاة عاد إلى دار الإمارة.

١. لعله : دعا.

٢. قد كان توفى سنة ٢٧٢ الخطيب المشهور (مد).

٣. يريد بما يبدأ به.

٤. س ٢٨ القصص : ١ - ٦.

ونرى أنَّ أبا الفتوح اتَّبَعَ في هذا الاستشهاد بهذه الآيات محمد بن عبد الله بن حسن فيما جرى بين المنصور بالله وبينه من المكاتبات فإنَّه استشهد بها. ويتضمن كتاب الكامل الذي صنَّفه أبو العباس المبرِّد ذكرها^(١) وقد نظر^(٢) المنصور فيها ولولا شرط الإختصار لذكرناها فإنَّها عجيبة جداً. وقد قارعا على الأحساب «والنَّبع يقرع بعضه بعضاً».

وما أحسن أدب القائل حين دخل إلى المنصور بالله بعد قتل إبراهيم بن عبد الله بن [340] حسن بن حسن أخى محمد، والناس ينالون من إبراهيم والمنصور يكره كثيراً من ذلك فقال :

«أجرك الله يا أمير المؤمنين في ابن عمك وغفر له ما استحلَّه من قطيعتك.»

أو ما هذا معناه.

فتهلَّل وجه المنصور سروراً بصوابه، وقرَّبه إليه من دون أصحابه. والله تعالى يقول : «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إنَّ الله بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»^(٣).

ذكر ما دبره صاحب مصر عند وصول الخبر إليه

لَمَّا تَأَدَّى إِلَى الْحَاكِمِ شَرْحَ مَا جَرَى، عَظُمَ عَلَيْهِ وَكَبُرَ لَدَيْهِ. وَكُتِبَ إِلَى حَسَّانَ مَلَطْفَاتٍ وَبَذَلَ لَهُ بِذُولاً كَثِيرَةً، وَإِلَى الْمَفْرَجِ بِمِثْلِ ذَلِكَ، وَاسْتَمَالَ آلَ الْجَرَاحِ جَمِيعَهُمْ، وَحَمَلَ إِلَى عَلِيٍّ وَمَحْمُودِ ابْنِي الْمَفْرَجِ أَمْوَالاً جَزِيلَةً حَتَّى فَلَّهَمَّا عَنْ ذَلِكَ الْجَمْعَ وَجَعَلَهُمَا فِي حَيِّزِهِ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْعَرَبِ.

١. طبع مصر ١٣٠٨، ٢ : ٢٢٠.

٢. لعله : ناظر (مد).

٣. س ١٨ الأُنْقَال : ٨٥.

وبدأ أمر الحاكم يقوى وأمر أبى الفتوح يضعف، وبان له تغير آل الجراح عليه، وانضاف إلى ذلك ورود الخبر بنزول ابن عمه على ملكه طالباً موضعه.

ذكر تحاسد بين الأهل عاد بوبال [341]

كان لأبى الفتوح ضد من بنى عمه يعرف بابن أبى الطيب يخاطب بالإمرة وبينهما تحاسد وتنازع. فكتب إليه الحاكم فى هذا الوقت وقلده الحرمين وأنفذ له ولشيوخ بنى حسن مالا وثياباً.

فسار مع من انضوى إليه من بنى عمه إلى مكة وبها صاحب أبى الفتوح، فنأزله وأسرعت النجيب إلى أبى الفتوح بالخبر، فازداد قلقاً وخاف خروج الحرمين من يده.

وكان حسان قد أنفذ والدته فى أثناء هذه الخطوب إلى مصر بتذكرة تتضمن أغراضه وسأل فى جملتها أن تُهدى له جارية من إماء القصر. فأجابه الحاكم إلى جميع ما سأل من إقطاع وتقرير وأمضاء، وكتب له أماناً بخط يده وأهدى له جارية جهزها بما بلغ قيمته مالا عظيماً. فعادت والدته حسان إليه بالרגائب له ولأبيه، فسر بذلك وأظهر طاعة الحاكم ولبس خلعه.

وعرف أبو الفتوح الحال فأيس معها من نفسه، فركب إلى المفرج مستجيراً به وقال:

«إنما فارقت نعمتى وأبديت للحاكم صفحتى سكوناً إلى ذمامك، وأنا الآن خائف من غدر حسان، فأبلغنى مأمنى وسيرنى إلى وطنى.»

فحفظ المفرج ذمامه وضم إليه من أجازره وأدى القرى. فتلقاه بنو حسن وأصحابه ومضوا إلى مكة واستقامت أموره بها وكاتب الحاكم واعتذر إليه فقبل عذره. وأما الوزير أبو [342] القاسم فإنه استجار بالمفرج حتى سيره إلى العراق.

وصبر الحاكم مدة يسيرة ثم جرّد العساكر مع علي بن جعفر بن فلاح أخى أبى تميم ولقبه قطب الدولة وسار فى عشرين ألف وتلقاه علي ومحمود ابنا المفرج طائعين.

وكان الحاكم قد خدع كاتباً للمفرج يعرف بابن المدبر، وبذل له بذولاً على قتل المفرج بالسم. فتوصل الكاتب إلى أن سقاه سمّاً فمات وهرب ابن المدبر إلى مصر ووفى له الحاكم بما وعده ثم قتله من بعد.

وكذلك عاقبة من خان مولاه وباع دينه بدنياه، فهو يخسرهما جميعاً ويحتقب إثماً عظيماً.

واضحلّ أمر حسان وأخذت معاقله وصار طريداً شريداً مدّة حتى ضاقت عليه أرضه. فأنفذ والدته والجارية إلى مصر لاثذاً بالأمان واستشفع إلى الحاكم بأخته فشفعها فيه وأعطى والدته خاتمة وثياب صوف كانت على بدنه وعمامة على رأسه والعمار الذى يركبه. فعادت الجارية بجميع ذلك إليه وأقامت والدته.

فبادر حسان إلى الورود ودخل البلد على ذلك العمار بتلك الثياب فعفا عنه وأعطاه أرضه واصطنعه وأقطعه وأعادته إلى الشام ولم يتعرّض حسان بعدها بفساد إلى أن قتل الحاكم.

ونعود إلى سياقة التاريخ.

مسير خمارتكين إلى

الرحبة والرقّة

وفى هذه السنة المقدّم ذكرها [343] وردت كتب أهل الرحبة والرقّة إلى الحضرة باستدعاء من يسلمون إليه البلاد، فندب خمارتكين الحمصى للمسير.

ذكر ما جرى عليه أمره في ذلك

سار إلى الرحبة وملكها وأقام بها أياماً ثم سار إلى الرقة وبها سعد السعدى، فاعتصم بالرافقة وجرت بينه وبين خسارتيكين وقعات ولم يتم فتحها وعاد إلى الرحبة.

وقد بلغه اضطراب الأمور ببغداد فرجع واعترضه قوم من العرب في رجوعه فأخذوه أسيراً في أيديهم حتى افتدى منهم بمال. وفيها خرج أبو جعفر الحجاج بن هرمز إلى أعمال الموصل مع عدد كثير من العسكر وحصل بها.

واجتمعت بنو عقيل وزعيمهم يومئذ أبو الدواد محمد بن المسيب على حربه فجرت بينهما وقائع ظهر من أبى جعفر فيها شجاعة سار ذكره بها حتى إنه كان يضع كرسيّاً في وسط المصاف ويجلس عليه والحرب قائمة بين يديه وتمكنت له في قلوب العرب هيبة بذلك.

واستنجد من الحضرة، فأُجِد بالوزير أبى القاسم على بن أحمد^(١) واستقرّ الصلح مع العرب على المناصفة فيما قُرب من أعمال الموصل وبقي أبو جعفر هناك إلى أن توفي محمد بن المسيب وعاد بنو [344] عقيل فأخذوا منه البلد.

وفيها وصل الأشراف والقضاة والشهود إلى حضرة القادر بالله رضوان عليه، وسمعوا يمينه لبهاء الدولة بالوفاء وخلوص النية وتقليده ما وراء بابه ممّا تقام فيه الدعوة، وذلك بعد أن حلف له بهاء الدولة على صدق الطاعة والقيام بشروط البيعة.

١. هو أبو القاسم الأبرقوهي (مد).

ودخلت سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة

خروج الوزير أبي القاسم

لقتال بنى عقيل

وفيهما خلع على الوزير أبي القاسم عليّ بن أحمد وندب إلى الخروج إلى الموصل وقتال بنى عقيل.

ذكر السبب في ذلك وما انتهى

إليه الأمر فيه

كانت الحال بين أبي القاسم وبين أبي الحسن المعلم قد بدأت في الفساد ودخلت بينهما بلاغات حلت عرى الوداد. وكان أبو القاسم يجرى نفسه معه مجرى الكاتب حتى إنه نزل يوماً معه في زبزه، فجلس على الكهوار بين يديه والناس يشاهدونه ويتعجبون منه.

ووردت كتب أبي جعفر الحجاج باجتماع بنى عقيل عليه، فأشار أبو الحسن على بهاء الدولة بإخراج أبي القاسم [345] فتقدم إليه بذلك وجرّد معه عدداً كثيراً من طوائف العسكر وسار بعد أن ركب إليه بهاء الدولة وودّعه. فوصل إلى الموصل وخيم بظاهرها واجتمع مع أبي جعفر وانصرف بنو عقيل وبدأ بإحكام قواعد الأمور، فلم يمهل أبو الحسن المعلم حتى كاتب أبا جعفر بالقبض عليه.

ذكر رأى سديد لأبي جعفر نظر فيه للعاقبة

علم أبو جعفر أنّه إن فعل ذلك اضطرب الأمور وطمعت العرب ولم يمكنه الثبات، فتوقف وراجع أبا الحسن وأعلمه وجه الغلط فيما رآه.

واتصل الخبر بأبي القاسم بما يجرى من الخوض^(١) في بابه من عيون له على بهاء الدولة وأبي الحسن وخواصهما^(٢) وعول على مهادة بنى عقيل وأخذ رهائنهم وعمل على الإنكفاء إلى بغداد. ولما رأى أبو الحسن أن أبا جعفر قد توقف عمّا كاتبه فيه، فأخرج أبا الفتح محمد بن الحسن الحاجب إليه ليلزمه إمضاء العزيمة فيما أمره به.

فحكى أبو نصر محمد بن علي بن سياجيك وكان كاتب أبي القاسم يومئذ، قال:

لما وصل الخبر إلينا بما تقرّر من خروج أبي الفتح محمد بن الحسن [346] على القاعدة المذكورة، ثم تلاه كتاب من تكريت بوصوله إليها، خاف أبو القاسم وأشار عليه من يثق به بالهرب. ففرقت نفسه عنه، وعزم على الإنكفاء إلى بغداد ولم يأمن أن يظهر فيمنعه أبو جعفر.

ذكر ما رتبّه أبو القاسم من الحيلة

حتى تمّ له الإنحذار

راسل أبا جعفر وقال له:

«قد توقف محمد بن المسيّب عن تفرقة العرب من حوله وتسليم ما وقف على تسليمه من النواحي وقال: لست فاعلاً ذلك إلا بعد أن تنحدر أنت ومن معك من العسكر وآمن انتقاض ما تقرّر، وقد عزمت على أن أنتقل بمعسكري من موضعه وأظهر الإنحذار، فليكن أدعى إلى سكونه.»

فاستصاب أبو جعفر رأيه وأمر أبا القاسم بالرحيل ليلاً وأصبح على عشرة فراسخ من الموصل.

١. في الأصل: الخواص.

٢. وفي الأصل: من خواصهما.

فراسله أبو جعفر وعاتبه على فعله. فردّ عليه جواباً معللاً بالاعتذار وقال :

- «إنّ الأولياء طالوني بالإنحذار ولم يمكن مخالفتهم». ووصل إلى الحديثه وقد نزلها أبو الفتح الحاجب فخرج وتلقّى الوزير وخدمه وأعطاه كتاباً من بهاء الدولة مضمونه :

- «إنّ الأمور قد [347] وقفت ببعذك وخيّل لنا أنّ أبا جعفر منعك من العود ولم يقف عند ما تدبّره به. فأنفذنا أبا الفتح ليوافق أبا جعفر على طاعتك والرضاء^(١) بما تقرره ليتعجّل عودك».

فوقف أبو القاسم على الكتاب. فلما نزل مخيّمه استدعى أبا الفتح وراوضه على أن يصدقه عن باطن الأمر وبذل له ثلاثة آلاف دينار. فحلف له أبو الفتح على تقابل الظاهر والباطن فيما أوصله إليه. فقال أبو نصر : فاستدعاني الوزير بعد خروج أبي الفتح من عنده وقال لي :

- «قد ورد هذا الكتاب بما قد علمته وقد كتب أصدقائنا ونصحاؤنا بما عرفته فما الرأي ؟»

قلت له :

- «ليس إلّا مراسلة أبي الدواد فإنّه نازل بازائنا، وأخذ الذمام منه والعبور إليه والمقام عنده ثم تدبير الأمر مع الأمن».

فقال :

- «لعمري إنّ هذا هو الرأي الذي توجبه الخبرة في حراسة النفس ولكنتي أستقبح ذلك وسأدخل بغداد متوكّلاً على الله تعالى».

ثم ورد الخبر في أعقاب ذلك بالقبض على أبي الحسن المعلم وقتله.

فدخلت إلى الوزير فأقرأني الكتاب الوارد بذكر ذلك وعنده من يحتشمه فظهرت وجوماً. فلما خلا عدت إليه وفي وجهي آثار الإستبشار، ووجدته مفكراً مطرقاً فلما رأيته قال:

«أظنك قد سررت بما ورد.»

قلت: «نعم.»

قال: «وما ذاك مما يسرّ، لأنّ ملكاً قرب رجلاً [348] كما قرب بهاء الدولة أبا الحسن وفوض إليه التفويض الذي رأيته ثم أسلمه للقتل بمرأى عينه لتحقيق بأن تخاف ملاسته.»

وفيها ورد أبو العلاء عبيد الله بن الفضل قادماً من الأهواز وكان أبو الحسن المعلم قد مدّ عينه إلى حاله وماله واستدعاه للقبض عليه.

ذكر تدبير جيّد سلم به أبو العلاء

عبيد الله بن الفضل

لما أحسّ أبو العلاء بما همّ به أبو الحسن ملأ عينه بالتحف والملاطفات وعمل الدعوات المترادفات وسلك معه سبيل التذلل والمخادعة حتى اندفعت عنه النكبة وتجدد من قتل المعلم ما كفى به أمره.

وفيها أفرج عن أبي الحسن محمد بن عمر العلوي.

وفيها قبض على أبي الحسن المعلم وقتل.

شرح حال أبي الحسن المعلم في

القبض عليه وقتله

كان قد استولى على الأمور الاستيلاء الذي تقدّم ذكره ووتر القريب والبعيد وخلق أبا علي ابن شرف الدولة بيده وأفسد نيّات وجوه العسكر

والرعيّة [349] وفعل الأفاعيل المنكرة وأملى له حتى امتلأت صحيفته.
فشغب الجند في هذا الوقت وبرزوا إلى ظاهر البلد وراسلوا بهاء الدولة
بالشكوى منه وطالبوه بتسليمه إليهم فأخذهم باللطف ووعدهم بإزالة
شكواهم وأن يتولّى بنفسه أمورهم ويقتصر أبو الحسن المعلم على خدمته
فيما يخصّه.

فلم يقنعوا، فبذل لهم أن يبعده عن مملكته إلى حيث يأمن على مهجته
ويبلغ الجند مرادهم ببعده ولا يتقبّح هو بتسليمه وقتله. فكان جوابهم أخسّ
من القول الأول.

فقال بكران لبهاء الدولة وكان السفير بينه وبين العسكر :
- «أيّها الملك إنّ الأمر على خلاف ما تقدّره وأنت مخير بين بقاء أبى
الحسن وبين بقاء دولتك، فاختر أيّهما شئت.»

فقبض عند ذلك على أبى الحسن وعلى جميع أصحابه وأسبابه وظنّ أنّهم
يرضون ويعودون. فلم يفعلوا وأقاموا على المطالبة بتسليمه إليهم فتذمّم من
ذلك وركب بنفسه ليسألهم العود والإقتصار على ما جرى من القبض على
المعلم فلم يقم أحد منهم إليه ولا خدمه وأبوا أن يرجعوا إلّا بعد تسليمه.
فسلّم حينئذ إلى أبى حرب شیرزىل^(١) وسقى السمّ دفعتين فلم يعمل فيه،
فخُنق بحبال الستارة ودهيمه أحمد الغلمان بسكين ففضى نحره وأخرج ودفن.
ثم عاد [350] الجند إلى منازلهم وسكنت الفتنة.

ولو أنّ بهاء الدولة اقتصد في أمر هذا المعلم لكان ذلك أحسن بداية
وأجمل توسّطاً وأحمد عاقبة وآمن مغبّة وأطيب أحواله. ولكنّه أخطأ
باختيار من لا خير فيه، ثم أفرط في تقريبه ثم أسرف في تمكينه، لاجرم

١. فى الأصل (سريزيل) والصواب فى تاريخ هلال الصابى (مد).

أنَّ السمعة ساءت والرقية رفعت والحشمة ذهبت والوصمة بقيت ولم يسلم المعلم مع ذلك كله.

فيأقرب ما بين العزّ وهذا الهوان وذلك الإكرام وهذا الإسلام! «فما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ»^(١).

تسليم الطائع إلى القادر وإنزاله في حجرة

وفيها سُلم الطائع إلى الخليفة القادر بالله رضوان الله عليه وأنزله في حجرة من حجر خاصته ووكل به من يحفظه من ثقات خدمه. وأحسن ضيافته ومراعاة أموره حتى إنّه كان يطالب من الخدمة بمثل ما كان يطالب به أيام خلافته وكان القادر بالله رضوان الله عليه، يتفقّد ما يقام له ويقدم بين يديه أكثر تفقّد مما يخصّ به نفسه. وأقام على ذلك إلى أن توفّي رضوان الله عليه.

وفيها ورد الوزير أبو القاسم علي بن أحمد والعسكر في صحبته. [351]

ذكر ما جرى عليه أمر الوزير أبي القاسم

وما استقرّ في أمر النظر بعد القبض عليه

ورد وعنده أنّه قد كُفّي ما يحاذره بهلاك المعلم وكان بهاء الدولة قد نقم عليه لأسباب أكّدها المعلم في نفسه، أحدها ما كان منه بمقاربة بني عقيل ثم صبح في نفسه أنّ الشغب الواقع من العسكر كان بكتبه ورسائله إليهم. فقبض عليه وخلع على أبي عبد الله^(٢) الحسين بن أحمد وردّ إليه العرض

١. س ٤٤ الدخان: ٢٩.

٢. وفي الأصل «أبي عبد الله بن الحسين» وهو غلط (مد).

وأقرّ أبا الحسن علي^(١) بن سهل الدورقي علي رسمه في نيابة الوزارة. وخطب أبو منصور ابن صالحان علي تقلّد الأمر، فاستعفى فاستقرّ الأمر علي استدعاء أبي نصر سابور، وكان قد صار إلى البطيحة مستوحشاً من المعلم فكتب بالحضور فحضر.

وأشير علي بهاء الدولة بالجمع بينه وبين أبي منصور ابن صالحان في الوزارة. فأمر بذلك بعد أن قرّره معهما وخلع عليهما جميعاً وطرح لهما دستاً كاملاً وكانا يتناوبان في تقديم اسم أحدهما علي الآخر في المكاتبات.

ذكر القبض علي أبي القاسم بشيراز

وفيها قبض صمصام الدولة علي أبي القاسم العلاء بن الحسن بشيراز. [352]

ذكر ما جرت عليه الحال في ذلك

كان العلاء بن الحسن غالباً علي أمر صمصام الدولة ووالدته كثير الإفضال علي أصحابه وحاشيته. ولم يكن مع ذلك مغضياً لهم علي أمر يحلّ غري السياسة.

وكان قد اصطحق أبا القاسم الدلجي واستصحبه من الأهواز لما أعاده شرف الدولة إلى شيراز وقدمه وقربه. ثم ولّاه ديوان الإنشاء حين حصل صمصام الدولة بشيراز وخلع عليه ورتبه في ذلك ترتيب الوزراء ومضى الأمر علي هذا زماناً.

وتبسّط الرضيع وسعادة وكتاب السيدة والدة صمصام الدولة واستولوا

١. في الأصل : بن علي.

وطالبوا العلاء بما تقصر المادّة عنه وتضطرب الأمور معه.
فضاق مجال قدرته عن اقتراحاتهم ففسدت الحال بينه وبينهم لأجل ذلك،
وشرعوا في فساد أمره، فوجدوا عند أبي القاسم الدلجى مساعدة لهم عليه
عند صمصام الدولة طمعاً في حاله وحال [من] دونه فقبض عليه وعلى
كتّابه وحواشيه وعلى ابنته وزوجة العلوى الرازى، وطولبوا أشدّ مطالبة
وعوقبوا أشدّ معاقبة حتى تلفت ابنته وجماعة من أصحابه تحت الضرب.
وبقى العلاء معتقلاً في بعض المطامير [353] لا يعرف له خبر. إلى أن فسد
أمر أبي القاسم الدلجى فتغيّر رأى السيدة والدة صمصام الدولة وقبض عليه
في سنة ثلاث وثمانين وأفرج عن العلاء بن الحسن ورُدَّ إليه النظر.

ذكر ما جرى عليه أمر العلاء بن الحسن

في عوده إلى الوزارة

أخرج من محبسه وقد ضعف بصره وحصل في دار السيدة وعولج حتى
برئ وخلع عليه ورُدَّ إلى الوزارة وصحب صمصام الدولة إلى الأهواز. ثم
رجع إلى أَرْجان فأقام بها على النظر في أمور فارس.
فلما جرى ما جرى بتلّ طاووس وعاد الديلم منهزمين وانهزم صمصام
الدولة إلى شيراز، فسار العلاء إلى الأهواز وقاتل عسكر بهاء الدولة ثم مات
بعسكر مكرم.

ولم تخلص نيّته لصمصام الدولة بعد ما لحقه وابنته وأهله، بل أهلك دولته
بإقطاع الإقطاعات وإيجاب الزيادات وتمزيق الأموال وتسليم الأعمال،
وتأدّت أمور صمصام الدولة إلى الاضطراب وأحواله إلى الإحتلال. وهكذا

يعيسى^(١) في فساد الأمور كلّ حنق موتور.

ورود الخبر بنزول ملك الروم

على خلاط وأرجيش

وفيهما ورد الخبر بنزول ملك الروم على خلاط وأرجيش وأخذهما وانزعج الناس لذلك، ثم ذكر من بعد [354] استقرار الهدنة بين أبي على الحسن ابن مروان وبينه مدة عشر سنين وانصرف عن الأعمال.^(٢)

ودخلت سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة

استيلاء أولاد بختيار

على القلعة

وفيهما ورد الخبر باستيلاء أولاد بختيار على القلعة التي كانوا معتقلين فيها ومسير أبي [على] الحسن بن أستاذ هرمز من شیراز إليهم والقبض عليهم وقتل نفسين منهم.

ذكر الحال في ذلك وما انتهى إليه أمرهم

قد تقدّم ذكر حال هؤلاء القوم واحسان شرف الدولة إليهم بالإفراج عنهم ولما همّ بقصد العراق أخرجهم إلى بعض دور شیراز وجعل معاشهم وإقطاعاتهم منها.

فلما توفي قبض عليهم وحبسوا في قلعة خرّشنة فكانوا فيها إلى أن مضى صدر كبير من أيام صمصام الدولة.

١. في مد : يعيسى (كذا).

٢. يبدو في العبارة اضطراب.

ذكر حيلة عملها أولاد بختيار

ملكوا بها القلعة [355]

استمالوا حافظ القلعة ومن كان معه من الديلم فطاوعوهم فأفرجوا عنهم. ثم أنفذوا إلى أهل تلك النواحي المطيفة بالقلعة وأكثرهم رجالة أصحاب سلاح ونجدة، فاجتذبوا منهم عدّة كثيرة واجتمعوا تحت القلعة. وعرف صمصام الدولة الخبر فأخرج إليهم أبا علي ابن أستاذ هرمز في عسكر وسار. فلما قرب من القلعة تفرّق من كان اجتمع تحتها من الرجال وتحصّن بنو بختيار والديلم فيها ونزل أبو علي عليها محاصراً ومحارباً.

ذكر ما دبّره أبو علي ابن أستاذ هرمز

في فتح القلعة

راسل أحد وجوه الديلم الذين في القلعة وأطمعه في الإحسان والزيادة في المنزلة. فاستجاب له وواقفه على أن ينزل إليه حبلاً من أعلى القلعة ليرتقى به الرجال إلى بابها وكان على سنّ من الجبل. فلما دنا الجبل خاطب أبو علي ابن أستاذ هرمز جماعة من الذين معه على الصعود، فتوقّفوا حتى ابتدر^(١) أحد أصحابه فصعد. فلما دنا يقرب من الباب اضطربت يده على الحبل فخرّ متردياً وأحجم الباقون. فصبّ بين أيديهم أموالاً وبسط [356] منهم آمالاً وابتدر^(٢) قوم من أصحابه فيهم لوثة وجُرّاة، فصعدوا إلى القلعة واحد بعد واحد حتى حصل عدد منهم على الباب. ففتح لهم ودخلوا القلعة وملكوها، فقبض على أولاد بختيار وكانوا

١. لعله : انتدب.

٢. لعله : وانتدب.

سنة .

وكتب كتاباً بالفتح إلى صمصام الدولة فأنفذ فرأشاً تولّى قتل نفسين من أولاد بختيار وأنفذ الباقر إلى قلعة الجنيد فاعتقلوا فيها . وفيها نذب أبو العلاء عبيد الله بن الفضل للخروج إلى الأهواز وخلع عليه .

ذكر السبب في ذلك

كانت بين الشريف أبي الحسن محمد بن عمر وبين [أبي] العلاء عبيد الله عداوة ومباينة وتقدّم أبو العلاء عند بهاء الدولة وقرب منه بخدمته له . فاجتمع أبو الحسن محمد بن عمر وأبو نصر سابور الوزير واتفقا على الشروع في إبعاده . فأرسل الوزير أبو نصر سابور الأستاذ الفاضل أبا نصر الحسين بن الحسن إلى بهاء الدولة وقال له : « قل للملك : أنا أعلم ما في نفسك من أمر فارس وقد انحلّ أمر صمصام الدولة ومضى أكثر أعوانه ولك عشرون ألف ألف درهم معدّة : منها ما آخذه من أبي محمد ابن مكرم والمتصرفين بالأهواز ، ومنها ما وجوهه لائحة . والتدبير في هذا الأمر أن يخرج أبو العلاء إلى الأهواز كأنه عائد [357] إليها للمقام بها ويجرّد معه قطعة من العسكر ثم تتبعه بعد مدة بطائفة أخرى . فإذا تكاملت العساكر هناك أظهرنا حينئذ ما نظهره . »

وسار أبو العلاء من الأهواز فأعجل القوم عن أهبة واستعداد . فأعاد الأستاذ الفاضل أبو نصر على بهاء الدولة ما ذكره سابور ، فتشوّفت نفسه إليه وتعلّق طمعه به ، وأمر في الجواب بما يجب ترتيبه ، وكتب بالقبض على أبي محمد ابن مكرم وأصحابه ، وتقدّم إلى أبي العلاء بالمسير بعد أن أعلم بهاطن التدبير واستكتمه .

ذكر تفريط من أبي العلاء في إذاعة سرّ عجلّ به

قال الأستاذ الفاضل :

فوالله لقد خلع عليّ وسرت في موكبه إلى داره. فما استقرّ في مجلسه حتى دخل أبو الحسين شهرستان بن الشكري لتهنئته. فقال :

- «يا بالحسن أيّ دار تريدها بشيراز.»

فغمزته فتنّبّه واستدرك وقال لشهرستان :

- «إنما أردت بالأهواز.»

ولم يخف الخبر وشاع. فإنّ القول كالسهم، إذا نفذ على كبد القوس فات. وأقام أبو العلاء في معسكره أياماً كثيرة ولم يخرج معه أحد، وبطل ما كان سابور بذله في أمر المال [358] وحصوله.

وخرج أبو العلاء بعد ذلك في شرذمة قليلين. فسار إلى الأهواز فما وصلها إلّا وقد عرف الخبر بفارس ووقع الشروع من هناك في المسير إلى العراق. وفيها جلس القادر بالله رضوان الله عليه، لأهل خراسان عند عودهم من الحجّ وخطبوا على أمر الخطبة وإقامتها، وحملوا رسالة وكتبوا إلى صاحب خراسان في المعنى

شغب الديلم

وفيها شغب الديلم لأجل النقد وفساد السعر وغلاته^(١) وتأخّر العطاء، ونهبوا دار الوزير أبي نصر سابور وأفلت منهم ناجياً بنفسه، وراسلوا بهاء

١. وفي الأصل: وغلاته.

الدولة بتسليمه وتسليم أبي الفرج محمد بن عليّ الخازن^(١) - وكان ناظراً في خزانة المال ودار الضرب - وتردّد القول بينهم إلى أن وُعدوا بالإطلاق وتجويد النقد، وسكنت الفتنة.

واستمرّ سابور على استتاره وروسل وهو مستتر بتسليم أبي القاسم علي بن أحمد وكان سلّم إليه ليعتقله عنده فسلمه، وحمل في هذا الوقت إلى الخزانة في دار المملكة.

ولمّا جرى على سابور ما جرى استعفى أبو منصور ابن صالحان من التفرّد بالنظر وأظهر العجز عنه.

وكانت الإقامة قد زادت على قدر العادة وأحوجت النظار إلى التسكع فيها. وصارت الهمة جميعها مصروفة إلى ما يحصل لأبي العباس أحمد بن عليّ وهو الوكيل في هذا الوقت.

فبدأ عند ذلك أبو القاسم عليّ بن أحمد [359] في طلب العود إلى الوزارة وراسل بهاء الدولة وبذل له أن يكفيه الإهتمام بأمر الإقامة متى مكّنه وبسط يده. فاشترأت نفس بهاء الدولة لذلك فأحاله إليه واستوزره وخلع عليه.

ذكر ما جرى عليه أمر أبي القاسم عليّ

ابن أحمد في هذه الوزارة

قبض على جماعة من الكتاب والمتصرّفين وأخذ منهم مالا يبلغه ستّة آلاف^(٢) درهم وأحضر أبا العباس الوكيل وقرّر عليه تقريراً صالحاً عن نفسه وأعطاه وأقام له وجوهاً بالإقامة لمدة أربعة أشهر وأخذ خطّه باستيفاء ذلك وأنفذه إلى بهاء الدولة فحسن موقعه عنده وملك به رأيه وقلبه. لكنه أفسد

١. تقلد البصرة في أواخر سنة ٤٠٢: ارشاد الأريب ٢: ١٢٠ (مد).

٢. لعله سقط: ألف.

قلوب الحواشي وأبعد بعضهم ومضت على ذلك مدة وحالة تزداد عند بهاء الدولة تمكناً واستقراراً وتزداد قلوب الحواشي منه استيحاشاً ونفاراً. وكان قد قلّد أبا محمد الحسن بن مكرم البصرة حرباً وخراجاً في أعجاز نكبتة بالأهواز وأمره بالقبض على أبي عبدالله ابن طاهر وكان ناظراً بالبصرة فقبض عليه وحبسه.

ذكر سبب وجد به الحواشي طريقاً [360] إلى

فساد حال الوزير أبي القاسم

ورد الخبر أنّ أبا عبد الله ابن طاهر قُتل في محبسه، وأنّه وضع عليه قوماً دخلوا إليه وفتكوا به. فوجد الحواشي سبيلاً إلى الوقعة في الوزير وعرفوا بهاء الدولة من قتل^(١) أبي عبدالله على الوجه القبيح ما غيّر رأيه فقال: - «قد قتل في تلك الكرّة المعلم وفي هذه الكرّة ابن طاهر أفترأه بمن يثّلت؟»

وانتهى هذا القول إلى أبي القاسم من عيون كانت له في الدار بحضرة بهاء الدولة. فخاف وهرب في ليلة يومه.

مركز تحقيق تاريخ علوم

مذكر ما جرت عليه الأمور بعد هرب الوزير

أبي القاسم عليّ بن أحمد وعود

أبي نصر سابور^(٢)

قصد أبو نصر سابور دار بكران واستعاذ به حتى أصلح له قلوب الديلم

١. وفي الأصل: قبل.

٢. قال صاحب تاريخ الاسلام: وفي هذه السنة ابتاع الوزير أبو نصر سابور داراً بالكرخ وعمرها وسماها دار العلم ووقفها على العلماء ونقل إليها كتباً كثيرة (مد).

وأمن جانبهم وظهر من داره.

وأُفرج عن الجماعة الذين اعتقلهم الوزير أبو القاسم ورتّب في كلّ من الدواوين كاتباً يتولّى أمره ونظر هو في الخبر والبريد والحماية ظاهراً، وفي تدبير الأمور وتقريرها وتنفيذها باطناً. فكانت الجماعة يصدر عنهم ويوردون إليه وجرت الحال على هذا الترتيب [361] أشهراً ثمّ تظاهر بالعمل فيها وردت كتب أبي العلاء عبيد الله بن الفضل ويذكر فيها مسير عساكر فارس مقبلة إلى الأهواز ويحثّ على إمداده بالعساكر.

ذكر ما دبّره بهاء الدولة في ذلك

ندب أبا طاهر دريده شيرى^(١) للخروج إلى الأهواز في جماعة من الديلم وجرّد أبا حرب شيرزيل إلى البصرة. وورد الخبر بانفصال عسكر فارس من أرجان فأمر بهاء الدولة بإخراج مضاربه ثمّ ورد الخبر بحصولها برامهرمز. فندب طغان الحاجب في عدد كثير من الغلمان وخلع عليه وأخرج معه عيسى بن ماسرجس^(٢) ناظراً في خلافة الوزارة وأخرج ما في الخزائن من الأواني الذهب والفضة فكسرت وضربت دنانير ودراهم وفرقت عليهم. ثمّ ورد الخبر بدخول عساكر فارس وعليهم أبو الفرج محمد ابن عليّ بن زيار إلى الأهواز، وهزيمة أبي العلاء عبيد الله بن الفضل وحصوله أسيراً في أيديهم.

١. وفي الأصل دربر شيرى.

٢. وفي الأصل: ماسرجيس. هو أبو العباس وله قصّة مع أحمد النهرجورى الشاعر ومع ابن حاجب

النعمان: إرشاد الأريب ٢: ١٢٠ و ٥: ٢٦٠ (مد).

ذكر ما جرى عليه أمر أبي العلاء بعد الأسر

والاتفاق الذي سكن به [362]

لَمَّا أَسْرَهُ أَبُو الْفَرَجِ ابْنُ زِيَارٍ حَمَلَهُ إِلَى شِيرَازٍ وَصَمَّصَامَ الدَّوْلَةَ بِدَوْلَتَابَادٍ^(١) لِلتَّوَجُّهِ عَلَى سَمْتِ الْعِرَاقِ فَأَدْخَلَ الْمَعْسَكَرَ عَلَى جَمَلٍ وَقَدْ أَلْبَسَ ثِيَاباً مَصْبُغَةً وَطِيفَ بِهِ وَكُلُّ أَحَدٍ لَا يَشْكُ أَنَّهُ مَقْتُولٌ.

فَاتَّفَقَ أَنَّهُ أُجِيزَ عَلَى خِيَمِ السَّيِّدَةِ وَالِدَةِ صَمَّصَامِ الدَّوْلَةِ فَأَوْمِئَ بِيَدِهِ كَالْمُسْتَفِثِ الْمُسْتَرْحِمِ. فَبَدَرَتْهُ قَهْرْمَانَةٌ مِنَ الدَّيْلَمِيَّاتِ بِالسَّبِّ فَسَمِعَتْهَا السَّيِّدَةُ فَأَنْكَرَتْ قَوْلَهَا عَلَيْهَا. وَتَقَدَّمَتْ بِحُطَّةٍ عَنِ الْجَمَلِ وَنَزَعَ الثِّيَابَ الْمَصْبُوغَةَ عَنْهُ وَإِلْبَاسَهُ غَيْرَهَا وَحَمَلَهُ إِلَى الْقَلْعَةِ وَاعْتَقَلَهُ بِهَا وَإِحْسَانٍ مَرَاعَاتِهِ فِيهَا. فَكَانَ فَعَلَ هَذِهِ الْمَرْأَةُ سَبَبَ حَيَاتِهِ وَالْإِبْقَاءِ عَلَيْهِ.

وَلَمَّا وَرَدَ عَلَى بَهَاءِ الدَّوْلَةِ خَبَرُ كَسْرِ عَسْكَرِهِ بِالْأَهْوَازِ وَأَسْرَ أَبِي الْعَلَاءِ انْزَعَجَ انْزِعَاجاً شَدِيداً وَتَقَدَّمَ إِلَى طِفَانٍ بِالْمَسِيرِ. وَرَأَى خَلْوَ خَزَائِنِهِ مِنَ الْمَالِ وَحَاجَتِهِ إِلَيْهِ: فَأَمَرَ الْوَزِيرَ أَبَا نَصْرٍ بِالْإِتْحَادِ إِلَى وَاسِطٍ وَاجْتِنَابِ مَا يَلُوحُ لَهُ وَجْهٌ مِنْهُ وَمُرَاسَلَةِ مَهْذَبِ الدَّوْلَةِ وَالِاسْتِدَانَةِ مِنْهُ عَلَى رَهْنٍ يَجْعَلُ لَهُ عِنْدَهُ وَسَلَّمَ إِلَيْهِ مِنَ الْجَوْهَرِ وَالْأَلَاتِ كُلِّ خَطِيرٍ.

عقد القادر بالله

على ابنة بهاء الدولة

وفيها عقد القادر بالله رضوان الله عليه على ابنة بهاء الدولة^(٢) بصدّاق

١. قال ياقوت في معجم البلدان: دولتآباد موضع ظاهر شيراز تسير إليه العساكر إذا أرادوا الأهواز.

٢. وفي تاريخ الإسلام أنّ اسمها «سكينة» وفيه أيضاً أنّ هذه السنة بلغ كزّ القمح ستة آلاف وستمائة درهم غيائية والكاراة الدقيق مائتين وستين درهماً.

مائة ألف دينار بحضرته والولي الشريف أبو أحمد ابن موسى الموسوي وتوفيت قبله النقلة. [363]

ودخلت سنة أربع وثمانين وثلاثمائة

مصاهرة بين المهذب والبهاء

وفيهما وقع العقد لمهذب الدولة أبي الحسن علي ابنه بهاء الدولة وللأمير أبي منصور ابن بهاء الدولة علي ابنه مهذب الدولة. وكل عقد منهما كان على صداق مائة ألف دينار وحمل المهذب بالمبلغ مالاً وغلة، وخطب له بواسطة وأعمالها واحتسب له من مال ضماناته بأسفل واسط بألف ألف وثلاثمائة ألف درهم غيائية منسوبة إلى الإقطاع. وكان عيار الدرهم الغيائي ثمانية ونصف حرفاً^(١) في كل عشرة.

مراسلة بين البهاء والفخر

وفيهما أشار أبو نصر خواشاده علي بهاء الدولة بمراسلة فخر الدولة باستصلاحه واستكفافه عن مساعدة صمصام الدولة فاستصوب ذلك ورسم له السفارة فيه.

فاختار أبا الحسن الأقيسي^(٢) العلوي للخروج في الرسالة نيابة عن أبي نصر خواشاده وخرج الأقيسي فقبل أن يصل إلى مقصده قبض عليه.

ذكر السبب في ذلك

كان بين أبي نصر خواشاده وبين أبي نصر سابور صداقة ومخالطة. [364]

١. كذا في مد.

٢. قال ياقوت معجم البلدان: الاقساس قرية بالكوفة ينسب إليها جماعة من العلويين.

فلما انحدر أبو نصر سابور إلى واسط هرب إلى البطيحة فوجد أعداء أبي نصر خواشاهه طريقاً إلى السعى فحسّنوا لبهاء الدولة القبض عليه. فتأمل هذه الآراء الطريفة والأهواء العجيبة في تقارب ما بين القبض والإطلاق والعزل والتولية حتى صار الأمر عجباً والجد لعباً. على أنّ الحياة الدنيا لعب ولهو ولكن في اللعب مستقيم ومختل. وهذا من المختل الذي تخالفت أعجازه وبواديه، وتناقضت أواخره ومبادئه. فهل ترى في جميع ما شرد من أخبار الدولة البهائية نظاماً مستقيماً تحمد سلوك مذاهبه وتديره جيداً ينتفع بمعرفة تجاربه؟ كلاً فجميعه واهى الأسباب وما يجري فيه من صواب فإثماً هو بالإتفاق. ونعود إلى سياقة التاريخ. وفيها سار طغان والغلمان من واسط إلى خوزستان.

شرح ما جرى عليه أمره في هذا الوجه
وظفرهم بعساكر صمصام الدولة
وانهزامه من بين أيديهم

لما شارفوا السوس انهزم أصحاب صمصام الدولة عنها ودخلوها [365] وتقدّم ارسال تكين الكركيري في سرّية من الغلمان إلى جندي سابور ودفعوا من كان بها وانتشرت الأتراك في أعمال خوزستان وعلت كلمتهم وظهرت على الديلم بسطتهم.

ووصل صمصام الدولة إلى الأهواز وقد اجتمعت معه جيوش الديلم وبنو تميم وبنو أسد. فلما حصل بدستر^(١) رحل ليلاً على أن يسري فيكبس معسكر الأتراك.

١. كذا في مد. لعله: بدستر.

ذكر اتفاق سيئ عاد بضدّ التقدير

ضلّ الادلاء الطريق وساروا طول ليلتهم على حيرة وأسفر الصبح عنهم
وبينهم وبين معسكر الأتراك مدى بعيد.

وشاهد^(١) بعض طلائع طغان بسواد العسكر فكرّ إليه راجعاً وأخبره
وقال :

- « تأهب لأمرك فإنّ الديلم قد صبحوك موكباً. »

فركب وتلاحق به الغلمان واستعاد كلّ من كان قد ذهب ممّتاراً فاجتمعوا
حوله فكانوا نحو سبعمئة غلام والديلم ومن معهم في ألوف كثيرة.

فصعد أرسلان تكين الكركري تلى طاؤوس فوقف عليه وقسم طغان الغلمان
كراديس وأنفذ كردوساً مع يارغ^(٢) وقال له :

- « سر عرضاً وأخرج على الديلم من ورائهم وبلبلهم في سوادهم
لنشاغلهم نحن عن أمّهم. فإذا حملت [366] حملنا عليهم. »

فسار على ذلك ووقف طغان والغلمان بين يديه يطاردون الفرسان،
وزحف الديلم فملكوا التلّ ونزل أرسلان تكين الكركري عنه ووقف صمصام
الدولة عليه ووقع يارغ وكردوسه على السواد وحمل على المصافّ وحمل
طغان والغلمان وكانت الهزيمة.

ووقف سعادة وعنان صمصام الدولة في يده متحيراً ما يدرى ما يصنع.
فقال له يارغ بالفارسية :

- « ما وقوفك يا حجّام خذ صاحبك وانصرف. »

فولّى عند ذلك صمصام الدولة ومضى ولم يتمكّن رجّالة [صمصام] الدولة

١. لعله : وشعر.

٢. وفي الأصل : يارغ (مد).

من الهرب مع إرهاب الأمر واشتداد الطلب وكذ السير. فاستأمن منهم أكثر من ألفى رجل وتقطع الباقون وغنم الأتراك غنماً عظيماً.

ذكر ما دبّره الغلمان في قتل المستأمنة

إليهم من الديلم

لما اجتمع الديلم المستأمنون إلى خيم ضربها طغان لهم تشاور الغلمان فيهم فقالوا:

- «هؤلاء قوم موتورون وعدّتهم أكثر من عدّتنا، وإن استبقيناهم معنا خفنا ثورتهم، وإن خَلينا عنهم لم نأمن عودتهم.»
فاستقرّ رأيهم على القتل وطرحوا الخيم عليهم ودقّوهم بالأعمدة حتى أتوا عليهم.

فكانت هذه [367] الواقعة أخت واقعة الحلبة في كثرة من قُتل من الديلم^(١) ووردت الأخبار في أمثالها وسار طغان إلى الأهواز فدخلها واستولى على جميع أعمالها وعادت طائفة من الغلمان إلى مدينة السلام.

ذكر ما فعله بهاء الدولة عند حصوله بواسط

استقرض من مهذب الدولة مالا بعد القرض الأول واستقرّ بينهما في أمر البصرة أن يحدر بهاء الدولة عسكرياً ويضمّ مهذب الدولة إليهم عدداً من رجاله. فجرد أبا كاليجار المرزيان لذلك في طائفة من الجند ورتّب مهذب الدولة أصحابه معهم وانحدر الجماعة.

وكان أبو الطيب الفرّخان قد وصل من سیراف في البحر وملك البصرة

١. وواقعة الحلبة انهزم فيها قوم خرجوا من بغداد لقتال البساسيري في سنة ٤٥٠ وقاتل منهم جماعة.

ليراجع الكامل لابن الأثير ٩: ٤٤١ (مد).

فواقعوه بنهر الدير وكان الظفر لهم ودخل المرزبان بن شهبيروز البصرة
وخطب لمهذب الدولة بها تالياً لبهاء الدولة.
ولما ورد الخبر على بهاء الدولة بهزيمة صمصام الدولة رحل سائراً إلى
الأهواز وآثر أن يبتدئ بالبصرة فقصدها ونزل بها. [368]

ذكر ما جرى عليه أمر الوزارة في البصرة في هذه السنة

استوزر بهاء الدولة عند حصوله بها أبا الحسن عبيد الله بن محمد بن
حمدويه ونظر في السابع من شعبان واعتزل في الثالث والعشرين منه.
وبان من ركافة أفعاله في هذه الأيام القريبة كل أمر سخيّف منها: أنّه كان
في مجلس نظره يوماً وهو حفل بالناس وأبو العباس الوكيل حاضر فقال:
- «ادعوا لي أبا العباس الوكيل».

فقال له أبو العباس:

- «ها أنا يا مولانا».

فقال: «نعم».

والحاضرون يتغامزون عليه. ومنها: أنّه ركب إلى دار الفضل يعود به فوقف
على مزلة العامة فاستشقى منها ماءً ثمّ لَمّا وصل إلى باب الفاضل حجب
وانكفاً وعرف الفاضل حضوره فأنفذ أصحابه إليه حتى لحقوه في بعض
الطريق فأعادوه ودخل إليه فشكا في أثناء الحديث حاله إليه وأراه قميصاً
رثاً تحت ثيابه يلتمس بذلك مراعاة من بهاء الدولة ومعوّنة.

ثم استعفى بعد أيام من النظر وشرع أبو العباس عيسى بن ماسرجس في
خطبة الوزارة وراسل الفاضل أبا نصر في السفارة فيها بعد أن كان قد [369]
بذل أبو علي الحسن الأنماطي لبهاء الدولة عنه بذولاً ووعد به بملاطفات

يحملها^(١) وعشرة آلاف دينار يخدمه بها.

ذكر رأى سديد أشار به الفاضل على ماسرجس

فلم يعمل به

أشار عليه في جواب رسالته بأن يلاطف أبا علي الحسن بن محمد بن نصر صاحب البريد وأبا عبد الله الحسين بن أحمد العارض ومكاتبتهما ويسألهما النيابة عنه ويخاطب أبا عبد الله العارض بسيدنا، ليكون عوناً له على تقرير أمره فلم يقبل.

قال الفاضل: فما راعني إلا حضور من أخبر بوروده ونزوله في بعض البساتين. ثم جاءني رسوله يستقرض مني مائة دينار فحملتها إليه في الحال، وعجبت من التماسه هذا القدر النزر مع ما بذل عنه [أبو علي] لبهاء الدولة.

ثم حضر عند بهاء الدولة وترك بين يديه ديناراً ودرهماً وخدمه وانكفاً. فأنكر بهاء الدولة ذلك من فعله فقال للانماطي:

«أين ما وعدتنا به؟»

فعنوان خدمته يدل على ما وراءه. فقال الانماطي:

«يحمل ما أعده من بعد»

فمضى ذلك اليوم وغيره ولم يحمل شيئاً، وكاتب أبا عبد الله العارض بمولاي ورئيسي. فاجتمع هو وأبو علي الحسن بن محمد بن نصر على إفساد أمره. [370]

١. في الاصل: فحملها.

ذكر ما رتباه من الحيلة في أمره حتى انحلّ
وضعا منصور بن سهل وكان هو العامل في الوقت^(١) على أن أشاع في
البلد أن ابن ماسرجس قد بذل بذولاً كثيرة في مصادرات التجار وفتح
المخازن وأخذ أمتعة المجهزين والبحرانيين^(٢) فماج الناس وكادت الفتنة تتور
ورفع أبو علي ذلك الخبر إلى بهاء الدولة وعظم الأمر في نفسه.
واتفق أن الفاضل أبا نصر غاب ألياماً في بعض الأشغال. فخلا أبو عبد الله
وأبو عليّ ببهاء الدولة وقالوا له :

- «قد ورد هذا الرجل بيد فارغة وما وفي بشيء مما بذله والبلد على
ساق خوفاً منه ولا يؤمن حدوث فتنة يبعد تلافيتها وأبو الحسين ابن قاطرميز
يبذل أن يأخذ منه مالاً يخفف به عنك أثقالاً.»
وسهلاً عليه الأمر في ذلك، فأحالهما على الفاضل أبي نصر في الجواب
وقال :

- «اجتمعوا به إذا عاد وقرّرا الأمر.»
فلما عاد الفاضل اجتمعوا معه وقالوا :
- «إنّ الملك قد أمرنا بالقبض على أبي العباس.»
فقال : «لايئة حال.»

قالا : «لما ظهر من نفور الرعيّة منه ولنكوله عمّا كان بذل عنه.»
فقال لهما : «هذا مما لا يسوغ فعله وكيف يصرف اليوم رجل مستدعى
بالأمس بغير سبب يقوم به الغدر وهل يجلب ذلك إلّا سوء المقالة من الناس
فيينا [371] ونسبتهم إيانا إلى سخافة الرأي وضعف النحيظة وأنّ خدمة هذا

١. هو عامل البصرة في حدود سنة ٤٠٠ : ارشاد الأريب ٢ : ١٢٢ (مد).

٢. كأنه يريد : البحرانيين.

الملك لا تستقيم على أيدينا؟ وأنا أحضر عند الملك وأعرِّفه ما في ذلك.»
 فقالوا له: «تعرفه ماذا؟ وقد أنفذنا أبا الحسن الكراعى كاتبك وأصحابك
 إلى الرجل ووكلنا به.»
 فوجم أبو نصر وأطرق ونفذ السهم وسلم الرجل إلى الحسن بن قاطرميز
 فطالبه واستقصى عليه.

ذكر ما جرى عليه أمر صمصام الدولة

بعد انصرافه من الوقعة

لما انصرف به سعادة من المعركة سار عائداً إلى الأهواز. فلما عبر به
 وادى دستر كاد يفرق. فاستنقذه أحد بنى تميم ووصل إلى الأهواز فى عدد
 قليل من الديلم وترحل عنها طالباً أرجان.

فتلقاه أبو القاسم العلاء بن الحسن وحمل إليه من الثياب والرحل ما رم^(١)
 به شعثه وسيّره إلى شيراز ومعه الصاحب أبو على ابن أستاذ هرمز وتلقته
 والدته بما يجب تلقيه به من المراكب والثياب والتجمل.

وكان بينها وبينه نفرة. فلما رآته بكت بكاء شديداً وكان صمصام الدولة
 فى عمارية وعليه ثياب سود حزناً وكآبة لا يطعم فى الأيام إلا المسير من
 الطعام فسكنت [372] والدته منه وقالت له:

- «ما زالت الملوك تغلب وتغلب وإذا سلمت المهجة رجوت الأوبة.»
 فغيّرت ثيابه وأصلحت حاله وحصل بشيراز ثم تلاحق الناس به وتكامل
 الديلم عنده من بعد.

ولم نجد فى بقيّة شهور هذه السنة ما يستفاد منه تجربة.

١. كذا فى مد: رم. ولعله: لم.

ودخلت سنة خمس وثمانين وثلاثمائة
 وفاة الصاحب بن عباد وما جرى في علته وبعد موته
 فيها توفي الصاحب أبو القاسم اسماعيل بن عباد بالرئى ونظر في الأمور
 بعده أبو العباس أحمد بن ابراهيم الضبي ويلقب بالكافى الأوحى.

شرح ما جرت عليه الحال فى ذلك
 لما اعتل ابن عباد كان أمراء الديلم وكبراء الناس يروحون إلى بابه
 ويغدون ويخدمون بالدعاء وينصرفون.
 وعاده فخر الدولة عدة مرات. فيقال: إنه قال لفخر الدولة أول مرة وهو
 على يأس من نفسه :

« قد خدمتك أيها الأمير خدمة استفرغت قدر الوسع وسرت في دولتك
 سيرة جلبت لك حسن الذكر بها. فإن أجريت الأمور بعدى على نظامها
 وقررت القواعد على أحكامها نسب^(١) ذلك الجميل السابق إليك ونسيت أنا
 فى أثناء ما يشئ به عليك ودامت [373] الأحداث الطيبة لك. وإن غيبت
 ذلك وعدلت عنه كنت أنا المشكور على السيرة السالفة وكنت أنت المذكور
 بالطريقة الآتفة وقدح في دولتك ما يشيع فى المستقبل عنك. »
 فأظهر فخر الدولة قبول رأيه.

وقضى ابن عباد نحبه فى يومه. وكان أبو محمد خازن الكتب ملازماً داره
 على سبيل الخدمة له وهو عين لفخر الدولة عليه، فبادر بإعلامه الخبر.
 فأنفذ فخر الدولة ثقاته وخواصه حتى احتاطوا على الدار والخزائن. ووجدوا

١. وفى الأصل : نسبت. والصواب فى إرشاد الأريب ٧٠٠١ فى ترجمة أبى العباس الضبى رواية
 عن هلال الصابى (مد).

كيساً فيه رقاع أقوام بمائة وخمسين ألف دينار مودوعة له عندهم. فاستدعاهم وطالبهم بالمال فأحضروه وكان فيه ما هو بختم مؤيد الدولة. فرجعت الظنون في ذلك: فمن مقتبح لآثاره ينسبه إلى الخيانة فيه، ومحسن لذكره يقول: إنما أودعه مؤيد الدولة لأولاده. ونقل جميع ما كان في الدار والخزائن إلى دار فخر الدولة.

وجّهز ابن عباد وأخرج تابوته وقد جلس أبو العباس الضبّي للصلاة عليه والعزاء به. فلما بدا على أيدي الحمّالين قامت الجماعة إعظاماً له وقبّلوا الأرض ثم صلّوا عليه وعُلّق بالسلاسل في بيت إلى أن نقل إلى تربة له بإصفهان.

وقال القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد:

«إني لا أرى الترحّم عليه. لأنه مات [374] عن غير توبة ظهر عليه.»

فنسب عبد الجبار في هذا القول إلى قلّة الرعاية.

ثم قبض فخر الدولة عليه وعلى المتعلّقين به وقرّر أمرهم على ثلاثة آلاف ألف درهم فباع في جملة ما باع ألف طيلسان وألف ثوب من الصوف المصري.

فهلّا نظر هذا القاضي في شأن نفسه ثم أفتى في شأن غيره مثل ابن عباد الذي قدم قدمه وأثّل نعمته ورأى جناحه ومهد أحواله! صدق المثل «تبصر القذى في عين غيرك وتدع الجزع المعترض في حلقك»^(١) فرحم الله من أبصر عيب نفسه فشغل بستره عن عيب غيره.

وبلغنا أنّ رجلاً من الصالحين لقي أخاً له فقال له:

«إني أحبّك في الله.»

١. عبارة المؤلف أقرب إلى الموجود في التلموذ منها إلى الموجود في الإنجيل (مد).

فقال الآخر :

- «لو تظهر لك عيوبى لأبغضتني في الله.»

فقال له : «عيبى يشغلني عن تأمل عيب غيري.»

نسأل الله توفيقنا بما يعصم جوارحنا وقلوبنا وصنعاً جميلاً يستر مساوينا وعيوبنا.

بين فخر الدولة وأبي العباس الضبي

وقد فخر الدولة أبا الحسن ابن عبد العزيز قضاء القضاة وطالب أبا العباس الضبي بتحصيل ثلاثين ألف ألف درهم من الأعمال ومن المتصرفين فيها وقال له :

- «إنَّ الصاحب أضع الأموال وأهمل الحقوق وقد ينبغي أن يُستدرك ما فات منها.»

فامتنع أبو العباس من ذلك مع تردّد القول فيه. وكتب أبو علي ابن حمولة يخطب الوزارة وضمن عنها ثمانية آلاف ألف درهم وأجيب إلى [375] الحضور. فلما قرب قال فخر الدولة لأبي العباس :

- «قد ورد أبو علي وقد عازمت على الخروج في غد لتلقيه وأمرت الجماعة بالترجل له. فلا بد أن تخرج إليه وتعتمد مثل ذلك معه.»

فثقل ذلك على أبي العباس وقال له خواصّه ونصحاؤه :

- «هذا ثمرة امتناعك عليه وقعودك عمّا دعاك إليه وسيكون لهذه الحال ما بعدها.»

فراسل فخر الدولة وبذل ستة آلاف ألف درهم عن إقراره على الوزارة وإعفائه من أن يلقي أبا علي. وخرج فخر الدولة وتلقاه ولم يخرج أبو العباس.

ورأى فخر الدولة أن من الصلاح الإشراف بينهما في النظر. فسامح أبا على ابن حمولة بألفي ألف درهم من جملة الثمانية التي بذلها وسامح أبا العباس بمثلها من الستة، وقرّر عليهما جميعاً عشرة آلاف ألف درهم وجمع بينهما في النظر وخلع عليهما خلعتين متساويتين ورثب أمرهما على أن يجلسا في دست واحد ويوقعا جميعاً؛ فيوماً يوقع هذا ويعلم^(١) ذاك ويوماً يوقع ذلك ويعلم هذا. ووقع التراضي بذلك ونظرا في الأعمال.

وقبضا على أصحاب ابن عباد وتتبعاً كلّ من جرت مسامحة باسمه في أيامه وقرّرا المصادرات في البلاد، وأنفذ أبا بكر ابن رافع إلى استرأباد ونواحيها بمثل ذلك.

ما فعله ابن رافع في استرأباد

فقليل: إنه جمع الوجوه وأرباب الأحوال وأخر الإذن لهم [376] حتى تعالى النهار واشتدّ الحرّ ثم أطعمهم طعاماً أكثر ملحة ومنعهم الماء عليه وبعده، وطالبهم بكتب خطوطهم بما يصحّحونه. فلم يزل يستام عليهم وهم يتلهفون عطشاً إلى أن التزموا عشرة آلاف ألف درهم.

واجتمع لفخر الدولة في الخزائن والقلاع ما كثره المقلّلون. ثم تمزّق بعد وفاته في أقرب مدّة فلم يبق منه بقية.

وكذاك مال كلّ ثروة ذميمة المكاسب، ومصير كلّ زهرة خبيثة المنابت. فلئن عمر خزائنه لقد خرب محاسنه. ولئن جمع المال الجزيل لقد ضيّع الذكر الجميل. ثم لم يحظ من ذلك إلّا بالأوزار التي احتقبها والآثام التي اكتسبها. وقبح الأحداث التي علقت بأخباره سماتها، وبقيت على الأيام

١. وفي مد: يعلم (بالضبط).

عظاتها، إذ لم يبق من عظامه رُفاتها. «وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى»^(١) فياندم النادم إذا ترك ما اكتسبه وراء ظهره، وانقلب بثقل الوزر وسوء الذكر إلى قبره. وأصعب من ذلك ما بعده «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ»^(٢).

صمصام الدولة يقتل أتراك فارس

وفيها أمر صمصام الدولة بقتل من بفارس من الأتراك. فقتل قوم منهم بشيراز وأجفلت طائفة منهم، فعاثوا في بلاد فارس. فجرد صمصام الدولة إليهم من دفعهم عنها وانصرفوا إلى كرمان وبها أبو جعفر أستاذ هرمز، فدفعهم أيضاً فدعتهم الضرورة [377] إلى قصد بلاد السند واستأذنوا ملكها في دخول بلده.

ذكر الحيلة التي عملها صاحب السند

على الأتراك حتى قتلهم

أظهر لهم القبول وخرج لاستقبالهم ورتب أصحابه صفين وهم رجالة، وواقفهم على الإيقاع بهم إذا دخلوا بينهم. ففعلوا ذلك ولم يفلت منهم إلا نفر حصلوا بين القتلى وهربوا تحت الليل.

وفاة أبي نصر خواشاده

وفيها توفي أبو نصر خواشاده بالبطيحة وسبب حصوله بها أنه لما قبض عليه خرج في الصحبة إلى واسط واعتقل بها فتوصل إلى الهرب.

١. س ٩٢ الليل: ١١.

٢. س ٢٦ الشعراء: ٨٩.

قال صاحب الخبر^(١):

فأذكر وقد انحدرت إلى مهذب الدولة واجتمعت مع أبي نصر. فرأيت كتب
فخر الدولة وصمصامها وبهاثها وبدر بن حسنويه إليه يستدعيه كل واحد
منهم، ويبذل له من المعيشة والإحسان ما يرغب في مثله. لكن فخر الدولة
قال له في كتابه:

«لعلك تسيء الظن بمعتقدنا للقبيح الذي قدّمته في خدمة عضد الدولة
عندنا وما كنّا لنؤاخذك بطاعة من قدّمك واصطنعك ومناصحة من كان [378]
يصنعك ويرفعك، وأن نعتدّ لك من وسائلك لم نجعله ذنوبك^(٢) وقد علمت ما
عاملنا^(٣) به أبو القاسم اسماعيل ابن عبّاد وأتّنا طويّنا جميع ما كان بيننا
وبينه واستأنفنا معه من الإكرام والتفويض ما لم يقدره ويظنّه. ولك علينا عهد
الله وميثاقه في أيماننا من كلّ ما تخافه وتحذره وإنا لك بحيث تحبّه وتؤثره.
فإن أردت الخدمة قدّمناك إلى أعلى رتبها وأرفع درجاتها، وإن رأيت الاعتزال
والدعة أوجبنا لك مائة ألف درهم معيشة من أصفهان ووفرناك على المقام
في دارك بها.»

فقلت له: «فإلى أيّ جهة ميلك.»

فقال: «ما كنت أنفر إلّا من جهة فخر الدولة وقد وثقت به ولم يعلق قلبي
إلّا به وأنا عازم على قصد الرّى عند ورود من أستدعيه من أصحاب بدر بن
حسنويه.»

فعاجلته المنية المريضة من الحلّ والترحال القاطعة للحاجات والأشغال.
وفيها ورد الخبر بمسير العلاء بن الحسن والديلم من أرجان ووفاة طغان

١. وهو هلال الصابي (مد).

٢. الجملة محرّفة (مد).

٣. والمثبت في مد «علمنا» وفقاً للأصل. واقتراح التصحيح من تعاليق مد أيضاً.

بالأهواز، فسار بهاء الدولة على سمت الأهواز.

ذكر ما جرى عليه الأمر مع العلاء بن الحسن واستيلائه على الأهواز

لَمَّا تَوَفَّى طغان الحاجب كوتب بهاء الدولة بخبره وبما عَوَّل عليه الغلمان [379] وما حَدَّثُوا به أنفسهم من العود إلى بغداد. فانزعج لذلك وعلم ما في أثنائه من ذهاب الدولة مع استعداد العلاء للمقارعة، وقَدَّم تسيير أبي كالبجار المرزبان بن شهفروز إلى الأهواز للنيابة عنه، ورَمَّ العسكر بها وكان بينهما تَذَمُّماً^(١) في جميع الأمور مستقلاً للتوقيع والتدبير.

وأنفذ أبا محمد الحسن بن مكرم إلى ألفتكين الخادم للمقام بموضعه، وكان حصل برامهرمز منصرفاً مرّتين إلى عساكر فارس. فلم يستقرّ بألفتكين قدم وانكفاً إلى الأهواز، وكوتب أبو محمد ابن مكرم بالنظر في الأعمال والجَدّ في استخراج الأموال وإرضاء الجند.

وقرب العلاء بن الحسن فعزّج على عسكر مكرم ونزل بهاء الدولة بطلا^(٢) وترددت بينه وبين العلاء مراسلات ومكاتبات سلك فيها العلاء سبيل اللينة والإطماع والمكر والخداع. ثم سار على نهر المسرقان لازماً له إلى أن حصل بخان طوق^(٣) فتيق كالمير علوم راسدي

ووقع الحرب بينه وبين أبي محمد ابن مكرم وألفتكين ومن في جملتهما من الغلمان، وصدق الفريقان وزحف الديلم بين البساتين والنخيل حتى دخلوا البلد ودفعوا أبا محمد وألفتكين منه.

١. لعله : وكان بينهما قديماً (مد).

٢. طلا : قلعة بأذربيجان، أصلها : تلا، حولها بحيرة كان فيها ذخائر التتر، وفيها قبر هولاكو خان الذي فتح البلاد (مراسد الإطلاع).

وأرسل أبو محمد وألفتكين إلى بهاء الدولة وأشاروا عليه بالعبور والبدار فتوقف عن ذلك ووعد وسوف ثم أمدهما بثمانين غلاماً من غلمان داره مع خدم للخيل، فعبروا وحملوا على الديلم من ورائهم بغرة الصبوة^(١) وقلة التجربة، فأفرج الديلم لهم حتى توسطوهم، ثم انطبقوا عليهم [380] فقتلوهم. وعرف بهاء الدولة ما جرى على غلمانه فضغت نفسه وهم بالهزيمة وخاف أن يظهرها فيطمع فيه بنو أسد، فتقدم بأن تُسرج الخيل ويطرح عليها السلاح وتحمل الأثقال، وأظهر أنه يقصد الأهواز. فلما رتب ذلك جميعه ركب وأخذ سمت الأهواز قليلاً، ثم عطف فتوجه تلقاء الجزيرة وأمن ما خافه من اختلاط العسكر عند الهزيمة، وتعسف في طريقه حتى عاد إلى عسكره بظاهر البصرة.

ذكر ما جرى عليه أمر أبي محمد

ابن مكرم والغلمان

لما عرف أبو محمد والغلمان خبر بهاء الدولة في انصرافه ساروا إلى عسكر مكرم وتبعهم العلاء بن الحسن والديلم ورفعوهم عنها فارتفعوا ونزلوا براملان بين عسكر مكرم ودستر.

وتكررت الوقائع بين الفريقين مدة، لأن الأتراك كانوا يركبون إلى باب البلد ويخرج الديلم إليهم ويقاتلونهم قتال المحاجزة لا المناجزة، ومع الأتراك دُستر وسوادها يمتارون منها.

ثم سار الأتراك إلى رامهرمز ومنها إلى أرجان واندفع من كان فيها من بين أيديهم واستولوا عليها واستخرج أبو محمد لهم الأموال منها وأقاموا بها

١. والمضبوط في مد: الصبوة.

سنة [381] أشهر ثم كزوا راجعين إلى الأهواز.

وبلغ العلاء خبرهم حين قربوا فأنفذ إلى قنطرة أريق من قطعها ووصل أبو محمد والغلمان إليها. فطرحوا الأجذاع وأعمدة الخيم عليها وعبروها وحصلوا مع الديلم على أرض واحدة ونزلوا بالمصلّى وخيّم العلاء نحو شهرين. ثم رحل الأتراك من معسكر مكرم وتبعهم العلاء فوجدهم قد امتدوا واسطاً وكان العلاء بن الحسن قد رتبّ مناجزة أبي جعفر بالسوس عند مصير الأتراك إلى أرجان وفرّق مقطعي كل كورة فيها.

فلما عاد بهاء الدولة إلى واسط على ما يأتي ذكره ولم يبق بينه وبين الديلم من يحول دونه جرّد قلّج في عدة من الغلمان وسيّره إلى السوس، وكتب إلى أبي محمد ابن مكرم ومن في جملته من الغلمان بالتوقّف عن الإتمام فلقاهم قلّج والكتب في الطريق، فرجعوا وحصل المعسكر جميعه مع أبي محمد وأقاموا ببصني^(١).

وفيها عاد أبو القاسم علي بن أحمد من البطيحة إلى حضرة بهاء الدولة للوزارة.

ذكر ما جرت عليه حاله في هذه النوبة

قال الأستاذ الفاضل أبو نصر:

لما عاد بهاء الدولة إلى معسكره بظاهر [382] البصرة وقفت أموره فتردّدت بينه وبين أبي القاسم مراسلة في العود إلى خدمته. فاستقرّ ذلك بوساطة مهذّب الدولة بعد أن اشترط على بهاء الدولة أنّه إن مشى الأمر على يديه وإلا أعاده محروساً إلى البطيحة.

١. وفي مراصد الإطلاع: بصنيّا، من نواحي الأهواز، صغيرة.

وكان السفير بينهما الشريف أبو أحمد الموسوي. ولم أعرف ذلك إلا بعد استقراره وكنت في بقايا علّة واستأذنت بهاء الدولة في الإصعاد إلى بغداد للمداواة فلم يأذن. فلما ورد الرجل ومضى على وروده ثلاثة أيّام راسلني الملك وقال:

- «كنت استأذنتنا في الإصعاد إلى بغداد للمداواة وقد أذنا لك.»
فعلمت أنّ هذا القول على أصل، وأنّ الغرض إبعادى فقبلت الأرض
وقلت:

- «السمع والطاعة.»
وانصرف الرسول.

ذكر رأى سديد رآه الفاضل في استمالة قلب بهاء الدولة
قال الفاضل:

أخذت دواة ودرجاً^(١) وأنبئت ما كان لي بالبصرة من صامت وناطق حتى
لم أترك إلا ما كان على جسدى وحملت جميعه على التذكرة به إلى الخزانة
وقلت:

- «هذا ما أملكه وأنا مع إصعادى مستغن عنه والخزانة مع كثرة الخرج
محتاجة إليه.»

واستأذنت في الحضور للوداع، فوقع ذلك [383] موقعاً جميلاً وأذن لي في
الحضور. وجاءني في أثناء ذلك الشريف أبو أحمد الموسوي وكان يتهمني
بالميل إلى الشريف أبي الحسن محمد بن عمر ويستوحش منى لأجله فقال:
- «قد بلغنى أنّك تصعد الليلة إلى بغداد وما كنت أوتر البعد عن سلطانك

ولو وقفت وتركتنى أتوسط ما بينك وبين هذا الوزير الوارد وأتوثق لكل واحد من صاحبه لكان أولى.»

فقلت: «قد كنت على العزم الذى بلغ الشريف وإذا قد رأى لى الصواب فى المقام أقمت يومين [أو] ثلاثة معولاً على تفضله فيما يقرره - وأردت بهذا القول كتمان حقيقة أمرى عنه إشفاقاً من أن يعرف الوزير خبرى - فراسل بهاء الدولة فيما تعرفنى به^(١) وربما بلغ غرضه فى تعاجل الحال.»

وانصرف الشريف أبو أحمد ولم تقلنى الأرض حتى مضيت إلى المضرب وودعت بهاء الدولة وقبّلت الأرض وبكيت، فبكى لبكائى وقال:

- «لا تشغل قلبك فإننى لك على أجمل نية، وما أنفذتك إلا إلى مملكتى وأين كنت فإنك على بال من مراعاتى وملاحظتى.»

وخرجت فاتبعنى بعض خواصه وقال:

- «إن الملك يأمر أن تتوقف ليسلم إليك رهونا تحملها إلى مهذب الدولة وتستقرض عليها مهما أمكنك.»

فأشفقت من أن أتربث فتجدد من الوزير فى أمرى مراسلة بهاء الدولة بما أتقى فقلت للرسول:

- «تقول لمولانا: إننى قد أحسست [384] بأول دور الحمى وأنا أصعد وأتوقف بنهر الدير إلى أن يلحقنى ما يرى إنفاذه.»

فدخل وخرج وقال:

- «امض فإننا نحمل على أترك ما يصحبك.»

فاغتنمت الفرصة وأسرعت ولم أتوقف ووصلت إلى واسط. فما استقررت بها حتى ورد على الطائر كتاب من عبد العزيز بن يوسف يقول فيه:

١. لعله: فراسل بهاء الدولة فيما يعرفنى به (مد).

- إنَّ الرجل - يعنى الوزير أبا القاسم على بن أحمد - وقف أمره وعاد إلى البطيحة فبادرت في الحال إلى الإصعاد علماً بأنَّ الكتب سترد بالعود إلى. فما بلغت فم الصلح^(١) حتى صاح بنا ركايتان وردا من البصرة ومعهما كتاب بهاء الدولة إلىَّ بالإنحذار. فاعتذرت في الجواب بقربى من مدينة السلام وأننى أدخلها وأحصل من المال والثياب ما أعلم أنَّ الحاجة داعية إلى تحصيله وأعود.

فأمَّا سبب فساد أمره فإنَّه عامل أبا العباس الوكيل بما أوحشه به واستشعر أبو عبد الله العارض وأبو الفرج الخازن منه واجتمعت كلمة الحاشية عليه، وتطابقوا على فساد أمره خوفاً من بواده.

وعول بهاء الدولة على القبض عليه فذكره الشريف أبو أحمد العهد الذى استقرَّ مع مهذب الدولة بالقبيح وأخرج عن اليد، فعند ذلك فسح فى عوده مع الشريف أبى أحمد إلى بغداد.

ودخلت سنة ست وثمانين وثلاثمائة [385]

وفيهام ملك لشكرستان بن ذكى البصرة وانصرف أصحاب بهاء الدولة عنها

مركز تحقيق كتاب تبيين شرح الحال فى ذلك

كان لشكرستان ذا نفس أبيه وهمة عليه ولم يزل يلوح من شمائله فى بدء أمره ما يدلُّ على ارتفاع منزلته وقدره وهو من جملة من انحاز عن بهاء الدولة إلى صمصام الدولة وحصل مع العلاء بن الحسن بالأهواز.

فلما انصرف الأتراك إلى أرجان على ما تقدّم ذكره، حدّثته نفسه بالخروج

١. فم الصلح: نهر كبير فوق واسط، عليه عدة قرى، وعند فمه كانت دار الحسن بن سهل، وفيه بنى المأمون بيوران بنت الحسن بن سهل وهو الآن خراب (مرصد الإطلاع).

إلى البصرة ودفع بهاء الدولة عنها. والتمس من العلاء بن الحسن مساعدة على ذلك فأحجم العلاء عن أفراد بعض العسكر عن نفسه، لحاجته إلى الاستظهار بكثرة العدد.

فبينما تردّد الخطاب بينهما إذ ورد اليهما نحو أربعمئة رجل من الديلم مستأمنين من ديلم بهاء الدولة. فضمّهم لشكرستان إليه وفرّق فيهم خمسة آلاف دينار من ماله وسار بهم إلى حصن مهدى.

وجرد بهاء الدولة أبا مقاتل خمارتكين البهائي لقتاله، فجرت بينهما مناوشات واعتصم الديلم بالبلد ولم يقدر خمارتكين على مواجهتهم فيه. فلمّا كان في بعض الأيام عاد منهم وخرج لشكرستان على أثره وحمل نفسه على الصعب وسار على التعسّف [386] حتى حصل هو ومن معه بلشكرايان.

وتسلّل إليه من بقى مع بهاء الدولة من الديلم ولم تكن لأصحاب بهاء الدولة قدرة عليهم لإعتصامهم بالبساتين والمياه التي يضيق مجال الفرسان فيها. ثم ضاقت عليهم الميرة وانقطعت عنهم المادّة فقطعوا النخل وأكلوا جعّارها وأكلوا الزرع.

وكان أبو العباس ابن عبد السلام وطائفة من أهل البصرة مائلين إلى بهاء الدولة ونزلوا بإزاء الديلم يصدّقونهم القتال. وكان أبو الحسن ابن أبي جعفر العلوى مائلاً إلى لشكرستان بن ذكّى مضادة لابن عبد السلام لما بين الفريقين من المباينة. فحمل العلوى إلى الديلم في السباد دقيقاً أمارهم به ونفّس عنهم كربهم، وعرف بهاء الدولة ذلك وظفر ببعض السفن التي حملت فيها الميرة فأنفذ من يقبض عليه فهرب وكبست داره ونُهبت.

وطُلِبَت هذه الطائفة فاستوحشوا وصار منهم عدد كثير مع أبي جعفر إلى لشكرستان وقويت بهم شوكته وجمعوا له سقناً وحملوا الديلم فيها على

ركوب أخطار وشدائد حتى جعلوهم على أرض البصرة ووافوا بهم إلى محالهم وواقعوا أصحاب بهاء الدولة فهزموهم ونهبوا دور بني عبد السلام وطائفته وخرّبوها.

وجلا^(١) ناس كثير من البصرة ونبا ببهاء الدولة مكانه [387] وخرج البلد عن يده وأصعد إلى واسط على الظهر فوصل إليها وقد تقطّع عسكره وتمزّق سواده.

ذكر ما جرى عليه أمر لشكرستان بالبصرة إلى أن استقرّ ما بينه وبين مهذب الدولة من الصلح

لما حصل لشكرستان^(٢) بالبصرة بطش بأهلها فقتل وسفك، وخرج الناس على وجوههم لفرط الهيبة الواقعة في نفوسهم ومدّ يده إلى أموال التجار فخرّب البلد وتشرد كل من فيه. وكتب بهاء الدولة إلى مهذب الدولة يقول له :

«إذا كان لشكرستان قد غلب على البصرة فأنت أحقّ بها منه.»

فاستعد مهذب الدولة للقتال وجرّد أبا عبدالله ابن مرزوق إليه في عدّة كثيرة من الرجال وكاتب أبا العباس ابن واصل وكان بعبّادان وغيره من أصحاب الأنهار بالاحتشاد والاستظهار والاجتماع مع ابن مرزوق على حرب لشكرستان، وانحدر ابن مرزوق ودفعه عن البصرة.

فاختلفت الرواية في دفعه عنها، فقليل : إنّ أهل البصرة قويت نفوسهم فوثبوا على الديلم وانصرف لشكرستان من غير حرب إلى أسافل دجلة. وقيل : بل عقد جسرا [388] في الموضع المعروف بالجلّ وقال :

١. وفي الأصل : وخلا (مد). ولضبط الأصل أيضاً وجه من الصحة. خلا، أي : مضى.

٢. كذا في مد : لشكرابان.

«الديلم يرمون كل من يرد من نهر عمر».

وجعل أمامه سلسلة حديد ممتدة من إحدى حافتي نهر ابن عمر إلى الأخرى ليدفع عن الجسر ما يرسل على الماء من شاشات القصب المضربة بالنار تغوص بثقلها فتعبر الشاشات عليها فتفرقها.

فى عسكر البطيحة من نهر ابن عمر وجمعوا قصباً كثيراً بعرض النهر وأرسلوه مضرباً بالنار وجعلوا سفنهم التى فيها مقاتلتهم من ورائه، فوقع على السلسلة وتقطعت وعلى السفن الصغار فاحترقت ووصل إلى الجسر ودخل عسكر البطيحة البصرة يقدمهم ابن مرزوق وعسكره إلى الجزيرة.

وحصل لشكرستان بسوق الطعام وهى فسيحة واستمر القتال بين الفريقين وكان للديلم الإستظهار فى الحرب ولهؤلاء قطع الميرة.

فراسل لشكرستان مهذب الدولة وسأله المصالحة والموادعة وبذل له الطاعة والعتابعة على أن يقيم له الخطبة ويسلم ابنه إليه رهينة. فمال مهذب الدولة إلى الصلح وسلم لشكرستان ابنه أبا العز واتصل الصفاء واستمر الوفاء زماناً طويلاً.

وأظهر لشكرستان طاعة صمصام الدولة وبهاؤها وأمر نفسه واعتضد بما عقده بينه وبين مهذب الدولة من المودة، وعسف أهل البصرة مدة، ثم عدل فيهم وأحسن السيرة بهم وخفف [389] الوطأة عنهم بعد أن قرّر نصف العشر عليهم. وكان يؤخذ من سائر ما يتبايع حتى من المأكولات، وعاد البصريون إلى دورهم ومنازلهم.

والذى تكثر به العشرة وتطول فيه الفكرة ويستفاد منه التبصّر وتنتفع بمثله التجربة خامل حالتى بهاء الدولة ومهذبها، كيف اختلّ أمر ذلك وهو عريق فى الملك صاحب مملكة لسوء سيرته ! وكيف استقام أمر هذا وهو دخيل فى الإمارة صاحب بطيحة لحسن طريقته !

لقد ضلّ من ظنّ أنّ الملك يستقيم بالظلم والمال ويثمر بالجور، أو الإرتفاع يكثر بالحيث، أو الضرع يذّر بالعسف. لا ورافع السماء وموتى الملك من يشاء، ما يصلح الملك إلّا بإحسان السيرة وإحكام السياسة وترتيب الخاصة وتهذيب العامة والهيبة فى الجند والعدل فى الرعيّة. وهيئات أن يصلح الملك تدبير مملكته إلّا بعد تدبير مدينته، أو تدبير مدينته إلّا بعد تدبير داره، أو تهذيب رعيته إلّا بعد تهذيب جنده، أو تهذيب جنده إلّا بعد تهذيب حاشيته، أو تهذيب حاشيته إلّا بعد تهذيب نفسه. ولولا أننا لا نباهى أصحاب عصرنا أطال الله بقاءهم، من الملوك والوزراء الماضين إلّا كلّ من كان على الرتبة فى العلاء والمجد، طيب الأحداث بالثناء والحمد، لأوردنا فى هذا الفصل ما تتبيّن به مقادير [390] التفاوت والفضل ويقوى معه الدليل على ما قدّمناه فى صدر كتابنا هذا من تفضيل زماننا بهم.

لكنّا لا نقيس الفاضل بالناقص ولا المخدج بالكامل ولا العاجز بالقادر ولا النابى بالبائر. لأنّ الشئ يقاس بما يناسبه ويشبّه بما يقاربه. ونعود إلى سياقة التاريخ.

مركز تحقيق عود سابر بن أردشير إلى الوزارة

وفىها عاد أبو نصر سابر بن أردشير إلى الوزارة ونظر نحواً من شهرين ثم هرب.

ذكر ما جرى عليه أمر أبى نصر سابر

فى هذه النوبة

كان بهاء الدولة أنفذ أبا عبد الله العارض وأبا نصر الفاضل إلى مهدب

الدولة واستقرضا منه قرضاً وتطيباً إلى سابور وقرّرا معه العود إلى الوزارة.
فلما حصل بالبطيحة وقرّرا الأمر مع سابور، حضرا عند مهذب الدولة
ليعلماه بحال ما استقرّ. فقال مهذب الدولة:

- «أنتما في طرفٍ والملك في آخر.»

وأخرج كتاباً بخط بهاء الدولة يسأله إنفاذ أبي القاسم علي بن أحمد. فلما
شاهداه وجما وقالوا:

- «قد يجوز أن يكون هذا قد بدا له بعدنا رأى آخر.»

وانصرفا فقال أبو عبد الله العارض للفاضل:

- «ما فعل الملك ما فعله إلّا على أصل، والصواب القعود هاهنا والأخذ

بالحزم.»

فقال له الفاضل:

- «لا يضعف [391] قلبك، واصعد معي، ودعني ألقى الملك وأحلّ ما عقد

بعدنا معه، فيأتي أعرف بأخلاقه منك، ومتى تأخرنا بلغ أعداؤنا منا مرداهم.»

وما زال به حتى أصعد معه. فلما وصلا إلى بهاء الدولة قال لهما:

- «ما وراءكما.»

قالوا^(١): «كنّا قرّنا مع مهذب الدولة أمر القرض ومع سابور أمر النظر.

فوافق كتابك باستدعاء أبي القاسم علي بن أحمد، فانتقض جميع ذلك

وانصرفنا بعد النجاح بالخيبة.»

فلما سمع ذلك وجم - ولم يكن لأكثر ما قالاه من أمر القرض حقيقة

لكنهما قصدا بذلك تقديمه - فقال لهما:

- «ما كتبت ما كتبت إلّا بما ألزمني أبو أحمد الموسوي، وإذا كنتما قد

قرّرتماه فالرأى العدول إليه.»

وأمر بكتب الكتب إلى مهذب الدولة بالشكر على ما أوردها عنه، وبإخراج سابور إلى الحضرة^(١) وتطيب نفسه وحثه على البدار.

وانصرف الفاضل إلى داره ليغتر ثياب السفر، وواقف أبا عبد الله على المقام بحضرة بهاء الدولة إلى أن تنفذ الكتب لئلا يدخل إليه من يثنيه. ونفذت الكتب وورد أبو نصر سابور وقد استوحش الشريف أبو أحمد الموسوى منه لما أسلفه إليه. فقال لبهاء الدولة:

«بينى وبين العلاء بن الحسن موثة، وأنا أخرج إليه وإلى صمصام الدولة وأستأنف أمر الصلح.»

فمال بهاء الدولة إلى قوله واستروحت [392] الجماعة إلى بعده وأذن له فى ذلك ونظر سابور إلى الأمور.

وبدا أبو القاسم على بن أحمد يكتب إلى بهاء الدولة ويشرع معه فى تقلد الأمر وبلغ أبا^(٢) نصر من ذلك ما انزعج منه، وأراد الاختبار لما عند بهاء الدولة فيه.

ذكر الحيلة التى عملها سابور فى اختبار بهاء الدولة

خلا به وقال له:

«أيها الملك، قد علمت أننى قصير اللسان فى خطاب الجند، وقد استشعروا فى الطمع واستشعرت منهم الخوف، ولو استدعيت أبا القاسم على بن أحمد وعوّلت عليه فى مناقبتهم ومعاملتهم ووفرتنى على جمع المال وإقامة وجوهه، لكان ذلك أدعى إلى الصواب.»

١. وفى الأصل: إلى سابور.

٢. فى الأصل: أبو.

فقال له بهاء الدولة :

- «هذا هو الرأي وقد أردت أن أبدأك به. فإذا قد سبقت إلى القول فيه فهذا كتاب أبي القاسم يخطب الخدمة، وقد تقرّر الأمر معه على هذه القاعدة.»

فسمع أبو نصر ذلك وانصرف من حضرته وأطلق يده للتوقيعات في الجند ولم يبق وجهاً إلا أحوال عليه أكثر مما فيه. فلما علم أنه لم يبق بواسط ما تمتد إليه يد، فارق مكانه وهرب إلى الصليق، وكتب بهاء الدولة إلى أبي القاسم يستدعيه. [393]

وأنفذ إليه أبا الفضل الإسكافي رسولاً بما بذله له من بسط اليد والتمكين، وانحدر أبو الفضل واجتمع معه وأصعدا. فلما حصلوا في بعض الطريق عدل أبو القاسم على بن أحمد عن السمات. فقال له أبو الفضل :

- «إلى أين أيها الوزير.»

قال : «إلى حيث أبعد به عنكم. أما علم بهاء الدولة أن أبا نصر فرّق أمواله وأفسد أمره وأبطل مملكته ؟ وأنا رغبت فيما رغبت فيه أولاً، لأنه كان هناك ما يمكن تمشية الأمور به. فأما الآن فلم يبق إلا شجى الحلووق وقذى العيون ولقاء المكروه. فما أنشط لذلك.»

وفارقه ومضى إلى الجبل وبقي مجلس النظر خالياً حتى ورد أبو العباس عيسى بن ماسرجس ونظر في الأمور.

استكتاب القادر بالله أبا الحسن ابن حاجب النعمان

وفيهما استكتب القادر بالله رضوان الله عليه، أبا الحسن عليّ بن عبد العزيز

حاجب النعمان^(١).

ذكر السبب في ذلك

كان رجلان من التجار خرجا للحج. فتبايعا عقاراً في الكرخ وهما بمكة، وأشهدا إنساناً من الذين حضروا الموسم، وردَّ^(٢) المشتري إلى مدينة السلام فحاول ثبوت كتابه عند القضاة الأربعة وهم أبو عبد الله الضبي وأبو محمد ابن الأكفاني وأبو الحسين ابن معروف وأبو الحسين الجوزي [394] بشهادة من شهد من التجار. وقد كان القادر بالله رضى الله عنه، أمرهم أن لا يقبلوا في مثل ذلك إلا شهادة الشهود المعدلين.

فتنجز المشتري كتباً من بهاء الدولة إلى القضاة باستماع قوله، وإلى الشريف أبي الحسن محمد بن عمر والوزير أبي منصور ابن صالحان - وكان نائباً عن بهاء الدولة ببغداد - بالزامهم ذلك، فخاطبهم فقالوا: السمع والطاعة، إلا أبا عبد الله الضبي. فإنه امتنع واحتج بما رُسم له من دار الخلافة.

وغاز الشریف أبا الحسن فعله فأطلق لسانه بالوقیعة فیہ. وفارق الضبی داره بالكرخ وعبر إلى الحریم معتصماً به. وسمع أبو محمد الأكفاني شهادة القوم، وعزم القاضيان الآخران على مثل ذلك. فاستدعوا إلى دار الخلافة وأغلظ القول عليهم واعتيقوا إلى آخر النهار، ثم اذن لهم في الإنصراف والعود من غد.

وكان قوم من الشهود زكوا التجار الذين شهدوا في الكتاب، منهم ابن

١. ليراجع قصة صرف القادر بالله ابن حاجب النعمان عن كتابته بأبي الحسن أحمد بن علي البتي الذي كان يكتب له عند مقامه بالبطيحة إرشاد الأريب ١: ٢٣٨ - ٢٣٧ (مد).

٢. لعله: ثم ورد (مد).

النشاط وأبو اسحق بن أحمد الطبرى. فطعن الضبى عليهم عند الخليفة، فخرج التوقيع بإسقاطهم وأمر بقراءته على المنبر فى المسجد الجامع. وعرف الشهود ذلك ومضى أبو اسحق الطبرى إلى أبى الحسن محمد بن عمر مستصرخاً وكان خصيصاً. وبلغ أبا الحسن على بن عبد العزيز ما يجرى من الخوض فى الأمر.

ذكر تدبير لطيف توصل [395] به ابن حاجب النعمان

إلى خدمة دار الخلافة

استدعى القاضى أبا محمد ابن الأكفانى وأبا اسحق الطبرى سرّاً، وقال لهما:

«قد علمت ما أنتم عليه وإن طويتموه عني ومتى روى الخليفة بي، توصلت إلى مرادكم.»

فصار أبو اسحق إلى ابن عمر وأشار عليه بإنفاذ على بن عبد العزيز إلى دار الخلافة فراسل أبا منصور ابن صالحان فى ذلك فكان جوابه:

«إنك عارف بما وردت به كتب بهاء الدولة من منع ابن حاجب النعمان عن دار الخلافة وإخراجه إلى حضرته، فكيف يجوز أن تنفذه فيما هذه سبيله؟»

فعاد مراسلة ثانية وسهل الأمر، فأذن أبو منصور فى ذلك من غير اختيار. وانحدر أبو الحسن على بن عبد العزيز إلى دار الخلافة ووصل إلى حضرة القادر بالله رضى الله عنه، وأعاد ما حملة من الرسالة، وكانا قالا له:

«تخدم الحضرة الشريفة عنا بالدعاء وتقول: إن الذى جرى فى هذه القصة مما يوحش بهاء الدولة ويشعره التغير له والعدول عنه فيما كان مستخدماً فيه.»

وأتبع ما يورده عنهما من نفسه بأن قال :

- «يا أمير المؤمنين ما الذى فعل [396] هؤلاء القضاة مما خرجوا به عن حكم الشريعة أو حدث من الشهود حتى أسقطوا الإسقاط الذى يقرأ على المنابر؟ أوليس ابن النشاط أحد الشهود الذين شهدوا على المخلوع بخلع نفسه وتسليمه الأمر إلى أمير المؤمنين؟ ولو أردنا اليوم شهادة حاضرة بذلك لما وجدنا غيره فيها، فإن الشريف أبا أحمد الموسوى غائب بشيراز، وأبا القاسم ابن أبى تمام قد مضى لسبيله، وأبا محمد ابن المأمون من أهلك، وأبا الغنائم محمد بن عمر ممن لا تقوم به بيعة. ونحن إلى الآن نركى هذا الشاهد ونعدله أولى من أن نقدح فيه ونجرحه^(١) وهذا أبو اسحق الطبرى واحد القراء المتقدمين وأهل العلم المشهورين ولم يبق من يحضر الحرمين ويصلى فيها^(٢) بالناس مثله وهو إلى هذه الدولة منسوب وفي شعبها محسوب والباقون منهم أقل من أن يعرفهم أمير المؤمنين ويسمّيهم، فضلاً عن أن يذكرهم على المنابر ويقع فيهم. وما الذى يؤمننا من أن ينفذ إلى الجامع من ينفذه، فيعترض بما يحول بينه وبين ما يحاوله ويلحقنا من ذلك ما لا خفاء به؟»

فلما سمع القادر بالله رضى الله عنه، ما قاله تبين الصواب فيه. فأضرب عمّا عزم عليه وهمّ، وردّه بجواب جميل سكن إليه القضاة والشهود، وتوقيع فيه علامته بإجرائهم على رسوالمهم.

وعاد أبو الحسن إلى الشريف والوزير فأعلمهما بما فعل [397] وبزوال ما كان الخوض واقعاً فيه، وأشار بأن يعود برسالة ثانية محدودة تتضمن الشكر والدعاء والإستئذان فى حضور القضاة.

فتقدّما إليه بذلك ومضى وعاد بالإذن فى حضور القضاة ورجع ثالثاً

١. وفى الأصل: ونخرجه.

٢. لعله: فيهما.

والقضاة معه فجمع بينهم وبين القاضي أبي عبد الله الضبي، واستطال أبو عبد الله في القول عليهم، فمنهم من أجاب ومنهم من أمسك عنه. وانصرف القوم وتأخر أبو الحسن فأقام في الدار وقرّر أمر نفسه واستعطف الشريف أبا الحسن ابن عمر واستكفّ كلّ من كان يقصده واستصلح فتمّ له الأمر واستتبّ.

وفيها عاد أبو جعفر الحجاج من الموصل

ذكر السبب في ذلك وما جرى الأمر عليه

لما توفي أبو الدواد محمد بن المستب طمع المقلّد أخوه في الإمارة فلم تساعده العشيرة، لأنّ من عاداتها تقديم الكبير من أهل البيت وكان عليّ^(١) أسنّ منه فأجمعوا عليه وولّوه.

وأيس المقلّد من الإمارة فعدل إلى طلب الموضع وبدأ باستمالة الديلم الذين كانوا مع أبي جعفر، واستفسادهم عليه وثنى برسالته بهاء الدولة خاتماً لضمان الموصل بألفي ألف درهم [398] في كلّ سنة، وبذل تقديم مال عنها واستصلح قلوب العاشية.

ثم عدل إلى عليّ أخيه وأظهر له أنّ بهاء الدولة قد ولّاه الموصل وأنّ أبا جعفر يدافعه عنها، وسأله النزول معه بالحلّ عليها، فإنّ أبا جعفر إذا علم اجتماع الكلمة خاف واندفع عنها.

فلبّي عليّ دعوة أخيه وأجابه إلى سؤاله قاضياً حقّه فيه. فلما نزلت الحلّ على باب الموصل استأمن عدد من الديلم الذين استفسدوا من قبل وعلم أبو جعفر أن لا طاقة له بالقوم، فاعتصم بقصر كان استحدثه ملاصقاً إلى دار

الإمارة مع سبعين رجلاً من خاصّته وسألهم أن يفرجوا له عن الطريق ليسلم الديلم إليهم، فأجابوه إلى ذلك.

ذكر مكيدة عملها أبو جعفر سلم بها في انحداره

وأعدّهم في خروجه يوماً معلوماً واستظهرهم عليه، وكانوا أجمعوا أمرهم على أن يأخذوه يوم مسيره. فاستدّ أبو جعفر من عليّ بن المسيب وأنفذ إليه كراعته ليسير من عنده. ثمّ جمع سفناً حطّ فيها رحله وصناديقه وسلاحه وأصحابه، فجاءه وانحدر قبل اليوم الموعد وما عرفوا خبره إلا بعد انحداره، فتبعوه ودافعهم عن نفسه حتى خلص ووصل إلى [399] مدينة السلام.

ذكر ما جرى عليه الأمر بالموصل

بعد انحدار أبي جعفر

لما خرج أبو جعفر من البلد تقدّم المقلّد إلى أصحابه بالدخول، وعمل عليّ ابن المسيب في الرحيل. فحسن له أبو الفضل طاهر بن منصور وكان كاتبه ووزيره وجماعة من أصحابه أن يلتبس من المقلّد مشاركته في البلد، فتدّمّ عليّ من ذلك حياءً من أخيه فقالوا له:

«إذا كان البلد لأخيك كان هو الأمير وكنت أنت الصعلوك.»

وما زالوا به حتى راسلوه واستقرّت الحال بينهما تذكرة من المقلّد على إقامة خطبة لهما جميعاً وتقديم عليّ بحكم الإمارة وإقامة عامل من قبلهما لجباية الأموال وجرى الأمر على ذلك مديدة.

زيادة التشاجر

ثم زاد التشاجر والتجاذب بين أصحابهما وانتهى إلى الإفراط واتصلت الشكاوى من الفريقين وسيأتى ذكر ما جرت عليه الحال من بعد إن شاء الله.

ذكر الحال فى ذلك

كان أبو على^(١) خدام بهاء الدولة فى أيام إمارته. فلما ولى الملك قدّمه وكاد [400] ينوّه به فنكبه أبو الحسن الكوكبى المعلم وبقي على العطلة ثم استخدم فى الخواص بمدينة السلام.

فلما عاد بهاء الدولة إلى واسط على الصورة التى ذكرت من اختلال الحال، كاتب أبا منصور ابن صالحان والشرىف أبا الحسن ابن عمر وأبا على هذا يذكر بما هو عليه من الإضاعة واستدعى منهم ملتزمات من ثياب وغيرها.

فأجاب أبو منصور وأبو الحسن جميعاً بالوعد والتعليل وحصل^(٢) أبو على أكثر الملتمس بعد أن طلب من أبى على ابن فضلان اليهودى قرضاً يردّ عوضه عليه فلم يسعفه وانحدر إلى حضرة بهاء الدولة بما صحبه. فوقع فعله موقعاً جميلاً ازداد به عنده قبولاً، وقرّر معه فى أخذ اليهود ومصادرتهم تقريراً معلوماً، وفى أمر أبى الحسن محمد بن عمر وأبى منصور ابن صالحان ما كان مستوراً مكتوماً، وأصعد على هذه القاعدة. فلما حصل ببغداد قبض على جماعة من اليهود وعسفهم فى المطالبة والمعاقبة. وأمّا الشرىف أبو الحسن ابن عمر وأبو منصور ابن صالحان فإنه بدا لهما

١. هو الموفق الوزير.

٢. والمثبت فى مد: حصل.

خبر ما أبطن في أمرهما فخرج ابن عمر إلى القصر وصار منها إلى البطيحة، واستقرّ أمر ابن صالحان وكاتب بهاء الدولة واستصلحه وانحدر إليه. ودبر أبو على الأمور ببغداد واستمال الجند وقرّر مع الأتراك [401] عن أثمان أقامتهم ورقاً يطلق لهم مسابقة، ثم نقله إلى المشاهرة ونسبه إلى القسط، وسلك أيضاً بالديلم هذه الطريقة. فصار ذلك سنة مستمرة من بعد في الأقساط وسقطت كلف الإقامات وكانت قد انتهت إلى الإفراط. ومشت أموره على السداد إلى أن جرى من المقلّد بن المسيب ما صار سبباً للقبض عليه.

ذكر ما جرى من المقلّد بن المسيب في هذه السنة

كان المقلّد يتولّى حماية القصر وغربيّ الفرات متصرفاً على أمر العباس بن المرزبان فاستناب المقلّد أبا الحسن ابن المعلم أحد أصاغر المتصرفين ببغداد وكان فيه تهوّر وإقدام، فتبسّط وانتهى عنه إلى ابن المرزبان ما غاظه وعول على القبض عليه.

ولم يأت الحزم من أقطاره في أخذه فاستوحش ابن المعلم واستظهر وجرت مناوشات أدت إلى كشف القناع واستنجد ابن المعلم صاحبه. فوافى من الموصل في عدّته وعديده وحصل مع ابن المرزبان على أرض واحدة وجرت بينهما حرب أجلت عن هزيمة ابن المرزبان وأخذه أسيراً وحبسه وأمر بقتله من بعد.

وملك المقلّد القصر وأعماله [402] وكتب إلى بهاء الدولة بأعذار مختلفة وأقوال متفكة، وسأل إنفاذ من يعقد عليه البلاد بمبلغ من المال يؤدّيه عنها. وكان بهاء الدولة مشغولاً بما هو بصدد الضرورة تدعوه إلى المغالطة والمداراة فأنفذ إليه أبا الحسن على بن طاهر وجرت بينهما مناظرات

ومواقفات كُتِبَ بها تذكرة عاد بها ابن طاهر استأمر في أبوابها.
ولما انفصل ابن طاهر عنه زاد في بسط يده في الأعمال واستضاف ما
فيها من الأموال، فضجَّ المقطعون بالشكوى إلى أبي علي ابن اسماعيل،
فاستعدَّ للخروج إليه واستدعى محمد بن عبَّاد وخاطب أبا موسى خواجه بن
ساكيل على البروز، فبرز وخيَّم بظاهر البلد.

ذكر الغيلة التي عملها المقلد

لما انتهى الخبر إليه ببروز من برز من السندية أنفذ أصحابه ليلاً فكبسوا
معسكر ابن ساكيل وضربوا الخيم. فبادر ابن سياهجنك^(١) إلى زبزه وعبر
إلى داره واستنفر الديلم. فإلى أن اجتمعوا قطع أصحاب المقلد الجسر لئلا
يتكاثر عليه الجند.

وركب أبو علي ابن اسماعيل وابن عبَّاد والأولياء. فإلى أن أعيد سد
الجسر مضى أصحاب المقلد وتبعهم أبو علي فلم يلحقهم. [403] وهمَّ
بالإتمام إلى السندية^(٢) لمواقعة المقلد فأشاروا عليه بالعود. فعاد وقد تمَّ
لما ثبت له.

وكان الشريف أبو الحسن ابن عمر قد حصل بالبطيحة على ما تقدَّم ذكره.
فلما ورد أبو جعفر الحاج توشط حاله مع بهاء الدولة وأصلحها وجداً
جميعاً في السعي على أبي علي وذلك قبل أن يحدث من أمر المقلد ما
حدث.

وشدَّ منهما ابن ماسرجس وكان هو الوزير يومئذ، وبذل ابن عمر لبهاء
الدولة عشرة آلاف دينار عن تسليمه إليه. وكان بهاء الدولة سريع القبول

١. والمثبت في ما سبق بال تكرار : سياهجيك .

٢. السندية : قرية ببغداد على نهر عيسى (مرصد الإطلاع).

شديد الميل إلى هذه البذول وكلّ ما يُعقد معه محلول وكلّ ما يبني لديه مهذوم.

ومن شرط السياسة أن يفي الملك بقوله وعهده وأن يصدق في وعيده ووعدده وأنه متى أخلف استولت على المحسن الخيبة وزالت عن المسىء الهيبة، ومن قارب بين التولية والعزل لا يعقل. فنعود إلى تمام الحديث. فخاضوا في تدبير أمر أبي عليّ ولم يكن ببغداد من يكاتب بالقبض عليه ويوثق به في الخروج بالسّر إليه. لأنّ ابن سياهجنك كان من خاصته والقهرمانه معه وفي كفّته، وكلّ من وجوه الجند مائلاً إلى جنبته ويخافون أن يخرجوا انساناً من [404] واسط فرّما شاع الخبر وظهر.

ذكر المكيدة التي رتبت في القبض على أبي عليّ

أحضروا أبا الحسن محمد بن الحسن العروضي وكان بواسط، وواقفوه على أن يكاتب أبا عليّ ويشكو إليه حاله ويسأله استدعائه إليه وضّمّه إلى جملته، ودبروا الأمر أنّه إذا عاد الجواب إليه بالإصعاد أصد، وقرّروا معه القبض عليه.

وكتب أبو الحسن كتاباً بهذا الذكر فإلى أن عاد الجواب إليه حدث من أمر المقلّد وهجوم أصحابه على مدينة السلام ما حدث وورد الخبر بذلك على بهاء الدولة فانزعج واستدعى أبا جعفر الحجاج في الوقت ورسم له المبادرة إليها وتلافى الحادث بها ومصالحة المقلّد والقبض على أبي عليّ ابن اسماعيل.

ووجد أبو جعفر الفرصة فسار ووصل إلى مدينة السلام في آخر ذي الحجة وسيأتى ذكر ما جرى الأمر عليه بمشيئة الله تعالى.

ذكر القبض على أبي نصر

وفيها قبض على الفاضل أبي نصر فاستقصى عليه في المطالبة. وهرب أبو عبد الله العارض إلى البطيحة، وأقام إلى أن أصلح حاله.

ذكر السبب في ذلك [405] أولاً

وما جرت عليه الحال ثانياً

كان جرى بين أبي عبد الله العارض وبين أبي طاهر سباشي المشطَب^(١) المعروف بالسعيد كلام تنازاً فيه، وجنابات اللسان عظيمة وصراعاته أليمة. فأمر بهاء الدولة بالقبض على أبي طاهر لأجل ذلك واعتقاله. فاجتمع عدد كثير من الغلمان وصاروا إلى باب الخيمة الخاص وجبهوا بهاء الدولة بما فيه بعض الغلظ وقالوا:

«إن لم تفرج عنه أخذناه.»

فدعت الضرورة إلى إطلاقه فأطلق، ثم لم يرضوا بالإفراج عن المشطَب حتى اقترحوا إزالة أبي عبد الله عن ولاية العرض وإبعاد الفاضل أبي نصر^(٢)، وخاف بهاء الدولة مخالفتهم. فاعتقل العارض والفاضل اعتقالاً جميلاً، ثم أذن لهما في الإصعاد إلى بغداد بعد أن قرّر أمر الفاضل على مبلغ من المال. فأما الفاضل، فإنه صحح المال المقرّر بعد إصعاده وأقام في داره إلى أن وافى أبو جعفر. ونظر أبو الحسن العروضي في نيابة الوزارة عن ابن ماسرجس فخافه الفاضل وكاتب بهاء الدولة يسأله حسن التعطف والحراسة.

١. وفي الأصل «سياسي المتطبيب» وسباشي يعني صاحب الجيش، كذا في مفاتيح العلوم (مد). إذن هو معرّب «سيانجي».

٢. وفي الأصل: إلى أبي نصر.

فعاد جوابه بالجميل ورُسم له الإنعذار فأنحدر. ولمّا وصل إلى المعسكر قُبض عليه وسلّم إلى ابن ماسرجس فاستقصى [406] عليه في المطالبة، لما أخذ عليه من نوبة البصرة ونسبها إليه، وكان بريئاً منها.

وأما أبو عبد الله العارض، فإنّه خاف بعد إصعاده، فاستشار نصحاءه في أمره وقال:

- «لست أحبّ الحرب فأجعل لنفسي حديثاً ولا الاسترسال فأطرق غلبتها.»

ذكر رأى سديد أشير به على العارض
فكان سبباً لنجاته

قال له عليّ بن عيسى صاحب البريد:

- «إذا كان هذا اعتقادك، فكيف تسمح بذهاب ما في دارك من الآلات ومن الغلمان؟»

قال: «نعم.»

قال: «فاعبر إلى الجانب الشرقي، كأنك زائر والدتك ودع دارك وحاشيتك علي ما هي وهم عليه، وأنا أحضر في كلّ يوم وألقى الناس فيها عنك وأكتب كتب التوبة إلى بهاء الدولة وإذا حضر من يجوز الاعتذار إليه وأنا قاعد اعتذرت إليه بنومك أو صلاتك ومن وجب أن أقوم وأدخل الحجرة كأنني أستاذك وأخرج إليه بمثل العذر قمت وإذا رأى الناس ذلك ظنّوك حاضراً وأنت في الباطن مستظهر.»

فاستصوب ذلك وعمل به واندرج الأمر على هذا أيّاماً ثم كبست الدار لطلبه والقبض عليه فلم يوجد.

ودبر أمره في [407] الخروج من البلد مستتراً وحصل بالبطيحة وأقام بها

مدة وأصلح حاله مع بهاء الدولة وأصعد إلى واسط ونظر في دواوين الإنشاء والبريد والحماية.

وفيهما حجّ بالناس أبو عبد الله ابن عبيد العلوى.

وحمل بدر بن حسنويه خمسة آلاف دينار مع وجوه القوافل الخراسانية لتصرف في خفارة الطريق عوضاً عما كان يجيء من الحاجّ في كلّ سنة، وجعل ذلك رسماً زاد فيه من بعد حتى بلغ تسعة آلاف دينار.

وكان يحمل مع ذلك ما ينصرف في عمارة الطريق ويقسم في أولاد المهاجرين والأنصار بالحرمين، ويفرّق على جماعة من الأشراف والفقراء والقراء وأهل البيوتات في مدينة السلام بما تكمل به المبلغ عشرين ألف دينار في كلّ سنة. فلمّا توفى انقطع ذلك حتى أثر في أحوال أهله ووقف أمر الحجّ.

ذكر ما يُستدلُّ به على حزم بدر

ونحن نذكر ههنا طرفاً من أفعال بدر وآدابه يستدل به على حزم الرجل ودهائه، فنقول:

إنّ من شرط الولاية المستقيمة أن يكون صاحبها عالماً بالسياسة قامعاً للجنود عادلاً بين الرعية خبيراً بجمع المال من حقوقه بصيراً بصرفه في وجوهه راغباً في فعل الخير ملتزماً بطيب الذكر ثابت الرأي في الخطوب رابط^(١) الجأش في الحروب. على أنّ انتقاع ذوى الولاية بالرأى [408] السديد أكثر من انتفاعهم بالبأس الشديد. فإنّ ذا البأس يقاوم رجالاً وعشيرة، وذو الرأى يقاوم أمة كثيرة.

١. في الأصل: ثابت.

الرأى قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهَى الْمَحَلِّ الثَّانِي
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ مَرَّةً بَلَغَتْ مِنَ الْعِلَاءِ كُلِّ مَكَانٍ^(١)

وقد كان بدر جامعاً لهذه الخلال الحميدة والأفعال الرشيدة. فإنه ساس قومه وهم البرزيكان^(٢) شرّ طائفة في ظلمهم وعداوتهم وبغيهم وطغيانهم سعيّاً في الأرض بالفساد وقطعاً للسبل واستباحة للأموال وسفكاً للدماء^(٣)، ولئى عليهم وقد استولوا على تلك الأعمال يسومون أهلها سوء العذاب ويذيقونهم مرارات البلاء والعقاب، على طريقة من قال الله تعالى فيه: «وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ»^(٤).

فداوى داءهم وكفّ بلاءهم واستدنى من الأكراد من كانوا ضدّاً لقومه، فاستعان بهم عليهم فطهر الأرض من ظلمهم غير مبقٍ على آصرة ولا ملتفت إلى رحم متشاجرة، فبذد شملهم وفرّق جمعهم.

ذكر مكيدة عملها بدر لقومه [409]

قيل: إنه طالبت أسباب الفساد وكاد الحرث يبطل في تلك البلاد. عمل سماًطاً وأمر بأن يقدم عليه من جميع الألوان المطبوخة باللحمان - وكانوا أصحاب أغنام - وأن لا يترك على السماط خبز بّنة، ثم أحضرهم فجلسوا وأيديهم لا تصل إليه توقّعاً للخبز. فلما طال الأمر بهم قال لهم:

١. ورد البيتان في ديوان المتنبي طبع برلن ١٨٦١ ص ٥٩٤ (مد). وشرح البرقوفى ٤: ٣٠٧.

٢. وفي الأصل: البربرمكان.

٣. والمثبت في مد: واستباحة الأموال وسفك الدماء.

٤. س ٢ البقرة: ٢٠٥.

- « ما لكم لا تأكلون. »

قالوا : « ننتظر الخبز. »

قال : « فإذا كنتم تعلمون أنه قوت لا بد منه، فما لكم قد أهلكتم الزرع ؟
قبحاً لوجوهكم وتباً لأفعالكم ! وأقسم لئن ^(١) تعرّض أحد منكم لصاحب
زرع ليقابلنّه ^(٢) بسفك دمه. »

وأبرّ قسمه بقتل العدد الكثير منهم وأخذ الباقين بالهبة وساسهم بالغلظة
ولم يغض لهم عن الخيانة اليسيرة حتى تهذبت الأمور.

ذكر سياسة بليغة من أفعاله

قيل إنه اجتاز في بعض مرتحلاته برجل متحطب قد حطّ حملة عن ظهره
على طريق وإنّ بعض الفرسان أخذ منه رغيفين كانا معه فلما حصل بإزاته
قال :

- « أيها الأمير إني رجل متحطب وقد كانت معي رغيفان أعددتها
لأتغدى بهما فيقويانني على حمل الحطب إلى البلد [410] فأبيعه فأعود بثمنه
إلى العيال وقد اجتاز بي أحد الفرسان وغصبنى إياهما. »

فقال له :

- « هل تعرف الرجل ؟ »

قال : « نعم بوجهه. »

فجاء به إلى مضيق جبل وأقام عنده حتى اجتاز عليه العسكر جميعه
وجاء صاحبه فعرفه فأمر بدر بحطّه عن فرسه وإلزامه حمل الحطب على
ظهره إلى البلد والدخول به إلى السوق وبيعه وتسليم ثمنه إلى صاحبه جزاء

١. والمثبت في مد : لان.

٢. كذا في مد : ليقابلنّه.

على فعله.

وكان الرجل موسراً فرام أن يفقدى نفسه بحال وزاد حتى بذل بوزن الحطب دراهم قلم يقبل منه وألزمه فعل ما عزم به عليه فقامت الهيبة فى النفوس فلم يقدم بعدها أحد من أصحابه على أذية.

وأما بصره بوجوه المال فإنه عمّ وعدل فدرّت عليه ضروع الأعمال وجمع من الذخائر والأموال من بلاد محدودة محصورة مالا يكاد يجمع مثله من معالك واسعة. ولو لم يكن إلا ما أخذه فخر الملك أبو غالب ابن خلف من قلعتة^(١) لكان عظيماً.

ذكر رأى سديد فى تدبير الأعمال

كان من حسن تدبيره أنه يحفظ الإرتفاع من كل ثلم ثم يفرد العشر منه ويجعله موقوفاً على المصالح والصدقات.

وأخذ عمّاله بتوفية أمواله [411] أشد أخذ ويخلدهم الحبس على الخيانة فإن علم أن عجز المال كان عن آفة وأن العامل نقى الجيب من خيانة أعطاه من مال الصدقة ما تبرأ به ذمته من الضمان ويستعين ببعضه على الزمان فلا يقدم أحد على تجاوز الطريقة المرضية فى أداء الامانة وتجنب الخيانة.

وأما بصيرته بصرف الأموال فى وجوها فقد تقدّم ذكر ما كان يحمله فى كل سنة بطريق مكة وكانت له صدقات كثيرة فى بلده وأنفق أموالاً جمّة فى اتخاذ المصانع وعمل القناطر واستخراج الطرق فى الجبال لوارد وصادر فتذللّت بعد أن كانت مانعة ودنت المسافات بعد أن كانت شاسعة مع حزم كامل فى الإنفاق.

١. يعنى دزيز فى معجم البلدان ٢ : ٥٧٢ : دزيز اسم قلعة مدينة سابور خواست دزيز ومنها أخذ فخر الملك أبو غالب أموال بدر بن حسنويه المشهورة (مد).

ذكر ما دبره في أمر النفقات على القناطر والطرق
 كان إذا بدأ بعمل من هذه الأعمال أقام من قبله عنده سوقاً جامعة لسائر
 ما يبتاع في البلدان وجلب إليها جميع ما يحتاج إليه من الأصناف بأرخص
 الأثمان فإذا قبضت الرجال سلفاً من الورق صرفوه في تلك السوق على
 اختلاف أجناس ما يبتاعونه بالثمن الوافي فيجمع جميعه. [412]
 فكان ما يخرج في أول الأسبوع من الخزانة يعود إليها في آخر الوقت
 اليسير الذي يتصل مع بعض الرجال ممن يقدر على نفسه في النفقة.
 فبقيت له الآثار الحميدة والاحاديث الجميلة. قال الله تعالى: «وما عند
 الله خيرٌ وأبقى»^(١) وقال تعالى: «وللآخرة خيرٌ لك من الأولى»^(٢).
 وأما حسن تدبير الخطوب فله في ذلك أخبار مشهورة منها ما دبره عند
 وصول رسول يمين الدولة أبي القاسم محمود بن سبكتكين رحمه الله إلى
 الري.

ذكر رأى سديد في إقامة هيبة

قيل: إن رسولاً لمحمود وصل إلى الري عند استيلاء السيدة على الأمر
 مهتداً بالمسير إليها وكانت لا تحل ولا تعقد إلا بمشاورة بدر فكتبت إليه بما
 تجدد فأشار عليها بإنفاذ الرسول إليه ليتولى هو جوابه.
 ثم رتب طوائف الأكراد وأصناف العساكر وأمرهم أن ينزلوا بحلهم بطول
 الطريق من باب الري إلى سابور خواست^(٣) ويظهروا عند اجتياز الرسول بهم

١. س ٢٨ القصص: ٦٠.

٢. س ٩٣ الضحى: ٤.

٣. في الأصل: سابرجاست.

عددهم وأسلحتهم ويأخذوا زينتهم ويسيروا به من حلة إلى حلة ومن عسكر إلى عسكر حتى يوصلونه إليه ففعلوا ذلك.

ورأى الرسول في طريقه من [413] العساكر ما هاله فلمّا وصل إليه رأى من حزمه ودهائه وحسن تدبيره ورأيه ما ازدادت به هيئته في صدره. وأجاب عن الرسالة بما أشار به إلى الاستمرار على طريق المسالمة واجراء الأمر على ما كان عليه من قبل مع أصحاب خراسان فعاد الرسول إلى الرى وكتب الأجوبة حسب ذلك وانصرف إلى خراسان وأخبر بما شاهده فكان ذلك طريقاً إلى الكفّ والموادة.

وأما مكايده في الحروب وبصيرته بأمورها، فقد تقدّم من ذكر الواقعة التي جرت بينه وبين قراتكين الجهشيارى على أخذ شرف الدولة ما يدل على صرامته وله بعد ذلك مقامات مشهورة.

فلمّا انقضت مدته وتناهت سعادته لم ينفعه ماله ولا رجاله ولم تدفع عنه حزامته ولا احتياله، قتله أقلّ الجند وأذلّهم ومضى رخيصةً.

الْحَوْلُ الْقَلْبُ الْأَرِيْبُ وَلَا يَدْفَعُ رَيْبَ الْمَنِيَّةِ الْحِيلُ

وإذ قضينا من ذكر أخباره الشاذّة (١) وطراً مع التبرّأ من عهدة صحتها فقد عدنا إلى سياقة التاريخ.

ودخلت سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وفيها تغيّر أمر أبى على ابن اسماعيل ووكل به فى دار المملكة ثم

١. والمثبت فى مد: الشاذّة.

أُفرج [414] عنه واستتر.

ذكر ما جرت عليه الحال في ذلك

لَمَّا ورد أبو جعفر الحجاج ساء ظَنُّ أَبِي عَلِيٍّ ابْنِ إِسْمَاعِيلِ ثُمَّ اتَّصَلَ بِهِ مِنْ وَاسِطٍ مَا حَقَّقَ ظَنَّهُ فَأَقَامَ فِي دَارِ الْمَمْلَكَةِ مُلْتَجِئاً إِلَى الْقَهْرْمَانَةِ وَتَلَطَّفَ أَبُو جَعْفَرٍ لَهُ طَمَعاً فِي أَنْ يُصِيرَ إِلَيْهِ فَلَمْ يَفْعَلْ فَأَنْفَذَ مِنْ وَكِّلَ بِهِ فِي مَوْضِعِهِ. وَتَرَدَّدَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَهْرْمَانَةِ قَوْلٌ كَثِيرٌ انْتَهَى آخِرُهُ إِلَى أَنْ كَتَبَتْ خَطاً بِتَسْلِيمِهِ وَإِنَّهَا تَمْتَثِلُ مَا يَرِدُ إِلَيْهَا فِي مَعْنَاهُ فَصَرَفَ التَّوَكُّيلَ حِينَئِذٍ عَنْهُ. وَأَنْفَذَ ابْنُ إِسْمَاعِيلَ إِلَى بَارِسْطَفَانٍ وَبَدْرِكَ وَوَضَعَهُمَا عَلَى أَنْ جَمَعَا جَمْعاً كَثِيراً مِنَ الْعُلَمَاءِ وَصَارُوا إِلَى تَحْتَ دَارِ أَبِي جَعْفَرٍ وَرَاسَلُوهُ وَقَالُوا لَهُ : « قَدْ كَانَتْ أَحْوَالُنَا مُخْتَلَّةً وَأَمْوَالُنَا مُتَأَخِّرَةً إِلَى أَنْ جَاءَ هَذَا الرَّجُلُ فَتَلَا فِي أُمُورِنَا بِحَسَنِ التَّدْبِيرِ وَقَدْ حَاوَلَتْ الْآنَ بِوَرُودِكَ الْقَبْضَ عَلَيْهِ وَإِزَالَةَ هَذَا التَّرْتِيبِ وَنَحْنُ لَا نَمَكِّنُ مِنْهُ وَنَكَاتِبُ الْمَلِكَ بِشَرْحِ الْأَحْوَالِ وَإِنْ دَعَتْنَا حَاجَةً إِلَى الْإِنْحِدَارِ إِلَيْهِ انْحَدَرْنَا. » وَتَرَدَّدَ فِي ذَلِكَ مَا طَالَ وَأَفْضَى آخِرُهُ إِلَى خَطِّ الْقَهْرْمَانَةِ إِلَيْهَا وَالِاتِّفَاقِ عَلَى خُرُوجِهِ وَنَظَرِهِ وَمَكَاتِبَةِ الْمَلِكِ بِمَا عَلَيْهِ الْأَوْلِيَاءُ مِنْ إِثَارِهِ. فَلَمَّا كَانَ مِنْ غَدٍ خَرَجَ أَبُو [415] عَلَى مِنَ الدَّارِ وَقَصَدَ أَحَدَ وَجُوهِ الْأَثْرَاكِ وَاسْتَتَرَ عِنْدَهُ.

وَنَظَرَ أَبُو الْحَسَنِ الْعَرُوضِي فِي النِّيَابَةِ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ ابْنِ مَاسَرَجِسٍ وَتَشَاغَلَ أَبُو جَعْفَرٍ بِتَقْرِيرِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبِي حَسَّانِ الْمُقَلَّدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ.

ذكر ما جرت عليه الحال في ذلك

أَنْفَذَ الْمُقَلَّدُ إِلَى أَبِي جَعْفَرٍ فِي أَمْرِ الصَّلَاحِ وَيَذُلُّ لَهُ الْبَذُولَ عَلَى حَكْمِهِ فِيهِ.

فاستقرّ بعد مراجعات ومنازعات على أن يصحّح المقلّد عشرة آلاف دينار وتحمل إلى الخزانة بواسطة ويقود معها خيلاً ويرفع يده عن الاقطاعات ويقنع بما يقرّر له من رسوم الحماية عنها ويمكن العمال من المحلول ويشدّ منهم في استيفاء الحقوق السلطانية ويفرج عن الديلم المأسورين ويخطب لأبى جعفر بالموصل بعد بهاء الدولة ويحمل في كل سنة ألف ألف درهم غيائية عنها وعلى أن يخلع على المقلّد الخلع السلطانية من دار الخلافة ويكنّى ويلقّب بحسام الدولة، ويحمل له اللواء ويعقد له بهاء الدولة على الموصل والكوفة والقصر والجامعين ويقلّد زعيم العرب ويقطعه بألف ألف درهم غيائية من المحلول. فأجيب ما التمسه وجلس القادر [416] بالله رضوان الله عليه لذلك على العادة.

ولم يف المقلّد بجميع ما شرطه على نفسه إلا بحمل المال المعجل وإطلاق الديلم المأسورين ثم استولى على البلاد فقصدته الكتّاب والمتصرفون والامائل وخدموه ونبل قدره واستفحل أمره.

وفيها توفي العلاء بن الحسن بعسكر مكرم وورد أبو الطيب الفرخان وبعده أبو على ابن أستاذ هرمز شيراز.

ذكر ما جرى عليه الأمر بعد وفاة العلاء بن الحسن

قد تقدم ذكر خروج العلاء إلى عسكر مكرم في أثر الغلمان العائدين من أرجان مع أبى محمد ابن مكرم ومقامه بها مرتباً للأمور ثم جاءه أمر الله الذي لا يُدفع^(١) وورد المنهل الذي لا محيد للبشر عنه.

فلما انتهى الخبر إلى صمصام الدولة أنفذ أبا الطيب الفرخان بعد أن

١. والمثبت في مد: يدفعه.

استوزره لِسَدَّ مسدّه فورد ولم يكن منه ما ظنّ فيه. فبان منه العجز والقصور وتقاعد به الديلم وملك أصحاب بهاء الدولة السوس وجنديسابور. وعرف صمصام الدولة ما جرى فأنفذ الصاحب أبا علي ابن أستاذ هرمز وأصحابه مالا ففرّقه على الديلم وسار بهم إلى جنديسابور ودفع الأتراك عنها وجرت مع الأتراك وقائع كثيرة كانت اليد الطويلة لأبي عليّ فيها حتى أزاحهم عن بلاد [417] خوزستان وعادوا إلى واسط. فخلت له البلاد ورتّب فيها العمّال وجمع منها الأموال^(١) وتأمّل حال الاقطاعات بها. فجرى بين سيامرد بن بلجعفر وبين عامل لأبي عليّ تنازع في حدّ وارتفع النزاع فيه إليه فأرّبى سيامرد في القول بمجلسه فغاضه.

ذكر تدبير يدلّ على قوّة نفس وشهامة

أمر أبو عليّ أن يعمل عملاً بما في يد سيامرد وداود ولده وأبي^(٢) علي ابن بلعباس فاشتمل العمل على مائة ألف دينار وزيادة فأحضر الثلاثة المذكورين وكتّابهم للمواقفة ثم عدل بهم إلى حجرة وقبض عليهم وقيّدوا وأخرجوا بعد أيام على النفي إلى بلاد الديلم. وجعل إقطاعهم لخمسمائة رجل من الديلم الأصاغر وثلاثمائة رجل من الأكراد بعد أن أفرد منه شيئاً للخاص فتمكنت هيئته في الصدور وتضاعفت قوّته في الأمور وتألّف قلوب الديلم وراسل وجوه الأتراك الذين مع بهاء الدولة واستمالهم، فأجابه بعضهم وصار إليه من جملتهم قراتكين الريحي فعلاً عينه وقلبه بالإحسان. واستمرت أحواله على الانتظام والتمكن من أعمال خوزستان من غير

١. وفي الأصل الأتراك.

٢. وفي الأصل: أبا.

منازعة إلى أن عاد أبو محمد ابن مكرم والأتراك من واسط. فلما عرف أبو علي ابن أستاذ هرمز رجوعه استعد للحرب وجرت بينهم [418] مناوشات ووقائع. ولم يكن للغلمان قدرة على إزالة الديلم من قصبات البلاد وأشرفوا على الإنصراف ثانياً إلى واسط حتى خرج أبو علي ابن اسماعيل من البطيحة وسير بهاء الدولة من القنطرة البيضاء وكان من الأمر ما يأتي ذكره في موضعه.

وفيها كوتب أبو جعفر الحجاج بالمسير من بغداد لقصد أبي الحسن علي ابن مزيد وسار ابن ماسرجس من واسط لذلك.

ذكر ما جرى عليه الأمر مع أبي الحسن علي بن مزيد

كان علي بن مزيد قد استوحش من بهاء الدولة بسبب مال طولب به فكاشفه بالخطاب وانتسب إلى طاعة صمصام الدولة وأقام الخطبة له وأطلق لسانه بكل ما يوجب السياسة الإمساك عنه وانبسطت بنو أسد في الغارة على نواحي واسط.

فغاض بهاء الدولة فعلة وعرض من أمر المقلد ما استقل به عن غيره. فلما استقرت الحال معه كتب بهاء الدولة إلى أبي جعفر بالمسير إلى ابن مزيد من بغداد وسير أبا العباس ابن ماسرجس من واسط فاجتمعا.

واندفع أبو الحسن علي بن مزيد من بين أيديهما معتصماً بالآجام وتتبعاه فراسلهما واستعطفهما وسأل إصلاح أمره مع بهاء الدولة وبذل علي ذلك بذلاً. وكان الأمر قد ضاق بهما [419] في المقام وتعدّر عليهما وعلى العسكر نقل المير لبعدهم عن السواد فكاتبا بهاء الدولة في أمره وسألاه الصفع عنه وإقراره على ما يتولى الخدمة فيه، فأجاب إلى ذلك وسار أبو جعفر وابن ماسرجس إلى الكوفة. فأما أبو جعفر فإنه عاد إلى بغداد وأما ابن ماسرجس

فإنه أقام بالكوفة مستوحشاً، ثم صار إلى المقلد ومضى من عنده إلى البطيحة.

وفيها توفي فخر الدولة أبو الحسن علي بن ركن الدولة بالري.

ذكر ما جرى عليه الأمر بعد وفاة فخر الدولة

لما اشتدت العلة به أوصد إلى قلعة طبرك فبقى أياماً يعطل ثم مضى لسبيله. وكانت الخزائن جميعها مقفلة ومفاتيحها قد حصلت عند أبي طالب رستم ولده الملقب من بعده بمجد الدولة، فلم يوجد ليلة وفاته ما يكفّن به لقصور الأيدي عما في الخزائن وتعذر النزول إلى البلد لشدة الشغب حتى ابتيع له من قيم الجامع الذي تحت القلعة ثوب ألف به. وجاء من الشغل بالجنود ومطالبتهم العنيفة ما لم يمكن معه حطه سريعاً. فأراح حتى لم يمكن القرب من تابوته فشدّ بالحبال وجرّ على درجة القلعة حتى تكسّر وتقطع.

وذكر أنه خلف من العين والورق والجواهر سوى الثياب والسلاح والآلات ما يزيد على [420] عشرة آلاف ألف^(١) درهم فكان نصيبه من أمواله الثوب الذي كفن فيه وعاقبته من أيامه اليوم الذي حط فيه.

فما أقله من نصيب مبخوس وأشأمه من يوم منحوس فـ«ما أغنى عنه ماله وما كسب»^(٢) ثم رثه أعلم بما صار إليه من شقاوة أو حقوق^(٣) أو سعادة أو سومح.

ورث أبو طالب رستم ولده في الأمر وسنة إذ ذاك أربع سنين. فأخذت له البيعة على الجنود وأطلقت له الأموال الكثيرة حتى قيل: إن الأمر أعجلهم

١. والمثبت في مد: ألف ألف.

٢. س ١١١ المسد: ٢.

٣. حاقه في الأمر: خاصمه ورافعه.

عن حطّ المال من القلعة على رؤوس الرجال فحطّوه بالزبل والبكر والحبال. والوزيران يومئذ هما أبو العباس الضبّي المتلقّب بالكافي الأوحّد، وأبو علي ابن حمولة المتلقّب بأوحد الكفاة، وبينهما أشدّ عداوة. فبسط أبو علي ابن حمولة يده في اطلاق الأموال واستمالة الرجال. فمالت قلوب الجند إليه ووقعت أهواؤهم عليه وامتنع أبو العباس الضبّي عن مثل ذلك إلا أنّه معظم لمنزلته المتأثّلة وقدمه المتقدمة. فتجدّد من ورود قابوس بن وشمكير إلى جرجان واستيلائه عليها ما وقع الخوض في تدبير خطبه^(١).

ذكر عود قابوس إلى جرجان وما جرى الأمر معه عليه
كان فخر الدولة عند استقراره في الملك عزم على ردّ قابوس إلى أعماله قضاء [421] لحقّه ومقابلة على إحسانه، فصدّه ابن عبّاد عن رأيه وكثّر ارتفاعها في عينه فوقّر هذا القول في سمعه لشجّ مطاع كان في طبعه. فلمّا مات كتب أهل جرجان إلى قابوس وهو بنيسابور يستدعونّه، فصار إلى بلادهم وملكها وورد الخبر إلى الرئّ بذلك فجرت في ذلك منازعات في الرأى وكوتب بدر بن حسنويه بسببه.

ذكر جواب سديد لبدر خولف رأيه فيه

قال: إنّ الأمير الذي ورث هذا الملك حدث السن ولا ينبغي أن يضيع ماله وذخائره فيما لا تتحقّق عواقبه ومصايره والصواب أن تترك الأمر على حاله فإنّ يك نجيباً على ما عهد من خلاّق آبائه قدر على ارتجاع ما أخذ

١. أمّا الوزيران فليراجع إرشاد الأريب ١: ٧٣ وترجمة قابوس فيه أيضاً ٦: ١٤٣ (مد).

منه، وأن ضعف عن ذلك لم تكونوا جمعتم عليه [ذهاب] ماله وذهاب أعماله.»

فخالفوا رأى بدر وجردوا العساكر وأشار أصحاب أبي على ابن حمولة ونصحاؤه عليه بالخروج فى هذا الوجه واستصحب الخزائن والأموال وقالوا:

«إنك إذا حصلت بجرجان وملكتها كنت أميراً لا وزيراً وكانت الحاجة إليك داعية والآمال بك متعلقة وبعدت عن الحضرة التى أنت فيها مجاذب على المنزلة.»

وغبى [422] أن قاعدة غيره التى يبنى عليها أمره هى بتلك الحضرة وإلى من يزاحمه فى الرتبة يترقب به الفرصة فى نقصها، لكن هيهات قيامه عليها وإذا بعد عنها لسرعت اليد الهادمة إليها.

فعمل فيه قول هؤلاء النصحاء المجتمعين عليه وسار بالخزائن والأموال لأمر تسوقه المقادير اليه وحصل بين عدوين: أحدهما أمامه لا يعلم ما يكون منه معه، وآخر وراءه يقصد مقاتله.

ووافق قابوس وتضافاً فى الحرب. فما كانت إلا حملة واحدة من أصحاب قابوس حتى انهزم أصحاب أبي على ابن حمولة وغنم قابوس وأصحابه غنيمة كثيرة وعاد إلى جرجان. وثبتت قدمه بأحسن السيرة ورفع الرسوم الجارية والضرائب المأخوذة.

وعاد أبو على إلى الرى مفلولاً ووقع الشروع فى تجريد العساكر ثانياً إلى جرجان فقال أبو على:

«قد خرجت نوبة وهذه نوبة أبى العباس الضبى.»

وتردد فى ذلك قول كثير ثم أجمع رأى السيدة ورأى بدر بن حسنويه على صرف أبى على بن حمولة والقبض عليه.

ذكر ما جرى الأمر عليه في القبض

على ابن حمولة

حضر أبو عيسى سافري بن محمد كاتب بدر مظهراً تجديد العهد بالخدمة [423] واجتمعت الجماعة في دار الإمارة وخلوا في الحجرة الركنية لتقرير أمر من يخرج إلى جرجان. فاتفق أن ابن حمولة نهض لحاجة يقضيها فأتبع بمن عدل به إلى موضع في الدار وقُيّد وانصرف أبو العباس الضبي إلى داره وأبو عيسى إلى دار علي بن كامة وكانت برسمه وهي طرف البلد.

وشاع خبر القبض على ابن حمولة فثار الديلم وقصدوا دار أبي عيسى ليهاجموا عليه فهدم حائطاً منها إلى الصحراء وخرج منه وركب وتبعه أصحابه ووقف على قرب من البلد حتى أخرج إليه ابن حمولة فسار به إلى بلاد بدر وحبسه في بعض القلاع^(١) وأنفذ إليه من الرى بعد أيام من تولّى قتله.

وأقام الديلم على شغب ونهبوا دار أبي العباس وطالبوا بتسليمه واقتضت الحال عند تفاقم الأمر القبض عليه ففعل ذلك وحُمِل في عمارية وهو مقيد وقد أخرجت رجله منها ليشاهد القيد فيها بحضرة العسكر وأُصعد إلى قلعة طبرك.

وكان الجند قد همّوا بالفتك به وكفّ الله سبحانه وتعالى أيديهم عنه وألقى في قلوبهم هيبته منه. فلما حصل في القلعة راسل أكابر الديلم واستمالهم وأصلحوا له قلوب أصاغرهم واجتمعوا بعد ثلاثة أيام وتشاوروا بينهم وقالوا: قد مضى ذاك الوزير الذي قد فعلنا هذا الفعل لأجله ولا يجوز أن نتعوض

١. وفي إرشاد الأريب ١ : ٧٣ هي قلعة استوناوند (مد).

عن أبي العباس [424] مع رياسته الماثورة وكفايته المشهورة بغيره.
فصاروا إلى دار الإمارة وخاطبوا السيدة على ذلك فاستقرّ الرأي على
خروجه ونظره. فخرج في اليوم الرابع من القلعة وتلقاه الناس على طبقاتهم
بتقبيل الأرض واطهار السرور. وسيأتي ذكر ما جرى عليه أمره من بعد في
موضعه.

وفيها قبض المقلّد بن المسيّب على أخيه بالموصل.

ذكر القبض على عليّ بن المسيّب والإفراج عنه

وما جرى في ذلك من الخطوب في هذه

السنة وما بعدها ليتسّق الحديث

قد تقدّم ذكر ما تقرر بين عليّ والمقلّد في أمر الموصل والمشاركة فيها
وما وقع من الخلاف بين أصحابهما.

فلما عاد المقلّد من سقى الفرات إلى الموصل عزم على الفتك بأصحاب
أخيه. ثم علم أنّه متى فعل ذلك بهم فعل عليّ بأصحابه مثله، فقوى رأيه في
القبض على أخيه.

وكان مع المقلّد من الديلم والأكراد وغيرهم نحو ثلاثة آلاف رجل تطلق
لهم الأرزاق في كل شهر. فحين عزم على ما عزم عليه جمعهم إلى داره
وأظهر بأنّه يريد المسير إلى دقوقا [425] وحلفهم على الطاعة واستوثق
منهم.

ذكر الحيلة التي عملها المقلّد في ذلك

كانت دار المقلّد متصلة بدار عليّ ولم يكن مع عليّ إلا نحو مائة رجل
من خاصته فأمر بالنقب إلى الموضع الذي هو فيه في ليلة علم فيها أنّه

سكران ودخل إليه ومعه عدّة من خواصه فحمّله على ظهر أحد الفراشين وحصّله في خزانته ووكل به جماعة من غلمان الأتراك. واستدعى في الحال غلامين من البادية وسلّم إليهما فرسين جوادين وأرسلهما إلى صاحبه يقول لها:

- «إني قد قبضت على عليّ فخذي حذرك وأسرعى في الحال بولديك قرواش وبدران إلى تكريت فإنّ أحمد بن حمّاد صديقي وهو يدفع عنكم ولا تخلفي ما تخلفينه وراءك في الحلة قبل أن يعرف أخى الحسن الخبر فيبادر إليك ويقبض على ولديك.»

فكذّ الغلامان فرسيهما ركضاً وتقريباً^(١) ووصلا إلى تكريت في يومهما عند غروب الشمس وجلسا من تكريت في ركوة وانحدرا إلى موضع الحلة وكانت على أربعة فراسخ منها فأنذرا المرأة وأدّيا إليها الرسالة. فركبت فرساً وأركبت ولديها فرسين وهما يومئذ صغيران وساروا في الليل إلى تكريت فدخلوها. [426]

وعرف الحسن بن المسيب حال القبض على أخيه من غلام أسرع إليه من الموصل بالخبر فبادر الحسن إلى حلة المقلد ليقبض على ولديه وأهله وعنده أنّه يسبق إليهم ففاتوه وبطل عليه ما قدره من ذلك. وقام المقلد بالموصل يستدعى وجوه بنى عقيل ويخلع عليهم ويقطعهم إلى أن اجتمع عنده زهاء ألفى فارس.

وقصد الحسن حلل العرب بأولاد عليّ وحرمه يستغيثون ويستنفرون ويقولون:

- «إنّ المقلد قطع الرحم وعادى العشيرة وقبض على أميرها وانحاز إلى

١. التقريب: ضرب من العدو دون الإسراع.

السلطان» فنفر منهم نحو عشرة آلاف رجل وراسل المقلد وقال :
 - «إنك قد احتجزت عنا بالموصل وأقمت فإن كان لك قدرة على
 الخروج فاخرج.»

فأجابه بأنه يخرج ولا يتأخر وسار على أثر الرسول وأخرج معه علياً
 أخاه في عمارية وهو محروس في نفسه مراعى في أحواله إلا أنه مستظهر
 عليه بالتوكيل.

وقرب من القوم حتى لم يبق بين الفريقين إلا منزل واحد بإزاء العليث
 وجد في أمر الحرب فحضره وجوه العرب واختلفت آراؤهم فقوم دعوه إلى
 الصلح وصلة الأرحام وقوم حضوه على المضى والإقدام.

وكان في القوم غريب ورافع ابنا محمد بن مقن فتنازعا القول عند المقلد
 وظهر من رافع حرص على الحرب وخالف غريب^(١).

ذكر كلام سديد لغريب [427]

قال لرافع :

- «ما قولك هذا بقول ناصح أمين ولا ناصر معين. فإن كنت في هذا
 الرأي عليه فقد أخفرت الأمانة وأظهرت الخيانة وإن كنت معه فقد سعت
 في تفريق الكلمة وهلاك العشيرة وإطماع السلطان.»

والمقلد ممسك لا يتنفس^(٢) فدخل عليه داخل وقال له :

- «أيها الأمير هذه اختك رهيلة بنت المسيب - وكانت عند جعفر بن علي
 بن مقن - قريبة منك تريد لقاءك.»

١. وأما غريب ففي إرشاد الأريب ٢ : ١٠٣ أنه كان بعد الأربعمئة صاحب البلاد العليا تكريت
 ودجيل وما لاصقها (مد).

٢. يريد لا ينفس (مد).

فامتدت الأعين إليها فإذا هي في هودج على بعد. فركب المقلد وسار حتى لحق بها وتحادثا طويلاً ولا يعلم أحد ما جرى بينهما إلا أنه حكى فيما بعد أنها قالت له :

- «يا مقلد قد ركبت مركباً وضعياً وقطعت رحمك وعققت ابن أبيك. فراجع الأولى بك وخلّ عن الرجل واكفف هذه الفتنة ولا تكن سبباً لهلاك العشيرة. ومع هذا فإنني أختك ونصيحتي لاحقة بك ومتى لم تقبل قولي فضحتك وفضحت نفسي بين هذا الخلق من العرب.»

فلان في يدها ووعدتها بإطلاق عليّ وعاد في وقته. فأمر بفك قيده وردّ عليه جميع ما كان أخذه منه وأضاف إليه مثله ورتّب له مخيماً جميلاً ونقله إليه واستكتب له أبا الحسن ابن أبي الوزير وجعله عيناً عليه متصرفاً على أمره بين يديه.

فأصبح الناس مسرورين بما تجدد من الصلح وزال من الخلف واجتمع المقلد مع علي وتحالفا ومضى علي [428] عائداً إلى حلّته والمقلد سائراً إلى الأنبار لقصد أبي الحسن علي بن مزيد ومقاتلته. فقد كان تظاهر بمعصية علي حين قبض عليه المقلد وطرق أعمال سقى الفرات واجتذب شيئاً منها.

ولما انفصل علي بن المسيب اجتمع إليه العرب وحملوه على مباينة المقلد فامتنع عليهم وقال :

- «إن كان قد أساء فإنه قد أحسن من بعد.»

فما زالوا حتى غلبوه علي رأييه وأصعد إلى الموصل مبايناً واعتصم من كان معه من أصحاب مقلد بها بالقلعة فنازلها وفتحها واستولى علي ما كان فيها.

فطار الخبر إلى المقلد فكرّر راجعاً واجتاز في طريقه علي حلّة الحسن وهو فيها فخرج إليه وشاهد من قوة عسكره ما خاف علي أخيه منه فقال

له :

- «دعنى أصلح ما بينك وبين أخيك وأضمن لك العهد فيما تريد منه». ورفق به حتى استوقفه وسار فى الوقت إلى على من غير أن يعود إلى حلته فوصل إليه آخر النهار وقد جهد نفسه وفرسه وقال لعلى :

- «إنّ الأعور قد أقبل بقضه وقضيضه وأنت غافل».

ثم شاوره فأشار عليه أن يستميل كل من بالموصل من أهالى الجند الذين هم فى جملة المقلد ويضعهم على [توسط]^(١) ما كان بينهم واستمالتهم فإن قبلوا وفارقوا المقلد قاتله وإن امتنعوا وأقاموا معه صالحه ففعل ذلك.

وكان المقلد قد قرب من الموصل وبات وهو متيقظ قد رتب الطلائع فظفر يقوم قد وردوا بالمطافات إلى أصحابه فحملوهم إليه [429] ووقف على ما معهم من الكتب فأصبح وقد عبى^(٢) عسكره وزحف إلى الموصل وأيس على والحسن من فساد جند المقلد عليه فخرج إليه ولاطفه^(٣) ثم دخل البلد وعلى عن يمينه والحسن عن شماله.

وناوش العرب بعضهم بعضاً طلباً للفتنة فخرج الحسن حلاً وأرهب قوماً وحسم الفتنة وحصل جميع الناس بالموصل على صلح.

ثم خوف على من المقام فخرج هارباً فى الليل وتبعه الحسن وترددت الرسل بينهما وبين المقلد واستقر أن يكون دخول كل واحد منهما البلد عن غيبة الآخر وجرت الحال على ذلك إلى بقية سنة تسع وثمانين وثلاثمائة.

وسار المقلد إلى الانبار ممضياً^(٤) لما كان عزم عليه من حرب على بن

١. ما بين المعقوفتين زيادة من مد.

٢. والمثبت فى مد: عبىء. والأصح: عبأ.

٣. يريد: فخرجا إليه ولاطفاه.

٤. والمثبت فى مد: ممصيا، بالصاد المهملة.

مزيد فدخل بلده واندفع على بن مزيد إلى الرصافة ولجأ إلى مهذب الدولة فقام بأمره وتوسط ما بينه وبين المقلد حتى أصلحه وانصرف المقلد إلى دقوقا ففتحها.

وعدل إلى تدبير أمر الحسن أخيه فإن علياً مات في أول سنة ٣٩٠ وقام الحسن في الامارة مقامه.

فجمع المقلد بنى خفاجة بحلهم وبيوتهم وأصعد بهم إلى نواحي برقعيد يظهر طلب بنى نمير ويبطن الحيلة على أخيه.

وعرف الحسن خبره فخاف ومضى في السرّ هارباً على طريق سنجار إلى العراق فأسرى خلفه طمعاً في اللحاق بفاته. وعاد المقلد إلى الموصل وأقام بها ثلاثة [430] أيام وانحدر يقص آثاره فمضى الحسن إلى زاذان واعتصم بالعرب النفاضة وتمم المقلد إلى الأنبار وعادت خفاجة معه. فاتفق في أمره ما سيأتي ذكره في موضعه إن شاء الله.

وفيه عاد الشريف أبو الحسن محمد بن عمر إلى بغداد نائباً عن بهاء الدولة.

وفيه استكتب ولد أبي الحسن ابن حاجب النعمان للأمير أبي الفضل ابن القادر بالله رضي الله عنهما وجلس الأمير أبو الفضل وسنّه يومئذ خمس سنين فدخل إليه الناس وخدموه.

ودخلت سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة

وفيه هرب عبد الله بن جعفر المعروف بابن الوثاب

من الاعتقال في دار الخلافة

شرح حاله وما انتهى إليه أمره بعد هربه

هذا الرجل كان يقرب بالنسب إلى الطائع لله وكان مقيماً في داره. فلمّا

قبض عليه وخلع من الأمر هرب هذا وتنقل في البلاد وصار بالبطيحة وأقام عند مهذب الدولة فكاتبه القادر بالله رضوان الله عليه في أمره [431] فأخرجه من بلده.

ثم صار إلى المدائن منتقلاً فأنتهى إلى القادر بالله خبره فأنفذ من اعترضه وأخذه مقبوضاً عليه وحبس في بعض المطامير.

فأمكنه فرصة في الهرب من موضعه فهرب ومضى إلى كيلان^(١) وادّعى أنه هو الطائع لله وذكر لهم علامات عرفها بحكم أنسه بدار الخلافة فقبلوه وعظّموه وزوّجه محمد بن العباس أحد أمرائهم ابنته وشدّ منه وأقام له الدعوة في بلده وأطاعه أهل نواح آخر وأدوا إليه العشر الذي جرت عادتهم بأدائه إلى من يتولى أمرهم في دينهم.

وورد من هؤلاء الجيل إلى بغداد قوم وصلوا إلى حضرة القادر بالله رضى الله عنه، فأوضحت لهم حقيقة الحال وكتب على أيديهم بإزالة الشبه فلم يقدح ذلك فيه لاستقرار قدمه واعتضاده بحميه.

وكان أهل جيلان يرجعون إلى القاضي أبي القاسم بن كج^(٢) في أمور دينهم وفتاويهم في أحكامهم وله وجاهة عندهم فكتب من دار الخلافة ورسم له مكاتبتهم بما يزيل الشبهة عن قلوبهم في أمر عبد الله بن جعفر. فكتب إليهم وصادف قوله قبولاً منهم وتقدّموا إلى عبد الله بالإنصراف عنهم فانصرف.

وفيها أصعد أبو على ابن اسماعيل من البطيحة إلى حضرة بهاء الدولة فانصرف الشريف أبو الحسن محمد بن عمر من بغداد مستوحشاً وعاد إلى البطيحة. [432]

١. كيلان: جيلان (كما يأتي في سياق الحديث).

٢. هو أبو يوسف بن أحمد بن كج الدينوري، كان يضرب به المثل في حفظ مذهب الشافعي، كما جاء في تاريخ الإسلام (مد).

ذكر الحال في حصول أبي علي ابن اسماعيل

بواسطة ناظرًا وما جرى عليه أمر

الشريف أبي الحسن ابن عمر معه

قد تقدّم ذكر ما جرى عليه أمره في استتاره ثم تنقّل من موضع إلى موضع حتى حصل بالبطيحة وعرض له مرض حدث به منه استرخاء في مفاصله وصار إلى قرية ابراهيم يطلب صحة الهواء بها.

وراسل وروسل وكان بهاء الدولة جميل النية فيه وانضاف إلى ذلك قصور المواد عنه وخروج البلاد عن يده واحتياجه إلى من يدبّر أمره واستقرّ النظر لأبي علي وأصعد إلى واسط. فلمّا حصل بها استوحش الشريف أبو الحسن ابن عمر وانصرف من بغداد إلى حلّة مقلّد ورثب أبا الحسن ابن اسحق كاتبه في ضياعه بسقى الفرات وتمم إلى البطيحة.

وشرع أبو علي ابن اسماعيل في تتبع أسباب الشريف أبي الحسن وأخرج ثلاثة من المتصرفين لقبض أملاكه ومعاملاته وتحصيل أمواله وغلاته. فنظروا فيما كان له ببغداد دون ما كان له بسقى الفرات. فإنّ المقلّد دفعهم عنها ومكّن أبا الحسن ابن اسحق كاتب ابن عمر منها فكان يتناول ارتفاعها [433] وبجمله إليه وهو بالبطيحة فلمّا انصلح ما بين الشريف أبي الحسن وبين أبي علي ضمن منه المتصرفين الثلاثة بمال بذله عنهم وأطلق يده فيهم وكان ذلك لوّماً منه فما المؤتمر بالظلم بأظلم من الأمر.

ذكر السبب في صلاح ما بين الشريف أبي الحسن

محمد بن عمر وأبي علي ابن اسماعيل

كان أبو الحسن ابن يحيى السابسي سعى في الصلح بينهما وانحدر إلى

البطيحة وخلا بالشريف أبي الحسن ابن عمر وقال له :
 - «أيها الرجل مالك والتطرح والتشيث كلما تجدد ناظر ووزير مغرراً
 بنعمتك ونعمنا في معاداة من لا تصلح لموضعه ولا يصلح لموضعنا؟ وهذا
 أبو علي مخايل سعادته لائحة فسالمه ودعني أتوثق لكل واحد منكما من
 صاحبه.»

ولم يزل به حتى لانت عريكته للقبول.
 واتفق أن مهذب الدولة تنكر على أبي علي ابن اسماعيل بسبب تمور
 كانت لابن الحداد صاحبه فاستقصى أبو علي في استقضاء ضريبتها بواسط
 فأطلق مهذب الدولة لسانه فيه، ومهذب الدولة يومئذ بحيث يحتاج إليه
 الملك ومن دونه، فانحدر أبو علي إليه لاستلال سخيمته واستصلاح نيته،
 وتقدمه أبو الحسن ابن يحيى السابسي وقال للشريف أبي الحسن ابن عمر :
 - «قد ورد أبو [434] علي وأمكنك الفرصة في إصلاح الحال.»

وأشار عليه بتلقيه وقضاء حقه. فتلکاً قليلاً ثم فعل ونزل في زبزه وصار
 إلى أبي علي. فلما صعد إليه أكرمه وقام له وأجلسه إلى المخدتين وحضر أبو
 نصر سابور فجلس إلى جانب أبي علي عن يمينه وسلم كل واحد منهما
 على صاحبه وسأله عن خبره ثم قام الشريف.
 وانحدر أبو علي إلى مهذب الدولة واجتمع معه واعتذر إليه وأخذ معه منه
 خمسة آلاف دينار على وجه القرض وخرج من عنده إلى داره التي كان
 نزلها قبل الإصعاد.

وجاء أبو الحسن ابن يحيى إلى الشريف وألزمه العود إليه وقال له :
 - «تلك النوبة كانت للتلقي وهذه للصالح وتقرير القاعدة.»
 فمضى إليه وتقرر بينهما علي أن التزم الشريف عشرين ألف دينار وحلف
 كل واحد منهما لصاحبه على الصفاء والوفاء.

وكان الشريف أبو الحسن قد استوثق قبل ذلك من بهاء الدولة بيمين كتبها له بهاء الدولة بخطه واستظهر بأخذ خط مهذب الدولة في آخرها يقول :
 - «إنّ الوفاء للشريف مقرون بالوفاء لى والغدر به معقود بالغدر بى، ومتى عدل به عن العهود المأخوذة فلا عهد لبهاء الدولة فى عنقى ولا طاعة على». والتفت أبو على إلى تقرير أمر أبى نصر سابور فواقفه على الإصعاد وآمنه من بهاء الدولة ومن كل ما يتخوفه وقرر أمر أبى غالب محمد بن على ابن خلف [435] وغيره ممن كان قد بعد خوفاً على خمسة آلاف دينار فحصل معه من هذه الوجوه ثلاثون ألف دينار.

وعاد إلى واسط وفى صحبته الشريف أبو الحسن وأبو نصر سابور وجماعة من كان بالبطيحة من المتصرفين وسكنت الجماعة إلى صدق وعد أبى على وصحة عهده ولقب بالموفق. وأشار على بهاء الدولة بالمسير إلى خوزستان ومباشرة الخطب بنفسه وجذّ فى تجريد العساكر فخالفه أبو عبد الله العارض فى هذا رأى وقال :

- «إنّ الملوك لا تغرّر ولا تخاطر ولا تضمن لها العاقبة فى أمثال ذلك.»

ذكر ما دبره أبو على فى نصرة رأيه

أرسل إلى الشريف أبى الحسن وقال : إنى صائر إليك فى هذه العشية. وكانت فى شهر رمضان ثم صار إليه ومعه أبو العلاء الإسكافى خاله وأبو نصر سابور فأفطروا عنده ثم خلوا وخامسهم السابسى. فقال أبو على لأبى الحسن ابن عمر :

- «قد علمت أيها الشريف ما عليه أمر هذا الملك من الاختلال وقصور المادة به وخروج البلاد عن يده وإننا من هذه الحروب والمطاولة على خطر، ومتى لم يمدد اصحابنا - يعنى أبا محمد ابن مكرم والغلمان الذين معه

- [436] بالمال لم يشبتوا، وإن عادوا فقد سلموا الدولة وإذا أمددناهم ضاق الأمر بهذا الملك ولم يكن له بدّ من مدّ اليد إلى مالك ومال ابن عمك هذا - وأشار إلى أبي الحسن السابسي - ومال كل ذي ثروة، ولم يدفع عنكم ولا عنّا دافع وإن ساعدتني على ما أشير به من مسير بهاء الدولة بنفسه كُنّا بين أن يأتي الله بنصر، فقد بلغنا المراد أو يقضى الله بغير ذلك فقد أبلينا العذر وبذلنا الاجتهاد. وفي غد تستدعي إلى الدار وتشاور فيما قلته. فإن ضربته فقد استرحت منا ببعدنا عنك وعسى الله أن يأذن بالفرج وإن ملت إلى من يشير بخلاف هذا الرأي، فالحال تفضي والله إلى ما حسبه لك..»
فقال الشريف :

- «كل هذا صحيح إلّا أنّ المشورة القاطعة على الملوك بمثل ذلك لا تؤمن عواقبها ولكن سأتلطف فيما تريده..»
فانقضى^(١) المجلس.

واستدعى الشريف في صبيحة تلك الليلة إلى حضرة بهاء الدولة وجمع وجوه الأولياء وشوورت الجماعة في خروج بهاء الدولة بنفسه فقال الشريف :

- «إنما جعل الله الملوك أعلى منّا يداً وأفضل تأييداً بما خصّهم^(٢) من الرأي الصائب والنظر الثاقب وإذا كان الملك قد عزم على التوجه بنفسه، فאלله تعالى يقرن ذلك بالخير^(٣) والسعادة ويجعله سبباً لنيل الإرادة..»
فقال أبو علي ابن اسماعيل :

- «أتبها الملك فقد وافق الشريف رأيي ولم يبق إلّا إمضاء العزيمة

١. لعله : فانقض.

٢. وما في مد : خصه.

٣. وما في مد : الخيرة.

وتقديمها.»

وتفرّق الناس [437] على ذلك.

ذكر مسير بهاء الدولة من واسط

إلى القنطرة البيضاء

لما استقرّ الأمر على المسير بدأ أبو علي بإخراج أبي الحسن محمد بن عمر وأبي نصر سابور وأبي نعيم الحسن بن الحسين إلى بغداد على أن يكون إلى أبي الحسين حفظ البلد وإلى أبي نصر ملاحظة الأمور وإلى أبي نعيم جمع المال وإقامة وجوه الأقساط.

ثم جدّ في تسيير بهاء الدولة وتحصيل ما يزجي به الأمر من الآلات والظهور حتى استعان ببغال الطحانيين وسار على اختلال في أهفته واقلال من عدّته، حتى نزل الموضع المعروف بالقنطرة البيضاء. وثبت أبو علي ابن أستاذ هرمز بإزائه وجرت بين الفريقين وقائع كثيرة وضاق ببهاء الدولة وبعسكره الميرة فاستمد من بدر بن حسنويه فامدّه بدر بما قام ببعض الأود وأشرف الأمر على الخطر.

ووجد أعداء أبي علي بن اسماعيل مجالاً في الطعن على رأيه بتعريض الملك وأوغر صدر بهاء الدولة عليه حتى كاد يبطش به. فتجدد من خروج ابني بختيار وقتل صمصام الدولة ما يأتي ذكره وجاء من الفرج ما لم يكن في الحساب وانقلب الرأي الذي كان خطأ إلى الصواب [438]

رُبَمَا تَجْزَعُ النَّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ سِرُّهُ فُرْجَةٌ كَحَلِّ الْعَقَالِ

فاجتمعت الكلمة على بهاء الدولة ودخل أبو علي ابن أستاذ هرمز ومن

معه من الديلم في طاعته، وسيأتى شرح ذلك من بعد بمشيئة الله تعالى.
 وفيها جلس القادر بالله رضوان الله عليه للرسولين الواردين من أبي طالب
 رستم بن فخر الدولة وأبي النجم بدر بن حسنويه وكنى أبا النجم بدرًا، ولقبه
 نصرة الدولة، وعهد لأبي طالب على الرى وأعمالها وعقد له لواء، وحمل إليه
 الخلع السلطانية الكاملة، وعهد لبدر على أعماله بالجبل وعقد له لواء،
 وحمل إليه الخلع الجميلة. وذلك بسؤال بهاء الدولة وكتابه.
 فأما مجد الدولة فإنه لبس الخلع وتلقب، وأما بدر فإنه كان سأل أن يلقب
 بناصر الدولة. فلما عدل به عنه إلى نصرة الدولة توقف عن اللقب. ثم أجيب
 فيما بعد سؤاله فلقب بناصر الدين والدولة، فقبله وكتب وكوتب به.
 وفيها حدثت بفارس أمور كانت سبباً لانتقاض ملك صمصام الدولة وقتله
 في آخرها.

شرح الحال في الأمور التي أدت إلى قتل صمصام الدولة

قد تقدّم ذكر ما كان العلاء بن الحسن اعتمده بعد تلك النكبة التي صار
 بها [439] موترًا من السعي في هلاك الدولة بإطماع الجند وإيجاب الزيادات
 التي تضيق المادة عن القيام بها. ثم مضى لسبيله وقد اضطربت أمور صمصام
 الدولة وطال تيسط الديلم عليه وقصرت موارده عمّا يرضيهم به.
 فامتدت عيونهم إلى إقطاع السيدة والرضيع والحواشى. فبدأ الديلم الذين
 كانوا بفسا وطالبوا عاملها بما استحقّوه وألزموه مدّ اليد إلى الإقطاعات
 للمذكورين وإرضائهم بها. فأبى عليهم فثاروا وشغبوا وحملوه إلى باب شيراز
 على غضب وشغب. فلم يقدم أحد من أصحاب صمصام الدولة على الخروج
 إليهم وأقاموا ثلاثة أيام ثم قتلوا العامل وذكروا الحواشى بما أزعجهم، فبعدوا

عن مواضعهم خوفاً منهم.

وخرج صمصام الدولة بنفسه إليهم فلقوه بالغلظة ولقيهم بالرفق واشتدوا عليه ولان لهم وأجابهم إلى ملتمساتهم وسكنوا وعادوا إلى مواضعهم بنفسا^(١) فاستولوا على إقطاعات الحواشي جميعها.

ومضت على ذلك مدة وزاد الأمر على صمصام الدولة في انقطاع المواد عنه واجتماع الديلم عنده ومطالبتهم له، فضاقت بهم ذرعاً.

ذكر رأى خطأ لم تحمد عواقبه [440]

أشار على صمصام الدولة نصحاؤه بعرض الديلم في جميع الأعمال وإمضاء كل من كان صحيح النسب أصيلاً وإسقاط كل من كان متشبهاً بالقوم دخيلاً والاتساع بما ينحل من الإقطاعات عنهم بهذا السبب فعمل هذا القول فيه وعزم على العمل به وتقدم إلى مديري أمره بذلك فقبل له: إن ديلم فسا يتميزون بكثرة العدد وشدة البطش ولا يقدر على عرضهم إلا أبو جعفر أستاذ هرمز بن الحسن فإن له معرفة بالأنساب والأصول وهيبة في العيون والقلوب.

فاستقر الأمر على استدعائه من كرمان وإخراج أبي الفتح أحمد بن محمد بن المؤمل ليقوم مقامه بها ففعل ذلك وعاد أبو جعفر فأخرج إلى فسا. فلما حل بها وأظهر ما رسم له وبدأ بالعرض ومسير^(٢) الصفاء من الوباش. فما استتم العرض حتى سقط بها ستمائة وخمسين رجلاً وفعل أبو الفتح ابن المؤمل مثل ذلك فأسقط نحو أربعمائة رجل.

وحصل هؤلاء المسقوطون^(٣) وهم أرباب أحوال وأولو قوة وبأس

١. وفي الأصل: نفسا.

٢. لعله: وميز.

٣. كذا في مد: المسقوطون، بدل «المسقطين».

متشردين متلددين يطلبون موضعاً يقصدونه ومنشراً^(١) يصعدونه.

واتفق أن ابني بختيار وهما أبو القاسم اسبام وأبو نصر شهبيروز قد خدعا الموكلين بهما في القلعة، فساعدهما وأفرجوا عنهما فجمعا إلى نفوسهما من لفيف الأكراد [441] من قوى به جانيهما واتصل خبرهما بمن^(٢) أسقط من الديلم فصاروا إليهما فوجاً بعد فوج.

فلما استحكم أمرهما سارا لأخذ البلاد وصار أبو القاسم اسبام إلى أرجان فملكها ودفع أصحاب صمصام الدولة عنها وتردد أبو نصر شهبيروز في الأعمال مستمداً للأموال ومستملاً للرجال.

وتحير صمصام الدولة في أمره ولم يكن بحضرته من ينهض بالتدبير ليقضى الله أمراً سبق في التقدير.

وكان أبو جعفر أستاذ هرمز مقيماً بفسا على ما تقدم ذكره. فلما تجدد من ابني بختيار ما تجدد اجتمع إليه نسوة من نساء أكابر الديلم المقيمين بخوزستان عند أبي علي ولده وكنَّ يجرين مجرى الرجال في قوة الحزم وأصالة الرأي والمشاركة في التدبير.

ذكر رأي سديد أشرن به على

أبي جعفر فلم يقبله

قلن له :

«أنت وولدك^(٣) اليوم صاحبا هذه الدولة ومقدماتها، وقد لاحت لنا أمور نحن مشفقات منها ومعك مال وسلاح، وإنما يراد مثل ذلك للمدافعة عن النفس

١. لعله : ونشراً.

٢. وفي الأصل : ثم.

٣. وفي الأصل : ووالدك. والمراد به هو ابنه أبو علي الحسن عبيد الجيوش.

والجاء. فالصواب أن تفرّق ما معك على هؤلاء الديلم [442] الذين هم عندك وتأخذهم وتمضي إلى شيراز وتسير صمصام الدولة إلى الأهواز وتخلصه من الخطر الذي قد أشرف عليه. فإنك إذا فعلت ذلك أحيت الدولة وقضيت حق النعمة وتقربت الرجال إلى قلوب رجالنا المقيمين هناك. ومتى لم تقبل هذه المشورة وثب هؤلاء الديلم عليك ونهبوك وحملوك إلى ابني بختيار، فلا المال يبقى ولا النفس تسلم.»

فشخّ أستاذ هرمز بما معه وغلب عليه حب المال فغطى على بصيرته حتى صار ما أخبر به حقاً: فنهب داره واصطبله ونجا بنفسه واستتر في البلد، فدلّ عليه وأخذ^(١) وحمل إلى ابن بختيار ثم احتال لنفسه فخلص من يده.

ذكر ما جرى عليه أمر صمصام الدولة بعد خروج

ابني بختيار إلى أن قتل

لما أظلم من أبي نصر ابن بختيار ما لا قوام له به، أشار عليه خواصه ونصحاؤه بصعود القلعة التي على باب شيراز وقالوا له:

«إنك إذا حصلت فيها تحصّنت بها، وكان لك من الميرة والمادة ما يكفيك الشهر والشهرين ولم تخل من أن ينحاز إليك من الديلم من يقوى به أمرك.»

فعزم على ذلك وحاول الصعود [443] إليها فلم يفتح له المقيم فيها، فازداد تحيراً في أمره. فقال له الجند وكانوا ثلثمائة رجل:

«نحن عدّة وفيينا قوة ومنعة وينبغي أن تقعد أنت ووالدتك في عمارية

١. وفي الأصل: واحد.

لنسير بك إلى الأهواز ونلحقك بأبي على ابن أستاذ هرمز وعسكرك المقيمين معه ومن اعترضنا في طريقنا دافعنا برؤسنا عنك وبذلنا مهجتنا دونك.» فقال الرضيع :

« هذا أمر فيه غرر. والوجه أن نستدعي الأكراد ونتوثق منهم ونسير معهم. »

فمال إلى هذا الرأي وراسل الأكراد واستدعاهم وتوثق منهم وخرج معهم بخزينته وجميع ذخائره فلما بعدوا عن البلد عطفوا عليه ونهبوا جميع ما صحبه وكادوا يأخذونه فهرب وصار إلى الدودمان على مرحلتين من شیراز. وعرف أبو نصر ابن بختيار خبر انفصاله فبادر إلى شیراز ونزل بدولتآباد وطمع طاهر الدودمانى رئيس القرية فى صمصام الدولة واستظهر عليه إلى أن وافى أصحاب ابن بختيار فأخذوه وقتلوه وذلك فى ذى الحجة سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، وكانت مدة عمره خمساً وثلاثين سنة وسبعة أشهر.

وما أقلها من مدة وأسوأها من عاقبة أمر! فلقد كانت حلاوة دولته يسيرة ومرارة مصائبه فى ملكه ونفسه كثيرة، فما وفى شهبه بصابه [444] ولا عوافيه بأوصابه، ولم يكن له فى أيامه يوم زاهر ولا من ملكه نصيب وافر:

وإنَّ امرأَةً كَبِيرَةً هَمَّتْ لِمُسْتَمْسِكِ مِنْهَا بِحَبْلِ غُرُورٍ

وقبض على والدته وعلى الرضيع وقوم من الحواشى. وجاءت امرأة من الدودمان تسمى فاطمة فغسلت جثته وكفنتها ودفنتها وأحضر رأسه فى طست بين يدي أبي نصر ابن بختيار. فلما رآه قال مشيراً إليه :

« هذه سنة [سَنَها] ^(١) أبوك. »

١. زيادة من مد، يقتضيها السياق.

وأمر برفعها.

وأما والدته، فإنها سلمت إلى لشكرستان كور فطالبها وعذبها فلم تعطه درهماً واحداً، فقتلها وبنى عليها دكة. وأما الرضيع، فإنه قتل بعد ذلك وبعد أن صودر واستصفى ماله.

ودخلت سنة تسع وثمانين وثلاثمائة

دخول ابن أستاذ هرمز

والديلم في طاعة بهاء الدولة

وفيها دخل أبو علي ابن أستاذ هرمز والديلم في طاعة بهاء الدولة واجتمعت الكلمة عليه وملك شيراز وكرمان فاستتب أمورهم واستقامت أحوالهم واستقرت دولته واهتزت سعادته.

شرح ما جرى عليه الحال في ذلك [445]

قد تقدم ذكر نزول بهاء الدولة بالقنطرة البيضاء. وتكرر الوقائع بين الفريقين وأقام بهاء الدولة شهرين وأكثر يطلب مناجزة الديلم وهم يقصدون مدافعتهم ومحاجزته وطال الأمر بينهم.

وكان أبو علي ابن اسماعيل الملقب بالموفق، يباشر الحرب ويتولى التدبير وكان معه مناح صاحب محمد بن عباد مع مائة فارس من الساندجان. فرتبهم في الطلائع وأمرهم أن يقتصوا أمر كل من يخرج من السوس أو يدخلها فيأخذوه.

وضاق الأمر بالديلم من هذا الحصار وببهاء الدولة من تعذر المسيرة وتطاول الأيام، وأشرف على العود حتى إنه لو تأخر ما تقدم من أمر ابني بختيار وقتل صمصام الدولة لانهزم بهاء الدولة.

ذكر حيلة رتبها أبو علي ابن أستاذ هرمز برأيه فكشفها

أبو علي ابن اسماعيل بالمعيتة ودهائه

وكان بهاء الدولة وكّل رجاله الفرس لأخذ من يوجد في الجواد فظفروا

برجل معه زنبيل دستنبوا^(١) فحملوه إلى المعسكر وسئل عن أمره فقال :

- «أنا عابر سبيل أتعيش بحمل هذا المشموم من موضع إلى

موضع.» [446]

فهدد وخوّف حتى أقرّ بأنه رسول الفرخان إلى صاحب أبي علي ابن

أستاذ هرمز بملطف معه :

- «إنّا سائرون من طريق عند قرب وصولنا فتصمد للقاء القوم.»^(٢)

فلما وقف بهاء الدولة على ذلك قلق قلقاً شديداً وقال :

- «كل من يطعن علي رأى [أبي] علي ابن اسماعيل ويعاديه.....»^(٣) وإن

قصدنا من هذا الجانب فقد حصلنا في أيدي القوم أسارى وأعوزنا الهرب

وضاق بنا المذهب.»

فتابع بهاء الدولة الرسل إلى أبي علي ابن اسماعيل وكان في الحرب

يستدعيه فحين حضر أعلمه الحال وأعطاه الملطف فلما قرأه قال :

- «هذا محال.»

وخرج من بين يديه وأحضر الرجل المأخوذ وقال له :

- «اصدقني.»

وعاصه بالجميل فلم يزد على القول الأوّل. فأمر بشده وعمد إليه بدبّوس

١. كذا في مد : دستنبوا (بالألف). أصله الفارسي : دستنبو (بدون الواو).

٢. العبارة مضطربة.

٣. بياض في مد.

فضربه بيده ضرباً مفرطاً فلما برّح به الضرب قال :

- «خلونى أصدقكم: أنا رجل من أهل السوس استدعاني أبو على ابن أستاذ هرمز وسلم إليّ هذا الملقف وقال لى : امض وتعرّض للوقوع فى أيدي أصحاب بهاء الدولة. فإذا وقعت وسئلت عن أمرك فقل: إني رسول الفرخان إلى صاحب ومعى هذا الملقف. وأصرر على قولك وأصبر للمكروه إن أصابك، فإني أحسن إليك.»

فعاد أبو على ابن اسماعيل إلى حضرة بهاء الدولة وأخبره بالصورة وأنها منصوبة. [447] فسكن قليلاً وقال للحواشى :

- «إنّ القول الأوّل هو الصحيح وإنّ الضرب والمكروه أحوجا الرجل إلى هذا القول الثانى.»

ذكر حزم اعتمده أبو على ابن اسماعيل

فى تلك الحال

رأى أنّ الأخذ بالحزم أصوب على كل حال، وأنفذ ابن مكرم وألفتكين الخادمي مع عدد من الأتراك إلى دُستر وأمرهما بالنزول على الوادى للمنع حتى إن حضر من يحاول العبور دفعا فسارا إلى حيث أمرهما وخيما به وأقاما أياماً ووافى تخرشيد بن باكليجار^(١) [و] الكوريكى فى عدة كثيرة من الديلم والرجالة فتقدّم ابن مكرم وألفتكين إلى أصحابهما بقلع الخيم والتحمل. لأنّ عدّتهم كانت قليلة وساروا حتى غابوا عن مطرح النظر. ثم كمن ألفتكين الخادمي والغلمان فى بعض المكامن إلى أن عبر الديلم والرجالة وحصلوا معهم على أرض واحدة فحمل ألفتكين وصاح الغلمان وارتفع الغبار وظنّ

١. فى الأصل : باكجار.

القوم [أنهم]^(١) في عدد كثير فتواقعوا في الوادي منهزمين وقتل خسرشيد والكوريكي وجماعة من أصحابهما.

وكان ذلك في اليوم الذي انصلح ما بين الديلم والسوس وبين بهاء الدولة ووقع التحالف ووصل من غد وقد اختلط الفريقان.

وأما [448] ما جرى عليه الأمر في دخول الديلم في طاعة بهاء الدولة، فإن أبا عليّ ابن اسماعيل كان قد اعتمد ما يعتمد من الرأي الأصيل وشرع في استمالة قوم من العسكر إلى طاعة بهاء الدولة.

وترددت بينه وبين شهرستان مراسلات بوساطة بهستون بن ذرير وقرّر الأمر في اجتذابه وإمالته. ثم اتفق أن المعروف بمناح الكردي المرتّب في الطلائع ظفر بركابيّ ورد من شیراز فأخذه وأحضره عند أبي عليّ ابن اسماعيل، فسأله عن حاله فأخبره بالخطب الحادث بشيراز وأخرج كتاباً كان معه من بنى زيار إلى شهرستان يشرح ما جرت عليه الحال في قتل صمصام الدولة. فلما وقف أبو عليّ ابن اسماعيل على الكتاب طالع بهاء الدولة مضمونه ثم أعاده على الركابي ليتمم إلى حيث بعث ثم قال أبو عليّ لبهستون:

«إنّه لم يبق لشهرستان بعد اليوم عذر فإن كان على العهد فليقدم الدخول في الطاعة.»

فمضى بهستون إلى شهرستان وقرّر معه أن يتحيّز في غد ذلك اليوم مع ثلاثمائة رجل من الجبل إلى بهاء الدولة وتفارقا على هذا الوعد.

فأحسّ فناخسره بن أبي جعفر بما عزم عليه شهرستان فقصده وخلا به.

ذكر كلام سديد لفناخسره بن أبي جعفر [449]

قال لشهرستان :

- «قد بلغنى ما أنت عازم عليه وحالى عند بهاء الدولة الحال التى لا تخفى ونيتته فى النية التى تخالف وتحتمى، ومتى عجلت فى الانحياز إليه هلكت وهلك الديلم بأسرهم ويلزمك على كل حال صلاح أمرهم فأنظرنى ثلاثة أيام لأسبر جرح هذه القصة بمراسلة بهاء الدولة، فإن رجوت لها براً واندماً لا اتفقت معك فى إمضاء العزيمة واجتماع الكلمة وإن تكن الأخرى أخذت لنفسى وتوجهت أنا وأهلى إلى بلدى ثم أفعل ما بدا لك.» فأجابه شهرستان إلى ذلك.

وبكر أبو على ابن اسماعيل على رسمه إلى الحرب متوقفاً من شهرستان إنجاز الوعد. فراسله بالعدر المتجدد فضاق أبو على بذلك ذرعاً واعتقد أنه كان سخريه ودفعاً. فقال له بهستون :

- «إن مصداق هذا القول يبين عند غسق الليل فإن جاء رسول فناخسره فقد صدق شهرستان ووفا، وإن تأخر فقد كذب وغدر والموعود قريب.» فلما جن الليل ورد رسول فناخسره برسالة يعتذر فيها من سابق الأفعال ويطلب الأمان على استئناف الخدمة فى مستقبل الحال فأجيب بما يسكن إليه ووثق به.

ووصل فى أثناء ذلك كتاب ابن بختيار إلى أبي على ابن أستاذ هرمز يذكران فيه سكونهما إليه وتعويلهما عليه ويبسطان أمله كما يفعله مبتدئ بملك يروم إحكام قواعده وأركانه [450] واستمالة اعضاده ويأمر أنه يأخذ البيعة لهم على الديلم قبله والمقام على الحرب التى هو بصدددها.

فأشفق أبو على بما سلف له من الدخول إليهما ولم يثق بوفائهما بعد قتل

أخويهما وحقيق بمن قتل للملوك شقيقاً أن يكون على نفسه شقيقاً.
وبقى متلداً في أمره متردداً في فكره مجيلاً للرأى في صدره فرأى أن
الدخول في طاعة بهاء الدولة أصوب والتحيز إليه أدنى من السلامة وأقرب.

ذكر ما دبره أبو علي ابن أستاذ هرمز في صلاح حاله مع بهاء الدولة

جمع وجوه الديلم وشاورهم فيما ورد عليه من كتاب ابنى بختیار
فأجمعوا رأيهم على الاعتزاء إلى طاعتهمما والثبات في حرب بهاء الدولة على
ما هم عليه فلم يوافقهم على رأيهم وقال :
- «إن وراثه هذا الملك قد انتهت إلى بهاء الدولة ولم يبق من يجوز له
منازعة بهاء الدولة فيه وإن نحن عدلنا عنه إلى من داره منا نائية وتيته عنا
جافية أضعنا الحزم، والصواب الدخول في طاعة بهاء الدولة بعد التوثق
منه.»

فامتنعوا وقالوا :

- «كيف نسلم نفوسنا للأتراك وبيننا وبينهم ما تعلم من الطوائل ؟»

فقال لهم :

- «إذا كان هذا رأيكم فإني أسلم [451] ما معى من المال والعدة إليكم
وأنصرف بنفسي عنكم وأنتم لشأنكم أبصر.»

وتقوض المجلس، ثم وضع أكابرهم على ما يقولونه ويفعلونه.
وكان قد أنفذ إلى أبى على ابن اسماعيل من يلتمس منه شرباً عتيقاً للعلّة
التي به. فقال أبو على ابن اسماعيل لبهاء الدولة :

- «إنه ما طلب منا شرباً ولكنه أراد أن يفتح لنا فى مراسلته باباً.»
فأنفذ بهاء الدولة رسولاً يقول :

- «إنه قد كنت أنت والديلم معذورين قبل اليوم في محاربتى حين كانت المنازعة في الملك بينى وبين أخى، فأما الآن فقد حصل ثأرى وثأركم في أخى عند من سفك دمه واستحلّ محرمه. فلا عذر لكم في القعود عني في المطالبة بالثأر واستخلاص الملك وغسل العار.»

فكان من جواب أبى على ابن أستاذ هرمز [بعد] ^(١) السمع والطاعة لقوله أن الديلم مستوحشون والإجتهاد في رياضتهم واقع وسأل في إنفاذ أبى أحمد الطبيب لمعرفة قديمة كانت بينهما فأنفذ إليه.

ذكر كلام سديد لأبى على ابن أستاذ هرمز

لما حضر الطبيب عنده قال له :

- «قد علمت اصطناع صمصام الدولة إيتاي [452] وإحسانه إليّ وما وسعني إلاّ الوفاء في خدمته وبذل النفس في مقابلة نعمته. وقد مضى لسبيله وصارت طاعة هذا الملك واجبة عليّ ونصيحته لازمة لى وهؤلاء الديلم قد استمرت بهم الوحشة والنفور واستحكمت بينهم وبين الأتراك الترات والدحول، وبلغهم أن الاقطاعات عنهم مأخوذة وإلى الأتراك مسلّمة، ومتى لم يظهر ما يزول به استشعارهم وتسكن إليه قلوبهم وبآدرهم لم يصحب جنبيهم.»

فمضى الطبيب إلى بهاء الدولة بالرسالة وعاد بالجواب الجميل الذى تسكن إلى مثله وتردد من الخطاب ما انتهى آخره إلى حضور جماعة من وجوه الديلم إلى بهاء الدولة لاستماع لفظ بيمين بالغة في التجاوز عن كل إساءة سالفة وأخذ أمان وعهد بزوال كل غلّ وحقد. فلما طابت نفوس هؤلاء

بالتوثق كاتبوا أصحابهم المقيمين بالسوس بشرح الحال.
وركب بهاء الدولة في ثاني اليوم إلى باب السوس يتوقع دخول الكافة في
السلم. فخرج الديلم فقاتلوا قتالاً شديداً لم يعهد مثله معهم فيما تقدم فضاقت
صدره وظن أن ذلك عن فساد عرض أو لأمر انتقض. فقال له الديلم :
- «طب نفساً فالآن ظهر تسليمهم الأمر إليك فمن عادتهم أن يقاتلوا عند
التسليم أشد قتال، لئلا يقدر أنهم سلموا عن عجز أو ضعف.»
وكان الأمر على ذلك [453] لأنهم استوثقوا في اليوم الثالث بنسخة يمين
نفذوها إلى بهاء الدولة، فحلف بها هو ووجوه الأتراك.
والتمس الديلم لأبي على ابن اسماعيل أن يحلف لهم فامتنع وقال :
- «هذه يمين يدخل فيه الملوك وجندهم، فأما الحواشي فهم بمعزل
عنها.»

فلم يقنعوا بذلك فالزمه بهاء الدولة الحلف فحلف.
وجلس بهاء الدولة للعزاء بأخيه ثم ركب بالسواد، فتلقاه الناس وخدموه
وصار إليه أبو على ابن أستاذ هرمز واختلط العسكران.

قتل الديلم نقيب نقبائهم

ومن قبل ذلك بيوم أو يومين قتل الديلم أبا الفتح ابن الفرج نقيب نقبائهم.

ذكر السبب في ذلك وما كان من مكيدة

أبي على ابن أستاذ هرمز في أمره

كان هذا الرجل مقدماً في العسكر فاستدعى أبو على ابن اسماعيل أخاه
سهلان من بغداد وجعله وسيطاً معه ليستميله. فلما استقر معه الدخول في
طاعة بهاء الدولة قال لهم أبو على ابن أستاذ هرمز :

- «هذا أبو الفتح رجل شرير وهو خبير بأموركم وأسبابكم وأصولكم وأنسابكم. فان اجتمع مع أبي علي أظهر له من أسراركم ما لم يطلع عليه ودله من أموركم على ما لا يهتدى [454] إليه.»
فقالوا: «سندبر أمره.»

ثم أجمعوا رأيهم على قتله فقتلوه.
ولما اختلط العسكران سار بهاء الدولة إلى السوس ومعه أبو علي ابن اسماعيل وحوله الديلم والأتراك.

ذكر رأى طريف رآه أبو علي ابن اسماعيل

لا يعلم موجهه

لما قرب بهاء الدولة من مضربه عدل أبو علي إلى خيمته المختصة به ولم يتمم معه حتى ينزل على ما جرى به رسمه.

ونزل بهاء الدولة وطلب الديلم أبا علي فلم يجدوه وقالوا:
- «من يكلمنا.»

وانتهى الخبر إلى بهاء الدولة فأرسل إلى أبي علي يستدعيه فاحتج بعارض عرض له ولم يحضر فخرج بهاء الدولة بنفسه إليهم وكلمهم حتى انصرفوا.

وأظهر أبو علي ابن اسماعيل الاستعفاء وأقام على أمر واحد فيه حتى وقعت الإجابة إليه وكتب له منشور بمعيشة التمسها، فأذن له في العود إلى بغداد والمقام في داره.

وشاع هذا الخبر بين العسكر فركب وجوه الأتراك إلى مضرب بهاء الدولة فأخرج إليهم الحجاب ليسألوهم عن حاجتهم، فطلبوا لقاء الملك فأخرج إليهم أبا عبد الله العارض ليستعلم منهم مرادهم. فما زادوه على القول الأول

فأوصلهم. [455]

ذكر ما جرى بين الأتراك وبين

بهاء الدولة من الخطاب

لَمَّا دخلوا إلى حضرته وقفوا وقالوا:

- «يا أيها الملك قد خدمناك حتى بلغت مُناك ولم تبق لك علينا حجة ولا بك إلى مقامنا حاجة، وما فينا إلا من نفذت نفقته ونقصت عدّته، ونسأل الأذن لنا في العود إلى منازلنا لنصلح حالنا ومتى احتيج إلينا من بعد رجعنا.»

فأنكر هذا القول منهم وسألهم عن سببه فراجعوه وراجعهم حتى قالوا:

- «هذا وزيرك الموفق الذي عادت الدولة إليك على يده واستقامت أحوالنا بيمن نقييته قد صرفته ومالنا من يشهد بمقاماتنا المحمودّة عندك سواء، ولا نجد في الوساطة بيننا وبينك من يجرى مجراه، وليس من السياسة صرف مثله ولا قبول قول من يشير عليك ببعده.»

قال بهاء الدولة:

- «ومن يريد ذلك؟»

قالوا: «الذي كتب له المنشور عنك وهوّن خطبه عندك.» - إشارة إلى أبي عبد الله العارض.

قال: «معاذ الله أن أقبل فيه قولاً ولكنه لجّ فوافقته وسأل فأجبتّه، والرأى ما رأيتموه من التمسك فكونوا الوسطاء معه في تطبيب قلبه.»

فانصرفوا عن حضرة [456] بهاء الدولة إلى مخيم أبي علي ابن اسماعيل وقد عرف خبرهم فحجّهم فراجعوه حتى أوصلهم. فلَمَّا دخلوا عليه عاتبهم على ما كان من خطابهم في معناه وقال:

«ليس من حقّي عليكم أن تعترضوا عليّ بما لا أهواه..»
 فقالوا: «دع عنك هذا القول، فإنّ حراسة دولة صاحبنا التي بها ثباتنا
 وفيها حياتنا أولى من قضاء حقك في موافقتك على غرضك.»
 وما زالوا به حتى ركب إلى مضرب بهاء الدولة فلقى منه ما أحبه وعاد
 إلى عاداته في تدبير الأمور وتنفيذها.
 وأذن لجماعة من الأتراك في العود إلى مدينة السلام وتوجّه [مع]^(١) بهاء
 الدولة إلى الأهواز.

ذكر ما دبره أبو علي ابن اسماعيل بالأهواز

أول ما بدا بالنظر فيه أمر الاقطاعات وتقريرها بين الديلم والأتراك وعول
 في ذلك على أبي علي الرخجى الملقّب من بعد بمؤيد الدولة، واستقرّت
 المناصفة. ثم امتنع ديلم دُستر عن الدخول في هذا الحكم وكادت القساعة
 تنتقض والاستقامة تضطرب والشرّ بين الفريقين يعود جذعاً.
 فقام الرخجى في التوسط بينهم مقاماً محموداً على أن تكون أبواب المال
 في قصبات البلاد مقرّة على من هي بيده وتكون المناصفة فيما عداها من
 الضياع [457] والسواد، فتراضوا بذلك.
 وأفردت له خيمة كان يحضر فيها ومعه فناخُسر بن أبي جعفر وألفتكين
 الخادمي ومن يتبعهما من وجوه الطائفتين، فتولى تقرير المناصفات وإخراج
 الاعتدادات وإشراك^(٢) طائفة مع أخرى وكتب الاتفاقات فلم تمضِ^(٣) أيام
 قلائل حتى انتجز الأمر على المراد.

١. زيادة من مد.

٢. والمثبت في مد: اشتراك.

٣. والمثبت في مد: فلم تمضى.

وكان الفرخان قد فارق الأهواز ومضى إلى إيدج مستوحشاً وأنفذ أبو محمد ابن مكرم إليه بما وثق به من الأمان فأمنه وعاد به. فلما ورد الفرخان خلع عليه أبو علي ابن اسماعيل واستخلفه مدة بين يديه ثم سيّره أمامه إلى بلاد سابور والسواحل.

وأخرج شهرستان بن اللشكري في عدة كثيرة من العسكر مقدمة إلى أرجان فصار إليها ودفع ابن بختيار عنها، فلحق بأخيه المقيم بشيراز.

ذكر رأى أشار به أبو علي ابن اسماعيل على بهاء الدولة

أشار عليه بأن يستدعي الأمير أبا منصور ولده ويرتبه بالأهواز ويضم إليه أبا جعفر الحجاج وأن يسير بنفسه إلى فارس وإذا فتحها استدعى الأمير أبا منصور وأقامه فيها وانكفاً إلى الأهواز فجعلها للأمير أبي شجاع [458] وقصد البصرة، فإذا ارتجعها جعلها للأمير أبي طاهر وعاد إلى بغداد فاستوطنها ودبر أمر الموصل منها.

فلم يعجب بهاء الدولة هذا الرأي وكان أبو علي قبل أن يفاوض بهاء الدولة في ذلك يفاوض أبا الخطّاب حمزة بن ابراهيم فيه - وأبو الخطّاب يومئذ ينوب عنه بحضرة بهاء الدولة - فقال له أبو الخطّاب:

- «أنا أعرف بأخلاق الملك وأغراضه. والصواب لك أن تدعه بالأهواز وتسير أنت والعسكر إلى فارس، فإذا فتحها أقمت بها ورتبت للنظر في الأمور بحضرة بهاء الدولة من تأمنه وترتضيه. فإنك إذا بعدت عنه حصلت من تلك البلاد في مملكة واسعة وتصرفت على اختيارك من غير معارضة مانعة. فإنه متى سار معك كنت بين أن تستبدّ برأيك أو تخالفه فتوغر صدره عليك ولا تأمن ما يكون من بوادره إليك، وبين أن تصبر على معارضته لك

فتجرع الغيظ منه بالإحتمال، أو تظهر من الاستعفاء ما يؤدي إلى فساد الحال.»

فلم يقبل أبو على منه واستبد برأيه وعمل أبو الخطاب بالأحوط لنفسه وانحرف عن أبي على ومال إلى مطابقة بهاء الدولة فيما ينفق عليه.

قد استمررنا على النهج في ذكر ما وجدناه في التاريخ ونحن نرى أنّ أبا على أصاب في رأيه ولا نرى حزمًا فيما أشار به أبو الخطاب عليه من البعد عن حضرة ملك سريع [459] التقلب في الأحوال، كثير القبول للأقوال إذا بنى معه أمر نقض، وإذا عقد معه عهد نكث. فإذا كان الباني مع حضوره يخاف انتقاض بنائه فكيف يثق ببنائه إذا غاب عن فئائه؟ وهل مجال الأعداء في الطعن على الوزراء وهم مقيمون في منصب عزهم كمجالهم إذا خلت الحضرة منهم ببيعتهم؟ كلاً إنّ لسان الغيبة يطول عند الغيبة مع البعد عن بساط المراقبة والهيبة، وكلّ مجرّ في الخلاء يسر^(١).

فما أخطأ أبو على فيما رآه، وما عليه أن خانه مقدور، فالقدر حتم والمرء معذور:

غُلامٌ وَغَيٌّ تَقَحَّمَهَا فَاَبْلَى فَخَانَ بَلَاءُهُ الزَّمَنُ الْخَوُونَ
وَكَانَ عَلَيَّ الْفَتَى الْإِقْدَامُ فِيهَا وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا جَنَّتِ الظُّنُونُ

مركز تحقيق كاتيب علوم اسلامی

وأطرف من ذلك مشورة أبي الخطاب عليه باستخلاف من يأمنه بالحضرة ليحفظ عنه وأين الأمين الذي يرعى العهد إذا لابس الحلّ والعقد؟ أليس أبو الخطاب وكان نائبه وصنيعته جحد إحسانه وطلب مصلحة نفسه فتبرأ منه وخانه؟

١. تفسير المثل عند الميداني (طبع بيروت ١٣١٢) ١٠٦: ٦.

وكذلك كل ذي ثقة إذا استحلّى الدنيا [صار] ^(١) ظنيناً وكل ذي مقّة إذا حسد ^(٢) صار عدواً مبيناً. وربّ أخ قد شاقّ في الحسد أخاه، بل ربّما ولد عَقٌّ في طلب الرتبة أباه، ومثل ذلك موجود [460] نشهده ونراه. وإنّما كان خطأ أبي علي في إفراط إعجابه وكثرة إدلاله وشكاسة أخلاقه ومنافسته لولي نعمته. فالملوك لا يشاكسون وأولياء النعمة لا ^(٣) ينافسون. ومع ذلك فلكل أجل كتاب، والصواب مع الشقاوة خطأ، والخطأ مع السعادة صواب:

وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهُى وَلَا مُمْ الْمُخْطِئِ الْهَبَلُ

ونعود إلى سياقة الحديث.

ولمّا استقرّ ما بين الديلم من المناصفات عوّل على أبي جعفر الحجّاج في المقام بالأهواز، وسار بهاء الدولة وأبو علي إلى الموفق إلى رامهرمز، وتقدّم أبو علي مع العسكر وصار إليه أبو جعفر أستاذ هرمز في بعض الطريق هارباً من ابن بختيار.

مركز تحقيق ذكر خلاص أبي جعفر أستاذ هرمز

قد تقدّم ذكر حصوله في قبضة ابن بختيار فقرّر أمره على ألف ألف درهم وأدّى أكثرها ثم حصل عند لشكرستان كور موكلأ به مطالباً بالبقية فاحتال صاحب له طبرى في الهرب به إلى دار أحد الجند ثم أحضر قوماً من الأكراد

١. زاده في مد.

٢. وفي الأصل: حسد الدنيا.

٣. وفي الأصل: لأولياء النعمة ولا.

وأخرجه إليهم فساروا به وألحقوه بأبي على ابن اسماعيل. [461] وطوى أبو على المنازل حتى نزل بباب شيراز.

ذكر فتح شيراز

لما نزل أبو على بظاهر البلد برز ابن بختيار في جنده ورجالته وعسكر بإزائه ووقعت الحرب بينهما فتضعض ابن بختيار في اليوم الأول وصادف عساكر بهاء الدولة وغدر به كثير من الغلمان ودخلوا الباب ونهبوا بعضه ونادوا بشعار بهاء الدولة.

وكان أبو أحمد الموسوي بشيراز على ما تقدّم ذكره في مسيره من واسط إليها وظنّ أبو أحمد أنّ أمراً قد تمّ فاستعجل وركب إلى المسجد الجامع وكان يوم الجمعة فأقام الخطبة لبهاء الدولة.

ثمّ ثاب ابن بختيار وعسكره فخاف أبو أحمد واحتال لنفسه وقعد في سلّة وحمل مغطى حتى أخرج إلى معسكر أبي على ابن اسماعيل.

وعادت الحرب في اليوم الثالث بين الفريقين فلم يمض من النهار بعضه حتى استأمن الديلم إلى أبي على وهرب ابن بختيار ناجياً بنفسه وتبعه أخوه في الهرب. فأما أحدهما وهو أبو نصر فإنه لحق ببلاد الديلم، وأما الآخر فإنه مضى إلى بدر بن جستنويه، ثمّ تنقل من عنده إلى البطيحة، وملك أبو على البلد وكتب إلى بهاء الدولة بالفتح وإتمام المسير فسار إلى شيراز واستقرّ في الدار بها. [462]

ذكر ما جرى عليه الأمر بعد هذا الفتح

لما حصل بهاء الدولة بفارس أمر بنهب قرية الدودمان وحرّقها وقتل كل من وجد بها من أهلها حتى استأصل شأفتهم.

وكشف عن رمة صمصام الدولة وجددت أكفانها وحملت^(١) إلى التربة بشيراز فدفنت بها وأحسن إلى فاطمة الدودمانية خاصة وبرّها ووصلها. وذلك ثمرة فعلها الجميل. فإنّ المعروف شجرة مباركة أصلها زكىّ وعودها رطيب وورقها نضير، وما خاب من غرسها وسقاها ولا ندم من حفظها ورعاها.

فاجتمع ديلم فارس جميعهم بشيراز وجرى الخوض في أمر الإقطاعات وارتجاع ما يرجع منها وإقرار ما يقرر، وترددت في ذلك مناظرات.

ذكر تقرير للإقطاعات^(٢) وتوفير في المصارفات

تقرر أن تجعل أصول التقارير مصارفة ثلاثمائة درهم بدينار وأن ينظر [463] ما لكل رجل من الإيجاب الأصلي فيعطى به من الإقطاع الذي في يده ما يكون ارتفاعه بقدره على هذا الصرف ويرتجع الباقي وإن يبطل كل ما كان وقع به في آخر أيام صمصام الدولة.

وجرى الأمر على ذلك في معاملة الأواسط^(٣) والأصاغر. فأما أكابر الديلم فإنّ أبا علي ابن اسماعيل أعطاهم حتى ملأ عيونهم. وعرفوا مذهبه في العجب والكبر فوضعوا له خدودهم وخدموه خدمة لا يستحقها الملوك فضلاً عن الوزراء. فكانوا يقبلون الأرض إذا بصروا به وإلى أن يصلوا إليه عدّة مرّات ويمشون بين يديه إذا ركب كما تمشي أصاغر الديلم.

وزاد الأمر به فيما أعطاهم من الأموال وأعطوه من الطاعة والإنقياد وكل زيادة تجاوزت حدّ الاستحقاق فهي نقصان، وكل عطية سلبت نفع الارتفاق

١. والمثبت في مد: وجملت.

٢. والمثبت في مد: الإقطاعات.

٣. في مد: معاملته. وفي الأصل: إلّا بواسط (مد).

فهي حرمان.

وعول على أبي غالب محمد بن علي بن خلف في الغيابة عنه وقدمه واصطنعه، وفرّق العساكر في النواحي، وأخرج أبا جعفر أستاذ هرمز إلى كرمان والياً عليها، وقبض على ألفتكين الخادمي.

ذكر السبب في القبض على ألفتكين [464]

كان أبو علي ابن اسماعيل يرعى لفلح ما أسداه إليه من جميل في استتاره ببغداد. فقدمه ونوّه بذكره وثقل ذلك على ألفتكين وأضر به استيحاشاً منه.

واتفق أن أبا علي في بعض مواقفه بباب السوس قال لألفتكين:

«يا حاجب الحجاب قد عزمت على^(١) أن أمضى في قطعة من الجيش إلى وراء السوس وأدخل أطراف البلد. فإنّ الديلم إذا عرفوا خبرنا اضطربوا وانصرف قوم منهم إلينا فتشوّشت تعبيتهم. فإذا بدت ذلك الفرصة وأمكنتك الحملة فاصنع ما أنت صانع.»

وقرّر ذلك معه وترك أبو علي علامته بحالها ودار من وراء الديلم ومعه نجّيب من الغلمان غيرهم ودخل شوارع السوس فأنفصل من العسكر الصمصامي شهرستان في خمسمائة رجل وتلقّاهم واقتتلوا قتالاً شديداً واضطرب مصافّ الديلم ولاحت الفرصة لألفتكين في الحملة، فتوقف عنها غيظاً من أبي علي الموفق لأنّه كره أن يتم أمر على يده. فنقم أبو علي هذا الفعل عليه وأسرّه في نفسه.

وحصل على باب شيراز بإزاء ابن بختيار فظهر من ألفتكين من التقاعد قريب ممّا تقدّم. فلمّا تمّ أمر الفتح وورد بهاء الدولة واستقرت الأمور، عمل

في إبعاده. فندبه للخروج إلى بعض الكور وأمره بالتأهب وحمل إليه عشرين ألف درهم نفقة.

فأحضرها [465] النقيب وألفتكين شارب ثعل، فتكلم بقييح أعيد على الموفق، فاغتاظ منه، وقال لبهاء الدولة :

- «هذا الغلام كالعاصي علينا والصواب القبض عليه وإقامة الهيبة في نفوس الغلمان به.»

فأذن له في ذلك فقبض عليه وحمله إلى القلعة.

ذكر حيلة لطيفة كانت سبباً لسلامة ألفتكين

اجتمع الغلمان ليخاطبوا في أمره. فانتدب أحد وجوههم لأبي علي وقال له :

- «نحن عبيدك وأمرك نافذ في صغيرنا وكبيرنا وما نطالبك بالإفراج عنه وقد أنكرت ما أنكرت منه. ولكننا نسألك أن تهب لنا دمه وتعطينا يدك على حراسة نفسه.»

فقال : «أما هذا فنعم.»

وأخذوا يده علي ذلك وتوثقوا منه. فلما عرض لأبي علي المسير في طلب ابن بختيار حين عاد من بلاد الديلم إلى كرمان اجتمع إليه خواصه ونصحاؤه وقالوا :

- «ليس من الرأي أن تخرج في مثل هذا الوجه وتترك وراءك مثل هذا العدو.»

وأشاروا إلى ألفتكين فقال :

- «ما كنت لأبذل قولي في أمر ثم أرجع عنه.»

ذكر أغلاط لأبى على ابن اسماعيل [466]

كانت سبباً لفساد حاله

أدلى أبو على بعد فتح شيراز على بهاء الدولة إدلالاً أفرط فيه وتجرّ تجبراً لا توجبه السياسة ولا تقتضيه. واطرح ما يلزم فى خدمة الملوك من التقرب إليهم والتوقّر عليهم وسلك خلاف هذه الطريقة وخرج من حدّ المتابعة والموافقة إلى المناقفة والمضايقة. من غلطاته أنّ أحد النبهاء قال لبهاء الدولة فى مجلس أنسه على سبيل الدعابة:

«زينك الله يا مولانا فى عين الموفق.»

وبلغه ذاك، فطالبه بتسليمه إليه ودفع عنه فلم يندفع، وأقام على الاستعفاء حتى سلم إليه فبالغ فى عقوبته.

ومنها أنّه وقع بين غلمان داره وبين غلمان الخيول الخاصة ما يقع من أمثالهم بين أمثالهم عند اللعب بالصوالجة. فغلق بابه ومنع العسكر من لقائه ولم يقبل مشورة أحد من خواصه وراسل بهاء الدولة فقال للرسول:

«يا هذا، إنّ المخاطبة لى على غلمان دارى قبيح وإنّ التعصّب علىّ لأجل منابذة جرت بينه وبين غلمانه، أقبح وتسليمهم إليه ليشفى صدره منهم أقبح وأقبح، فارجع إليهم بالمعانة اللطيفة، وعرفه ما عليه فى هذه المراسلة الطريفة.»

فمضت معه خطوط حتى أمسك.

ومنها أنّ بهاء الدولة كان يجلس فى الجوسق^(١) الذى فى دار الامارة بشيراز وهو مشرف على الميدان ويجتاز أبو على فيه [467] راكباً وبين يديه

١. الجوسق: أصله الفارسى: كوشك، أى القصر، أو كل بناء عال.

أكابر الديلم مشاة فلا يرى أن يترجّل وبهاء الدولة يراه وينفطر غيظاً منه.
ومنها أنه أنفذ إليه بعض خواصه في ليلة نيروز يلتمس منه ثلاثة آلاف
درهم فقال للرسول :

- «لأي حاجة يريد بها، للخبز أو للحم أم للشعير؟»

فقال له الرسول :

- «أيها الوزير لا يحسن أن يكون جواب الرسالة غير حمل الدراهم.»

فقال له :

- «ما ههنا مال.»

وخاف الرسول أن تجرى منافرة يكون هو سببها فحمل الدراهم من ماله
وعرف بهاء الدولة ذلك من بعد.

فانظر إلى عجب الزمان وتقلب الأعيان : هذا أبو علي هو الرجل الذي
تكلف واستدان وحمل إلى بهاء الدولة من بغداد ما امتنع من حمله ابن عمر
وابن صالحان، فقريت من قلبه منزلته وعلت لديه درجته ورتبته، ثم ينتهي
الأمر به إلى أن يطلب منه بهاء الدولة في ليلة نيروز هذا القدر النزر مع
اتساع حاله وتبذخه على الديلم بعطائه ونواله فيمنعه. هل ذلك إلا لحادث قد
يغطى على كل بصر وبصيرة؟^(١) فشتان بين ابتداء السعادة وانتهائها لقد
أحسن أيامه في أقبالها وأساءت في انفصالها والخبر المأثور مشهور: إذا
أقبلت الدنيا على قوم كستهم محاسن غيرهم، وإذا ولت عنهم سلبتهم
محاسن أنفسهم.

وكان أبو غالب ابن خلف في خلال هذه المضايقات يحول إلى بهاء
الدولة الدنانير الكثيرة في الأوقات [468] المتفرقة سرّاً فتمهدت له بذلك حال

١. والمثبت في مد : على كل بصيرة وبصير .

راعاهـا، وكانت أكبر وسائله عنده. وتأكدت الوحشة بين بهاء الدولة وأبى علىّ وجرى أمره على ما يأتى من بعد ذكره بمشيئة الله تعالى.

ذكر القبض على نقيب نقباء الديلم

وفى هذه السنة قبض بكران بن بلفوارس على الحسين بن محمد بن مما نقيب نقباء الديلم ببغداد ثم أفرج عنه.

ذكر الحال فى القبض عليه

كان بكران مستناباً من قبل بهاء الدولة ببغداد على أمور الديلم. فاستوحش من ابن مما وسعى بينهما سعاة بالفساد. فقبض عليه بغير أمر من بهاء الدولة واعتقله فى داره ووكل به كوشيار بن المرزبان مع جماعة من الديلم وضيق عليه وقلد أبا الحسين ابن راشد نقابة النقباء وأنزله فى دار ابن مما وقيل: إنه همّ بالفتك به. فتوسط أبو الفتح منصور بن جعفر أمره وضمن عنه عشرين ألف دينار وأخذه إلى داره وأقام خطوطاً وكفالات بالمبلغ. وعرف الشريف أبو الحسن ابن عمر ما أقدم عليه بكران فأنكره وأطلق لسانه فى بكران وفى ابن راشد بكل عزيمة، وكتب إلى بهاء الدولة وإلى أبى علىّ ابن اسماعيل بذلك. [469]

ذكر سياسة قامت بها الهيئة فى الإفراج عنه

لما وصلت الكتب إلى أبى علىّ ابن اسماعيل امتعض الامتعاض الشديد وكتب إلى بكران بما أغلظ القول فيه، وإلى الشريف أبى الحسن بانتزاع ابن مما من يده وارتجاع الكفالات المأخوذة بالمال منه. وكتب إلى أحمد الفراهى بملازمة بكران إلى أن يفرج عن الرجل.

فامتثلت الجماعة مرسومه وأفرج عن ابن معا ورُدَّت عليه الكفالات وانحدر إلى الأهواز وجدّد عهداً بالخدمة وعاد موفوراً.

واستدعى بكران وأنفذ شيرزِيل أخوه إلى بغداد ليقوم مقامه وقبض على كوشيار وحلّ إقطاعه ووفيت السياسة حقّها في ذلك.

وفيها توجه الأمير أبو منصور ابن بهاء الدولة إلى الأهواز.

وفيها استولى الأمير أبو القاسم محمود بن سبكتكين على أعمال خراسان بعد أن واقع عبد الملك بن نوح بن منصور ومن في جملته من توزون وفائق وابن سمجور بظاهر مرو، وهزمهم وأقام الدعوة لأُمير المؤمنين القادر بالله رضى الله عنه، على منابر تلك البلاد وكان آل [سامان] مستمرين على إقامتها للطائع لله.

وورد كتاب أبي القاسم [470] محمود إلى القادر بالله رضى الله عنه، يذكر الفتح على ما جرت به العادة في أمثاله.

انقضت سنة تسع وثمانين وثلاثمائة، وباتقضاء أخبارها ختمنا هذا الكتاب، ومن الله تعالى نرجو أحسن التوفيق والهداية للصواب، وبه سبحانه

نعود من شر القصد وخيبة المنقلب وآفة الإعجاب

وهو حسينا ونعم الوكيل

آخر ما صنفه الوزير أبو شجاع رضى الله عنه وأرضاه، والحمد لله كثيراً.



مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الملحق بذیل الروذراوری

وهو الجزء الثامن من تاریخ
أبی الحسین هلال بن المحسن بن إبراهیم الصابی الكاتب

(حوادث سنة ۳۸۹ - ۳۹۳ هجرية)



مرکز تحقیق تکامل پویر علوم اسلامی



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

بسم الله الرحمن الرحيم

شرح الحال في قبض أبي شجاع بكران بن بلفوارس على أبي القاسم
الحسين بن مما نقيب النقباء

استوحش أبو شجاع بكران من أبي القاسم ابن مما وسعى بينهما سعاة
بالفساد. فقبض عليه بغير أمر بهاء الدولة والموفق واعتقله وقيده ووكل به
أبا العباس كوشيار بن المرزبان وجماعة من الديلم وضيق عليه ومنع كل
أحد من الوصول إليه. وقلد أبا الحسين محمد بن راشد نقابة النقباء وأنزله في
دار أبي القاسم بسوق السلاح وتتبّع أسبابه وأصحابه وهم على ما قيل بالفتك
به وطالبه بما يصححه ويقرره على نفسه. وتوسط أمره أبو الفتح منصور بن
جعفر [1] وضمن عنه عشرين ألف دينار وأخذه إلى داره. وعرف أبو الحسن
محمد بن عمر ما جرى فأمسك إمساك لا راض ولا منكر. فلما قيل له: إن
أبا الحسين بن راشد يتقلد موضعه قامت القيامة عليه غيظاً منه وتذكراً لما
كان عامله به، وأطلق لسانه في أبي شجاع بكران وابن راشد بكل قول
وكتب إلى الموفق بمثله، وجاءه ابن راشد فحجبه واجتهد في استعطاف رأيه
فلم يجد إلى ذلك سبيلاً.

ونفذت الكتب إلى الموفق بالصورة فامتعض الإمتعاض الشديد منها،

وكاتب أبا شجاع بكران بما أغلظ له فيه، والشريف أبا الحسن بانتزاع أبي القاسم بن مما من يده وارتجاع الكفالات التي أخذها منه بالمال الذي قرّره عليه. وكتب إلى أبي العباس أحمد الفراه باعتناق هذا الامر والمضى إلى أبي شجاع بكران وملازمته إلى أن يفرج عنه ويردّ عليه خطوط الكافلين به. وفعلت الجماعة ما رسم لها وأفرج عن أبي القاسم في يوم الاثنين الرابع عشر من شهر ربيع الأول، وردت عليه الكفالات بالمال المذكور. ثم انحدر من بعد إلى الاهواز وجدد عهداً بخدمة بهاء الدولة والموفق. وأنفذ الموفق أبا الحرب شيرزِيل بن أبي الفوارس إلى بغداد للقيام مقام أبي شجاع وبكران أخيه. فكان وروده يوم الخميس لسبع بقين من شهر ربيع الآخر، وردّ أبا القاسم ابن مما فكان وروده يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الأولى وقبض على أبي العباس كوشيار وأقطع إقطاعه وكان من أكبر الأسباب فيما جرى على أبي القاسم.

وفي يوم الأحد لعشر بقين من شهر ربيع الأول برز الأمير أبو منصور بويه بن بهاء الدولة إلى المعسكر بالاتنين متوجهاً إلى الاهواز وسار في يوم الجمعة بعده.

ووجدت [3] في بعض التقاويم أنّه انقضى في يوم الأحد المذكور كوكب كبير ضحوة النهار.

ذكر إحراق دار الحمولى

وفي يوم الثلاثاء الرابع عشر من شهر ربيع الآخر أحرق العامة دار الحمولى، فمضت بأسرها ولم يبق فيها جدار قائم، واحترق ما كان فيها من حسبانات الدواوين.

ذكر السبب في ذلك

كان أبو نصر سابور قد حاول وضع العشر على ما يعمل من الثياب الأبريسميات والقطنيات بمدينة السلام . فثار أهل العتابيين وباب الشام من ذلك وقصدوا المسجد الجامع بالمدينة يوم الجمعة العاشر من الشهر ومنعوا الخطبة والصلاة وضجّوا واستغاثوا وباكروا الاسواق على مثل هذه الصورة . فلما كان في يوم الثلاثاء صاروا إلى دار أبي نصر سابور بدرب الديزج ، فمنعهم أحداث العلويين منها وخرجوا من درب الديزج إلى دجلة وطلبوا من جرى رسمه بالكون في دار الحمولى من الكتاب والمتصرفين . فهربوا من بين أيديهم وطوحوا النار في الدار وأهمل إطفائها فانت على جميعها .

وورد أبو حرب شيرزِيل ناظراً في البلد على ما قدمنا ذكره فقبض على جماعة من القامة اتهموا بما جرى من الحريق وصلب أربعة أنفار على باب دار الحمولى ، وذلك في يوم الخميس الذى دخل فيه . واستقر الأمر على أخذ العشر من قيم الثياب الأبريسميات خاصة ، ونودى بذلك بالجانب الغربى في يوم الأحد الرابع من جمادى الأولى وبالجانب الشرقى فى يوم الإثنين . وثبت هذا الرسم ورُتب في جبايته ناظرون ومتولّون وأُفرد له ديوان فى دار بالبركة ، ووضعت الختوم على جميع ما يقطع من المناسج ويباع ويختم . واستمرت الحال على ذلك إلى آخر أيام عميد الجيوش أبى على ثم أسقطه وأزال رسمه على ما سنذكره [4] فى موضعه .

وفى يوم الجمعة لست بقين منه توفى أبو القاسم ابن حسابة المحدث

وصلّى عليه أبو حامد الإسفراينى بمسجد الشرقية^(١).

وفى يوم الخميس للنصف من جمادى الأولى خلع على الشريف أبى الحسين محمد بن على بن الحسن المربنى من دار الخلافة ولقب: نقيب النقباء.

وفى يوم الإثنين الثانى من جمادى الآخرة توفى أبو الحسين المتطهب تلميذ سنان^(٢).

وفى رجب قلد أبو العلاء الحسين بن محمد الاسكافى الخزائن والاستعمال فيه.

وفيه انحدر أبو شجاع بكران الى واسط.

وفى يوم الخميس لاثنتى^(٣) عشرة ليلة بقيت من شعبان توفى أبو عبدالله أحمد بن محمد بن عبدالله العلوى بالكوفة.

وفى يوم السبت الرابع من شهر رمضان توفى أبو محمد حسان بن عمر الحريرى الشاهد.



١. وفى تاريخ الإسلام: ابن حبابه هو عبيدالله بن محمد بن اسحق بن سليمان العنوثى البزاز روى عنه أبو محمد عبدالله بن محمد بن هرامرد الصريفيى كتاب الجعديات وأبو حامد هو الامام أحمد بن أبى طاهر محمد المتوفى سنة ٤٠٦ وفى ترجمته فى تاريخ الإسلام: قال أبو حيان التوحيدى فى رسالة ما يمثل به العلماء: سمعت الشيخ أبا حامد يقول: لا تعلق كثيراً مما تسمع منى فى مجالس الجدل فان الكلام يجرى فيها على ختل الخصم ومغالطته ودفعه ومغالطته فلسنا نتكلم فيها لوجه الله خالصاً ولو أردنا ذلك لكان خطونا الى الصمت أسرع من تناولنا فى الكلام وان كنا فى كثير من هذانبوء بغضب الله تعالى فانا مع ذلك نطمع فى سعة رحمة الله (مد).

٢. هو ابن كشكرايا وقال فيه بن ابى اصبيحة ٢٣٨:١ انه كان فى خدمة سيف الدولة ولما بنى عضدالدولة البيمارستان ببغداد استخدمه وزاد حاله. وله قصة مع جبرئيل بن بختيشوع وردت فى تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطى ص ١٤٩ (مد).

٣. فى مد: لاثنى.

مقتل محمد بن عليّ الحاجب

وفى ليلة الجمعة مستهلاً شوال قتل أبو عبدالله محمد بن عليّ بن هدهد
الحاجب الناظر فى المعونة.

شرح الحال فى ذلك

جرت بين ابن هدهد وبين أبى الحسن ابن رهاذ الأحول نبوة لأمر سأل
فيه وردّه عنه، وتزايد ما بينهما إلى أن بذل أبو الحسن فيه بذلاً كثيراً. فقبض
أبو نصر سابور عليه وسلمه إليه واعتقل أبو الحسن فى داره. فلما كان فى
ليلة يوم الجمعة كبسه العيارون وقتلوه واتهم ابن رهاذ بأنه وضعهم على
ذلك. فقبض عليهم وهم الشريف أبو الحسن محمد بن عمر بأن يقيده به.
فسأله أبو القاسم ابن مما فى بابه وأخذه إلى داره وكتب إلى الموفق بما
جرى ووقف الأمر على ما يعود من جوابه ثم أفرج عنه.

وفى يوم الثلاثاء لخمس خلون منه قلّد أبو الحسن على ابن أبى عليّ
المعونة بجانبى مدينة السلام وخلع عليه. وفى هذا الشهر [5] قصد أبو
الحسن على بن مزيد أبا الفواس قلع بدير العاقول، فانهزم من بين يديه
ونهب البلد.

وفى يوم الاحد لليلتين خلتا من ذى القعدة ضربت الدراهم التى سمّيت
«الفتحية».

وفى يوم الإثنين العاشر منه ورد قاضى القضاة أبو الحسن عبد الجبار ابن
أحمد وأبو الحسين على بن ميكال حاجين وتلقاهما القضاة والفقهاء والشهود
ووجوه الناس وأبو القاسم ابن مما وأصحاب الشريف أبى الحسن محمد بن
عمر وابى نصر سابور وروعيّا بالأنزال والملاطفات.

مقتل أصحاب محمد بن عناز

وفى ذى الحجة قتل أصحاب أبي الفتح محمد بن عناز: زهمان بن هندی وأولاده دلف ومقداد وهندی.

شرح الحال في ذلك

حدثني أبو المعمر إبراهيم بن الحسين البسامي قال: كان زهمان مستولياً على خائنين وما يجاورهما. فلما قتل المعلم عليا ابنه ضعف أمره ولان غمزه. وعاد أبو الفتح محمد بن عناز من حرب بنى عقيل بالموصل مع أبي جعفر الحجاج فقلد حماية الدسكرة وجرت بينه وبينه مجاذبات ومنازعات والأيام تقوى أبا الفتح وتضعف زهمان، وكان منه في قصده ونهبه مع أبي علي ابن إسماعيل علي ما قدمنا ذكره.

وانتهت الحال بينهما إلى الصلح والموادعة والاختلاط والألفة وأرخص أبو الفتح من عنائه وأعطاه من نفسه كل ما تأكد به أنسه. فصار إليه هو وأولاده وتمكن منهم فقبض عليهم ونقلهم إلى قلعة البردان فاعتقلهم فيها وتفرق أصحابه وملك عليهم نواحيهم.

ومضت على ذلك مدة فثار أولاد زهمان وكسروا قيودهم وحاولوا الفتك بالموكلين بهم والاستيلاء على القلعة. فصاح [6] الموكلون واجتمع اليهم من عاونهم فقتلوا الثلاثة المذكورين من أولاد زهمان بحضرته وأخذوه فجعلوه في بيت وسدوا بابه وكانوا [يدخلون]^(١) من كوة فيه قرصة من شعير وقليل ماء، فبقي أياماً ومات.

١. ما بين المعقوفتين من مد.

وقد جرت عادة الشيعة في الكرخ وباب الطاق بنصب القباب وتعليق الثياب وإظهار الزينة في يوم الغدير وإشعال النار في ليلته ونحر جمل في صبيحته. فأرادت الطائفة الأخرى من السنة أن تعمل لأنفسها وفي محالها وأسواقها ما يكون بإزاء ذلك. فادّعت أن اليوم الثامن من يوم الغدير كان اليوم الذي حصل فيه النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر رضى الله عنه، في الغار وعملت مثل ما تعمله الشيعة في يوم الغدير.^(١) وجعلت بإزاء يوم عاشوراء يوماً بعده بشمانية أيام نسبتها إلى مقتل مصعب بن الزبير وزارت قبره بمسكن كما يزار قبر الحسين بن علي رضى الله عنهما، بالحائر. وكان ابتداء ما عمل من يوم الغدير^(٢) في يوم الجمعة لأربع بقين من ذى الحجة.

وحج بالناس في هذه السنة أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر. وحج فيها الوزير أبو منصور محمد بن الحسن بن صالحان والشریف المرتضى أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي^(٣) والرضي أبو الحسن أخوه، والوزير أبو علي الحسن بن أبي الريان حمد بن محمد.

وفي هذه السنة حصل عمدة الدولة أبو اسحق إبراهيم ابن معز الدولة بالموصل وارداً من مصر وكثر الأرجاف له وبه وأقام مديدة ثم سار إلى الرّي وقصد أبرقويه وتلك الأعمال، وعاد بعد ذاك إلى مصر فكانت وفاته بها. وفيها وافى كردستان مع غيم مطبق وريح مغرب متصلة، فهلك من [7] النخل في سواد مدينة السلام ألوف كثيرة وسلم ما سلم ضعيفاً. فلم يرجع إلى جلاله وجملته إلا بعد سنين.

١. قال صاحب تاريخ الاسلام في ترجمة سنة ٤٢٢: وفي ثامن عشر ذى الحجة عملت الشيعة يوم

الغدير وعملت بعدهم اهل السنة الذي يسمونه يوم الغار (مد).

٢. الصواب هو: الغار (مد).

٣. وردت ترجمته في إرشاد الأريب ١٧٣:٥ وأخوه الرضي هو محمد (مد).

وفيهما استولى الأمير أبو القاسم محمود بن سبكتكين على أعمال خراسان بعد أن واقع عبدالملك بن نوح بن منصور وتوزون وفائق^(١) وابن سيمجور^(٢) بظاهر مرو وهزمهم وأقام الدعوة للأمير المؤمنين القادر بالله أطل الله بقاءه وقد كان القائمون بالأمر من بنى سامان مستمرين على إقامتها للطائع لله، وورد من الأمير أبي القاسم محمود بهذا الذكر كتاب نسخته بعد التصدير الذي جرت العادة به في مكاتبة الخلفاء:

«بسم الله الرحمن الرحيم»

«أما بعد، فالحمد لله العلى مكانه الرفيع سلطانه الواحد الأحد الفرد الصمد العزيز القهار القوي الجبار الذي يكفل بإعلاء الحق ورفع وإخزاء الباطل وقمعه، الحائق بشيع البغي والعدوان مكره اللاحق بفرق الطغيان، قهره وقسره الحاكم لأوليائه بالعلو والاعتدار، الحاتم على أعدائه بالثبور والتبار، المتفرد بجلاله أن يمانع المتعالي بكبريائه أن يدافع يمهل المغتر بأناته استدراجاً ولا يمهل، ويُملى المخدوع بحلمه احتجاجاً ولا يغفل، بيده الخلق والأمر ومن عنده الفتح والنصر، فتبارك الله رب العالمين رب السموات والأرضين. والحمد لله الذي اصطفى محمداً عليه السلام واختار له دين الإسلام، وفضله على من تقدمه من

١. هو عميد الدولة أبو الحسن الأمير فتنى السلطان نوح بن نصر الساماني، توفى ببخارا في هذه السنة، وقد ولي امرة هراة مدة عقد بها مجلس الإملاء، وولى بمدن خراسان نيفاً وأربعين سنة. كذا في تاريخ الإسلام (مد).

٢. وهو أبو القاسم على بن محمد بن ابراهيم وله أخ يسمى أبا على محمد المظفر توفى سنة ٣٨٧ (مد).

الرسول، وأنار به مناهج الآيات والسبل، وأرسله إلى الخلق بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله باذنه وسراجاً منيراً، فهدى إلى القرآن والتوحيد ودلّ على الأمر الرشيد، وأهاب بالبرية إلى مستقيم الدين وأناف بهم [8] على العلم اليقين. فصلوات الله عليهم أتمّ صلاة نماء، وأكملها بهاء صلاة، ترتقى إليه جل جلاله في أعلى الدرجات، وتحیی روحه فی السموات، وعلى آله أجمعين.

- «والحمد لله الذي أنشأ سيدنا ومولانا أمير المؤمنين الإمام القادر بالله أطال الله بقاءه من ذلك السنخ الزكي والعرق النقي أحسن منشأ، وبوّاه من خلافته في أرضه أكرم مبعوأ، وجعل دولته عالية والأقدار لإرادته مؤاتية، فلا يخالف رأيته عدوّ إلاّ حان حينه وسخنت عينه، ولا يجيب^(١) دعوته وليّ إلاّ كان قدحه في القداح فائزاً، وسعيه للنجاح حائزاً، بذلك جرت عادة الله وسننه، ولن تجد لسنة الله تحويلاً.

- «وقد علم مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، حال الماضين من السامانية فما كانوا فيه من نفاذ الأمر وجمال الذكر وانتظام الأحوال واتساق الأعمال، بما كانوا يظهرونه من طاعة أمير المؤمنين ومبايعتهم، وينحلونه من موالاتهم ومشايعتهم. ولما مضى صالح سلفهم وبقي خلف خلفهم خلعوا ربقة الطاعة، وشقّوا مخالفة لمولانا^(٢) أمير المؤمنين أطال بقاءه عصا^(٣)

١. وفي الأصل يخالف.

٢. وفي الأصل: مولانا.

٣. والمثبت في مد: عصاه.

الجماعة^(١)، وأخلوا منابر خراسان عن ذكره واسمه، وخالفوا في إفاضة القول^(٢) وحسم عادية الجور والخبل على أمره ورسمه، وعمّ البلاد والعباد فسادهم وبلاؤهم، ونهك الرعايا ظلمهم واعتداؤهم.

- «ولم استجز مع ما جمع الله لي في طاعة مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، من عِدَّة وعِدَّة، وشكَّة وشوكة، وقوَّة أقران وإمكان، وكثرة أنصار وأعوان، إلَّا أدعوهم إلى حسن الطاعة، ولا أبذل في إقامة الدعوة لمولانا أمير المؤمنين [9] أطال الله بقاءه تمام الوسع والاستطاعة. فدعوت منصور بن نوح إليها وبعثته بجدي واجتهادي عليها ولم يُصغ إلى إعدار وتذكير ولم يلتفت إلى إنذار وتبصير، ونهض من بخارا بخيله ورجله وحشده. حفله يجمع على أهل الضلالة من أشياعه، ويحشر من في البلاد من أتباعه. فكان من شؤم رأيه وسوء انحائه أن اصطلمه جنده فكحلوه، وبايعوا أخاه عبدالملك وملكوه. وجريت على عادتي مع هذا الأخير أوفد إليه مرَّة بعد أخرى وثانية عقب أولى، من يدعوه إلى الرشاد ويبصره من التمسك بطاعة مولانا أمير المؤمنين أطال الله بقاءه سبل الرشاد. فلم يزد ذلك إلَّا ما زاد أخاه استعصاء واستغواء، وتهوُّرا في الضلال واستشراء.

- «فلما أيسر من فيته إلى واضح الجدد، ورجوعه إلى

١. جاء في حاشيته: عسا عظفت منك (كذا).

٢. لعله: العدل.

الأحسن والأعود، ورأيته متتابعاً في عمايته ومتكسّعاً^(١) في مهاوى غوايته، نهضت إليه بمن معي من أولياء مولانا أمير المؤمنين أدام الله علوه وأنصار الدين في جيوش يشرق بها الفضاء ويشفق من وقعها القضاء، تزحف في الحديد زحفاً وتخد الأرض جرفاً ونسفاً، إلى أن وردت مرو يوم الثلاثاء لثلاث بقين من جمادى الأولى وهو البلد الميعون الذي به ابتدأ إشاعة الدولة العباسية، وزالت البدعة الأموية على أحسن تعبئة وأكمل عتاد، وأجمل هيئة، ووليت أمر الميمنة عبد مولانا أمير المؤمنين أخى نصر بن ناصر الدولة والدين فى عشرة آلاف رجل وثلاثين فيلاً، وجعلت فى الميسرة من الموالى الناصرية اثني عشر ألف فارس وأربعين فيلاً، ووقفت فى القلب بقلب لا يتقلب، وطاعة مولانا أمير المؤمنين [10] شعارُهُ عن أضداده، وعزم لا ينتقض ودعوة أمير المؤمنين عتاده فى إصداره وإيراده، ومعى عشرون ألف فارس من سائف ورامح ودارع وتارس، وسبعون فيلاً، وبرز عبد الملك بن نوح وعن يمينه ويساره بكتوزون أحد غواته وفائق رأس طغاته وعتاته، وابن سيمجور وغيرهم من مساعديه على ضلّالته، مستعدين للكفاح مستلثمين فى شكك السلاح، وتلاقت الصفوف^(٢) بالصفوف، واصطلت السيوف بالسيوف، وتوقّدت الحرب واحتدّت واضطربت نيرانها واشتدت، واختلط الضرب بالطعن، وكبا القرن بالقرن، ولم ير^(٣)

١. تكسّع فى ضلاله : ذهب. تكسّع : تسكّع.

٢. والمثبت فى مد : الصعوف.

٣. والمثبت فى مد : لم يرى.

إلا تهاوى الصوارم على حجب الجماجم وأوداق النبال، ففى أحداق الكماة والابطال. وأهبط الله ريح الظفر لأوليائه وكشفوا مقائب الأعداء وحملوا^(١) فيهم الحتوف وأرووا من ذماتهم السيوف، وانجلت المعركة عن ألفى قتيل من شجعانهم وأبطالهم، وألقى وخمسائه أسير من مشهورى ذادة رجالهم وصناديدهم، واقتقى الأولياء أثار الفلّ من عباديدهم^(٢) يقتلون ويأسرون ويسلبون ويغنمون، إلى أن ألفت الشمس يمينها وأبرزت ظلمة الليل جنينها، وعاد الأولياء إلى معسكرهم فى وفور من السلامة وتعام من النعمة، وقد ملأوا أيديهم من الغنيمة والنفائس الجمّة، ثم ما نضب منهم أحد ولم ينتقص لهم عدد، و [أكتب] كتابى هذا وقد فتح الله تعالى لمولانا أمير المؤمنين بلاد خراسان قاطبة، وجعل منابرها تذكّر اسمه متباهية، وكلمة الحق به عالية والأهواء فى موالاته متهادية.

- «وبعد فلم أجدد رسماً فى حلّ وعقد وإبرام ونقض، إلى أن يرد من عالى أمره ورسمه ما أبنى الأمر ببنائه، وأحتدى إلى حدائه بإرادة الله سبحانه وتعالى. فالحمد لله [11] العزيز المنان العظيم السلطان، الذى لا يضيع لمحسن عملاً ولا يغفل عن مسيء وإن أرخى له أجلاً. ولا يعجزه متغلب بقوّته وحوله ولا يمتنع ممتنع عن سطوته وصوله. ولا يردّ بأسه عن القوم المجرمين رادّ، ولا يصدّ نغمته عن الظالمين صادّ، حمداً يمتري المزيد من إحسانه، ويقتضى الصنع الجديد من امتنانه. وإيّاها

١. وفى الأصل: حملوا.

٢. العباديد والعبايد (بلا واحد): الفرق من الناس والخيل.

أسأل أن يهنئ مولانا أمير المؤمنين الإمام القادر بالله خير هذا
الفتح الجليل خطره الواضح على وجه الزمان غرره. وإن يواصل
له الفتوح قرباً وبعداً وغوراً ونجداً وبراً وبحراً وسهلاً ووعراً، وأن
يوفقني للقيام بشرائط خدمته والمناضلة عن بيضته، إنه على ما
يشاء قدير وبه جدير. فإن رأى سيدنا ومولانا أمير المؤمنين
أطال الله بقاءه، أن ينعم بالوقوف عليه وتصريف عبده بين أمره
ونهيه فعل، إن شاء الله تعالى.»

سنة تسعين وثلاثمائة

اولها يوم الأربعاء والثالث عشر من كانون الأول سنة احدى عشرة
وثلاثمائة وألف للاسكندر، وروز آسمان^(١) من ماه آذر^(٢) سنة ثمان وستين
وثلاثمائة ليزدجرد.

في يوم الإثنين السادس من المحرم توفي أبو الحسين علي بن المؤمل بن
ميمان كاتب ديوان السواد.
وفي يوم الجمعة لعشر خلون منه توفي أبو بكر أحمد بن علي السمسار
المعروف بأبي شيخ البزاز.
وفي يوم الخميس لسبع^{بقيت} بقين^{منه} توفي القاضي أبو بكر أحمد بن محمد
بن أبي موسى الهاشمي.

احتراق أرسلان البستي

وفي هذا الشهر احترق أرسلان البستي وذلك أنه كان نائماً في خرگاه له

١. روز آسمان: يوم السماء.

٢. ماه آذر: شهر آذر، وهو الشهر التاسع من الشهور الإيرانية.

وبه نقرس مزمن قد منعه الحركة والقدرة على النهضة وفرأشوه وغلماناه بعيدون منه فسقطت شرارة من شمعة كانت في الخركاه على فراشه فاحرقته وانتبه ولا فضل [12] فيه للقيام من موضعه والنجاة بنفسه فصاح صياحاً حجز الليل ونوم الغلمان^(١) عن سماعه، وعملت النار في الفراش والخركاه. فما عرف الخبر إلا بعد احتراقه وهلاكه.

وفيه خرج الموفق أبو علي إلى جبل جيلويه في طلب أبي نصر ابن بختيار وانتهى إلى أبرقويه وعاد في صفر. وفي هذه الخرجة لقّب بعمدة الملك، مضافاً إلى الموفق، وأذن له في ضرب الطبل اوقات الصلوات الخمس، ولقّب أبو المغمر ولده بريبب النعمة.

وفي صفر ورد الكتاب من شيراز بتقليب المشطب ابي طاهر سباشي بالسعيد، والإشراك بينه وبين المناصح أبي الهيجاء تختكين الجرجاني في مراعاة أمور الاتراك في مدينة السلام.

وفي يوم [الخميس] السابع منه توفّي أبو منصور محمد بن أحمد بن الحوارى بالأهواز.

وفي يوم الإثنين العاشر من شهر ربيع الأول توفّي أبو الحسن محمد بن عمر بن يحيى العلوى^(٢) ودفن في حجرة من داره بدرب منصور مدة، ثم نقل إلى المشهد بالكوفة، وحضر جنازته أبو نصر سابور بن أردشير وأبو حرب شيرزيل بن أبي الفوارس، والمناصح أبو الهيجاء تختكين الجرجاني وسائر طبقات الناس.

١. في مد: الغمان.

٢. هو الشريف الجليل بن أبي علي عمر بن أبي الحسين يحيى بن الحسين النقيب بن أحمد المحدث ابن عمر بن يحيى بن الحسين ذى الدمعة وذى العبرة ابن زيد الشهيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وله قصة مع الوزير المطهر بن عبدالله وردت في عمدة الطالب، بمبني ١٣١٨ ص ٢٤٨ (مد).

ذكر ما جرى عليه الامر في تركته وضييعته

لما توفى انفذ أبو نصر سابور فحظر على ما في داره وخزائنه ووكل باصطبلاته وطلب كتابه وجهابذته، فلم يجد أحداً منهم. لأن أبا الحسن على بن الحسن بن إسحق هرب وهرب الجهبذ معه واستتر الباقون من أصحابه. وأحضر أبا عبدالله البطحاني العلوي وطالبه بما عنده من وصيته وماله فامتنع من تسليم ذاك وأخلد فيه إلى الإعتلال والإنكار واعتقله اعتقالاتاً جميلاً. ونفذت الكتب إلى بهاء الدولة والموفق بما تجدد وكتب أبو الحسن محمد بن الحسن ابن يحيى العلوي^(١) وقد كان عاد من الأهواز إلى واسط بعد الفتح في أمر الورثة والتركة فعاد الجواب إليه بالإصعاد إلى بغداد والقيام بها مقام أبي الحسن محمد بن عمر. وتقرر أمر التركة على خمسين ألف دينار تحمل إلى الخزانة.

فحدثني أبو القاسم ابن المطلب قال: تقرر الأمر بفارس على خمسين ألف دينار صلحاً عن التركة وأن يكون النصف من الأملاك للشخاص والنصف للورثة. ثم أفرد قسط السلطان فحصل له به الثلثان لأنه أخذ عيون الضياع وجمع موجود التركة فلم يف بالتقرير حتى تم بأثمان أملاك بيعت من جملة ما حصل للورثة من الضياع على أبي علي عمر بن محمد بن عمر وأبي عبدالله الحسين بن الحسن بن يحيى وأبي محمد علي وابن محمد بن الحسن بن يحيى وأبي علي عمر بن محمد بن الحسن بن يحيى.

١. أظنه محمداً كمال الشرف ابن أبي القاسم الحسن الأديب ابن أبي جعفر محمد بن علي الزاهد ابن محمد الأصغر الأقساسي ابن أبي الحسن يحيى بن الحسين ذي الدمة ابن زيد الشهيد، ولأه الشريف المرتضى نقابة الكوفة وأمانة الحج، فحج بالناس مراراً. كذا في عمدة الطالب ص ٢٣٥ (مد).

وأصعد أبو الحسن بن يحيى إلى بغداد فكان دخوله إياها فى يوم الأربعاء الثانى من جمادى الأولى ومعه أبو على عمر بن محمد بن عمر وأبو الحسن ابن إسحق الكاتب وكان انحدر إلى واسط فلقية فى الطريق وعاد فى صحبته وأطلق أبو عبدالله البطحاني وسلم إليه وراعى أبو الحسن القسط السلطاني من المعمريات وتولى (أبو) الحسن ابن إسحق النظر فيه.

وارتفع فى هذه السنة وهى سنة تسع وثمانين وثلاثمائة الخراجية على ما ذكره أبو القاسم بن المطلب مع حق الورثة وسوى حقوق بيت المال بألفى كزّ وتيف حنطة وشعيراً وأصنافاً وتسعة عشر ألف دينار وكسر.

وفى يوم الثلاثاء الثامن عشر من شهر ربيع الأول قبل القاضى أبو محمد ابن الأكفاني شهادة أبى القاسم [14] ابن المنذر وأبى الحسين بن الحرّاني وفى يوم الجمعة لليلتين بقيتا منه قبل شهادة أبى العلاء الواسطى.

وفى ليلة يوم الثلاثاء لسبع بقين من شهر ربيع الآخر ولد الأمير أبو الفوارس ابن بهاء الدولة بشيراز والظالع كوكب من العقرب.

وفى يوم الخميس لخمس بقين منه توفى أبو عمر أحمد بن موسى العلاف الشاهد بالجانب الشرقى.

وفى يوم الجمعة الثامن عشر من جمادى الأولى خلع على الموفق أبى على بفارس بالقباء والفرجية والسيف والمنطقة والدستى المذهب، وحمل على دابة بمركب ذهب وقيد بين يديه دابة بمركب مذهب وبغلة بجناغ نمور ومركب بقبل مذهب وثلاثة أفراس بجلال ديباج، وأعطى دواة محلاة بالذهب، وحمل معه ترس من ذهب وسائر السلاح وخلع على أبى نصر كاتبه وثلاثة من حجّابه ودوّاتيه وأستاذ داره، وخرج لقتال أبى نصر ابن بختيار ومعه العساكر بعد أن استتاب أبا غالب محمد بن خلف بشيراز على مراعاة الأمور وأبالفضل الإسكافى بحضرة بهاء الدولة.

شرح الحال في عود ابن بختيار وما جرى عليه أمر الموفق
في قصده إتياء وظفره به وأمر عسكر
ابن بختيار بعد قتله

لما انهزم أبو نصر بن بختيار من باب شيراز صار إلى الأكراد وانتقل إلى
أطراف بلاد الديلم. وكاتب الديلم بفارس وكرمان لما استقرت به الدار هناك
وكاتبوه واستدعوه واستجروه. فصار إلى أبرقويه واجتمعت معه طائفة كبيرة
من ديلم وأتراك وزط وأكراد وتردد [15] في نواحي فارس وتنقل في
أطرافها وظهر أمره وشاع خبره وواصل مكاتبة الديلم ومراسلتهم واجتذابهم
واستمالتهم. وخرج الموفق أبو علي في طلبه إلى جبل جيلويه وانتهى في
اتباعه إلى أبرقويه. وكان يهرب ويرaug ويدافع ولا يواقف ومضى إلى
السيرجان.

فحدثني أبو عبدالله الفسوي قال: لما قصد ابن بختيار السيرجان لم يقبله
الديلم الذين بها وكرهوا حصوله عندهم ومقامه بينهم.

وكان أبو جعفر أستاذ هرمز بن الحسن بجيرفت فنيا بابن بختيار المقام
بهذا المكان وسار إلى خانيين والفرخان، وهما ناحيتان بين فارس وكرمان
وفيهما خلق كثير من حملة السلاح وفي أكنافهما حلل الزط الذين هم أشد
الرجالة الفارسيين شوكة وأكثرهم عدة، واستمال منهم طائفة كثيرة وأقبل
الديلم وغيرهم إليه أرسالاً من نواحي كورة درابجرد ومن سائر الأصقاع.

وعمل أستاذ هرمز على قصده قبل استفحال أمره، فجمع عساكر كرمان
وتوجه لطلبه، وسبقه ابن بختيار إلى دشتير، والتقى في موضع يعرف بزيل،
من ظاهرها واستأمن إلى ابن بختيار كثير من الديلم الذين كانوا مع أستاذ
هرمز، فانهزم أستاذ هرمز في خواصه وأقاربه من القوهية وصار إلى

السيرجان. ومضى ابن بختيار إلى جيرفت ورتب العمال وجبى الأموال وأنفذ إلى شقّ بمّ من استغوى له الجند الذين فيها ودعاهم إلى طاعته وملك أكثر كرمان واستولى عليها وانتشر أصحابه فيها يطرقون أعمالها ويستخرجون ارتفاعها وأستاذ هرمز بالسيرجان ينفذ السرايا إلى النواحي ويكبس أصحاب ابن بختيار [16] ويسلك سبيل الغيلة والمكيدة في طلبهم والإيقاع بهم.

ثم ورد عليه كتاب الموفق بأنه سائر، ورسم له قصد بردشير وسبق ابن بختيار إليها. ففعل ذلك وحصل بباب بردشير وصعد من كان بها من ديلم ابن بختيار إلى قلعتها ومنعوا نفوسهم فيها وتوجه الموفق إلى كرمان على طريق درابجرد. فلما وصل إلى فسا عسكر بظاهرها، وعرف أبو عبدالله الحسين بن محمد بن يوسف وهو عامل كورة درابجرد خروجه من شيراز فبادر لاستقباله وخدمته، فوافق وصوله إلى معسكره أن كان نائماً، فما انتبه إلا بصهيل الخيل وضجيج الأتباع والحشم فشاهد من كثرة حواشيه وطففه وسعة كراعته ورجله ما عظم في نفسه وحمله حسده عليه على أن قبض عليه وعلى أصحابه وأخذه معه محمولاً على جمل، بعد أن احتوى على جميع ماله.

فكان إذا نزل في المنزل أحضره وطالبه وضربه وعذّبه حتى تقدم في بعض الأيام بأن يعلق بيأحدى يديه في بعض أعمدة الخيم وأن يحمل على الجمل معلقاً، وهو مع هذه المعاملة لا يستجيب إلى التزام درهم ولا يذعن بقليل ولا كثير، وكان أكثر ما انتهى به الموفق إليه لغيظه من تقاعده وتماتته.

فذكر أبو عبدالله أنه عرف من بعض أصحابه - يعني الموفق - أنه قال :

- «ما رأيت أشد نفساً من هذا الرجل فقد عذّب اليوم بكل نوع من العذاب وحلّ الساعة عن الشّدّ والتعليق وهو جالس يسرح لحيته بيده وما عنده فكر في كل ما لحقه.»

وعرف ابن بختيار مسير الموفق، فاستخلف الحسين بن مستر قرابة ملك ديلمان بجيرفت في جماعة من رجاله وسار طالباً لبردشير وعاملاً [17] على التحصن بها، إلى أن تلحق به أصحابه بيمّ ونرماسير، وقد كان كاتبهم واستدعاهم وهم جمرة قوية. فلما توسط الطريق إليها بلغه حصول أستاذ هرمز بها وصعود أصحابه إلى القلعة فعدل إلى طريق بيمّ ونرماسير وكاتب من بهما من عسكره بالمصير إلى دار زين، وتسم هو إليها. فنزلها منتظراً لوصولهم إليه ورحل الموفق من فسا وطوى المنازل حتى أطلّ على جيرفت واستأمن إليه من بها من الديلم لأنهم لم يجدوا مهرباً ولا منصرفاً وكانوا نحو أربع مائة رجل.

فاستوقف عندهم أبا الفتح ابن المؤمل وأبا الفضل محمد ابن القاسم بن سودمند العارض وقال لهم:

«قد أقمتها عندكم ليعرضاكم ويقررا أمورك». .

ووصاهما بأن يقتلاه. فجمعاهم إلى بستان في دار الإمارة على أن يعرضوا فيه من غد ذلك اليوم ثم جمعا الرجال الكوج واستدعيا واحداً واحداً على سبيل العرض وقتلاه وكان هذا الفعل منهما ليلاً. ثم خافا أن ينقضى الليل ويدرك الصباح قبل الفراغ فرموا بقيتهم في بئر كرد كانت في البستان وطرح التراب فوقهم.

وعرف الموفق من جيرفت خبر ابن بختيار وأخذه طريق بيمّ ونرماسير، فخلف أثقاله وسواده واتبعه فيمن خفّ ركابه وثبتت دوابّه وخاطر بنفسه وبالمملكة في هذا الفعل منه.

فحدثني أبو منصور مردوست بن بكران، وكان معه وإليه خزانة السلاح السلطانية التي في صحبته وهو داخل في ثقاته وخاصته قال: كلّت أجسامنا ودوابنا من مواصلة السير وإغذاذه وترك الإراحة في ليل أو نهار، ووصلنا

إلى جيفرت وما نعرف لابن بختيار خيراً. وقعد الموفق وجمع [18] الوجوه من الديلم والأتراك واستشارهم. فكلّ أشار بالتوقف والتثبت وتجنب المخاطرة بالاقدام والتهجم فامتنع من قبول ذلك فأقام على أمره فى الإسراء وراء ابن بختيار واستدعى منجماً كان صحبه من شيراز فقال له :

- «أليس حكمت بأننى آخذ ابن بختيار وأظفر به فى يوم الاثنين الآتى» .
قال : «نعم» .

قال : «أين ذاك ونحن على هذه الصورة والرجل مستعجم الخبر وانما بقى من الأيام خمسة أيام؟»

فقال : «أنا مقيم على قولى فى حكمى، ومتى لم تظفر فى اليوم الذى ذكرته فدمى لك حلال، وإن ظفرت فأىّ شيء تعطينى؟»

قال [أبو منصور]^(١) : فتضاحكنا به وهزئنا منه وسار فكان الظفر فى اليوم الذى نصّ عليه .

وحدثنى أبو نصر السنّى كاتب الموفق قال :

لما عظم أمر ابن بختيار وملك كرمان واجتمع عليه الديلم قلق بهاء الدولة بذلك وطالب الموفق بالخروج لقصده وحربه وكان مخاطباً له على الإستعفاء وقال له :

- «لو أجبك^(٢) إلى الإستعفاء لما حسن بك ان تتقبّله فى مثل هذا الوقت وقد علمت أنّى لم أخرج من واسط إلا برأيك ولا وصلت الى ما وصلت إليه من هذه الممالك إلا برأيك واجتهادك. وإذا قعدت بى فى هذه الضغطة فقد أسلمتنى وضيّعت ما قدّمته فى خدمتى. ولكن تمضى فى هذا الوجه وتدفع عني هذا العدو وتجعل للاستعفاء والخطاب عليه وقتاً آخر فيما بعد.»

١. ما بين المعقوفين من مد .

٢. والمثبت فى مد : أجتك .

فلم يمكنه في جواب هذا القول إلا الطاعة والقبول، وخلع عليه وسار والديلم والأتراك يخرجون معه أرسالاً بغير مطالبة ولا تجريد، حتى إنه كان يردّ قوماً منهم فيسألونه ويضرعون إليه في استصحابهم.

ولما حصل بفسا وجد بها جوامرد أبا ذرعاني معتقلاً عند [19] أبي موسى خواجه بن سياهجنك، وهو اذ ذاك والى فسا. وقد كان جوامرد عند إفراج الموفق عنه بشيراز حصل في جملة خمارتكين البهايي وفارقه وهرب إلى ابن بختيار عند وروده وحصل معه واختص به. ثم أنفذه إلى الغلمان بفسا ليتخبرهم له وأنفذ وندرين بن بلفضل هر كامج إلى الديلم ووندرين ممن كان بفسا وهو وجه متقدم وأصحابهما رقاعاً وخواتيم.

فحدثني الحسين أبو عبدالله ابن الحسن قال :

أنفذ ابن بختيار وندرين ابن بلفضل إلى الديلم بفسا لاستمالتهم وإفسادهم وموافقتهم على الانحياز إليه والنداء بشعاره. فوصل واستتر في دار حبنة بن الاسبهسلار ولامج. وكان يحضر عنده طوائف الديلم سراً ويستجيبون له إلى ما يدعوهم إليه ويتسلمون الرقاع والخواتيم منه.

وكان أبو الفضل أحمد بن محمد الفسوى في الوقت متصرفاً على باب دخول دار (كذا) خواجه بن سياهجنك (سياهجنك؟) لأنه كان والى الكورة. فحدثني غير واحد أن أبا الفضل كان يعشق خادمة في دار حبنة الذي قدمنا ذكره وتواصله وتزوره في أكثر الأوقات، فتأخرت عنه. لأن حبنة وكلها بخدمة المستتر عنده، فراسلها أبو الفضل يعاتبها ويستبطن عاداتها في زيارته.

فحضرته فأخبرته بعذرهما وكان عارفاً بالديلم فاستوصفها الرجل فوصفته وعرفه وسألها أن تتلطف في إدخاله الدار ليلاً وخبئه ليشاهد من يجتمع به. ففعلت ذلك وحضر الدار سراً وشاهد وندرين وخرج من فوره إلى

وندرش بن خواجه بن سياهجنگ فقال له :

- «عندى نصيحة تتعلق بالدولة وفيها لوالدك زيادة جاه ومنزلة. فان أحسن إليّ وقربني وجعلني من خواجهائيه الديلم وخلع عليّ وقدمني، أخبرته بها.»

فحملة وندرش إلى خواجه [20] أبيه حتى توثق منه فيما اشترطه لنفسه ثم حدّثه حديث وندرين. وكان الوقت ليلاً فأشفق أبو موسى خواجه بن سياهجنگ من تزايد الأمر وظهور الفساد وأنفذ وندرش وسياهجنگ ابنيه وجماعة من خواصه إلى دار حبنة حتى كبسوها وقبضوا على وندرين وحملوه إليه فقتله.

ووفى لابي الفضل بما كان وعده وكان هذا ابتداء أمر أبي الفضل وتقدمه حتى انتهت به الحال الى ما سنورده في موضعه.

وعرف أبو موسى خبر جوامرد أبي ذرعاني، فقبض عليه واستأذن الموفق في أمره، فرسم له اعتقاله.
قال أبو نصر :

فلما حصل الموفق بفسا أحضر جوامرد ليلاً وقال له :
- «قد سلمت انني مننت عليك بنفسك أولاً بشيراز وثانياً عندما ظهر من إفسادك في هذه الدفعة، والآن فإن كان فيك خير وعندك مقابلة لهذه الصنيعة^(١) فعلت بك المنزلة العالية الرفيعة.
قال له :

- «فيما أمرتني به وجدتنى عند إيثارك ورضاك فيه.»
قال : أفرج عنك سرّاً وتمضى إلى ابن بختيار وتظهر له أنك جنته هارباً

وتتوصل إلى أخذه أسيراً. فإذا أطلت عليك أو ألفتك به ان لم تتمكن من أخذه، تبصير^(١) إلى لالحقك منازل الاكابر من نظرائك». قال: «أفعل».

وواقفه وعاهده وشرط عليه أن يقلده حجة حجاب الأمير أبي منصور وخلاه ليلاً، واشيع من غد بأنه هرب من الإعتقال، وصار جوامرد إلى ابن بختيار وعاود خدمته.

وسار الموفق مجداً مغدداً حتى أطل على جيرفت واستأمن إليه من بها من أصحاب ابن بختيار ودخلها ونزل بظاهرها واجتمع إليه أبو سعد فناخسره ابن باجعفر وأبو الخير شهرستان بن ذكي وأبو موسى خواجه بن سياهجنگ وغيرهم من الوجوه وقالوا له:

«قد أسرفت أيها الموفق في هذا السير الذي سرته وحملت نفسك [21] فيه على ما لا تؤمن عاقبته وأنت في فعلك بين حالين: إما أن تهجم هجوماً ينعكس علينا فقد أهلكك نفسك ونعوذ بالله بيدك وأهلكتنا، وإما أن تظفر بهذا الرجل فقد زال به ما كانت الحاجة داعية إليك والينا فيه. ومتى أمن هذا الملك كان أمنه سبباً للتدبير علينا وامتداد عينه إلى نعمنا وأحوالنا، وتركك الأمر على جمليته ووقوفك فيه عند ما بلغته أولى وأصلح».

فقال لهم: مركز تحقيق كميونر علوم اسلامی

«قد صدقتم في قولكم ونصحتهم في رأيكم؛ ولكني قد حملت هذا من قصد هذه البلاد على ما خالفت فيه كل أحد من نصحاؤه وأصحاب رأيه ولزمني بذلك وبحكم ما لبسته من نعمته أن أوفيه الحق في مناصحته وأبذل له الوسع في طلب عدوه. ولا بد أن تساعدوني وتحملوا على نفوسكم في

أنجاز هذا النجاز معي» .

فقالوا له :

«لم نقل ما قلناه لنخالف عليك أو نقعد عنك، وإنما أوردنا ما وقع لنا أنه

خدمة لك وإذا لم ترد ذلك فنحن طوعك» .

وقال أبو نصر: وبينما هو في ذلك حضر من عرفه أن ابن بختيار بدرفاذ

وهي على ثمانية فراسخ من جيرفت، فاختر ثلثمائة رجل من الوجوه

وذوى القوة والعدة من الديلم والأتراك وأخذ معه الجمازات والبغال والدواب

عليها الرجل الخفيف والسلاح الكثير ومن لا بد منه من الركابية والأتباع

وترك السواد والاثقال والحواشي والحشم بجيرفت وسار.

فلما وصل إلى درفاذ لم يجد بها ابن بختيار. وقيل: إنه كان بها ومضى

إلى سروسن كرماني. فمضى على طيته ووافى سروسن وقد سار ابن

بختيار إلى دارزين فاضطر إلى اتباعه وخبره على صحته كالمستعجم عليه.

وكان في ذلك وقد تقدم بضبط الطرق وأخذ كل وارد وصار إذا حضر رجل

رستاق^(١) معه كتابان [22] لابن بختيار بخط ابن جمهور وزيره: أحدهما

إلى أهل سروسن بأن يعدوا الأنزال والميرة، فإنه على الإنكفاء إليهم عند

وصول عسكره من بتم للتوجه إلى بردشير، والآخر إلى جانويه بن حكمويه

أحد الدعاة بجبال جيرفت يقول فيه:

«بلغنا حصول ابن اسماعيل بالسيرجان وأنه على المسير إلى جيرفت

وينبغي أن تأخذ عليه المضيق الفلاني (لطريق بين جبليين لا بد من سلوكه إلى

جيرفت ويمكن فيه الاعتراض على العساكر بالعدة القليلة ومنعها الإجتياز)» .

قال أبو نصر:

١. وفي الأصل: إذا حضر رجلاً رستاقياً (مد).

وسأل الموفق الرسول عن ابن بختيار وأين هو^(١)؟ قال:
 - «تركته بدارزين ينتظر وصول عسكره من بَمَ ونرماسير».
 فسرّ بما تحقق من خبره وسار من ليلته فيما بين العشاء والعتمة .
 فلما قطعنا فرسخين رأينا ناراً تلوح فظننا أن ابن بختيار قد عرف خبرنا
 وسار لتلقينا وحرّبنا، وانزعجنا واضطربنا وبادر أبو دلف لشكرستان بن ذكيّ
 ونفر معه لتعرف الحال، فعادوا بعد ابعاد وذكروا أنها نار صيادين وتثاقل
 الموفق في سيره إلى أن قدّر أن يكون وصوله إلى دارزين عند الصبح، فلما
 قربنا تسرّع عسكرنا وبادر ابن بختيار فركب وجمع أصحابه وحمل على
 أحد الديلم رماه بزوبين أثبته في جبهته ورمى مرداويج بن باكاليجار فجرح
 فرسه وصاح واشتلم وتراجع أصحابنا عنه، وتلاحقوا وصفوا مصافهم واجتمع
 أصحاب ابن بختيار ووقفوا يقاتلون ووصل الموفق - قال أبو نصر - فوقف
 على ظهر دابّته ومعه الصاحب أبو محمد ابن مكرم وأبو منصور مردوست
 وأنا وغلّمان داره .

فقال أبو محمد :

- «انزل أيها الموفق واركب الفرس الفلاني» - لفرس كان من عدده .
 فقال : «إن نزلت لم آمن أن تضعف قلوب [23] أصحابنا ويظنوا أنّ فعلى
 ذاك عن استظهار للهرب» .

[قال]^(٢) وتركنا وسار في غلمان داره حتى خرج على ابن بختيار من
 ورائه وحمل وصاح غلماناه صياح الأتراك. فقدّر ابن بختيار أنّ الغلمان
 كثيرون، وارتفع الغبار وحمل أصحابنا من إزاء القوم فكانت الهزيمة. وركب
 ابن بختيار فرساً كان من عدده وسار طالباً للنجاة بنفسه ومعه جوامرد أبو

١. وفي الأصل: وإن هوة.

٢. زيادة إيضاحية من مد.

ذرعاني. فأراد أن يعبر نهراً بين يديه واعتقله جوامرد وضربه بلسان كان في يده فسقط عن فرسه ونزل ليرفعه على الفرس ويحمله إلى الموفق فتكاثر عليه طلاب النهب وأخذوا فرسه وفرس جوامرد وسلاحه. فترك جوامرد ابن بختيار ومضى طالباً للموفق فلما لحقه قال :

- «أنا فلان وقد قتلت ابن بختيار».

فاستهان بقوله ولم يصدقه وصار يقتص أثر ابن بختيار وعنده أنه قدّامه وأنفذ مع جوامرد محمد بن أميروه المجري ليعرف حقيقة ما ذكره. وقد كان بعض الديلم عرف ابن بختيار فنزل إليه وشاله وأركبه دابة كانت تحته ليحمله إلى الموفق لانه قال له : احملني اليه. وبينما الديلمي في ذلك اعترضه غلام تركي من غلمان قلع، فقال له :

- «تريد ان تبقى على من حاربنا ولو ملكونا لما أبقوا علينا.» - وعنده أن ابن بختيار أحد الديلم. فقال له :

- «يا بني، هذا ابن بختيار وأريد أن أحمله إلى الموفق».

فقال له : «تحمله أنت ويكون الأثر والجعله التي جعلت لمن يحضره لك».

قال : «لا، ولكن نتشارك في ذلك».

وتراضيا. وعرف قوم من الساسة والأتباع ماهما فيه، فقالوا :

- «بل نحن أحق بحمله».

ووقعت المنازعة فيه وقوعاً انتهى إلى قتله وحز رأسه وأن أخذه التركي وركب فرسه وحرك ولقيه محمد بن أميروه وجوامرد أبو ذرعاني فعادا معه. فذكر أبو نصر أن ابن أميروه بادر [24] إلى الموفق وقد حصل على فرسخ من دارزين وأعلمه الصورة. فانكفاً حينئذ عائداً وجلس على سطح

دار وأحضر رأس ابن بختيار فطرح بين يديه . وصعد وجوه الديلم وهنأوه^(١) بالظفر ودعوا له وفي وجوههم الوجوم وفي قلوبهم الغم إلا رزمان بن زريزاد، فانه لَمَّا رأى الرأس رفعه برجله وقال للموفق :
 - «الحمد لله الذي بلغك غرضك وأجرى قتله وأخذ الثأر منه على يدك وحقق رؤياي التي كنت ذكرتها لك»
 قال أبو نصر :

وقد كان رزمان قال للموفق في بعض الأيام بشيراز :
 - «رأيت البارحة في المنام صمصام الدولة وهو يقول لي : امض الى الموفق فقل له حتى يأخذ بثأري من ابن بختيار»
 ثم نزل الموفق من السطح إلى خيمة لطيفة ضربت له وكتب إلى بهاء الدولة بالفتح كتاباً بخط يده نسخته :

«بسم الله الرحمن الرحيم»

- «علقت هذه الأحرف غدوة يوم الإثنين لثلاث ليال يقين من جمادى الآخرة من الموضع المعروف بدارزين على خمسة فراسخ من بين يدي رأس ابن بختيار وقد استولى القتل على أكثر من خمسمائة رجل من الديلم . وأما الرجالة والزط فلم يقع عليهم إحصاء . بلغ الله تعالى مولانا شاهانشاه في جميع أموره وسائر أعداء دولته نهاية آماله وآمال خدمه وكتابه ينفذ بالشرح ليوقف عليه ويعظم الشكر لله عز اسمه على ما وفق له من هذا الفتح المبارك بمنه . وقد استوهب البشارة جماعة من

الأولياء المقيمين معي وذكرت ذلك لثلاث يوهب شيء منها لغيرها
إن شاء الله تعالى.»

قال أبو نصر: وأمرني بإحضار هميان من جملة همايين كانت على
أوساط غلمان الأتراك [25] وفتحته وصبّ دنانير كانت فيه وقال:
«نادوا من جاء بديلمى فله كذا وبراجل كوجي أوزطّي فله نصف ذلك.»
فكان يؤتى بالديلمى والراجل فيقتلان على بعد من موضعه ومرأى من
عينه حتى قُتل عدد كثير^(١). وحضره نيكور بن الداعي وولد للفاراضى
وسألاه فى قريب لهما قد كان أخذ وحمل ليقتل. ولم يزالا يخضعان ويقبلان
الأرض وهو يقول لهما:

«قد عرفتم إحسانى إليكم وما جعل لكم من الذنوب عند الملك بالتوفر
عليكم وهؤلاء القوم طلبوا الملك وساعدوا الأعداء ولا يجوز الإبقاء عليهم
والصفح عنهم.»

فبينما الخطاب يجرى بينهما وبينه، اذ دخل نقيب لهما فقال:

«قد قتل الرجل.»

فنهضا من مجلسه وقعدا للعزاء به وصار اليهما معزياً.

مركز تحقيق كالمبيوتر علوم إسلامي

ما دار بين الموفق وبرنجشير المنجم

وسألت أبا نصر عن المنجم الذي ذكر أبو منصور مردوست من حكمه ما
ذكره فقال:

«نعم. هذا رجل يكنى بأبى عبدالله ويعرف ببرنجشير، وكان يخدم

١. والمثبت فى مد: عدد كثيراً، وهو سهو.

صمصام الدولة. فلما قتل صار في جملة رزمان بن زريزاذ بالصمصامية. وكان رزمان يحضر كثيراً بين يدي الموفق ويؤاكله ويشاربه ويناديه ويؤانسه. فجرى في بعض الليالي عند حصولنا بفسا ذكر للنجوم والأحكام، فقال:

- «معي منجم يدعى من علم ذلك طرفاً. فان رُسم إحضاره أحضرته.»
فقال له الموفق:
- «هاته.»

فاستدعاه. فلما رآه قبلته عينه وقلبه وسقاه، وقال له:
- «ما عندك فيما قصدناه.»

قال: «الظفر^(١) لك يا مولانا، وأنت تملك وتقتل ابن بختيار في اليوم
الفلاني.»

قال له الموفق:

- «ان كنت تقول هذا زرقاً لتجعله فالأ محموداً قبلناه، وإن كان عن علم
وعلى حكم من أين استدلت عليه؟»

قال: «ما هو زرق، ولكنه [26] قول على أصل ومعى مولد ابن بختيار
وعليه قطع في اليوم الذي ذكرته لبلوغ درجة قسمة طالع في تربيع
المريخ.»

فقال له الموفق:

- «إن صحَّ حكمك خلعت عليك وأحسننت إليك واستخدمتك واختصصتك
وإن بطل فبأي شيء تحكم على نفسك؟»
قال: «بما حكمت.»

[قال] ^(١): «ولما حصلنا بجيرفت عاودت هذا المنجم الخطاب وقلت له :
- «أنت مقيم على ذلك الحكم؟»
قال : «نعم.»

وكان قد جاءنا خبر ابن بختيار بأنه بدرفاذ فقلت له :
- «الرجل على منزل منا ونحن سائرون إليه الليلة وقد بقى إلى اليوم
الذى نصصت عليه خمسة أيام.»
فقال : «أما ما حكمت به فأنا مقيم عليه، ولست أعلم ما بقى بينكم وبين
ابن بختيار.»

وكانت الواقعة وقتل ابن بختيار في اليوم الذي ذكره.

قال أبو عبدالله الفسوى:

ودفن جسد ابن بختيار في قبة بدارزين دفن فيها أبو طاهر سليمان بن
محمد بن إلياس لما قتله زريزاذ عند عوده من خراسان لقتال كوركير بن
جستان ^(٢) ومضى من كان مع ابن بختيار من الأتراك إلى خبيص وراسلوا
الأتراك الذين مع الموفق حتى خاطبوه في إيمانهم وقبولهم وأجابهم فوردوا
واختلطوا بالعسكر.

قال أبو نصر: وسار الموفق طالباً لبردشير وأبو جعفر أستاذ هرمز مقيم
فيها على حصار من في القلعة من أصحاب ابن بختيار. فلما وردها وعرف
القوم هلاك ابن بختيار راسلوا الديلم الذين مع الموفق وسألوهم أخذ الأمان
لهم ليفتحوا القلعة ويدخلوا في الطاعة فخاطبوه على ذلك فقال :
- «لا أمان لهم عندي إلا على أن ينصرفوا بمرقعات ويخلوا عن أموالهم

١. إيضاح من مد.

٢. وهذا في سنة ٣٦٠ كما تقدم ذكره.

وأحوالهم.»

فاستجابوا له إلى هذا الشرط. فكان الرجل ينزل هو وولده بمرقعات وكراريز [27] ويركبون الطريق ووقع الإحتواء على ما فى القلعة من المال والثياب والرحل والدواب.

قال أبو نصر: وأحضر إلى المعسكر بيردشير من لحقه الطلب وأسر من أصحاب ابن بختيار وفيهم بلفضل بن بويه فتقدم الموفق بأن ضربت له خيمة مفردة، ثم استدعى أبادلف لشكرستان بن ذكى وأبا الفضل ابن سودمند^(١) العارض والوقت عتمة فقال لهما:

- «أمضيا إلى بلفضل ووبخاه على مفارقتة هذه الدولة وخدمته ابن بختيار وبالغا له فى القول والتعنيف.»

وخرجا من بين يديه وبين أيديهما الفراشون بالشموع. وكانت الخيمة التى فيها أبو الفضل (كذا) ابن بويه قريبة من خيمته فنهض وقال لوندرش ابن خواجه بن سياهجنگ وكان عنده:

- «قم بنا لنسمع ما تقوله رسلنا لبلفضل وما يجيبهم به.»

وقال لى:

- «تعرف الطريق الذى يؤدى بنا إلى خيمته على الإصطبل؟»

قلت: «نعم.»

قال: «كن دليلنا.»

ومنع الفراشين من اتباعه ومضى فى الظلمة وهو متكئ على يد وندرش وأنا بين يديه، حتى حصلنا من وراء الخيمة ووقفنا وهو قاعد بينى وبين وندرش فسمع أبادلف لشكرستان يعاتبه ويوبخه فقال له:

١. والمثبت فى الأصل ومد: سودمند (بالذال المعجمة).

- «يا أبادلف، دع هذا القول عنك فوالله ما بقي أحد من أكابر عسكركم وأصاغرهم إلّا وقد كاتب ابن بختيار واستدعاه وأطاعه ووالاه، حتى لو قلت إنه ما تأخر عنه إلّا كتاب الملك والموفق خاصة لكنت صادقاً.»

وعاد الموفق إلى خيمته وعاد أبودلف لشكرستان وأبو الفضل ابن سودمند^(١) بعده ودخلا إليه فقال لشكرستان:

- «يا مولانا قد اعتذر فيما كان منه وسأل اقاتته العثرة فيه.»

فقال له الموفق:

- «وما الذى قاله [28] لكما وحدتكما به؟»

فورّى لشكرستان ثم صدقه وقال:

- «ما فى عسكرك إلّا من هو متهم وما يمكنك أن تأخذ الجماعة بما

فعلوه ولا أن تظاهرهم بما استعملوه وطىّ هذا الحديث أولى فى السياسة.»

وحمل بلفضل بن بويه والديلم المأسورون إلى شيراز عند عود الموفق.

فأما بلفضل ونفر معه فأنهم اعتقلوا إلى أن قبض على الموفق ثم أفرج عنهم.

وأما الباقيون فإنّ وجوه الديلم سألوا الموفق فيهم فخلّى سبيلهم.

ونرجع إلى ذكر ما فعله الموفق بعد ذلك ببردشير.

قال أبو نصر:

ثم جمع الديلم الكرمانية من سائر النواحي وقال لهم:

- «من أراد المقام فى هذه الدولة على أن يستأنف تقرير ديوانه ويوجب

له ما يجوز إيجابه لمثله، فليقم على هذا الشرط وعلى أنّه لا ضيعة ولا

إقطاع وإنما هو عطاء وتسبيب ومن أراد الإنصراف فالطريق بين يديه.»

فاستقرّ الأمر معهم على أن يعرضوا وتُحلّ الإقطاعات التى فى أيديهم

١. والمثبت فى مد: سودمند (بالذال المعجمة) كما فى المواطن السابقة.

وتستقبل التقارير^(١) معهم كما تستقبل بالعجم الذين يردّون من بلاد الديلم. وجلس لذلك ووجوه الديلم عن يمينه ووجوه الأتراك عن يساره والعراض والكتاب والجرائد بين يديه. فكان يحضر الديلمي الذي له بكرمان السنون الكثيرة وفي يده الإقطاعات الكثيرة وأقلّ المقرّر له: خمسمائة ألف درهم، فيقبل الأرض ويقف ويسأل عن اسمه واسم أبيه وعن بلده ثم يقرّر له التقرير القريب إلى أن حلّ الإقطاعات كلّها وردّ أصول التقارير إلى بعضها وصرف الحشو وارتبط الصفو.

ولما فرغ من ذلك صرف أبا جعفر أستاذ هرمز عن كرمان وأخذ حاله الظاهرة لأنه ينقم عليه [29] قبضه على أبي محمد القاسم بن مهدي فروخ، لما كان مقيماً معه بغير إذنه ولا أمره وقتل أبا موسى خواجه بن سياهجك الحرب وخلع عليه وحمله على فرس بمركب ذهب وعوّل على أبي محمد القاسم^(٢) في أمر الخراج وخلع عليه وأخذ خطه بتصحيح ثلاثة آلاف ألف درهم من النواحي في مدة قريبة قررها معه.

واتفق أن ورد عليه كتاب من أبي الفضل الإسكافي يخبره فيه ما غاظه من ذكر الحواشي له عند ورود كتابه بالفتح بالطعن عليه والقدح فيه. فما ملك نفسه عند وقوفه على ذلك، وتداخله من الامتناع ما ألقاه وأزعجه. واستدعى أبا منصور مردوست وأنفذه إلى شيراز وقاد معه خيلاً وبغالاً وحمله رسالة إلى بهاء الدولة يقول فيها:

«قد خدمت الملك أولاً وأخيراً ووفيته حقّ الصنيعة وحكم النصيحة ووجب أن ينجز لي ما وعدنيه من الإعفاء بعد الفتح، فإنّي لا أصلح لخدمة ولا عمل بعد اليوم.»

١. في الأصل: تفرّرات.

٢. والمثبت في مد: القسم.

وأظهر الإنكفاء بعد إنفاذه أبا منصور مردوست، فاجتمع إليه وجوه الديلم الذين يسكن اليهم ويعول عليهم وعرفوه غلط الرأي في عوده قبل أن يرتب الأمور ويمهدا ويسددها ويهذبها وأشاروا عليه بالتوقف والتوفر على إصلاح الأعمال من جمع الأموال وإذا تكامل له ما يريد بعد مدة حمل إلى بهاء الدولة ما يرضيه به. وكان بين أن يقيم بموضعه أن طاب له المقام، فيه أو يسير إلى أصبهان ويأخذها وينتقل منها إلى الجبل أو إلى العراق. وحذّروه من الاجتماع مع بهاء الدولة والكون عنده وأعلموه أنه غير مأمون عليه مع خلو ذرعه وأمنه الأعداء. فلم يقبل [30] منهم ما صدقوه فيه ونصحوه به وحمله فرط الإدلال على أن عاد إلى شیراز. وكان دخوله إياها في يوم الأربعاء الثاني عشر من شعبان.

فحدّثني غير واحد أنّ بهاء الدولة خرج لاستقباله. فلما لقيه وخدمه ورجعا داخلين إلى البار، فارقه الموفق في وسط الطريق وعدل إلى داره والعسكر بأسره معه في موكبه وبقي الملك في غلمان خيله وخدمه وخاصته وأنّ ذلك شق على بهاء الدولة وبلغ كل مبلغ منه وتحدّث به الناس وأكثروا الخوض فيه، وامتنع بهاء الدولة بعد هذا الاستقبال من استقبال أحد من وزرائه.

مركز تحقيق كالمبيوتر علوم اسلامی

ونعود إلى ذكر الحوادث على سياقة الشهور

وفي يوم الاثنين الرابع من رجب توفي أبو الحسن أحمد بن علي بن شجاع الشاهد.

وفي يوم الاثنين الحادي عشر منه توفي أبو حفص عمر بن إبراهيم

الكتاني المقرئ^(١).

خروج لدفع القرّاد

وفى يوم الجمعة لثمان بقين منه توفى الأمير أبو سعد ابن بهاء الدولة ببغداد.

وفى يوم السبت لسبع بقين منه خرج أبو الحسن علي بن الحسن البغدادي وأبو طاهر يغما الكبير إلى بادوريا دافعين لأصحاب قرّاد بن اللديد عنها.

ذكر السبب في ذلك

وما جرت عليه الحال فيه

كان لأبي طاهر يغما إقطاع جليل ببادوريا وانضاف إليه أن يقلّد ولايتها ونازع قراد بن اللديد فيها وأبو الحسن رشا الخلدي إذ ذاك كاتبه والمدير لأموره وفيه استقصاء في المعاملة وغلظة ولجاج ومناقرة. فاستعمل الإستقصاء مع أبي طاهر يغما والمناقرة والغلظة مع أبي نصر سابور بن أردشير [31] في أمور اعترض فيها وأوامر امتنع فيها وثقل على المقطعين والأكرّة، وردماً كان يؤخذ من مال الخفارة والحماية ورقاً قيمة الدينار به مائة وخمسون درهماً إلى العين مضارفة عشرين درهماً بدينار عتيق. فتضاعف التقرير وزاد التثقيب. وعملت لأبي نصر سابور الأعمال في بادوريا وأطمع في مال يحصل له منها: إمّا على الحرب أو على الصلح وأدت الحال إلى خروج يغما والياً للحرب وأبي الحسن البغدادي ناظراً في استخراج الرسوم العربية، وأقاما مدة على ذلك. ووافى قراد ورشا في

١. هو عمر بن إبراهيم بن أحمد بن كثير. وفي تاريخ الإسلام أنه قرأ على ابن مجاهد وحمل عنه كتاب السبعة. وليراجع فيه الأنساب للسمعاني ص ٤٧٥ س ٤ (مد).

جمع جمعا ونزلا بالسندية ويغما وأبو الحسن البغدادي بالفارسية وبينهما أربعة فراسخ. وتطرق أصحاب قراد فقتلوا ثلاثة غلمان من الأتراك يقال لاحدهما: بايتكين الياروخى، وللآخر: الهارونى، وللثالث: المجدر، وصلبوا الهارونى ببذ على شاطئ نهر عيسى.

فخرج أبو نصر سابور وأيوب حرب شيرزىل بن بلفوارس بالعسكر الى الفارسية وقرب قراد وأصحابه منها وتسرع سياهجك ابن خواجه بن سياهجك فى نفر من الديلم لمناوشة قوم من العرب. فاستجروه حتى فارق العسكر وحصل عند القرية المعروفة بالكلوذانية على رمية سهم من الفارسية. ثم خرج من ورائه جماعة منهم قد كانوا تكمنوا فى ذرة قائمة هناك فأخذوه أسيراً. واضطرب الناس بذاك وكاتب أبو نصر سابور قلعج - وكان ببغداد - بالخروج، فخرج فى عدة من الغلمان والأكراد الذين برسمه، وسارت الجماعة إلى السندية وخيموا فى الجانب الشرقى بازائها ومضى قراد إلى حديثة الأنبار وهى على أربعة فراسخ منها. فما مضت أيام يسيرة حتى غضب قلعج من شىء سألته فتوقف أبو نصر سابور [32] عنه وخلع خيمه وخلع الغلمان خيمهم معه وعادوا واضطرب أبو نصر سابور وأبو حرب شيرزىل والديلم إلى العود بعودهم وذلك فى شهر رمضان.

فأذكر وقد ورد على كتاب أبى الحسن رشا يسألنى توسط أمره واستئذان أبى نصر سابور فى ورود صاحب له. فصرت اليه وأقرأته الكتاب فتباعد فى الجواب وقال :

- «اكتب اليه وقل له: والله لا قررت معك أمراً إلا بعد أن اشفى منك صدراً».

وخرجت من حضرته وتوقفت فى كتب الجواب ورد الرسول. فلم تمض ساعة حتى قلع قلعج والغلمان ورحلوا فاستدعانى أبو نصر وقال :

ـ «ما الذى أجبت به رشا؟»

قلت : «ما قلته.»

فقال : «وقد مضى رسوله.»

قلت : «لا.»

قال : «ارتجع الكتاب واكتب اليه: بأنّ وطأة الأولياء ثقلت على النواحي ولم أحب إخراجها بتطاؤل مقامى فيها وإذا كنت قد ندمت على ما مضى واستأنفت الطاعة والخدمة فأنفذ صاحبك.»

وركب عائداً إلى بغداد وكتبت الجواب قائماً على رجلى لأنّ الأمر أعجل عن التلبث والتثبت، وخفنا أن يعرف العرب خبرنا فيكسبوا معسكرنا ويأخذوا من تأخر منا أو يعارضونا فى طريقنا فيبلغوا أغراضهم منا مع تفرقنا ودخولنا كما يدخل المنهزمون.

ووصل كتابى إلى أبى الحسن رشا فأنفذ أبا الفضل ابن الصابونى الموصلى واستقرّ الأمر مع المنصرف القبيح والطمع المتجدد على إطلاق سياهجنك فى الوقت وحده واندرجت القصة على تزايد الفضيحة وتضاعف الأخلوقه. وقد كانت الكتب نفذت إلى الموفق بذكر ما فعل وعاد جوابه ينكره ويمنع من التعرض لبنى عقيل أو هياجهم^(١).

وفى يوم الأحد [33] بقين منه توفى^(٢) أبو الحسن على بن محمد ابن عبيد الزجاج الشاهد، وكان مولده فى شهر رمضان من سنة خمس وتسعين ومائتين.

وفى يوم الخميس لليلتين بقيتا منه توفى أبو القاسم عبيد الله بن عثمان

١. فى الأصل: هاجتهم.

٢. والمثبت فى مد: توفى.

ابن حنيقا المحدث^(١).

وفي يوم الثلاثاء الرابع من شعبان توفي القاضي ابو الحسن محمد بن عبيد الله بن احمد بن معروف.

وفي يوم الخميس السادس منه توفي ابو عبد الله الحسين بن محمد بن الفراء الفقيه الشاهد بالجانب الشرقي^(٢).

ذكر القبض على الموفق بشيراز

وفي يوم الخميس لعشر بقين منه قبض على الموفق أبي علي ابن اسماعيل بشيراز.

شرح الحال في ذلك

وفيما تقرّر عليه أمر النظر بعده

لما عاد إلى شيراز على ما قدمنا ذكره أقام على الإستعفاء وأعاد القول فيه وكرّره. وكانت في قلب بهاء الدولة منه أمور قد ملأته وأوغرته وأحالت رأيه فيه وغيرته، وزال عنه ما كان يراعيه ويراقبه ويحتمله لأجله وبسببه. وخافه الحواشي ومن كان بحضرة الملك لأنه ذكرهم وأطلق لسانه فيهم فأغروه به.

فحدّثني أبو نصر بشر بن ابراهيم السني قال:

١. قال أبو الفرج ابن الجوزي في المنتظم: كذا ذكره الخطيب بالنون وهو يعني (ابن حنيقا) جد القاضي أبي يعلى ابن الفراء لأمه. وقال أبو علي البرداني: قال لنا القاضي أبو يعلى: الناس يقولون «حنيقا» بالنون وهو غلط. إنما هو «حليقا» باللام (مد).

٢. وفي تاريخ الاسلام انه كان على مذهب أبي حنيفة وانه والد القاضي أبي يعلى شيخ الحنابلة: وأبو يعلى هو محمد بن الحسين ولد سنة ٣٨٠ وفيه قال الخطيب. له تصانيف على مذهب أحمد ودرس وأفتى سنين كثيرة وولى القضاء بحریم دار الخلافة (مد).

لما ورد الموفق قادماً من كرمان أقام على الإستعفاء وواصل مراسلة بهاء الدولة فيه والإلحاح فى مسألتة إياه. فحضر عنده أبو سعد فناخسره بن باجعفر وأبودلف لشكرستان ابن ذكى وكانا يختصان به فى الليلة التى قبض عليه من غدها وقالوا له وأبو العلاء الإسكافى حاضراً:

- «أيها الموفق أى شىء آخر ما أنت عليه من ركوب الهوى ومخالفة الرأى فى هذا الإستعفاء، وما الذى تريده لنبلغه لك: إمّا بالملك أو بنفوسنا؟ فإن كان قد غاظك من أبى على ابن أستاذ هرمز [34] أو أبى عبدالله الحسين بن أحمد فعل أو تريد بهما أمراً فنحن نضع عليهما من يفتك بهما ونقود الملك إلى أخذهما وتسليمهما إليك، أو كان فى نفسك غير ذلك فاصدقنا عنه وأطلعنا عليه لنتبع هواك فيه.»

فقال لهما:

- «أمّا أبو على ابن أستاذ هرمز، فبينى وبينه عهد منذ كوننا بالأهواز وما أرجع عنه، وأمّا أن يكون فى نفسى ما أطويه عنكما فمعاذ الله. ولكننى قد خدمت هذا الملك وبلغت له أغراضه وما أريد الجندية بعد ما مضى.»

فقالا - وقال أبو العلاء الاسكافى - له:

- «لا تفعل ودع ما قد ركبته من هذه الطريق وأقمت عليه من هذا اللجاج. فانه يؤدى إلى ما تندم عليه حين يتعذر الاستدراك ومتى قدّرت أنك تعفى وتقيم فى منزلك وينظر بعدك ناظر، وقد بلغت من الدولة ما بلغت وتقدمت بك المنزلة إلى ما تقدمت اليه، فقد قدّرت محالاً. والصواب أن تدعنا لنمضى إلى الملك ونعرفه عدوك عن رأيك ومقامك على خدمته والنظر فى أموره.»

فأبى ثم قالوا له:

- «فاذا كنت على ما أنت عليه فأخّر ركوبك فى غد وارجع فكرك ونحضر

عندك ويستقرّ بيننا في غير هذا المجلس ما يكون العمل به.»
 فلم يقبل وركب من غد إلى دار المملكة ومعه العسكر. فلما دخل
 وجلس في البيت الصلي^(١) نظر فيما جرت عاداته بالنظر فيه وأوصل جماعة
 القواد إليه وخاطبهم وقضى حوائجهم.

ثم قال لأبي الفضل ابن سودمند^(٢) العارض والتنباء:
 - «اخرجوا إلى الناس وانظروا في أمورهم وتسلموا رقاعهم بمطالبهم.»
 وترددت المراسلات بينه وبين بهاء الدولة في حديث الإعفاء وبهاء الدولة
 يدفعه عن ذلك وهو مقيم عليه ومقيم على المطالبة به. ثم رأينا في الدار
 أموراً متغيرة ووجوهاً متنكرة.

فقال [35] له صاحب أبو محمد ابن مكرم:
 - «قد أحسست بما أنا مشفق منه، والرأي أن تقوم وتخرج، فإنّ أحداً لا
 يقدم على منعك، وإذا حصلت في دارك دبّرت أمرك بما تراه صواباً لنفسك.»
 فقال له: قد خفت أيها صاحب وخرت فقم وانصرف. فراجعته القول قليلاً
 ثم انصرف وركب وتبين الموفق من بعد أمره.

[قال أبو نصر]^(٣) فقال لي:

- «امض وخذ لنفسك.»

فقلت: «بل أقيم وأكون معك.»

فزبرني وقال:

- «اخرج كما يقال لك.» فخرجت ولم يبق عنده إلا أبو غالب بن خلف
 وأبو الفضل الإسكافي:

١. كذا في مد. ولعله: المصلّى.

٢. والمثبت في الأصل: سودمند، بالذال المعجمة.

٣. إيضاح من مد.

فحدثت أن الحسين السباطي الفراش خرج وقال لابي غالب :
- «يا أستاذ اخرج».

وقال لابي الفضل مثل ذلك وأغلق باب البيت ورزقته ووكل الفراشين به وأخذ أبو غالب وأبو الفضل واعتقلا ووكل بهما. وشاع الخبر بين الديلم الحاضرين في الدار فتسللوا واحداً واحداً وتفرقوا فريقاً فريقاً ولم يجبر من أحدهم قول في ذلك. وأنفذ إلى دار الموفق من نقل جميع ما كان فيها من المال والثياب والرحل والسلاح والخدم والغلمان، وإلى اصطبلاته فحول ما فيها من الكراع والجمال.

[قال أبو نصر]: وترشح الامين أبو عبدالله للنظر وأمر ونهى في ذلك اليوم. فلما كان آخره استدعى صاحب أبو علي الحسن بن أستاذ هرمز - وقد كان بعد فتح الأهواز اعتزل الأمور وأقام في منزله واقتصر على حضور الدار في الأوقات التي يجلس فيها بهاء الدولة الجلوس العام - واستخلف له أبو الفضل بن ماوزند فوقفت الأمور ولم تكن له ولا لابي الفضل درية بالتمشية والتنفيذ وخلي أبو العباس الوكيل وقد كان قبض عليه وقرر أمره وأعيد إلى ما كان ناظراً فيه.

[قال أبو نصر]^(١): وكان أبو الخطاب يكره أبا غالب ابن خلف ولا يريد
[36] فقال له أبو منصور مردوست: لا

- «أراك تكاتب الوزير أبا العباس ابن ماسرجس وغيره في الورود ليرد اليهم النظر في الأمور وقد عوّلت من صاحب أبي علي من ليس يحل ولا يمر فيما يراد منه. وهذه أسباب تدعو إلى الوقوف والحاجة إلى رد الموفق وما كان يمشى الأمر ويخفف فيه إلا أبو غالب. فلو أطلقته

واستخدمته لترخى على يده ما لا يترخى على يد غيره وكفينا دخول من لا يؤمن بيننا.»

فقبل منه وأطلقه وجعله خليفة للصاحب أبي عليّ ونظر وكفى. وكان بهاء الدولة يرعى له ما كان يخدمه به في أيام الموفق والحواشي يحتمونه لانبساطه في عطائهم وقضاء حوائجهم. ومضت مديدة فأعجب أبا الخطاب تخفيفه عنه، واستمال الجند وتوفر عليهم وأعطته الكفاية والسعادة ما كان له في ضمنهما وتمسك بأبي الخطاب وتمسك أبو الخطاب به وتفرد بالأمور ونقلها وزارة ورئاسة. وخرج الصاحب أبو علي من الوسط.

حوادث عدة

وفي ليلة الجمعة لليلتين بقيتا منه توفي أبو الحسن محمد بن عبدالله بن أخى ميمى المحدث.

وفي يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شهر رمضان ورد الكتاب إلى أبي نصر سابور بذكر القبض على الموفق وأن يقبض على ولده وأهله وأصحابه وأسبابه فاستعمل الجميل وأنذر ولده وأقاربه حتى انصرفوا عن دورهم وأخذوا لنفوسهم. ثم أنفذ إلى منازلهم فكانت خالية منهم وأجاب عن الكتاب بأن الخبر سبق إلى القوم قبل ورود ما ورد عليه به واقتصر على أن أدخل يده في ضياعه بطريق خراسان مديدة. ثم كتب من فارس بالإفراج لولده أبي المعمر وأقر أبو نصر [37] سابور وأبو القاسم الحسين بن محمد بن مما وأبو نعيم المحسن بن الحسن على ما كانوا يتولونه.

وفي يوم السبت لليلتين بقيتا منه توفي أبو الحسين ابن أبي الزيال الشاهد.

وفي روز أبان من ماه شهر يور الواقع في هذا الشهر أخرج الصاحب أبو

محمد بن مكرم إلى عُمان متقلداً لها.

وفي روز مهر من ماه شهرير^(١) الواقع فيه أخرج أبو جعفر أستاذ هرمز ابن الحسن إلى كرمان.

وفي ليلة يوم الإثنين الثالث عشر من شوال احترق سوق الزّرادين بباب الشعير.

وفي يوم الخميس لسبع بقين منه قلد القاضي أبو عبدالله الحسين بن هرون الضبّي مدينة المنصور رحمة الله عليه مضافة إلى الكرخ والكوفة وسقى الفرات وقلد القاضي أبو محمد عبدالله بن محمد الأكفاني الرصافة وأعمالها عوضاً عن المدينة التي كان يليها وقلد القاضي أبو الحسن الخرزي طريقي دجلة وخراسان مضافاً إلى عمله بالحضرة وقرئت عهودهم على ذلك.

وفي هذا الشهر ورد الخبر بأنّ المقلد بن المسيب ملك دقوقاً وخانيجار. وأقرّ بها أبا محمد جبرائيل الملقب بدبوس الدولة نائباً عنه.

وفي يوم الخميس مستهل ذي القعدة ورد الكتاب من فارس بتقليد أبي علي ابن سهل الدورقي ديوان السواد واستخلافه عليه أبا منصور عبدالله ابن الإصطخري الكاتب فيه.

وفي يوم الأحد الرابع منه توفي أبو محمد القاسم بن الحسين الموسوي العلوي.

وفي يوم الإثنين الخامس منه تكلم الديلم في أمر النقد وفساده وكانت المعاملات يومئذ بالورق وقصدوا دار أبي نصر سابور [38] بدرج الديزج على سبيل الشغب.

١. شهرير (= شهر يور) الشهر السادس من السنة الشمسية الإيرانية.

أقوى الأسباب في تملك الخانيّة

وانقراض السامانيّة

وفي هذا الشهر ورد الخبر بأنّ بغرا خاقان^(١) قصد بخارا واستولى عليها ودفع ولد أبي القاسم نوح بن منصور عنها.

وحدثني أبو الحسين ابن زيرك قال: حدثني أبو الحسين ابن اليسع التميمي الفارسي وكان من أعيان التجار قال:

كنت ببخارا حين وردت عساكر الخانيّة فصعد خطباء السامانيّة إلى منابر الجوامع واستنفروا الناس وقالوا عن السامانيّة قد عرفتم حسن سيرتنا فيكم وجميل صحبتنا لكم وقد أطلنا هذا العدوّ وتعيّن عليكم نصرنا والمجاهدة دوننا، فاستخيروا الله تعالى في مساعدتنا ومضافتنا.

وأكثر أهل بخارا حملة سلاح وأهل ماوراء النهر كذلك. فلما سمع العوام ذلك قصدوا الفقهاء عندهم واستفتوهم في القتال فمنعواهم منه وقالوا:

- «لو كان الخانيّة ينازعون في الدين لوجب قتالهم فأما المنازعة^(٢) في الدنيا فلا فسحة لمسلم في التغرير بنفسه والتعرض لإراقة دمه. وسيرة القوم جميلة وأديانهم صحيحة واعتزال الفتنة أولى. فكان ذاك من أقوى الأسباب في تملك الخانيّة وهرب السامانيّة وانقراض ملكهم ودخل الخانيّة بخارا فأحسنوا السيرة ورفقوا بالرعية.

وفيه ورد أبو الحسن محمد بن أحمد بن علان العارض من فارس لتجريد الغلمان إلى هناك واجتمع الشريف أبو الحسن ابن يحيى والمناصح أبو الهيجاء والسعيد أبو طاهر وأبو الحسن ابن علان في دار أبي نصر سابور. فأحضروا

١. كذا في الأصل والراجح أنه أخوه ايلك الخان. انظر تاريخ الإسلام سنة ٣٨٣ (مد).

٢. والمثبت في مد: والمنازعة (زيادة الواو).

الغلمان وخاطبهم على الخروج فطالبوا بما تأخر لهم من الأقساط والإقامات وبذل لهم سابور إطلاق القسط لمن يخرج دون من يقيم حتى إذا أعطى المجردين ننظر في أمر المقيمين وترجح القول ووقف الاستقرار.

وفي يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجة توفي أبو الفرج المعافى بن زكريا المعروف بابن طرارا بالنهروان وكان رجلاً يعرف علوماً كثيرة^(١) وفي هذا يوم الجمعة لليلة بقيت منه توفي أبو عبدالله الحسين بن يحيى بن الحندقوقا الهاشمي عن ست وخمسين سنة وثلاثة أشهر.

وفي اليوم الثالث من الخمسة المسترقة خرج بهاء الدولة إلى كوار وسار منها إلى فسا.

وحج بالناس في هذه السنة أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر.

ورود طاهر بن خلف كرمان

وفي هذه السنة ورد طاهر بن خلف المعروف بشير يار بك كرمان منافراً لخلف أبيه. ثم تغلب عليها وملكها وانضوى إليه كثير من عساكرها وانتهى أمره إلى الهزيمة والعود إلى سجستان.

شرح ذلك على ما حدثني به أبو عبدالله الفسوي

وقد سقناه سياقة لم نذكر فيها أيام ما جرى وشهوره لاشكال ذلك علينا. إلا أن المدة على غالب ظني فيما بين سنة تسعين وثلاثمائة. وصدر من سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة.

١. قال صاحب تاريخ الإسلام: قال فيه أبو حيان التوحيدي: رأيت المعافى بن زكريا قد نام مستدير الشمس في جامع الرصافة في يوم شات وبه من أثر الضر والفقر والبؤس أمر عظيم مع غزارة علمه (مد).

لما قلد الموفق أبو على أبا موسى خواجه بن سياهجك أعمال كرمان وصرف من صرف من الديلم على السبيل التي قدمنا ذكرها، صار أبو موسى إلى جيرفت فتتبع أموال الديلم المبعدين واستشار ودائعهم وطالب حرمهم وأسبابهم وصادرهم وقبض على جماعة الباقين وقتلهم وطردهم وصلب [40] نفسين من وجوه الكتاب لإنكاره عليهما تصرفهما مع ابن بختيار وأظهر الإستقصاء والغلظة.

واتفق أن نافر ظاهر بن خلف خلفاً أباه ونازعه الأمر وجرت بينهما حروب أدت طاهراً إلى الهرب وقصد كرمان ملتجئاً إلى بهاء الدولة. فلما دخل المفازة التي بين سجستان وبينها ضلّ الطريق فيها ولحقه ولحق من معه جهد شديد. ثمّ خلص على أسوأ حال. ولقيه الديلم الفلّ والمنفيون من أصحاب ابن بختيار فأطعموه^(١) في أخذ كرمان والتغلب عليها وأعلموه أن من وراءهم من الديلم على نفور من بهاء الدولة وكراهية له لما عاملهم الموفق به وأنهم وإياهم يجتمعون على طاعته ويخلصون في مظاهرتة.

فصبا إلى ذلك وحدث نفسه به وعقد عزمه عليه ولم يكن له قدرة على إظهاره مع الشدة التي لاقاها في طريقه ونزل نرماسير وكتب إلى أبي الفتح عبدالعزيز بن أحمد العامل بها وبمّ بأنه ورد منحازاً إلى بهاء الدولة وداخلا في جملته. فتلّقه أبو الفتح بالجميل وحمل إليه ما يحمل إلى مثله من الأنزال وواصله بذلك مدة من الأيام وكان يزيد له ولعن معه في كلّ يوم اثني عشر ألف درهم وكتب بخبره إلى أبي موسى خواجه بن سياهجك وأبى محمد القاسم بن مهدي فروخ.

ثم بدت من طاهر بوادي الفساد ولاحت شواهد سوء الاعتقاد وبلغ ذلك

١. وفي الأصل: فاطمونه.

أبا محمد القاسم وهو بيردشير فانزعج منه وكان يقاربه أكراد قتال يعرفون بالمالكية فاستدعاهم وتوجه معهم الى دارزين وخرج اليهم بما يريد من قصد طاهر والايقاع به فقالوا له :

- «هذا رجل قد اجتمع إليه الديلم [41] وكثرت عدته وقويت شوكتة وما نستطيع لقاءه ومقاومته ولكننا نسلك سبيل الحيلة عليه ويمضى منا جماعة على وجه الاستئمان اليه فاذا حصلوا عنده طلبوا غرته في بعض متصيداته فإنه كثير الصيد مشغوف بالركوب إليه في كل وقت فتكون قد بلغت الغرض ولم تركب الخطر.»

فكتب أبو محمد الى أبي موسى خواجه بن سياهجنگ بما جرى بينه وبين هؤلاء الأكراد واستشاره فيه فأجابه بـ:

- «أني أعرف بهذه الامور وأملك لها وأولى بها منك، وينبغي أن تخلي بيني وبينها وتدعني وما أديره منها وتتشاغل بشأنك وتتوفر على ما يتعلق بك.»

فاغتاز من هذا الجواب وصرف الاكراد وأقام بموضعه من دارزين وصار أبو موسى خواجه من جيرفت اليه على أن يجتمعا ويقصدا طاهراً بنرماسير.

فلما حصل على مرحلة من دارزين جمع ابن خلف عساكره فاستشارهم فيما يفعل فقالوا له : أحوالنا ضعيفة وعددنا قليلة ولا فضل فينا للحرب إلا بعد الاستظهار بالدواب والاسلحة. واستقر الرأي بينه وبينهم على أن يتوجهوا إلى الجروم ويعتصموا بأهلها وهم قوم عصاة متغلبون وفيهم بأس وقوة فصاروا إليها ورجع أبو موسى وأبو محمد إلى جيرفت واستعاد الأكراد المالكة فلم يعودوا. وجمعا من معهم من الجيل وأطلقا لهم المال ووافقاهم على النهوض لقصد الجروم وقصد ابن خلف وفي مضي ما مضى من الايام ثبت ابن خلف وحصل لنفسه وللديلم الذين معه عدة وسلاحاً وكراعاً.

وتوجه أبو موسى وأبو محمد للقاءه فلقياه في القرية المعروفة بنهر خرههرمز

على مرحلة من جيرفت لأنه قد كان سار إليها، وصفاً مصافهما. [42] وكان من عادة ابن خلف في حروبه أن يتفرد في سرية من غلمانة بعد أن يطعمهم ويسقيهم ويتردد على مصافه فيسوي أصحابه ويرتبهم ويتأمل مصاف من بإزائه فإن وجد فيه خللاً حمل على موضعه. فرأى في بعض ترده ضعفاً في جانب من مصاف أبي موسى فحمل عليه وكسر المصاف منه وقتل جماعة وأسر أبا موسى وقد أصابته ضربة في رأسه وأبا محمد القاسم وثلاثين رجلاً من القواد منهم وندرين بن الحسين بن مستر وشوزيل بن كوس (كذا) وشيرزيل بن علي ومن يجري مجراهم وكف عن القتل واستباح السواد وغنم هو وأصحابه منه ما تأملت أحوالهم به وتمم إلى جيرفت ودخلها واستولى على معظم أعمال كرمان وملكها وطالبه الديلم وقصدوه وتكاثروا عنده وأرادوه. وصار الفل من جيش بهاء الدولة إلى السيرجان واجتمعوا فيها وكانوا عدداً كثيراً وكاتبوا بهاء الدولة بالصورة فانزعج منها وقد كان قبض الموفق قبل هذا الحادث بمديدة.

وعمل ابن خلف على قصد السيرجان فخرج عنها من فيها طالبين شيراز. فلما حصلوا بقطرة ورد عليهم كتاب بهاء الدولة بالتوقف في موضعهم وأعلمهم تجريده أبا جعفر أستاذ هرمز بن الحسن إليهم لتدبير أمرهم وقصد عدوهم. فتوقفوا ولحق بهم أبو جعفر فأخذهم وعدل إلى هراة اصطخر.

فادخل يده في اقطاعات الديلم بفارس وتناول ارتفاعها واستخرج أموالها وأطلق لمن معه ما أرضاهم به واستدعى من بهاء الدولة المدد فأنفذ إليه مردجاوك التركي مع طائفة كبيرة من الاتراك وثلاثمائة رجل من الديلم الخوزستانية ووعدته [43] بأن يتبعه بعسكر آخر ورسم له قصد ابن خلف ومناجزته.

فسار في نواحي كورة اصطخر ومدّ يده إلى كل موجود في الاقطاعات

المحلولة وصار الى السيرجان وأقام بها خمسة أيام على انتظار حانويه بن حلمويه (كذا) للزطى وكان قد استدعاه. فوافاه فى عدة وافرة من أصحابه ورحل الى ناخنة وهى على عشرين فرسخاً من السيرجان ونزل بها. ورتب فى السيرجان ركابية وقوماً من المجمعزين ليبادروا إليه بخبر للعسكر الذى يتوقع خروجه من شيراز فورد إليهم أحدهم وأعلمه بانفصال القوم من شيراز وقربهم من السيرجان وأنهم على إغذاذ السير وطى المنازل.

وكان بنو خواجه بن سياهجنگ وأقارب القواد المأسورين يهتجمون فى كل يوم على بهاء الدولة ويطالبونه بتجريد العساكر مع صاحب جيش كبير لاستنقاذهم واستخلاصهم ويقولون: إن أبا جعفر أستاذ هرمز شيخ كبير لم تبق فيه حركة ولا نهضة. فجرد المظفر أبا العلاء عبيد الله بن الفضل وضم إليه وجوه الديلم والأتراك من شهرستان بن اللشكرى وأمثاله وأرسلاتكين الكوركيرى وخيركين (كذا) الطيبى ومن جرى مجراهما.

قال ابو عبدالله :

فحدثنى من كان حاضراً مجلس أستاذ هرمز يوم جاءه الخبر بانفصال أبى بالعسكر من شيراز وعنده جماعة من الديلم يأكلون على مائدته أنه لما عرف ذلك اضطرب وخفف الأكل ونهض وقد تقدم بضرب البوق للرحيل فاجتمع اليه مردجاوك ووجوه الأولياء وقالوا له :

- «تغرر بنا وبدولة سلطاننا وتحمل نفسك وتحملنا على هذا الخطر الذى يوجب الحزم وتجنبه والتوقف على الاستظهار [44] الذى هو أولى ما أخذنا به.»

[قال المحدث لابی عبدالله] ^(١) وأبو جعفر يسمع أقوالهم ويقول: اضربوا

البوقات، وحملوا.

فلما تردد الخطاب منهم وقلّ إصغاء أبي جعفر إلى ذلك قال له مردجاوك :
- «إذا كنت قد أقمت على أمرك فامض لشأنك فإني لا أتبعك».
فقال له أبو جعفر حينئذ :

- «إذا وصلنا أسبھسلار أبو العلاء غداً وفتح كان الاسبھسلار وكنت أنت
مردجاوك وصرت أنا استاذ هرمز ورجعنا على أعقابنا إلى باب السلطان
بالذل والخيبة وتصورنا بصورة من لم يكن عنده خير حتى جاء مجوسى
فعمل وأغنى».

هذا لفظ أستاذ هرمز فكان هذا القول حرّك مردجاوك وهزّه وبعثه على
متابعته فقال له :
- «الأمر لك».

وسارا حتى نزلا بخشار وقد كان طاهر بن خلف أحسن معاملة أبى
موسى خواجه بن سياهجنگ ودعا أبا محمد القاسم إلى وزارته والنظر فى
أموره، فعلمه ودافعه وواصل أبا جعفر أستاذ هرمز بالرسل والملطفات وعرفه
أخبار طاهر ومجارى أموره ومتصرفات تدبيره ومتقررات عزائمه.

فلما حصل أبو جعفر بخشار وبينها وبين جيرفت عشرون فرسخاً وبين
بم^(١) مثل ذلك وابن خلف بجيرفت وأفاده كتاب أبى محمد يذكر فيه ما عمل
عليه ابن خلف بجيرفت من قصده بمّ ويشير عليه بسبقه الى دارزين
واعترضه فى طريقه - ودارزين هذه فى سهل يحيط به شعاب وجبال - فانفذ
أبو جعفر قطعة من جيشه امرهم بأن يكمنوا لابن خلف وأصحابه فى
المواضع التى لا يحسون بهم فيها ثم يخرجوا عليهم منها عند تفرقهم فى

١. وفى الأصل : ثم.

السير فيوقعوا بهم فمضوا وفعلوا ذلك وبلغوا فيه المبلغ الذي أدركوا [45] بعض غرضهم به واسروا جماعة من رجاله وقواده ثم عادوا إلى أبي جعفر وقد رحل من خشار إلى سروستان كرمان وهي على اثني عشر فرسخاً من بهم.

وسار ابن خلف إلى بهم وتوجه أبو جعفر للقاءه وقد رتب المصاف وجعل سيره زحفاً على تأهب واستعداد حتى إذا حصل بدارزين وافاه من عرفه خروج ابن خلف لتلقيه وقتاله. فماج الناس وخافوا واضطرب الجند وثاروا واجتمعوا على أبي جعفر وقالوا له :

«غررتنا وغررت بنا وأشرنا عليك بالصواب فخالفتنا ولم تقبل منا وحملك العجب بنفسك والخوف على أسبھسلاريتك على التوجه في هذا الوجه قبل وصول المدد إلينا وتحصيلنا في هذا الموضع على مثل هذه الصورة.»

وبادر الفرسان من الأتراك والأكراد ليعرفوا الخبر فصادفوا ابن خلف قد خرج من بهم كالطليعة في عدة يسيرة ليشاهد عسكر أستاذ هرمز ويحزر عدته، فواقعوه وعاد إلى بهم وعادوا إلى دارزين. وأصبح أبو جعفر والعسكر مُشغَب عليه وهو متحير في أيديهم. فبينما هو يلاطفهم ويداريهم أحضره الأكراد رجلاً ذكروا أنه جاسوس لابن خلف فقال له :

«أنت جاسوس ابن خلف.»

قال : «لا ولكني رسول ديررشت بن ماهويه لصاحب لابی جعفر بهم وهذا كتابه إليك يخبرك فيه بانصراف ابن خلف إلى سجستان.»

فلما سمع قوله ووقف على الكتاب أظهره عند العسكر فسكنوا وزالوا عما كانوا عليه من الهنجة وسار بعد أن قدم جماعة من المعروفية إلى باب بهم ليمنعوا الناس من دخولها ويعدلوا بهم إلى قرية تعرف بقرية [46] القاضي

على فرسخين منها في سمت نرماسير ونزل بقرية القاضي واستأمن اليه كثير من الديلم الكرمانية الذين انضوا إلى ابن خلف وكان الموفق قد طردهم فقبلهم ورد عليهم إقطاعهم.

ولما حصل بهذه الناحية اجتمع اليه وجوه العسكر وألحوا عليه في اقتفاء أثر ابن خلف وانتزاع الماسورين من يده. فعللهم ودفعتهم من يوم إلى يوم إلى أن عقدوا هجمة اقترحوا فيها النهوض بهم في طلبه. فاستدعى الوجوه وقال لهم:

- «قد أيدنا الله تعالى ونصرنا وبلغنا في الظفر غاية ما أمّلنا وقدرنا، وليس يجب أن تقابل ذلك بالبغى وطلب الغاية التي ربما أدت إلى الندامة وقد مضى العدو هارباً من بين أيدينا وإن اتبعناه إلى رأس المفازة ولزنا في القتال والمكافحة ورأى المفازة أمامه والعسكر وراءه لم نأمن أن يحمل نفسه على الأشد ويقا تل قتال المستقتل وربما نصر ورجعنا على أعقابنا مفلولين فنكون قد أضعنا الحزم وحصلنا على الندم بعد الفوت.»

فكان هذا القول طريقاً إلى سكون القوم ورجوعهم عما كانوا عليه من المطالبة بالمسير. وعاد ابن خلف إلى سجستان ومعه أبو موسى خواجه بن سياهجيك وأبو محمد القسم بن مهدي فروخ والقواد المأسورون وانتقل أستاذ هرمز إلى بتم وأقام بها أياماً والكتب وأردة عليه بأن المظفر أبا العلاء مجد في المسير إلى مستقره.

وحصل أبو العلاء بقرية الجوز وأنفذ حاجبين من حجابيه برسالة إلى أبي جعفر والعسكر يعلمهم فيها قربه منهم وهم إذ ذاك بقرية القاضي ويشير عليهم بالالتزام إلى بتم ليقع [47] الاجتماع بها. وكان غرضه في هذه الرسالة يعرف ما عند القوم وأن يزور الأمر فيما كان وقف عليه من صرف أبي جعفر وردّه

الى شيراز مع الأولياء الشيرازيين والمقام^(١) بكرمان ناظراً فيها.
وكان قد صحب أبا العلاء عبدالله بن عبدالعزيز برسم خلافة الوزارة. فلما
وردت هذه الرسالة على أبي جعفر تبين المراد^(٢) فيها واستدعى وجوه
الديلم سراً وقرر معهم ما يجيبون به عنها. وحضر الرسولان^(٣) في الحفل
وأعادوا القول فقام الوجوه وقالوا:

- «هذه البلاد لنا ونحن فتحناها بعد تغلب السجزية عليها وهذا الرجل
- وأومأوا الى أبي جعفر أستاذ هرمز - اسبھسلارنا ومن جائنا فتكناه وفعلنا به
وصنعنا ويجب أن تعيدا هذا الجواب وتنصحا لهذا المجوسى حتى ينصرف
ولا يفسد أمراً قد صلح ويحلّ نظاماً قد ترتب.»

وكادوا يشون بالرسولين حتى خلصهما أبو جعفر وصرفهما وعادا الى أبي
العلاء وعرفاه ما جرى فكتب الى بهاء الدولة به وعلم أنه لا فائدة في مقامه
فعاد مع العسكر الى شيراز. وصار أبو محمد عبدالله بن عبدالعزيز الى ابي
جعفر وأقام أبو جعفر والياً وأبو محمد موقفاً عن مجلس الوزارة، ثم أنفذ أبو
اسحق ابراهيم ابن احمد بدلاً من أبي محمد.

وكان الوزير أبو غالب محمد بن على لانحرافه عن أبي على ابن أستاذ
هرمز وأبي جعفر والده قال لبهاء الدولة:

- «إن بكرمان إقطاعات محلولة وأموالاً موجودة وقد استولى عليها أبو
جعفر وأقاربه وتوزعوها وتقسموها.»

وأشار بالاختيار من ينفذ للنظر في ذلك ويقرر الأمر في الاقطاعات
وافراد ما يفرد للخاص واجتذاب ما يلوح من الاموال. فعول على أبي [48]

١. والمثبت في مد: والمقم. وهو خطأ.

٢. والمثبت في مد: المرد.

٣. والمثبت في مد: لرسولان.

الفضل محمد بن القاسم^(١) بن سودمند^(٢) العارض في الخروج وتولى هذه الحال وخرج على طريق الكورة.

فلما حصل في جيرفت حمل أبو جعفر الديلم على الهنجة فعمدوا هنجة قتلوا فيها علي بن أحمد بن يحيى وكان أحد الكتاب الكفاة الدهاة وإليه الإشراف على أبي إسحق إبراهيم بن أحمد ونهبوا دور الحواشي وبلغ أبا الفضل ذلك، فقبض على أبي القاسم الطويل الحاجب صاحب أستاذ هرمز وضربه ألف عصا وراسل أستاذ هرمز بالانكفاء إلى شیراز وأنه متى لم يفعل قبض عليه. فخرج وصار إلى حضرة بهاء الدولة.

وتوسط أبو الفضل الاعمال وأقام بها ستة أشهر وأقام الهيئة ورتب الأمور وأسقط جماعة من الديلم وطردهم وقرر للباقين أقساطاً وسلم بها إلى أكثرهم ضياعاً وأفرد للخاص ما كان له ارتفاع وافر وقبض على الإصفهذي بن ذكي وكنجر بن العلوي وكانا خرجا في صحبته من شیراز. قال أبو عبدالله :

فحدثني بعض الحواشي المختصين، أن أقوى الدواعي كان في إخراج أبي الفضل ابن سودمند إلى كرمان ما كان في نفس بهاء الدولة على الإصفهذي بن ذكي لأنه كان واجهه في سنة الصلح مع الديلم بالاهواز بالقول القبيح وامتنع من البيعة له إلا بعد المفاوضة الطويلة والتعب الكثير وأنه دبّر ما أراد من القبض عليه وشفاء صدره منه بإخراج أبي الفضل وإخراجه معه حتى تم له ببعده ما حاوله فيه. وعاد أبو الفضل إلى شیراز على طريق الروذان ومعه خمسمائة ألف درهم وشيء كثير من السلاح والثياب.

١. في مد: القسم.

٢. والمثبت في مد: سودمند (بالذال المعجمة).

[49] ذكر ما جرى عليه

أمر طاهر بن خلف بعد عوده

لما انصرف من بم دخل المفازة وصار إلى سجستان ومعه أبو موسى خواجه بن سياهجك وأبو محمد القاسم بن مهدي فروخ والديلم المأسورون وحصل على باب البلد. فخرج إليه خلف أبوه وقتله وجرت بينهما وقائع كثيرة في أيام متتابعة ووقف الأمر في المناجزة. وراسل الديلم المأسورون طاهر ابن خلف وكانوا من الأعيان المذكورين والشجعان المشهورين وبذلوا له فتح البلد وأخذوا إذا أطلقهم وأعطاهم من السلاح ما يرضيهم وشرطوا عليه تخليتهم إذا بلغ مراده بهم ليرجعوا إلى منازلهم. فتقبل البذل منهم والتزم الشرط لهم وأفرج عنهم وسلم إليهم سلاحاً اختاروه وقتلوا قتالاً شديداً وأبلاوا بلاء كثيراً ونصرهم الله تعالى وأجرى الفتح على أيديهم وملك طاهر وصعد أبوه إلى قلعة له تعرف بقلعة الحبل، على خمسة فراسخ من البلد، وتحصن بها ووفى طاهر للديلم بما وافقهم عليه وأعطاهم وخلع عليهم وحملهم وزودهم وخلى لهم عن سبيلهم. وبقي أبو موسى وأبو محمد في يده. فأما أبو موسى، فإنه قرّر عليه صلحاً صح له بعضه وكان أولاده على حمل باقيه وتوفيته، فعاجلته المنيّة وتراعى به جرح الضربة التي أصابته في رأسه إلى الوفاة، لأنها وقعت في موضع ضربة قديمة، واستقام أمر طاهر وأقام أبو محمد القاسم عنده. وشرع خلف في أن يفسد على ابنه ويصرف الديلم عنه. فلم يتم له ذلك لأنهم [50] كانوا مائلين إليه وحاول الفساد للرعية أيضاً. فكانت رغبتهم في ابنه أفضل منها فيه لسوء معاملة الشيخ لهم وقبح سيرته بهم وإن أظهر من التمليس ما كان يظهره حتى إذا اعتاد الفساد على هذه الوجه عدل إلى أعمال الحيلة وراسل ابنه وقال له :

- «قد اخذنا من المقاطعة بأكثر حظّ وانتهينا فيها الى أبعد حدّ، وتأمّلت امرى فلم أجد لى ولداً باقياً غيرك ولا خلفاً مأمولاً سواك، ووجدتني قد كبرت وتقضى عمري إلّا القليل وقد رأيت أن أسلم الأمر والبلد والقلعة وما لى فيها إليك وأزيل الوحشة العارضة بينى وبينك وأتوفّر على أمر الله تعالى فى المدة الباقية لى معك وأقتصر على البلغة من العيش فى كنفك ومن يدك. فأبى لست آمن أن يقضى الله تعالى علىّ قضاءه، فيستولى على هذه القلعة من فيها ويخرج مالى ونعمتى وما جمعته طول تدبرى إلى غير ولدى ومن بقاؤه بقاء ذكرى.»

ولم يزل يرأسه ويطمعه حتى استغفّره وخدعه وتقرر بينهما أن يركب ابنه إلى أسفل القلعة وينزل خلف ويجتمعا على قنطرة كانت لخندق من دونها ويشاهد كل واحد منهما صاحبه ويوصى خلف إليه ويعرفه ماله ومواضعه. وركب طاهر وحده وجاء الى تحت القلعة ونزل خلف على مثل هذه الصورة والتقى على القنطرة وقبّل طاهر يد أبيه وعانقه أبوه وضمّ رأسه إلى صدره وكان تحت القنطرة فى حافات الخندق دغل كثير من بردى وحشيش يستتر فيه المستتر به، وقد كتمن له خلف مائة رجل فى أيديهم سيوف. فلما ضمّه خلف إلى صدره بكى بكاء أجهش فيه حتى علا صوته، وخرج القوم [51] فأمسكوا طاهر وأصعدوا به إلى القلعة وقتله خلف وغسله بيده ودفنه. وتأدى الخبر الى أصحاب طاهر فاستسلموا لخلف وسلموا البلد إليه وعاد إلى موضعه منه.

وتوصّل أبو محمد القسم الى أن أحضر جمازات وأكراداً وجعلها على قرب منه ثم خرج وركبها وهرب وصار الى شيراز فقلد العرض ووزر بعد ذلك على مآذكره فى موضعه.

وكان أعداء خلف يراقبونه لأجل طاهر ابنه وما ظهر من نجابته ورجلته

وشجاعته ونجدته. فلما هلك طمع فيه وجرد إليه يمين الدولة أبو القاسم محمود عسكرياً واستولى على بلده وقلعته وأخذه إلى خراسان فجعله بالجوزجان مغلًى فيها كمعتقل ومطلقاً كمحبوس، وأجرى عليه ما احتاج إليه لاقامته ونفقاته، ثم توفي بعد مدة وحصلت سجستان مع خراسان إلى هذه الغاية^(١).

سنة احدى وتسعين وثلاثمائة

اولها يوم الأحد وأول يوم من كانون الأول سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة وألف لاسكندر وروز رام من ماه آذر سنة تسع وستين وثلاثمائة ليزدجرد. فى يوم الأربعاء الحادى عشر من المحرم حضر الأتراك دار أبى نصر سابور بن أردشير بدرب الديزج وتردد بينه وبينهم خطاب فى أمر التجريد أذى الى توثيبهم به على أبى الحسن ابن علان العارض وهرب أبو نصر ووقع الفتنة بين الغلمان والعامه.

شرح الحالة فى ذلك

قد ذكرنا ورود أبى الحسن ابن علان لاجراج الغلمان إلى فارس وكان أبو نصر سابور قد حصل من المال ما سلمه إلى أبى الحسن وأعدّه عنده لينصرف [52] فى نفقاتهم وما يتقرر عليه أمورهم.

١. قال صاحب تاريخ الاسلام: وتوفى خلف شهيداً فى الحبس ببلاد الهند رحمه الله فى قبضة محمود بن سبكتكين وكان محمود فى سنة ٩٣ قد حاصره ونازله واستنزله بالأمان من قلعته ووجهه الى الجوزجان فى هيئة ووفور هيئة. ثم بلغ السلطان عنه بعد أربع سنين من ذلك انه يكاتب ايلك خان الذى استولى على بخارا، فضيق عليه السلطان بعض الشيء إلى أن مات فى رجب سنة ٣٩٩ وورثه ولده أبو حفص (مد).

فلما كان في يوم الاربعاء المذكور حضر أبو الحسن دار أبي نصر وحضر الغلمان. فجدد الخطاب معهم في الخروج وجد بهم فيه. فامتنعوا منه إلا بعد أن توقفوا استحقاقاتهم وتردد في ذلك ما انتهى إلى بذل أبي نصر للخارجين إطلاق الثلث مما وجب لهم بالحضرة والثلث بالأهواز والثلث الباقي بشيراز، وأن يكون الإطلاق العاجل لمن يخرج خاصة. فأغضبهم ذلك ووثبوا بأبي الحسن وهجموا على أبي نصر وهرب من بين أيديهم. وبادر العلويون والعامّة فدفعوهم عن الدار ورموهم بالآجر من السطوح وخرج الأتراك مغيظين محفظين وثارَت الفتنة بينهم وبين أهل الكرخ واجتمعوا من غد وصاروا إلى قتال العامة من القلايين وباب الشعير وعظم الأمر وانضوى إلى الأتراك أهل السنة من سائر المواضع وصار أهل الكرخ إلى أبي الحسن ابن يحيى العلوى وشكوا إليه حالهم وما قد أظلمهم. فقال لهم:

«لا قدرة لى على هؤلاء القوم ولا طاقة لى بهم.»

وأنفذ أبو القاسم ابن مما جماعة من الديلم فأجلسهم على القنطرة لمنع القتال من تلك الجهة وعبر أبو الحسن ابن يحيى في اليوم الثالث إلى دار المملكة ومعه وجوه العلويين والفقهاء الذين بالقطيعة واجتمعوا مع وجوه الأتراك وأعلموهم أنهم لا يعلمون لأبي نصر سابور خبراً ولا عندهم محاماة عنه وسألوهم كفت الأصاغر عن الفتنة والإبقاء على المستورين من الرعية وأنفذوا بالمعروفية وصرفوهم. وطالب الأتراك أبا الحسن ابن علان بإطلاق ما حصل من المال في يده في الأقساط والتمس الديلم ما يجب لهم فيه فسلم وذاك فرق وبطل [53] التجريد.

وتصور أبو نصر سابور وهو في الاستتار وقوع التوازر عليه واتفاق الجماعة من أبي الحسن ابن يحيى وأبي يعقوب أخيه وأبي القاسم ابن مما على التجعد منه والعداوة له. فخرج عن بغداد إلى القصر ومنها إلى سورا ثم

الى البطيحة. وكتب الى بهاء الدولة بما أوغربه صدره عليهم ونسب فيه جميع ما جرى من الفساد وأخذ المال ووقف أمر التجريد واثارة الفتنة اليهم. وفي يوم السبت لليلتين بقيتا منه توفي مرمارى بن طوبى الجاثليق^(١). وفي روز خرداذ من ماه ذى^(٢) الواقع فى هذا الشهر عاد بهاء الدولة من فسا إلى شيراز.

ولما فارق أبو نصر سابور موضعه ونظره خاف أبو الحسن على ابن أبى على، لأنه كان صاحبه ومختصاً به، فاخفى شخصه وبعد عن البلد. وزادت الفتنة وتسلط أهل الذعارة فقلد أبو الفوارس بهستون ابن ذرير الشرطة ونزل دار أبى الحسن محمد بن عمر التى على دجلة وقبض على جماعة من العيارين وقتلهم وكبس دورهم ومنازلهم واستعمل السطوة وأقام الهيبية فاستنقام الأمر به. وحدث من الأتراك معارضة له فى بعض ما فعله، فاستعفى وعاد إلى داره بالجانب الشرقى وأقام ابو القاسم ابن العاجز على النظر.

ذبح المقلد على فراشه

وفى ليلة الاربعاء لسبع بقين من صفر قتل حسام الدولة أبو حسان المقلد بن المسيب العقيلي بالأنبار غيلة.

مركز تحقيق كالمبيوتر علوم إسلامي

١. هو من أهل الموصل من أولاد الرؤساء والكتاب وتربى فى الدواوين وكتب لبنت أحمد امرأة ناصر الدولة ولما اضطربت أمور بنى حمدان لقبض أولادها على أبيهم بغير إذنها وسائر الأخوة ووقع بينهم القتال اثر الترهيب. كذا فى ترجمته فى كتاب المجدل لمارى بن سليمان طبع فى رومية الكبرى سنة ١٨٩٩ المسيحية ١٠٤١ وفيه أنه مات سنة ٣٩٠ وأن مدة جثثته أربع عشرة سنة قمرية (مد).

٢. ذى (= دى): الشهر العاشر من السنة الشمسية الإيرانية.

ذكر الحال في ذلك

قد ذكرنا ما كان من غلمانة الأتراك في خروجهم من داره وأخذهم دوابه وهربهم منه وأنه تبعهم وظفر بهم وقتل وقطع أحد عشر غلاماً منهم وأعاد الباقين إلى خدمته وهم على خوف منه وإشفاق من عظم هيئته وسوء [54] معاملته. فقليل: إنَّ أحدهم راعى الفرصة منه وذبحه في الليلة المذكورة وهو سكران وهرب. وقد قيل: إنَّ أحد فراشيته فعل ذلك به، إلا أنَّ الغلام أثبت. وقد كان المقلد راسل جماعة كثيرة من وجوه الأولياء ببغداد واستمالهم ووعدهم وأطعمهم وحدث نفسه بدخول الحضرة والاستيلاء على المملكة وأصل في ذلك أصولاً كاد غرضه بها يتم. فاتفق من أمر الله تعالى جل وعزَّ مالا يغالب فيه.

ذكر ما جرى عليه الأمر

بعد قتله على ما حدثني به أبو الفتح عيسى بن إبراهيم قال لما قتل المقلد لم يكن قرواش حاضراً بالأنبار وهو الأكبر من أولاده وكانت خزائنه بها وعساكره بسقى الفرات. وخاف أبو الحسين عبد الله بن إبراهيم بن شهرويه بادرة الجند ونهيبهم. فراسل أبا منصور قراد بن اللديد وكان قريباً منه بالسندية واستدعاه إليه وقال له:

«أنا اجعل قرواش ولداً لك وأزوجه ببعض بناتك وأقرر معه مقاسمتك على ما خلفه أبوه في خزائنه وتكون عوناً له على الحسن عمه. فانه ربما طمع في الاستيلاء على الأمر بعد المقلد. فأنفذ الرسل إلى قرواش يحثه على المبادرة واللحاق. وصار قراد إلى الأنبار ونزل في دار الإمارة بها وحرس الخزائن وحسم الأطماع وحضر قرواش بعد أيام واجتمعوا وتقاسما على المال

وتحالفوا وتعاقدا على التعاضد. وقد كان قراد قبل ورود^(١) قرواش أطلق للجنود شيئاً من ماله وارتجع عوضه بعد ذلك. فلما عرف الحسن بن المسيب ما جرى واستبداد قرواش بقراد، علم أن الأمر والغرض قد فاتته وامتنع عليه من الأمر [55] ما كان يقدره. فشكا إلى عسكر ابن أبي طاهر وأبي المعضاد كلاب بن الكلب وجماعة من المسيبيين^(٢) الحال وقال:

- «يا قوم يرث قراد بن اللديد مال بني المسيب وهم أحياء؟»
فقال له عسكر:

- «هذا من عملك ولخوف ابن أخيك منك.»

فقال: «ومن أي شيء خاف وما الذي يريده؟»

قال: «لو سكن منك إلى خلوص النية وصلة الرحم وحفظه فيما خلفه أبوه له لما أدخل بينك وبينه غريباً ولكنك أولى به وكان أولى بالمحاربة عنك.»

فقال له الحسن:

- «أنا على ذاك ومهما ستموني به من توثقة عليه بذلته لكم.»

وكتب عسكر ابن أبي طاهر إلى قرواش بما جرى وترددت الرسل بينه وبينه حتى استقر الأمر على أن يسير الحسن إلى الأنبار مظهراً فإذا وقعت العين على العين قبضاً على قراد وارتجعا منه ما أخذه ولم يدخل أبو الحسين ابن شهرويه في القصة ولا عرفها.

وانحدر الحسن وقرب من الأنبار وبرز قرواش وقراد للقاءه. وبينما الفريقان متصافان متواقفان إذ جاء بعض العرب فأسر إلى قراد شيئاً. فولّى هارباً يطلب طريق البرية وتبعه قرواش والحسن وأصحابهما وجدوا في

١. وفي الأصل: قبل وزود.

٢. والمثبت في الأصل: المسييين.

طلبه. ففاتهم واجتاز بحلته فلم يدخلها ومضى على وجهه. وتلاقى الحسن وقرواش وتعانقا وبكى كل واحد منهما وقال الحسن لقرواش قولاً جميلاً استماله به وبذل له أن يكون بحيث يؤثره ويحييه، واتفقا على ارتجاع ما أخذه قراد من الخزائن. وأنفذا إلى زوجته بنت محمد ابن مقن وأخت غريب ورافع وطالباها بما في بيوتها من ذلك فامتنعت عليهما وخاطبتهما خطاباً فيه بعض الغلظة وأجاباها بمثله وأدخلا إلى البيوت من أخرج المال والأعدال اللذين حصلا بقسم قراد [56] من مال المقلد وأخذها وانكفاً إلى الانسبار وأقاما أياماً.

وحمل قرواش إلى الحسن عمه ثياباً وفرشاً وسلاحاً وغير ذلك وسار إلى الكوفة وواقع بني خفاجة بناحية زبارا^(١) وظفر بهم ومضوا بعد هذه الواقعة إلى الشام وكانوا هناك إلى أن استدعى أبو جعفر الحجاج أبا علي الحسن بن ثمال فورد ووردوا على ما تذكره من بعد في موضعه.

وفي ليلة يوم الأربعاء مستهل ربيع الأول توفي أبو الحسن علي بن محمد الإسكافي.

وفي يوم الخميس لليلتين خلتا منه توفي أبو بكر ابن حمدان البزاز.

القادر بالله يجعل ابنه أبا الفضل وليّ عهده
ويلقبه بالغالب بالله

وفي يوم الأحد الخامس منه جلس الخليفة القادر بالله أطال الله بقاءه للحاج الخراسانية وأعلمهم أنه قد جعل الأمير أبا الفضل ابنه وليّ عهده ولقبه: الغالب بالله، وقرنت عليهم الكتب المنشأة بذلك.

شرح الحال فى ذلك

جلس على السدة العالية بثياب سود متقلداً سيفاً بحمائل فى البيت المعروف ببيت الرصاص، وبين يديه نهر يجرى الماء فيه الى دجلة، ودخل اليه الأشراف والقضاة والشهود والفقهاء وأهل خراسان العائدون من الحج وقرئ فى المجلس على رؤوس الملاء كتاب بتقليده أبا الفضل ولده العهد بعده وتلقيه الغالب بالله تعالى ولا غالب إلا الله وحده لا شريك له، وكان له من السن فى هذا الوقت ثمانى سنين وأربعة أشهر وأيام. وكتب الى البلاد بأن يخطب له بعده على نسخة قررت بحضرته وكانت بعد اتمام الدعاء له :

«اللهم وبلغه الأمل فى ولده أبى الفضل الغالب بالله تعالى ولى عهده فى المسلمين. [57] اللهم وال من والاه من العباد وعاد من عاداه فى الأقطار والبلاد، وانصر من نصره بالحق والسداد، واخذل من خذله ببالغى والعتاد. اللهم ثبت دولته وشعاره وانبذ الى من نابذ الحق وأنصاره».

ذكر السبب فى تقليده العهد على هذه السن

قد ذكرنا فيما قدمناه من أخبار خراسان حال الواثقى^(١) ووقوعه الى هرون بن ايلك بغراخاقان واستيلاءه عليه وتقدم منزلته عنده. وكان أبو الفضل التميمى الفقيه قصد بلاد الخانية واجتمع مع هذا الواثقى فاتفقا على ان افتعلا كتاباً عن الخليفة اطلال الله بقاءه بتقليد الواثقى العهد بعده واظهرا ذلك عند بغراخاقان وأنّ أبا الفضل ورد فيه. وصادف هذا الامر رأياً جميلاً من بغراخاقان فى الواثقى ومنزلة لطيفة له عنده فقوّاه واكّده، وتقدم بأن يخطب

١. قال الصفدى فى الوافى بالوفيات: هو عبدالله بن عثمان بن عبدالرحيم بن ابراهيم بن الواثق وكان يلقب بالصاعد بالحق (مد).

له في بلاده بعد الخليفة أطلال الله بقاءه. وشاع الحديث في أعمال خراسان ووردت به الكتب الى الخليفة أطلال الله بقاءه فأنكره وأكبره وغازله ما تمّ منه وأزعجه. وأوجب الرأي عنده أن رتب الأمير أبا الفضل ولده في ولاية عهده وكتب الى سائر الاعمال والاطراف بذلك والى أمراء خراسان والخانية بتكذيب الوثائق وتفسيقه وبعده عن استحقاق ما ادعاه لنفسه.

فحدثني القاضي ابو القاسم علي بن المحسن التنوخي^(١) قال:

كان هذا الرجل وهو عبدالله بن عثمان من ولد الوثائق بالله يشهد بنصيبين عند الحكام فيها وعند صدقة بن علي بن المؤمل خليفة القاضي أبي علي التنوخي والذي على القضاء [58] بها، وإليه مع الشهادة الخطابة في المسجد الجامع. وكان يفسد على صدقة ويحاول أن يقوم مقامه في خلافة والذي. واجتمع صدقة وأهل نصيبين على أن كتبوا محضراً بتفسيقه وشهدوا بذلك عند صدقة شهادة سمعها وقبلها وأنفذ الحكم بها وكتب إلى والذي بالصورة وأنفذ إليه المحضر والسجل عليه. فقبل ذلك والذي وأمضى الحكم به وأنفذه وأشخص الوثائق إلى بغداد.

فلما ورد خاطبه خطاباً قبيحاً وأوقع به مكروهاً واعتقله في حبس الشرطة حتى خاطبه في أمره أبو الفرج عبدالواحد بن محمد البيهقي^(٢) الشاعر للبلدية التي كانت بينه وبين الوثائق فأطلقه. ونزل غرفة في الفرضة بإزاء دار المملكة وذلك في أيام عضد الدولة.

قال القاضي ابو القاسم:

وكان يواصله ابو العباس احمد بن عيسى المالكي لصداقة بينهما وبلدية.

١. وردت ترجمته في إرشاد الأريب ٣٠١:٥ وترجمة والده أبي علي الذي صنف كتاب الفرج بعد الشدة وكتاب نشوار المحاضرة، ووردت فيه أيضاً ٣٥١:٦ (مد).

٢. توفي سنة ٣٩٨ وهو المخزومي الحنطلي. كذا في الانساب للسماعني ص ١٧٩ (مد).

فحدّث أبو العباس قال : حضرت عنده ليلة في غرفته وقلت له :
 - «الصواب أن تستعطف القاضي أبا علي التنوخي وتوسط بينك وبينه أبا
 الفرج الببغاء وتصلح أمرك معه.» - ^(١) وأنا أخاطبه وأكرر هذا الرأي عليه وهو
 معرض عني فقلت له :

- «أسمعت ما أشرت عليك به؟»

فقال لي :

- «يا أبا العباس، أنت جاهل. أنا مفكر كيف أطفئ شمع هذا الملك الذي
 نحن بإزاء داره وأخذ ملكه وأنت تقول لي : استصلح التنوخي.»
 قال أبو العباس :

فلما سمعت قوله قلت : «سلاماً» وقمت من فوري منصرفاً عنه وخائفاً من
 أذية تتطرق عليّ به وقطعته.

قال القاضي أبو القاسم :

فلما ظهر من حديثه فيما وراء النهر بخراسان ما ظهر، وقلد الخليفة أطال
 الله بقاءه أبا الفضل ولده ولاية عهده وطعن على الواثقى فأنكر أمره، بلغه
 [59] حال المحضر الذي كان أنفذ إلى والدي من نصيبين بتفسيقه من جهة
 بعض ما أخبر به بحديثه ^(٢) فاستدعيت إلى الدار العزيزة استدعاء حثيثاً لم
 تجر عادة به فمضيت ودخلت على أبي الحسن ابن حاجب النعمان فقال لي :
 - «ما الذي جرى منك، فإنّ الطلب لك ما ينقطع».

قلت : «ما أعلم أنّه حدث ما يقتضى ذلك.»

وكتب بخبري فخرج الجواب بأنّه : بلغنا حال محضر أنفذ إلى والده من
 نصيبين بتفسيق الواثقى وأنّه أسجل به. فتطالبه بإحضاره وإحضار السجّل

١. وزاد في مد : «قال» للايضاح ولا لزوم له.

٢. لعله : من حديثه.

عليه. فأقرأني ذلك وقلت :

- «السمع والطاعة»-

وانصرفت وأنا خائف من أن يكون هذا المطلوب قد ضاع فيما ضاع لنا وتشاغلنا بالتفتيش عنه فوجدته وحملته من غد وسلّمته. فلما حمل إلى حضرة الخليفة أطل الله بقاءه، رده وقال للرئيس :

- «سله هل حفظ على والده إقراره بما أسجل به»-

فسألني عن ذلك فقلت :

- «نعم قد كان أقرّ عندي به»-

ورسم إحضار القضاة والشهود والفقهاء، ففعل ذلك. وحضر القوم ومنهم القاضي أبو محمد ابن الأكفاني والقاضي أبو الحسن الخرزي وأبو حامد الإسفرايني والشهود بأسرهم وعمل كتاب على سجلّ والدي بإفناذ ما سمعته من حكمه به وأشهدت الجماعة المذكورة على نفسي فيه. وكان ذلك في جملة ما أنفذ إلى خراسان وجرح الوثائق به.

وحكى القاضي أبو القاسم :

أنّ هذا الوثائق دخل بغداد بعد ما جرى له بخراسان ونزل داراً وراء داره بباب البصرة. ثم انتقل عنها لما عرف خبره وشاع أمره وأنه رآه في بعض الايام بالكرخ وهو لا يعرفه [قال] فرأيت رجلاً عليه قباء [60] واذاري^(١) وعمامة شاهجانية وهو يمشى منحنيّاً ويدها معقودتان من ورائه كفعل الخراسانية. وكان معي أبو العباس المالكي. فلما رآه سلم عليه وقبّل كتفه فنهزه وزبره بلفظ الفارسية الخراسانية فقال له المالكي :

- «إنما سلّمت عليك وعندي أنّك صديقنا الذي يعرفنا ونعرفه. فإذا

١. قال المقدسي ص ٣٢٤ س ١٨: ومن وذا را ثياب الودارية وهي ثياب على لون المصمت وسمعت بعض السلاطين ببغداد يسميها ديباج خراسان (مد).

أنكرت ذلك فالله معك.»

والتفت إلى وقال :

«تعرف هذا الرجل؟»

قلت : «لا.»

قال : «هذا الوثاقي الذي ادعى ولاية العهد بخراسان.»

ذكر ما جرى عليه أمر الوثاقي بعد ذلك

على ما عرفته من القاضي أبي جعفر السمناني^(١)

لم يسمع بغراخاقان فيه قول قائل ولا أحالة عن العناية به والعصبية له محيل. فلما توفي وملك أحمد بن علي قراخان كاتبه الخليفة أطل الله بقاءه، بإبعاده. فلم يكن عنده الموضع الذي كان له عند بغراخاقان. فأنفذ إلى موضع يعرف بأسفاكند وجعله كالمحبوس فيه بعد أن أقام له ما يحتاج إليه وأقام هناك مدة ثم صار إلى بغداد كاتماً نفسه ونزل بباب البصرة وانتهى إلى الخليفة أطل الله بقاءه خبره فتقدم بطلبه، وانتقل إلى التوثة ولقيه جماعة من الفقهاء فأعطاهم وبرّهم ووصلهم. ثم انحدر إلى البصرة ومضى منها إلى فارس وكرمان وعاود بلاد الترك فلم يتم له ما حاوله من قبل ونفذت كتب الخليفة أطل الله بقاءه بتتبعه وأخذه فهرب من هناك وصار إلى خوارزم وأقام بها. ثم فارقتها وقصد الأمير يعين الدولة أبا القاسم محموداً وأخذه وأصعد به إلى بعض القلاع فكان فيها محبوساً محروساً موسعاً عليه إلى أن مات.

وفي شهر ربيع الأول توفي أبو شجاع بكران بن بلفوارس [61] بواسطة.

١. في تاريخ الإسلام هو محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد قاضي الموصل شيخ الحنفية سكن بغداد. قال فيه الخطيب: يعتقد مذهب الأشعرى وقد ذكره ابن حزم فقال: هو أكبر أصحاب الباقلاني ومقدم الأشعرية في وقتنا. توفي سنة ٤٤٤ (مد).

وفى يوم الأربعاء لليلة بقيت منه قبل القاضي أبو عبدالله الضبّي شهادة أبي الحسن على بن الحسن بن العلاف الواسطي.

وفى سحرة يوم الجمعة لليلة خلت من شهر ربيع الاول توفّي أبو القاسم عيسى بن علي بن عيسى بن داود بن الجراح^(١) وصلى عليه القاضي أبو عبدالله الضبّي وقد كان أبو القاسم جلس وحدث وصار اليه أبو بكر محمد بن موسى الخوارزمي^(٢) وخلق كثير. فسمعوا منه وكتبوا عنه وكان رجلاً فاضلاً يعرف علوماً كثيرة من علوم الدين والمنطق والفلسفة.

وفى هذا اليوم توفّي أبو النضر كعب بن عمرو البلخي المحدث. وفى يوم الخميس السابع منه قلد القاضي أبو حازم محمد بن الحسن الواسطي القضاء بواسط وأعمالها وقرئ عهده فى الموكب بدار الخلافة. وفى يوم الخميس لسبع بقين منه توفّي أبو حفص عمر بن وهب المقرئ وكان شيخاً صالحاً.

ذكر قتل علي بن طاهر الكاتب

وفى ليلة السبت لسبع بقين منه قتل أبو الحسن علي بن طاهر الكاتب.

مركز تحقيق كتاب تبيين علوم الحال فى ذلك

قد كان مضى إلى مصر هارباً من أبي الحسن محمد بن عمر، فأقام بها

١. قال صاحب تاريخ الاسلام انه كان يرمى بشيء من مذهب الفلاسفة وترجمته موجودة فى

تاريخ الحكماء لجمال الدين القفطى ص ٢٤٤ (مد).

٢. وقال فيه: هو شيخ أهل رأى ومفتيهم انتهت اليه الرئاسة فى مذهب أبي حنيفة بالعراق وانه كان يقول: ديننا دين العجائز ولسنا من الكلام فى شيء. وكان له امام حنبل يصى به وقد دعى الى ولاية الحكم مراراً فامتنع توفى سنة ٤٠٣ (مد).

مدة وعاد في هذا الوقت مع الحاج، وتحدث الناس بأنه ورد بموافقة من صاحب مصر وللشروع له في الفساد على الدولة العباسية.

فلما كان في الليلة المذكورة كبسه العيارون في داره بدرب المقيمر من سوبقة^(١) غالب وعلوه بالسيوف ليقتلوه فقامت جاريته من دونه للمدافعة عنه فضربوا يدها ضربة أبانتها، وضربوه عدة ضربات فاضت منها نفسه وأخذوا جميع ما وجدوه من ماله ورحله وانصرفوا. وحضر أبو الحسن محمد بن أحمد بن علان من غد فتولّى تجهيزه ودفنه في داره.

وفي يوم الأحد لست بقين منه خرج أبو القاسم الحسين بن محمد بن مما إلى شيراز بمرقعة.

[62] ذكر السبب في ذلك

وما جرى عليه أمره في خروجه

إلى حين رجوعه

لما انحدر أبو نصر سابور من بغداد مستتراً على ما قدمنا ذكره، وأخذ المال المجموع للتجريد وأطلق في الاقساط كتب أبو نصر إلى بهاء الدولة وأحال في جميع ما جرى على أبي الحسن ابن يحيى وأبى يعقوب أخيه وأبى القاسم ابن مما.

وكان ينوب عن أبي القسم بفارس أبو الحسين ابن عبد الملك ابن علي النقيب وبين أبي القاسم وبين أبي الخطاب والأمين أبي عبد الله مودة قديمة، وهما اذ ذاك المتقدمان والمديران وعلى عناية بأبى القاسم ومحاماة عنه.

فخرجوا إلى أبي الحسين [ابن]^(٢) عبد الملك بما يكتب به أبو نصر سابور

١. كذا في مد. ولعله «سوبقة».

٢. زيادة زادها.

فيه وبما قد كوتب به أبو نصر من الاستدعاء إلى فارس ورسماً له مكاتبة أبي القاسم بذلك وبأن يسبقه إلى الورد والحضور.

فخرج متعجلاً بمرقعة ووصل في يوم الثلاثاء لخمس بقين من جمادى الأولى قبل أبي نصر سابور ونزل على الأمين أبي عبدالله، فتكفل بأمه وخاطب بهاء الدولة فيه ونضح هو عن نفسه فيما كان قرف به، وعاونته الجماعة عداوة لأبي نصر سابور وعناية به، واستقامت حاله ورسم له المقام إلى أن يحضر أبو نصر ويصلح ما بينه وبينه ويعود إلى بغداد في جملته.

فأقام ووصل أبو نصر وأبو جعفر الحجاج، فقرر لهما النظر في أعمال العراق وأصلح أمر أبي القاسم معهما على دخل من رأى أبي نصر وباطنه فيه وأخرج إمامهما لتوطئة ما يجب توطئته قبل موردهما.

تقليد الحسن بن أستاذ هرمز

أعمال الأهواز

وفي هذا الوقت ورد الخبر بتقليد صاحب أبي علي الحسن بن أستاذ هرمز أعمال الأهواز وأنه أخرج إليها ولقب بعميد الجيوش.

مركز تحقيق كتاب توتيه علوم أبي

ذكر ما جرى في ذلك

حدثني أبو الحسين فهد بن عبيدالله كاتب عميد الجيوش [63] قال: لما دخل صاحب أبو علي في طاعة بهاء الدولة بالسوس وسلّم الأمر إليه اعتزل الأمور وسار في صحبته إلى فارس وأقام على بابه.

فلما مضت له سنة وكسر استأذن في المضى إلى خراسان، فمنع من ذلك وروسل بما سكن منه به ووعد الوعد الجميل فيه.

وقبض على الموفق أبي علي ابن اسماعيل وكان نافرأ منه فردت إليه

الأمور بعده ومشأها بحسب طاقته ووسعها وأفرج عن أبي غالب ابن خلف وجعل خليفته فتولى العمل وكان متدرباً به واستعفى صاحب أبو علي وأقام في داره.

ثم راسل بهاء الدولة بعد مدة يخطب إليه تقليده أعمال خوزستان ويعلمه أنه خبير بها وبما فيه استقامة أمرها وقد كانت اختلّت بمقام أبي جعفر الحجاج فيها ونظر أبي القاسم ابن عروة في عمالتها واستعماله المجازفة التي كانت عادته جارية بها. فأجيب إلى ذلك وقلد وخطب على قبول الخلع واللقب واستعفى من الخلع وقبل اللقب بعميد الجيش وسار إلى الالهواز في روز ديمهر من ماه اسفندارمذ الواقع في شهر ربيع الأول، وقد كان أبو جعفر فارقها وتوجّه إلى واسط.

وأقام عميد الجيوش على أحسن سيرة وأقوم طريقة فأصلح الفاسد وضم المنتشر وتألّف الرعية ورفع المصادرة وساس الجنود أفضل سياسة وجمع في أقرب مدة مالاً حملة إلى بهاء الدولة وأكد موضعه عنده به.

حوادث عدّة

وفي يوم الثلاثاء الرابع من جمادى الأولى قبل القاضي أبو عبدالله الضبي شهادة أبي القاسم عمر بن إبراهيم بن الحسن بن اسحق البزاز.

وفي يوم الأربعاء الخامس منه توفي أبو عبدالله محمد بن اسحق ابن المنجم المغنى العواد بشيراز ولم يخلف [64] بعده من يقاربه فضلاً عن يشاكله.

وفي يوم السبت الثامن منه خرج أبو الحسن ابن علان العارض عائداً إلى فارس وبطل ما ورد فيه من أمر التجريد.

وفي يوم الأحد التاسع منه استحجب أبو القاسم علي بن أحمد الأمين

أبا^(١) عبدالله للخليفة أطلال الله بقاءه.

ورود الحجاج بن هرمز واسطاً ثمّ

خروجه منها سائراً إلى شيراز

وفى يوم الخميس الثالث عشر منه ورد أبو جعفر الحجاج بن هرمز فيه واسطاً
منصرفاً عن الأهواز، ثمّ خرج منها سائراً إلى شيراز.

ذكر ما جرى عليه أمره فى ذلك

لما عرف أبو جعفر حال عميد الجيوش فى تقلده الأهواز سار إلى
بَصْنَى^(٢) يوم الأحد الثانى من الشهر وأنفذ أبا الحسن رستم بن أحمد كاتبه
برسالة إلى بهاء الدولة يتألم فيها من صرفه عن بلد بعد بلد وكسر جاهه فى
أمر بعد أمر ويعدد ما عومل به بالموصل وبغداد ويسأل الإذن له فى اللحاق
ببلد الديلم.

فلما أعاد أبو الحسن على بهاء الدولة من ذلك ما أعاده ثقل عليه نفوره
واستيحاشه ورده وأنفذ معه أبو سعيد زادنفرخ بن آزادمرّد بجواب يسكنه
فيه ويعرفه تأكد خاله عنده ولطف منزلته فى...^(٣) ويرسم له التوجه إلى
شيراز ليقرر معه أمر بغداد ويردّه إليها مع أبى نصر سابور فسار ليلة يوم
الاثنين لأربع بقين من شعبان ووصل وقد حصل أبو نصر سابور هناك وورد
أبو نصر إلى حضرة بهاء الدولة فخلّا به وأورد عليه فى جماعة من بمدينة
السلام من أبى الحسن ابن يحيى العلوى وأبى يعقوب أخيه وأبى القاسم ابن

١. وفى الأصل: أبى.

٢. بَصْنَى: مدينة من نواحي الأهواز صغيرة، رجالهم ونساؤهم يغزلون الصوف (مراد الإطلاع).

٣. بياض.

مما كل ما أوغر به صدره وضمنهم بمائتي ألف دينار. فأذن له في القبض عليهم واستخراج المال منهم وقرر عليه ما يحمله إلى خزائنه منه [65] وخلع عليه وعلى أبي جعفر الحجاج ولقبه القسيم ذا الرئاستين، وذلك في روزآبان من ماه مهر الواقع في آخر شوال وسارا. فكان وصولهما إلى واسط يوم الأربعاء سلخ ذي الحجة ونحن نذكر ما جرى عليه أمرهما بعد ذلك في أخبار سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة.

حوادث عدّة

وفي يوم الجمعة الخامس من جمادى الآخرة توفي القاضي أبو الحسن عبدالعزيز بن أحمد الخرزى^(١) وأقر ابنه أبو القاسم على عمله وقرئ عهده بذلك في يوم الاثنين لليلة بقيت منه. ثم تعقب الرأي في بابه وصرف بعد مديدة قريبة.

وفي يوم السبت السادس منه قتل المعروف بأرسلان الذي كان يتصرف في الوقوف، قتله العامة بالآجر وشدّوا رأسه.

مقتل بهستون بن ذرير

وفي يوم الخميس الثامن عشر منه قتل بنوسيار أحد بطون بني شيبان أبا الفوارس بهستون بن ذرير.

شرح الحال في ذلك

كان بهستون صديقاً لأبي الفتح محمد بن عناز وممثلاً له ومسارعاً إلى

١. قال صاحب تاريخ الاسلام: هو شيخ أهل الظاهر قدم من شيراز في صحبة السلطان عضدالدولة وأخذ عنه فقهاء بغداد (مد).

معاونته في كل أمر ينويه : فاتفق أن سار إليه من الجبل من يقصده ويطلبه فاستصرخ بجند الحضرة وسألهم الإنجاد والمعاضة وخرج بهستون في جملة من خرج ومعه جماعة من أهله وأصحابه .

فلما عاد نزل بالخالدية وهي إقطاعه وأغارت الخيل من بنى سيار على بقر بهذه الناحية وطردت بعضها وعبرت بها الى شرقي ديالى وسلكت طريق براز الروز .

فركب بهستون في الوقت ومعه أخواه الفاراضى والأعرابى وثلاثة نفر من الديلم وطلبوا الخيل الغائرة فأدركها بهستون سابقاً ولحق به أخواه وأصحابه وعرفه القوم فأخرجوا له الطرد ومضوا [66] فحمله من كان معه على اتباعهم والإيقاع بهم . فسار ولحقهم وجرت بينه وبينهم مطاردة فطعن أحدهم طعنة فاضت منها نفسه في موضعه وطعن الفاراضى أخوه طعنة أخرى فسي إحدى عينيه فذهبتا جميعاً عند علاجها .

وحمل أبو الفوارس إلى الخالدية على ترس وجعل على بغل وأدخل الى داره ببغداد فأقيمت عليه المناجات وعملت له المواتيم العظام وحضر جنازته والصلاة عليها سائر الوجوه والأكابر .

وفاة الحجاج شاعر السخف

وفى يوم الثلاثاء لسبع بقين منه توفى أبو عبد الله الحسين بن أحمد الحجاج الشاعر في طريق النبل وهو عائد منها . وورد تابوته الى بغداد في يوم الخميس بعده .

ذكر حاله وطرف من أمره

هذا الرجل من أولاد العمال وكان أول أمره مرتسماً بالكتابة وكتب بين

يدى أبى اسحق ابراهيم بن هلال الصابى جدى مدة فى أيام حدائته ثم تأتى له من المعيشة بالشعر ما عدل إليه وعول عليه وكان أكسب له مما كان متشاغلاً به.

وتفرّد بفن من السخف لم يسبقه إليه سابق وكان مع تعاطيه هذه الطريقة مطبوعاً فى غيرها. وقد اختار الرضى أبو الحسن الموسوى من شعره السليم قطعة كبيرة فى غاية الحسن والجودة والصنعة والرقّة. ولم يزل أمره يتزايد وحاله تتضاعف حتى حصل الأموال وعقد الأملاك وصار محذور الجانب متقى اللسان مخشى التسكر مقضى الحاجة مقبول الشفاعة.

وحمل اليه صاحب مصر عن مديح مدحه به ألف دينار مغربية على سبيل الصلة وشعره مدون مطلوب فى البلاد. ووجدت له رقعة الى أبى اسحق جدى قد صدرها بأبيات فاستحسنّت مذهبه فيها [67] ونسختها لذاك وهى:

«فَداك الله بى وَيَكُلُّ حَيٌّ
يَحِلُّ لَكَ التَّغافلُ عَنْ أَناسِ
وَلَسْتُ بِكَافِرٍ فَيَحِلُّ مالى
فَمُرْ بِدِراهِمى ضَرْباً وَالْأَ
مِنَ الدُّنْيا دَنىً أَوْ شَرِيفٍ
تَوَلَّوا ظَلَمَ خادِمِكَ الضَّعيفِ
وَلَا الحِجاجُ جَدّى مِنْ ثَقيفٍ
جَعَلْتُ سِبالَ قَوْفاً فى الكَنيفِ

قوفا هو أبو الحسن محمد بن الهمانى.

«هوذا يبلغ هؤلاء السُّقُلُ منى مرادهم إضراراً بى أطال الله بقاء سيدنا ويدفعون عن ازاحة علّتى عناداً وقصدًا. والله لو كان مكان هذه الدريهمات ارتفاع بادوريا^(١) ما داهنتهم ولا ذاجبتهم ولا احتملتهم.

١. وبادوريا من جلة العمالات ليراجع ما قال فيها أحمد بن محمد بن الفرات: وزراء ص ٧٦ وفى معجم البلدان لياقوت الحموى ١: ٤٦٠ (مد).

«وقد سار ما مضى من القول واتصل بهم وقوفا متعلق الحشاشة بالقدرة بين أوداجه وحلقومه وهو يوصى بأذى ويعهد إلى ابن العلاف في مكروهى. فإن أخذ سيدنا بيدي وتولى مطالبتهم ببعض الغلمان وأرهقهم حتى لا يجدوا منه محيصاً طمعت فيها وإلا استشعرت الإيأس وبعث الأشهب واشترت بثمنه ورقاً وخبراً وزيتاً للسراج وأحييت ليلتى بهجاء القروء. فإنَّ القائل يقول:

مَالِي مَرَضْتُ وَلَمْ يَعْذِنِي عَائِدُ مِنْكُمْ وَيَعْرِضُ كُلُّكُمْ فَأَعُوذُ

«سمي شاعر الكلب، وسأسمي أنا بسبب قوفا شاعر القرد. واليوم الثالث من ضمان ابن العلاف الدراهم لسيدنا وعرفنى من رآه عند قوفا يستأمره فأظنه منعه من الإطلاق وأعوذ بالله من أن أكون أنا فى طمع هذين التذلين وأبو جوال^(١) بالسواء. حسبى بهذا تحريضاً على صفع القوم وتحريكاً فى مناجزتهم.

«وأنا منذ الغداة قرين الزيزب فى مشرعة دار صاعد حتى نزل محمد الدواتى وعرفت خبر انحداره راكباً فانصرفت والله تعالى يودعنى فيه السلامة. وقد أنفذت الاشهب [68] بهذه الرقعة وتقدمت اليه ان لم ير وجهاً لتحريك أمره فى تشبيهه ان يشد نفسه مع البغال ويعتلف الى ان يفرج الله تعالى ثم يعود الى اصطبله ثم لم يكن فيه نهوض للحضور فان تأخر هذا الباب طرحته على الماء حتى ينحدر الى المشرعة وربطته مع الزيزب ان شاء الله تعالى.»

وله إلى أبى اسحق من جملة مدائح له فيه كثيرة أبيات وجدتها فى نهاية

١. جاء فى الحاشية: أبو جوال ملاح كان لأبى اسحق فى زيزبه.

الرقعة والطبع فذكرتها وهي :

يَا مَنْ وَقَفْتُ عَلَيْهِ
اللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي
وَلَا عَصِيْتُ لِدَاعِي آلِ
وَلَا لَلَّهِ اطَّرَحْتُ بِئَايِي
وَلَا رَأَيْتُ بِعَيْنِي
قَدِمْتُ قَبْلَكَ حَتَّى
هَذَا لِغَيْبَةِ عَشْرِ
هَوَائٍ سِرّاً وَجَهراً
مُذْ غِيبْتَ لَمْ أُعْطَ صَبْراً
أَسَى وَلَا الْوَجْدِ أَمْراً
عَلَيْكَ نَظْماً وَنَثْراً
فِي الْأَرْضِ بَعْدَكَ بَذْراً
تَكُونُ أَطْوَلَ عُمْراً
وَكَيْفَ لَوْ غِيبْتَ شَهْراً

ومما يغنى فيه وإن كان كثيراً :

يَا مَنْ مَوَاعِيدُ رِضَاؤِ ظُنُونِ
سَأَلْتُ عَنْ حَالِي يَا سَيِّدِي
مَا أَنَا أَنْ تَخْرُجَ مِنِّي تَخُونِ
كُلَّ عَدُوٍّ لَكَ مِثْلِي يَكُونِ

ومنه :

وَمُدَلِّي أُمِّيَا الْقَضِيْبُ فَقَدُهُ
يَمْشَى وَقَدْ فَعَلَ الصَّبِي بِقَوَائِمِهِ
شَكْلاً وَأَمَّا رِدْفُهُ فَكَثِيْبُ
فِعْلَ الصَّبَا بِالْفُصْنِ وَهُوَ رَطِيْبُ
كَالْبَذْرِ يَطْلُعُ مَرَّةً وَيَغِيْبُ
غَرَضِي وَيَرْمِي مَقْتَلِي فَيُصِيْبُ
يَحْلُو فِدَاؤُكَ عِنْدَهَا وَيَطِيْبُ
إِلَّا وَدُونَكَ حَاسِدُ وَرَقِيْبُ
أَرْمِي مَقَاتِلَهُ فَتُخْطِئُ أَسْهُمِي
نَفْسِي فِدَاؤُكَ إِنَّ نَفْسِي لَمْ تَزَلْ
مَالِي وَمَا لَكَ لَا أَرَاكَ تَزْوُرُنِي

ومنه :

أَيَا مَوْلَايَ طَابَ لَكَ اجْتِنَابِي
وَقَلْبِي بِاجْتِنَابِكَ لَا يَطِيْبُ

وصرتُ إذا دعوتُكَ مِنْ قَرِيبٍ تُصِيخُ إِلَى الدَّعَاءِ وَلَا تُجِيبُ
وَأَصْدُقُ مَا أَبْتَكَ أَنْ قَلْبِي بِعَهْدِكَ لَا عَدِمْتُكَ مُسْتَرِيبُ
[69] ومنه :

قُلْ لِمَنْ رَفَقْتُهُ مِسْ كُ وَنَدُّ وَمُدَامُ
وَالَّذِي حَلَّلَ قَتْلِي وَهُوَ مُحْظُورُ حَرَامُ
أَيُّهَا النَّائِمُ غَمَزاً^(١) عَيْنُهُ لَيْسَ تَنَامُ
كُلُّ نَارٍ عِنْدَ نَارِي فِيكَ بَرْدٌ وَسَلَامُ

ومنه :

بَاخَتْ بِسَرِّي فِي الْهَوَى أَدْمَعِي وَذَلَّتِ الْوَاشِي عَلَى مَوْضِعِي
يَا مَعْشَرَ الْعُشَّاقِ إِنْ كُنْتُمْ مِثْلِي وَفِي حَالِي فَمُوتُوا مَعِي
ومنه سخفه قوله في بعض قصائده :

رَأَيْتُ أَيْراً مُغْلَساً سَجْدَا يَرْفُلُ فِي حُلَّتِي دَمٍ وَخَرَا
فَقُلْتُ مِنْ أَيْنَ؟ قَالَ : مِنْ شَرْحٍ أَفَلْتُ مِنْهُ كَمَا تَرَى وَأَرَا
ومنه في قصيدة :

جَلَسَ الْأَيْرُ سُرْمَهَا فِي خَرَاهَا ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى سَبِيلِ اللَّجَاجِ
فَقَصَدْتُ النِّوَاةَ فِي ذَاكَ حَتَّى أَخَذْتُ لِي التَّوْقِيعَ غَيْرَ^(٢) فِرَاجِ
وهو كثير وفيما أوردناه من أنموذج كل فن كفاية.

حوادث عدة

وفي يوم الخميس العشر من رجب توفي أبو الحسين أحمد بن الحسين
ابن أحمد بن الناصر العلوي.

١. وفي الأصل: غمز.

٢. والمثبت في الأصل: بغير. وهو مخالف للوزن.

وفى يوم الخميس لثمان بقين من شعبان قلد القاضى أبو محمد ابن الأکفانى ما كان الى أبى الحسن الخرزى من الجانب الشرقى فتكامل له جميعه .

وفى يوم السبت الثانى من شهر رمضان توفى أبو الحسن على بن نصر الشاهد بالجانب الشرقى .

وفى يوم الإثنين الحادى عشر منه قبل القاضى أبو عبدالله الضبى شهادة أبى الحسن على بن أحمد بن صبح .

وفى يوم السبت السادس عشر منه توفى القاضى أبو الحسن محمد بن محمد بن جعفر الأنبارى صهر ابن سيار القاضى وكاتبه .

وفى يوم الاثنين العاشر من شوال قبل القاضى ابو عبدالله الضبى شهادة [70] أبى القاسم ابن علان وأبى على ابن العلاف وأبى عبدالله ابن طالب .

وفى يوم الخميس الثالث عشر منه قبض أصحاب قراد بن اللديد على أبى الحسن ابن الحسن محمد بن يحيى النهرسابسى بباقطينا وحملوه الى حلة قراد ثم أفرج عنه وعاد الى بغداد .

شرح الحال فى ذلك

كان الديلم قد طالبوا أبا الحسن ابن يحيى بإطلاق أقساطهم لأن المعاملات التى كانت العادة منها انتقلت الى نظره بعد هرب أبى نصر سابور فمنعهم واعتصم بالكرخ والعلويين والعيارين...^(١) وجرت بين الفريقين حروب لأجل ذلك .

واتفق أن دخل الديلم طاق الحرانى فأحرق العامة ماوراءهم وأمامهم

واحترق منهم جماعة وعظمت الفتنة واستحكمت الوحشة.
فخرج أبو الحسن إلى باقطينا وهي من العمريات التي يدبر أمرها وعرف
أصحاب قراد خبره فطمعوا فيه وصاروا إليه وأخذوه وحملوه إلى صاحبهم
وعمل قراد على مطالبته بالمال والسوم عليه فيه.
فركب قراوش وغريب إليه ولم يفارقه إلا بعد استخلاصه وانتزاعه من
يده وسيراه إلى المحول فوصل إليها يوم الجمعة لليلتين بقيتا من شوال.
وقد كان أبو القاسم ابن مما عاد من شيراز فتوطأ^(١) ما بينه وبين الديلم
حتى صلح واستقام، وأعطاهم ما رضوا به ودخل داره يوم الاثنين لثامن من
ذى القعدة.

وفى الساعة الثالثة من يوم الخميس الثامن عشر من ذى الحجة ولد
الأمير أبو جعفر عبدالله ابن القادر بالله أطل الله بقاءه، والطالع العقرب على
كدح والشمس فى الميزان على كالو.

وفى يوم الإثنين الرابع عشر منه قبض [71] معتمد الدولة أبو المنيع على
أبى الحسن ابن العروضى.

وفى يوم الأحد لعشر بقين منه توفيت زبيدة بنت معز الدولة بأصبهان.

وفى يوم الأحد السادس منه تقلد يوانيس الجاثليق^(٢).

وحج بالناس فى هذه السنة أبو الحارث محمد بن محمد بن عمر العلوى.

سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة

أولها يوم الخميس والعشرون من تشرين الثانى سنة ثلاث عشرة

١. وفى الأصل: فتوطأ.

٢. هو من كرخ جدان مات سنة ٤٠٢ للهجرة وكانت مدته مدة عشر سنين قمرية كذا فى ترجمته
فى كتاب المجلد لمارى بن سليمان ١: ١١٠ (مد).

وثلاثمائة وألف للاسكندر وروز اسفندار من ماه آذر سنة سبعين وثلاثمائة ليزدجرد.

قد ذكرنا ورود أبي جعفر الحجاج وأبي نصر سابور الى واسط عائدين من شيراز ووعدنا بذكر ما جرى عليه أمرهما بعد ذلك، ولما ورد الخبر بنزولهما واسطاً انحدر أبو القاسم الحسين بن محمد بن مما اليهما متلقياً لهما ومعتداً بما فعله في إصلاح الجند وتوطئة الأمر. واستمال أبا جعفر بما حمله اليه ولطفه به وعقد بين أخيه أبي علي وبين أبي شاهر أحمد بن عيسى كاتب أبي جعفر عقداً على بنت أبي شاهر استظهر لنفسه فيه وأعطى أبا عبدالله أستاذ هرمز داره وملك أمره بما حصله في كفته به وعلم أن رأى أبي نصر سابور لا يخلص له فاعتضد بهذه الجهة وأظهر مداخلتها ومخالطتها.

وكان أبو الحسن ابن اسحق قد فارق أبا الحسن ابن يحيى على وحشة ومضى ليقتصد شيراز فردّه أبو نصر سابور من طريقه وعول عليه عند حصوله بواسط في خلافته وأنفذه الى بغداد أمامه وردّ معه أبا القاسم ابن مما وقرر معهما القبض على أبي يعقوب العلوي النقيب [72] وأصحاب أبي الحسن ابن يحيى عند نفوذ كتابه إليهما بذلك وأصعدا.

وانحدر أبو الحسن ابن يحيى لخدمة أبي جعفر وأبي نصر والاجتماع معهما وقد كانت نفسه نائرة منهما لتقريره سوء الاعتقاد فيه منهما ولما وصل نزل داره بالزيدية وكان أبو نصر سابور نازلاً في دار أبي عبدالله ابن يحيى أخيه المجاورة لها. وكتب على الطائر بالقبض على أبي يعقوب في يوم عين لأبي القاسم ابن مما وأبي الحسن ابن اسحق عليه وأمرهما بالمبادرة اليه بذكر ذلك ليقبض هو على أبي الحسن وأصحابه بواسط.

فخرج أبو القاسم الى أبي يعقوب بالسّرّ وراسله بالإنذار لمعاهدة كانت بينهما ولأنه لم يأمن أبا نصر متى استقامت حاله ومشى أمره واطرد له ما

يريده.

واستظهر أبو يعقوب وكبست [داره]^(١) فلم يوجد فيها وشاع الخبر وكتب أصحاب الشريف أبي الحسن اليه بالصورة على الطيور.

وأخر أبو نصر إمضاء ما يريد أن يمضيه في أبي الحسن إلى أن يعرف حصول أبي يعقوب لأن أكثر غيظه كان عليه وأحس أبو الحسن فهرب ليلاً ومضى على بغلة متعسفاً إلى الزبيدية وأصبح أبو نصر وقد أفلت أبو الحسن. وورد عليه الكتاب بإفلات أبي يعقوب. فقامت قيامته وتحرير في أمره وندم على تفريطه وراسل أبا جعفر واستشاره فيما يفعله فقال له :
 «لو عملت بالحزم لبدأت بمن عندك وكان بين يديك من غاب عنك ولكنك استبددت برأيك».

وشرع أبو نصر في تتبع أموال أبي الحسن وتحصيل غلاته والإحتياط على معامليه ومعاملاته وختم على الدور والحانات واعتقد تفتيشها وأخذ ما يجده لأبي الحسن وأخوته ووكلائه وأسبابه فيها ثم عدل عن ذلك إلى [73] تأنيسه ووافق أبا جعفر على مراسلته وتردد في ذلك ما انتهى إلى إجابة أبي الحسن إلى العود على أن يوثق له أبو جعفر من نفسه ويحلف له على التكفل بحراسته ومنع كل أحد عنه.

فأذكر وقد ورد أبو أحمد الحسين بن علي ابن أخت أبي القاسم ابن حكار رسولاً عن أبي الحسن من الزبيدية إلى أبي جعفر ليحلفه له فقال لي أبو جعفر :

«اجتمع معه على عمل نسخة لليمين».

فقال أبو أحمد :

«قد عملها الشريف وأصحابنيها وها هي ذه.» وأخرجها من كمّتها وأخذها أبو جعفر من يده وأعطانيها ورسم لي قراءتها عليه فقرأتها وكان يفهم العربية ولكنه يجحدها.

وخرج أبو أحمد من حضرته على أن يجتمع أبو جعفر مع أبي نصر ويقفه عليها ثم استدعاني أبو جعفر وأعطاني النسخة وقال لي :

«امض إلى أبي نصر سابور فأعرضها عليه وقل له : ما الذي تراه في هذا الأمر فأنتي إن حلفت^(١) لهذا الرجل وأعطيته عهدي لم أمكنك منه وحملت بينك وبينه.»

فمضيت إلى أبي نصر سابور ووقفته على النسخة وأوردت عليه الرسالة فقال :

«أنا أروح العشية إليه ونتفاوض ما يجب أن يعمل عليه.»

فعدت إلى أبي جعفر بهذا الجواب وركب إليه أبو نصر آخر النهار واجتمعا وخلوا ثم استدعيا أبا أحمد وحلف له أبو جعفر وعاد.

وأصعد أبو الحسن ابن يحيى ويات في داره ليلة ثم خرج ورجع إلى الزبيدية فيقال : إنه أخذ دفيناً كان له في الدار وانحدر به حتى استظهر في أمره وعاد بعد يومين وانحل أمر أبي نصر سابور واستطال عليه أبو الحسن ابن يحيى. ثم أصعد [74] أبو جعفر وأبو نصر إلى بغداد فكان وصولهما إليها آخر نهار يوم الخميس الثاني من جمادى الأولى.

وصدرت الكتب إلى بهاء الدولة بما جرى عليه الأمر. فغاضه سوء تدبير أبي نصر وفساده وطعن عليه من كان بحضرته من خواصه وقد كان أبو الحسن بن يحيى كاتب بهاء الدولة من الزبيدية واستعطفه وأذكره بما قدّمه

فى خدمته وأسلفه وبذل له فى أبى نصر سابور بذلاً يقوم بتصحيحه من جهته وذكر ما عليه الجند والرعية من بغضه والنفور من معاملته. وكتب الى أبى جعفر بالقبض عليه وإلى أبى الحسن بن يحيى بتسلمه. واستقر الأمر بين أبى جعفر وأبى الحسن ابن يحيى وأبى القاسم ابن مما على ذاك.

فتراخى أبو الحسن وأبو القاسم فى القبض عليه لغرض اعتمداه فى بعده والخلاص منه وعرف أبو نصر الصورة فاستظهر لنفسه وعلماً قوته^(١) فكبساً عليه دار بنى المأمون بقصر عيسى ولم يوجد فيها وأراد أبو الحسن بما أغفله وأهمله من أخذه الاحتجاج على بهاء الدولة بهر به فيما كان بذله فيه وأبو القاسم ابن مما الاستراحة من حصوله^(٢) وما عسى أن يحمل عليه من ركوب الفشخ معه.

ومضى أبو نصر الى البطيحة ونظر فى الأمر ببغداد بعده أبو الحسن على بن الحسن البغدادي ثم أبو الفتح القنائى ثم أبو الحسين عبيدالله بن محمد بن قطرميز وخطوب بالوزير فتقبل ذلك وصار أضحوكة عند أبى جعفر والناس به وكان العمل كله أخذ الاموال من المصادرات والتسلق على التجار بالتأويلات.

لاجرم أن البلد خرب وانتقل أكثر اهله [75] عنه فمنهم من مضى إلى البطيحة ومنهم من اعتصب بباب الأزج ومنهم من بعد إلى عكبرا والأنبار. ولقد حدثنى جماعة من الناس أنهم شاهدوا صينية الكرخ فيما بين طرف الحذائين والبزازين والفواخت والعصافر تمشى فى أرضها انتصاف النهار وفى الوقت الذى جرت العادة بازدهام الناس فيه بهذا المكان.

فلما ورد أبو نصر وأبو جعفر الى واسط كتبوا وأعادوا أبا الحسن على بن

١. لعله: قوته.

٢. لعله: حضوره (مد). هذا وتبدو العبارة مضطربة.

أبى على إلى النظر فى المعونة.

وفى يوم السبت العاشر من المحرم توفى أبو القاسم اسماعيل بن سعيد ابن سويد الشاهد.

وفى يوم الأربعاء الثامن عشر^(١) منه انحدر أبو الحسن ابن يحيى إلى واسط لانحدر المقدم ذكره.

وفى هذا الوقت توفى أبو الطيب الفرّخان بن شيراز بجويم السيف وخرج الوزير أبو غالب محمد بن على بن خلف من شيراز لطلب أمواله وتحصيلها.

شرح حال أبى الطيب منذ ابتداء أمره وإلى حين وفاته

وما جرى فى طلب أمواله وذخائره على ما عرّفنيه

أبو عبدالله الحسين بن الحسن الفسوى

كان الفرّخان بن شيراز من أهل بعض القرى بكرّان وتصرف أول أمره فى الداريجية وما شاكلها من الأعمال القرية وتدرج إلى أن ولى كتابة الديوان بسيراف وانتقل عنها إلى عمالتها وبقي على ذلك زمناً طويلاً ثم قلد عُمان فعبر إليها وحسنت حاله فيها وجمع الأموال التى لم يسمع لمثله بمثلها [76] وبنى بنائيند الدار المعروفة به وكانت من الدور التى تضرب الأمثال بها وحصل فيها من أصناف الفرش والأثاث والرحل الشىء الكثير الجليل ورتّب بها من الحفظة والحراس وحملة السلاح خلقاً كثيراً لأن نائيند على ساحل البحر وليس بها من الناس كثير أحد.

وتحدث فى البلاد بما جمعه فى هذه الدار من الأموال فرمقتها العيون وتعلقت بها الأطماع وهمّ بقصدها وطلبها الخوارج وأصحاب الأطراف وكان

فى يد أبى العباس ابن واصل^(١) عبادان والبحر وفى يد لشكرستان بن ذكى البصرة وفى يد السيفية والزط السواحل وقصب البلاد التى تجاورها. وكانت أكثر مادة صمصام الدولة بفارس من الفرخان لأنه كان يمدّه بالأموال والحمل فى كل وقت فسعى قوم فى إفساد أمره عنده وقالوا له: إنه على العصيان. ومنع جانبه وقطع ما جرت عادته بحمله والإمداد به. فكتبه صمصام الدولة بالورود إلى بابه مختبراً بذلك ما عنده وقد كان الخبر انتهى إلى الفرخان بما تكلم به فيه. فصار إليه بهدايا وأموال حسن موقعها منه فخلع عليه واستحجبه ورده إلى موضعه وجرى على رسمه فى الخدمة والتزام شرائط الطاعة.

وتوفى العلاء بن الحسن بعسكر مكرم، فلم يكن فى مملكة صمصام الدولة أوجه من الفرخان ولا أوسع حالاً وأعظم هيبة فى نفوس الجند منه. فاستقرت الوزارة له على أن يتوجه إلى الأهواز ويدبر أمورها وأمور الأولياء الذين بها ويستخلف له بشيراز أبو اسحق إبراهيم بن أحمد ومنصور بن بكر. فأقام أبو اسحق بحضرة صمصام الدولة وصار منصور إلى فسا لتقرير أعمالها ولم [77] يطل مقامه بها حتى استعيد وأنفذ إلى شق الروذان ثم لم يثبت هناك وانصرف من غير إذن إلى الباب فأنكر صمصام الدولة فعله وأمر بإحضاره وضربه فضرب وانصرف عن شركة أبى اسحق وتفرّد أبو اسحق

١. قال فيه صاحب تاريخ الاسلام: أبو الفنائم ابن واصل كان يخدم فى الكرخ وكانوا يقولون انه يملك ويهزؤن به ويقول بعضهم: ان صرت ملكاً فاستخدمنى ويقول الآخر اخلع علىّ. قال أمره الى أن ملك سيراف ثم البصرة ثم قصد الاهواز وحارب السلطان بهاء الدولة وهزمه ثم تملك البطيخة وأخرج عنها مهذب الدولة على ابن نصر الى بغداد فنزح مهذب الدولة بخزائنه فأخذت فى الطريق واضطر الى أن ركب بقرة واستولى ابن واصل على داره وأمواله. ثم ان فخر الملك أبا غالب قصد ابن واصل فعجز عن حربه واستجار بحسان الخفاجى ثم قصد بدر بن حسنويه فقتل بواسط فى صفر سنة ٣٩٧ (مد).

بالنظر.

وورد الفرخان الأهواز فلم يمش الأمور بين يديه على ما كان يتقرر من ذلك وأنفذ أبو علي الحسن بن أستاذ هرمز وجري أمره على ما تقدم ذكره في موضعه.

ووصل بهاء الدولة إلى فارس والفرخان في جملة من صحبه من الناس. فتكلم عنده على حاله وعظمها وأمواله وكثرتها فقبض عليه وألزم صلحاً وسلم إلى أبي العلاء عبيد الله بن الفضل ثم إلى الصاحب أبي محمد ابن مكرم وأفرج عنه بعد أدائه إتياء وخروجه منه.

وأنفذ إلى جويم السيف لقتال الزط والسيفية وصار إلى فسا واستصحب أكثر الديلم الذين بها وجرد إليه مردجاوك في طائفة كثيرة من الغلمان العراقية وأقام بجويم مدة واستخرج أموالاً من النواحي الغربية وامتنع عليه من اعتصم بقلعة أو أوى إلى الجبال الحصينة.

وقضى نجه في أثناء ذلك ووقع الاحتياط على ما صحبه من مال وتجميل وحمل بأسره إلى شيراز وكان بهاء الدولة يعتقد في ثروته ويساره أمراً عظيماً.

فلما توفى كثير القول عليه فيما تركه من الحال وخلفه من الودائع وأودعه داره من الذخائر، فتدب الوزير أبا غالب للتوجه إلى نائيند وسيراف واستقضاء ذلك أجمع وإثارتة وتحصيله ورسم له قصد الدار بنفسه وهي من سيراف على خمسة عشر فرسخاً وأن يبالح في الكشف والفحص عنه ولا تقنع إلا بأن يتولى كل [78] أمر تولى المشاهدة والمباشرة. وكان للفرخان ثقة^(١) يعرف ببابان مجوسى ويحيط علمه بكل ما يملكه الفرخان فوق الأرض

وتحتها. فقبض عليه الوزير أبو غالب واستدله على الأموال التي للفرخان فدله على أموال عظم الناس قدرها وجواهر تلك حالها وحصلها الوزير ثم عاقبه بعد ذلك عقوبة شديدة حتى ذبح نفسه في الحمام.

وعاد الوزير أبو غالب إلى شيراز فتحدث أعداؤه بما أخذه من مال الفرخان ودفائنه وودائعهم وواصلوا الخوض فيه وادّعوا عليه أنه قتل بابان ليتستر بموته ما أخذه منه وعلى يده وأدت هذه الأقاويل وما اتصل بيهاء الدولة منها إلى القبض على الوزير أبي غالب وسنذكر ذلك في وقته وموضعه.

عدة حوادث منها وفاة ابن جنّي

وفي يوم الإثنين العاشر من صفر قبل القاضي أبو عبد الله الضبي شهادة أبي القاسم على بن محمد بن الحسين الوراق.

وفي يوم الجمعة لليلتين بقيتا منه توفي أبو الفتح عثمان بن جنّي النحوي^(١) وكان أحد النحويين المتقدمين وله تصنيفات وقد فسر شعر أبي الطيب المتنبي تفسيراً استقصاه واستوفاه وأورد فيه من النحو واللغة طرفاً كبيراً ولقب ذلك بالفسر وهو من أهل الموصل وخدم عضد الدولة وصمصام الدولة وشرفها وبهاها^(٢) طرفاً كبيراً في دورهم برسم الأدباء النحويين. وفي شهر ربيع الأول قتل أبو الحسين محمد بن الحسن العروضي بالانبار.

١. وردت ترجمته في إرشاد الأريب ١٥:٥ وقال صاحب تاريخ الإسلام أن عدد أوراق ترجمته هذه هي ثلاث عشر ورقة. وقال أيضاً أن لأبي الفتح كتاباً سماه البشري والظفر وشرح فيه بيتاً واحداً من شعر الأمير عضد الدولة وقدمه له وهو:

أهلاً وسهلاً بذى البشري ونوبتها
وباشتمال سرايانا على الظفر

وأوسع الكلام في شرحه واشتقاق ألفاظه (مد).

٢. لعله سقط: فحصل (مد).

وفى يوم الإثنين السابع من شهر ربيع الآخر ثار العامة بالنصارى ونهبوا البيعة بقطيعة الرقيق وأحرقوها فسقطت على جماعة من المسلمين رجالاً وصبياناً ونساء وكان الأمر عظيماً.

[79] وفى ليلة يوم الخميس لست بقين منه كبس ابن مطاع وأصحابه حسون بن الخرما وأخاه العلويين بقم الأسناية وقتلوهما وكانت هذه الطائفة قد أسرفت فى التهسط والتسلط وركوب المنكرات وإتيان المحظورات.

وفى يوم الاثنين الخامس من جمادى الأولى وهو اليوم الثانى والعشرون من آذار وفى برد شديد جمد الماء منه.

وفى يوم الجمعة التاسع منه خطب لبهاء الدولة ببغداد بزيادة قوام الدث صفى أمير المؤمنين وقد كان الخليفة أطال الله بقاءه لقبه بذلك وكاتبه به الى شيراز.

وفى يوم الأربعاء لليلتين بقيتا منه استتر أبو نصر سابور الإستتار الذى ذكرناه فى سياقة خبره.

وفى هذا الشهر بلغت كارة الدقيق الخشكار ثلاثة دنانير مطيعية، ثم زادت فى جمادى الآخرة فبلغت خمسة دنانير ولحق الناس من ذلك شدة ومجاعة.

وفى جمادى الآخرة يخرج أبو طاهر يغما الكبير الى جسر النهروان هارباً من أبى جعفر الحجاج بن هرمز فيه.

ذكر السبب فى ذلك

وما جرى عليه الأمر فيه

تأدى إلى أبى جعفر شروع يغما فى قلب الدولة وإفساد الغلمان، وتردد مكاتبات ومراسلات بينه وبين مهذب الدولة فى ذاك ووعدته إياه بحمل مال.

فاستمال أبا الهيجاء الجماعى واجتذبه الى نفسه وهم مكاشفة يفما وأخذه وقد كان يفما وثب الغلمان عليه ووضعهم على مطالبته والخرق به. وأحس يفما باعتقاد أبى جعفر فيه وتدييره عليه فتجعد عن لقائه والاجتماع معه ثم خاف بادرته. وكان [80] أبو جعفر مهيباً متقى فخرج إلى جسر النهروان ليفعل ما يفعله على الطمانينة والامان وعبر دىالى لاشفاقه من اسراء أبى جعفر خلفه، وتبعه جماعة من وجوه الغلمان ثم فارقوه ورجعوا عنه.

وتأخر المال الذى وعده مهذب الدولة بانفاذه اليه ووعد هو الغلمان به فبطل أمره بذلك ومضى وعبر من الصافية إلى الجانب الغربى ولحق بأبى الحسن على بن مزيد وأقام عنده وأقطع أبو جعفر إقطاعه وما كان فى يده ببادوريا لأبى الهيجاء الجماعى.

وفيه فاض ماء الفرات على سكر قبين وغرق سواد الأنبار وبادوريا وبلغ إلى المحول وقلع حيطان البساتين واسود فى الصراة. وفى يوم الأحد لست بقين منه صلب أبو حرب كاتب بكران على باب حمام بسوق يحيى وجد فيه مع مزينة جارية بكران على حال ريبة. وفى يوم السبت مستهل رجب أخرج أبو جعفر الحجاج أبا الحسن على ابن كوجرى فى جماعة من الديلم والأكراد إلى المدائن لدفع أصحاب بنى عقيل عنها.

شرح ما جرى عليه الأمر فى ذلك

وما اتصل به من خروج أبى اسحق إبراهيم

أخى أبى جعفر وهزيمته

سار أبو الحسن على بن كوجرى إلى المدائن فنزلها وانصرف دعيح

صاحب قرواش وأصحابه عنها وقبض ببغداد على أصحاب بنى عقيل ومعامليهم وأخرج العمال إلى بادوريا ونهر الملك. ونفذت الكتب إلى مرج بن المسيب وقرواش بن المقلد وقراد بن اللديد وهم بنواحي الموصل بما جرى، فإلى أن يجمعوا العرب وينفذوهم^(١) جمع دعيج إلى نفسه جمعاً كثيراً وقصد [81] أبا الحسن بن كوجرى وحصره بالمدائن وكتب أبو الحسن إلى أبي جعفر يستعده ويستنجده فجرد المنجب أبا المظفر بارسطغان لأنه كان وإلى البلد وخرج في عدة من الغلمان فاندفع دعيج من بين يديه وكتب إلى أبي الحسن على بن مزيد يلتمس منه المعونة على أمره.

وقد كان أبو الحسن استوحش من أبي جعفر وخافه فأنجده بأبي الغنائم محمد أخيه واجتمع دعيج وجمعه وأبو الغنائم بن مزيد ومن معه ونزلوا ساباط.

وكتب المنجب أبو المظفر بارسطغان وأبو الحسن على بن كوجرى إلى أبي جعفر بتكاثر القوم وقوة شوكتهم واستنهض الغلمان للخروج فتقاعدوا وتناقلوا وتأخر المدد عن المنجب أبي المظفر وعلى بن كوجرى فانكفأ إلى باقطينا^(٢) وندب أبو جعفر أبا اسحق أخاه للخروج وأنهض معه الديلم وساروا جميعاً مع المنجب أبي المظفر وعلى بن كوجرى وتوجهوا طالبين للعرب.

وكتب أبو الغنائم ابن مزيد ودعيج إلى أبي الحسن على بن مزيد بذلك فصار اليهما واجتمع معهما ووقعت الواقعة بباكرمي يوم الأربعاء الثامن من شهر رمضان فانهزم أبو اسحق واستبيح العسكر وأسر كثير من الديلم والأتراك وقتل أبو منصور ابن حليس وشابا بن اوندا وجماعة، وعاد الفل إلى بغداد

١. في مد: ما جمع (بزيادة ما).

٢. لعله: باقطينا.

على أسوأ حال وغاز ذاك أبا جعفر وأزعجه.

ذكر ورود ابن ثمال

وورد أبو علي الحسن بن ثمال الخفاجي بعقبه في يوم الثلاثاء الرابع عشر من شهر رمضان في عدة قريبة من أصحابه فلم يشعر به حتى نزل صرصر.

ذكر الحال في وروده

كان أبو جعفر لا اعتقاده ما يعتقده في بني عقيل وما عاملوه به قديماً لا يحلم إلا بهم ولا يفكر [82] إلا في قصدهم وحربهم وأخذ الأهبة لشفاء صدره منهم واجتذاب من يجعله خصماً لهم.

وكاتب أبا علي بن ثمال وحرص على أن يستدنيه وكان يبعد في الظن أن ينزل الشام ويرد إلى العراق.

فأذكر وقد حضر عندي أبو القاسم ابن كبشة وهو رجل كثير الدهمسة حامل نفسه على الأخطار العظيمة وممن خدم عضد الدولة في الترسل والتجسس المدة الطويلة وقال لي :

- «أراكم تكاتبون الحسن بن ثمال وتستدعونه وهو يعدكم ويعلمكم، ولو أنفذني صاحب الجيش ببعض كتبه إليه لما فارقت حتى أخذه وأجيثكم به.» فذكرت ذلك أيضاً لصاحب الجيش فقال :

- «ابن كبشة كثير الكذب والفضول، ولكن اكتب على يده وأنفذه وأرحنا

منه.»

فكتبت له كتاباً واستطلقت له نفقة من الناظر في الأمور ومضى وليس عند صاحب الجيش أبي جعفر أنه يفلح ولا يرجع. فلم تمض مديدة قريبة حتى ورد وقال :

«هذا أبو علي بن ثمال قد نزل صرصر».

فسرّ أبا جعفر ذاك وكان عقيب ما لحق أبا إسحق أخاه من ابن مزيد وبنى عقيل وأنفذ إليه من تلقّاه وأنزله في الدار التي كانت للمعروفى وحمل إليه الإقامات وأطلق لأصحابه النفقات.

وورد على أبي جعفر خبر عميد الجيوش أبي علي في تقلده العراق وما هو عليه من المسير إليه فزادت هذه الحال في غيظه وشاعت بين الناس. فتبسّط عليه الأتراك وأساءوا معاملته واجتمعوا في بعض الايام على بابه ورموا روشنه بالآجر والنشاب فضجر وضاق صدره بأمره وخرج إلى جسر النهروان في يوم الأحد لأربع بقين من شهر رمضان ومعه أبو إسحق أخوه والظاهر بن جستان وخُسروشاہ [83] وخُسرو فيروز^(١) أخواه وأبو الحسن علي ابن كوجرى وأبو علي ابن ثمال وأبو الحسين ابن قطرميز ومن تبعه من الديلم الباراوحية وغيرهم.

وراسل النجيب أبا الفتح محمد بن عناز وسأله المسير معه إلى أبي الحسن علي بن مزيد وبنى عقيل قدافعه وعلله ثم أجابه وساعده وسار إليه واجتمع معه وعبرت الجملة دجلة وكان انفصال أبي جعفر عن جسر النهروان يوم الأحد لعشر خلون من شوال، وعبوره في يوم السبت مستهل ذي القعدة، وتوقّفه إلى أن لحق به أبو الفتح.

وورد إلى دعيج أبو بشر بن شهرويه مدداً من الموصل في عدة كثيرة من بني عقيل واجتمع أبو الحسن بن مزيد معهم في خيله ورجله ووقعت الواقعة بينهم في يوم الخميس لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة فقتل أبو بشر بن شهرويه وأسر دعيج وانهزم أبو الحسن بن مزيد وتفرقت جموعهم ونهب

١. أصلهما الفارسي: خُسرو شاہ، وخُسرو فيروز.

سوادهم وكراعهم وذلك فى الموضع المعروف ببزيقيا.

فحدثنى الحاجب أبو طاهر الحسين بن على الظهيرى قال :

لما انهزم ابن مزيد وبنو عقيل من الوقعة ببزيقيا تمم صاحب الجيش أبو جعفر إلى القصر ونزل بباشمسا ورتب فى البلد من منع من نهبه والتعرض لأهله وسار من غد طالباً للنيل ومقتصاً أثر ابن مزيد. فكان قد مضى الى موضع يعرف بشق المعزى بحلله وأهله.

فنزل أبا الحسن على بن كوجرى بالنيل ومعه أثقاله ودعييج والرجالة الديلم وسار ومعه أبو الفتح بن عناز وأبو على ابن ثمال. فلما قاربوا ابن مزيد وشاهدوا حلله وقفوا لأخذ أهبة الحرب وضرب المضارب، وبرز ابن مزيد للقتال.

وقد كان راسل أبا الهوا اسود بن سواده الشيبانى وهو فى عدة كثيرة من بنى شيبان مع أبى [84] الفتح ابن عناز ووعدده وخدعه ووافقته على أن ينهزم إذا وقعت العين على العين ويفلّ أبا جعفر ففعل وانصرف وتبعه قسوم من الأكراد وبقي أبو جعفر فى ثلاثين رجلاً من أهله وأقاربه لأنه كان تقدم بالنيل أن يحمل بعض الديلم الرجالة على البغال والجمال فأغفل ذاك وأبو الفتح ابن عناز فى مائتى فارس من الشاذنجانية ومائتى فارس من الجاوانية كانوا أصحابوا أبا جعفر.

واتفق أن مضى حسان بن ثمال أخو أبى على مع أكثر بنى خفاجة فى طريق غير الطريق التى سلكها أصحابنا فبقى أبو على فى عدة قليلة. ولما تبين أبو جعفر ما هو فيه وشاهد قلة ما بقى معه وحمل أبو الحسن ابن مزيد عليه وكثره بخيله ورجله وعبيد الحلة وإمائها وملك عليه خيمه تحير فى أمره.

وأحس من أبى الفتح ابن عناز بعمل على الهرب والانصراف. فقال للظهير

أبي القاسم وأهله :

«احفظوا لى أبا الفتح ولا زموه ولا تفارقوه لئلا يقاتلنا ويتركنا لأننى^(١)
أعول على النصرة به، ولكنه متى رجع فلنا وكسرنا وأطمع عدونا.»
فلازمه الظهير وهجم أبو جعفر لما ضاق به الأمر على البيوت وعلا على
تلّ كان فى وسطها وعرف أبو الحسن ابن مزيد ذلك وقد كان ملك مضارب
أبى جعفر ونزل وصلى فى أحدها شكراً لله تعالى على الظفر. فركب وقصده
وحمل حملة نكس فيها نفرأ من غلمان دار أبى جعفر وداسهم بحوافر خيله
حتى سطح رؤوسهم ووجوههم وخلطها بأجسادهم واستظهر كل الاستظهار.
وثبت أبو جعفر وحمل حملات متتابعة وطرح النار فى بعض البيوت
وحمل فى أثر ذاك فانهزم ابن مزيد وملكت حلله وبيوته وأمواله وذلك فى
يوم السبت لثمان بقين من [85] ذى القعدة.

قال الحاجب أبو طاهر :

ونهب أصحابنا ذلك فأخذوا من العين والورق والحلى والصياغات والثياب
الشيء الذى تجاوز الحصر وأرسل أبو جعفر إلى أبى على ابن ثمال : بأنك
أحق بالنساء^(٢) والحرم فاحرسهن وامنع العجم منهن.
فتشاغل أبو على بجمعهن إلى بيوت أفرادها لهن ولم يتعرض لشيء من
النهب على وجه ولا سبب. علوم
واستغنى الشاذنجان والجاوان ومن حضر من بنى خفاجة بما حصل من
الفنائم وامتلات أيدي الجميع وحقائبهم بالمال والجلال من الاثاث وانكفأ أبو
جعفر إلى النيل.

وقد كان أبو الحسن على ابن كوجرى لما رأى بنى شيبان عائدين

١. والمثبت فى مد : لا أننى .

٢. وفى مد : النساء .

ومظهرين للهزيمة وسمع عنهم أنهم قالوا: قد كسر صاحب الجيش، خفاف وجمع الديلم الرجالة وحمل الأثقال وصار إلى الجبل وضرب رقبة دعيج وصلبه بالمدائن وعرف من بعد حقيقة الأمر واستحيا ودخل إلى بغداد كالمستوحش من أبي جعفر ثم كاتبه وعذره فرجع إليه. وصار أبو جعفر بعد ذاك إلى الكوفة ومعه أبو علي ابن ثمال ورجع أبو الفتح ابن عئاز إلى طريق خراسان.

قال الحاجب أبو طاهر:

- «ولما حصل صاحب الجيش أبو جعفر بالكوفة نزل في دار أبي الحسن محمد بن عمر ثم لم يبعد أن وردت الأخبار بانحذار قرواش ورافع بن الحسين وقراد بن اللديد وغريب ورافع ابني محمد بن مقن في جمرة بنى عقيل ومن استجاشوا به من طوائف الأكراد ونزولهم الاتبار عاملين على قصد الكوفة ولقاء أبي جعفر وأبي علي بن ثمال. وعرف بنو خفاجة ذاك ففارقوا أبا علي وتوجهوا منصرفين.

فقال أبو علي لأبي جعفر:

- «يا صاحب الجيش، أنفذ معي من يردهم [86].»

فأنفذ معه الظهير أبا القاسم وخرجا حتى انتهيا إلى قريب من القادسية والقوم متفرقون قد أخذ كل قوم منهم طريقاً ومنهم من يريد البصرة ومنهم من يريد البرية. فقال أبو علي للظهير لما شاهدتهم:

- «تقدم بضرب البوقات.»

ففعل ذاك. فلما سمعوا الصوت وكل إنسان منهم قد أخذ وجهته لووا رؤوس خيلهم واجتمعوا إلى أبي علي وقالوا له:

- «ما الذي تريده منا.»

فقال لهم:

- «يا قوم تخلونى وتخلون هذه البلاد وقد نزلناها وأخذناها بالسيف وصارت لنا طعاماً ومعاشاً».

فقالوا: «نريد المال والعوض عن إسلام النفوس للرماح والسيوف».

ولم يزل هو والظهير بهم حتى رجعوا على أن يفسح لهم فى نهب النواحي عوضاً عن العطاء والاحسان واستعملوا من ذاك ما جرت عادتهم به وعظمت المعزة منهم.

وبرز صاحب الجيش الى الموضع المعروف بالسبيع من ظاهر الكوفة وأراد أن يجعل انتظاره لبنى عقيل ولقاءه لهم فيه. فقال له ابو على بن ثمال:

- «يا صاحب الجيش قد أسأنا معاملة أهل البلد وثقلنا الوطأة عليهم وهم كارهون لنا وشاكون منا، ومتى كانوا فى ظهورنا عند وقوع الحرب لم نأمن ثورتهم من ورائنا ومعاونتهم لأعدائنا علينا. والصواب أن نجعل بيننا وبينهم بعداً».

فساروا ونزلوا فى القرية المعروفة بالصابونية على فرسخين من الكوفة ومع أبى على بن ثمال نحو سبعمائة فرس ومع صاحب الجيش أبى جعفر نحو العدة من الديلم.

ولما خرج صاحب الجيش الى هذا الموضع لم يتبعه من الديلم إلا دون ثلاثمائة رجل وتأخر الباقيون عنه وطالبوه بالمال واطلاقه لهم، وقد كان عميد الجيوش وأبو القاسم ابن مما راسلاهم وأفسداهم [87] فردّ أبو جعفر الظهير أبا القاسم إليهم حتى أخرج اكثر المتأخرين لأنهم استحيوا منه وتذمّموا من الامتناع عليه.

وورد بنو عقيل فى سبعة آلاف رجل بالعدد والمنجانيقات والأسلحة والقزاغندات، وطلعت راياتهم وضربت بوقاتهم ودبادب مواكبهم وزحفوا كما ترحف السلطانية.

وقد كان أبو علي بن ثمال قصد المشهد بالغرى على ساكنه السلام، وزار
وصلّى وتمرّغ على القبر وسأل الله تعالى العون والنصر وقال لأصحابه :
- «هذا مقام الموت والذل بالفشل والخور ومقام الحياة والعز بالثبات
والظفر.»

فوعده المساعدة وبذل نفوسهم في المداقة، ورتب صاحب الجيش
مصافه بين يدي بيوت الحلة وجعل الظهير أبا القاسم في ميمنته وخسر شاه
في ميسرته ووقف هو في القلب وبرز النسوان في الهودج على الجمال وبين
أيديهن الرجال بالدرق والسيوف. وتقدم أبو علي في الفرسان وصار بيننا
وبينه مدأ بعيداً ووقع التطارد فلم يكن إلا كلا ولا، حتى وافتنا الخيل
المغنومة مجنونة والرجال المأسورون يقادون والعرب من بني خفاجة وفي
أيديهم الرماح المتدفقة^(١). وأرسل أبو علي ابن ثمال إلى صاحب الجيش
بأن: سر وتقدم إلينا.
فقال له :

- «ما هذا مكان التقدم لمثلى ولا يجوز أن أفارق مصافى وأصحر للخيول
في هذا البر.»
فراجعة دفعات وهو يجيبه بهذا الجواب حتى قال له أبو علي في آخر
قوله :

- «فأنفذ إلى جماعة من العجم ليشاهدوا القوم فتضعف نفوسهم ويعلموا
أنك وراؤنا.»

فأنفذ إليه الظهير أبا القاسم في عدة من فرسان الديلم وأترك كانوا بالكوفة
وخرجوا مع صاحب الجيش فما وصلوا إلى موضع المعركة حتى انهزم بنو

عقيل وأسر منهم نحو ألف رجل وحملوا إلى البيوت بعد أن أخذت ثيابهم ودوابهم [88] وأسلحتهم.

وكف أبو علي عن القتل ومنع منه. فلم يقتل إلا أبو علي ابن القلعي كاتب رافع بن محمد.

وقد كان نساء بنى خفاجة وعبيدهم وإماؤهم عند تلاقي الجمعين ركبوا الخيل والجمال وصاروا إلى معسكر بنى عقيل وبينه وبين موضع الحرب بعد، وكبسوه ونهبوه وولّى بنو عقيل لا يلوى أول منهم على آخر، وغنم بنو خفاجة أموالهم وسلاحهم وكراعهم وسوادهم.

فحدثني أبو علي الحسن بن ثمال: أنه اتبع بنى عقيل في عرض البرية مع فوارس من أصحابه إلى المشهد بالحائر على ساكنه السلام، وهم منقطعون. فلما تجاوزوه بات وزار وعاد إلى حلته من غد.

فذكرت ذاك للحاجب أبي طاهر فقال: قد كان. ولما فقدته أبو جعفر قلق قلقاً شديداً به وظنّ أنّ حادثاً حدث في بابه. فقال له أصحابه: «لو لحقه لاحق لعادت بنو عقيل.»

حتى إذا كانت صبيحة تلك الليلة وافى ومعه اثنا عشر فارساً. وحكى أنه اتبع المنهزمين حتى تجاوزوا المشهد بالحائر وباتوا هناك وأنه لو كان في عدة قوية لكشف نفسه وأخذ أموالهم ورؤسائهم.

وعاد أبو جعفر وأبو علي إلى الكوفة فأقاما بها وسنذكر ما جرى عليه أمرهما من بعد في موضعه بإذن الله تعالى^(١).

وفي شعبان قبض على الموفق أبي علي ابن اسماعيل وأعيد إلى القلعة.

١. قال صاحب تاريخ الاسلام: توفي العجاج بالأهواز في ربيع الاول سنة ٤٠٠ فذكر أبو الفرج ابن الجوزي أنه توفي عن مائة سنة وخمس سنين وحاصل الامر أنه أسنّ معمر (مد).

شرح الحال في هربه من القلعة عند اعتقاله أولاً فيها
وحصوله عند الديوانى^(١) وعوده الى شيراز بعد التوثقة
التي أعطيها وما جرى عليه أمره الى أن قبض عليه
ثانياً وردّ الى القلعة وكلّ ذلك على ما [89] حدثنى
به أبو نصر بشر بن إبراهيم السننى كاتب الموفق

قال أبو نصر: لما حصل الموفق فى القلعة أولاً ردّ الامر فى التوكل به
وحفظه، إلى أبى العباس أحمد بن الحسين الفراش وكانت فيه غلظة وفظاظة
وقد عرف من رأى بهاء الدولة ووسطائه فيه ما يدعو إلى التضيق عليه
وإساءة المعاملة له. فاعتقله فى حجرة لطيفة وتركه فى وسط الشتاء وشدة
البرد يقيمى واحد وكساء طبرى حتى أشفى على التلف.

ولما فعل هذا الفعل به اختار الموت على ما يقاسيه وحمل نفسه على
الأشدّ فى طلب الخلاص منه واستمال الموكلين المقيمين معه من قبل أبى
العباس الفراش وخدعهم ووعدهم وأرغبهم وراسلنى على أيديهم واستدعى
منى طعاماً أمده به وثياباً ونفقة وكان يأتيه من جهتى ما يريد شئاً شئاً.
وكان يتقدم الموكلين فراش يختصّ بأحمد الفراش ويتميز بفضل الثقة
عنده ونفسه ساكنة إلى موضعهم فطأوا الموفق وساعده وتردّد فى رقاعه
وأجوبتها بينى وبينه واستقرت الموافقة معى على أن أحضر جماعة من
أصحاب الديوانى وأقيمهم ليلاً تحت القلعة ويتدلى الموفق والفراش فى نقب
ينقبانه فى بيت ما يتصل بالحجرة التى هو فيها ففعلت ذلك وأحضرت
الفرسان بعد أن حصلت عند الموفق على يدى الفراش مبرداً يبرد به قيده

وزيلاً وحياً ينزل فيها ويرد القيد ونقب النقب ونزل الموفق والفراس بعده ليلة النوروز الواقع في شهر ربيع الآخر يوم الإثنين لليلتين بقيتا منه وقد أعددت له ما يركبه. فركبه وسرنا فلم يصبح إلا ببلاد سابور وخرج الديواني^(١) فاستقبله [90] وخدمه.

قال أبو نصر: فلما نزل وسكن جأشه قلت له:

«قد خلصت وملكت أمرك، إلا أن بهاء الدولة خصمك والبلاد له والناس في طاعته، واعتقاده فيك الاعتقاد الذي تعرفه. والصواب أن تأخذ لنفسك وتسبق خبرك إلى حيث تأمن فيه من طلب يلحقك.»

وقال له الديواني قريباً من هذه المقالة، ووعدته أن يسير به حتى يوصله إلى أعمال بدر بن حسنويه وأعمال البطيحة، فلم يقبل وقال:

«بل أراسل الملك واستصلح رأيه.»

وراجعناه وبيّنا له وجه الرأي فيما أشرنا به. فأقام على المخالفة وألزمنا أن أعود إلى شیراز واجتمع مع أبي الخطاب واستعلم رأيه له فيما يدبر به أمره. وكتب كتاباً إلى بهاء الدولة بـ:

«أنتى لم أفارق اعتقالك خروجاً عن طاعتك ولا عدولاً عن استعطافك من تحت قبضتك ولكننى عوملت معاملة طلبت بها نفسى فحملنى الإشفاق من تلفها^(٢) على ما طلبت به خلاصها وما أنا مقيم على ما يرد به أمرك وما أريد إلا رعاية خدمتى فى استبقاء مهجتى.»

١. قال الاصطخرى فى كتابه مسالك الممالك: إن من زوم بلاد فارس زَمَ الحسين بن صالح ويعرف بِزَمَ الديوان: وإن لكل زَمَ مدناً وقرى مجتمعة قد ضمن خراج كل ناحية منها رئيس من الأكراد: وأما زَمَ الديوان فنقله عمرو بن الليث إلى ساسان بن غزوان من الأكراد فهو فى أهل بيته إلى يومنا هذا. وصنف الاصطخرى كتابه فى حدود ٣٤٠ (مد).

٢. وفى الأصل: تلقها.

إلى غير ذلك من القول الجارى فى هذه الطريقة.

قال أبو نصر: وكلفنى من هذا العود والرسالة ما حملنى فيه على الغرر والمخاطرة ثم لم أجد بداً من القبول والطاعة ورجعت إلى شيراز وقصدت دار أبى الخطاب ليلاً فقال لى:

- «ما الخبر؟ فإن القيامة قد قامت على الملك بهرب الموفق وتصور له أنه سيتم عليه به فساد عظيم.»
فاعلمته ما جئت فيه فقال:

- «ليس يجوز أن أتولى إيصال الكتاب وإيراد ما تحملته فى معناه على الملك وهو يعلم ما بينى وبينكم. ولكن امض إلى المظفر أبى العلاء عبيدالله بن الفضل واسأله أن يكتب خبرك فى ورودك وأن يوصل الكتاب كأنه وصل مع بعض الركابية ويستر الأمر [91] ويعرف ما عند الملك فيه.»

فصرت إليه ووافقته على ما وافقنى عليه أبو الخطاب فلشدة حرص المظفر على اعلام بهاء الدولة الخبر وإزالة قلقه به ما باكر الدار وعرض الكتاب ولم يكتب ورودى بل ذكره فسكنت نفس الملك إلى هذه الجملة فقال:

- «فما الذى يريد.»

قال: «التوثيق على يدي الشريف الطاهر أبى أحمد الموسوى.»
فأجاب إليها ووعد بها. وراسلنى أبو الخطاب بأن أقتصر فيها ولا أستوفىها ووعدت بذلك ثم لم أفعله وعملت لليمين نسخة استقصيت القول فيها وحضرت الدار بها وحضر الشريف الطاهر أبو أحمد والمظفر أبو العلاء فخرج إلى الأمين أبو عبدالله وقال لى:

- «الملك يقول: ما الذى تقترحه من التوثيق؟»
فأخرجت النسخة من كفى وسلمتها إليه وقلت:

- «هذه نسخة أصحابيها الموفق ورسم لى الرغبة إلى الكرم الفائض فى أن تحرر بخط مولانا الأمين وأن تشرف بتلفظ الحضرة العالية بها بمحضر من الشريف الطاهر.»

فقال : «أقوم وأعرضها.»

ودخل وعرضها. فلما رأى الملك طولها وتأكد الإستيفاء فيها، قال لأبى الخطاب :

- «أليس رسمنا لك مراسلة أبى نصر بالاختصار والتخفيف؟»

قال : «قد فعلت.»

ووعده ثم لم يفعل. فتقدم إلى الأمين بتحريرها فحررها حرفاً حرفاً وأحضرت المجلس وحضر الشريف الطاهر أبو أحمد والمظفر أبو العلاء وأبو الخطاب والأثير أبو المسك عنبر والأمين أبو عبدالله، وبدأ الملك بقراءتها. فلما مضى شطرها قطعها بأن قال قولاً استفهم به شيئاً منها ثم عاد لاستتمامها^(١) فقُبِلت الأرض ورفع رأسه وقال :

- «مالك؟»

قلت : «الخادم الغائب يسأل الإنعام بأن يكون قراءة هذا التشريف بغير عارض يقطعه.»

فاغتاز غيظاً بأن فى وجهه، ثم [92] أعاد قراءتها من أولها إلى آخرها. فلما فرغ منها قُبِلت الأرض. فقال :

- «أى شىء تريد أيضاً؟»

قلت : «التشريف بالتوقيع العالى فيها.»

فاستدعى دواة وكتب : «حلفت بهذه اليمين والتزمت الوفاء بها على ما

اقترحه من ذلك».

وأخذتها وخرج الشريف الطاهر أبو أحمد والمظفر أبو العلاء وخرجت إلى الموفق ليرد معنا.

وقد كان بهاء الدولة جرّود مع أبي الفضل ابن سودمند^(١) عسكرياً إلى سابور لطلب الديوانى ودخل الديوانى الماهور وأقام أبو الفضل على حصاره. فلما وصلنا أقام المظفر أبو العلاء عند العسكر ودخلت أنا والشريف أبو أحمد وصرنا إلى الموفق ومعى خيل وبغال وثياب ورحل أنفذ ذلك المؤيد أبو الفتح اذكوتكين والمظفر أبو العلاء إليه على سبيل الخدمة له به واجتمعنا معه وعرف من الشريف الطاهر جملة الأمر ومتى شرحه. وسار وصرنا وسار المظفر أبو العلاء إلى شیراز وكان وصولنا فى روز آبان من ماه أردیبهشت^(٢) الواقع فى جمادى الآخرة.

وأظهر الموفق لبس الصوف وخرج إلينا أبو الخطاب والأمين أبو عبدالله متلقين. فلما أراد الإنصراف قال لأبى الخطاب:

«أريد الخلوة معك».

فقال له:

«لا يمكننى ذلك مع كون الأمين معى، ولكن أنفذ إلى أبا نصر الكاتب الليلة».

ودخل الموفق البلد ونزل داراً أعدت له فيه.

١. والمثبت فى مد (وفقاً للأصل): سودمند (بالذال المعجمة) والذال إنما تأتى فى الفارسية بعد الحركة، أو حرف مد.

٢. أردیبهشت: الشهر الثانى من السنة الشمسية الإيرانية.

ذكر ما جرى عليه أمره بعد دخوله

قال أبو نصر: وصرت إلى أبي الخطاب وقلت له:

«يقول لك الموفق بأي شيء ترى إن أدبر أمرى؟»

قال: قل له:

«قد كنت أشرت عليك بآراء خالفتها فلم تحمد عقبي خلافتها، وأنا أعرف بأخلاق بهاء الدولة منك. [93] والصواب الآن أن تنفذ جميع ما حصل عندك من الدواب والبغال التي قادهما الأولياء إليك وتراسل الملك وتقول له: من كان مثلي على الحال التي أنا معتقدها من اعتزال الأموال والرغبة عن العمل، فلا حاجة به إلى دواب وبغال. وقد قدت ما قاده الأولياء إلى الاصطبل. لأنه أولى به ومتى اردت مركباً أركبه استدعيت منه ما أريده في وقت الحاجة إليه وإن من شروط ما اعتزمته أيضاً أن أقل الاجتماع مع الناس وانفرد بنفسى والدعاء للملك وأسأل أن يختار أحد ثقات السترين ويرتب على بابى لرد من يقصدنى ومنع من يحاول الدخول إلى. فبأنه اذا رأى مثل هذا الفعل وسمع عنك مثل هذا القول سكن وأنس وأمكنك وأمكننا ان نتلطف لك من بعد في اخراجك الى منزلك ببغداد او الاستئذان لك في قصد بعض المشاهد وتملك حينئذ نفسك فتصرفها على اختيارك.»

قال أبو نصر: فلما سمعت من أبي الخطاب هذه المشورة علمت أنها صادرة عن النية الصحيحة وعدت إلى الموفق فأخبرته بما كان. فكان من جوابه: أبو الخطاب يريد أن يردنى إلى الحبس رداً جميلاً. ولم يقبل هذا الرأي ولا دخل له قلباً ولا خالط فكراً. وأقام الدواب بين يديه الى المراود والكرداخورات يسمنها ويضمهرها وفتح بابه وقعد في ثلاثة مخاد بين اثنتين منها سيف والى جانبه ترس وزويينات وعليه قميص صوف وكان يدخل إليه

أبو طالب زيد بن عليّ صاحب الصاحب أبي محمد ابن مكرم وأبو العباس أحمد بن عليّ الوكيل فيحدثهما ويحدثانه ويباسطهما ويباسطانه ويعيدان عليه ما يتسوقان عنده به ويعيدان عنه ما يتسوقان به عليه.

وورد الوزير أبو غالب قادماً [94] من سيراف وقد كان خرج إليها بعد وفاة الفَرَّخَان بن شيراز لتحصيل أمواله وإثارة ودائعه وترددت المراسلات بينه وبين الموفق بالجميل الذي كنت أسدى وألحم فيه وأخذت لكل واحد منهما عهداً على صاحبه ومضى على ذلك زمان.

فأعاد أبو العباس الوكيل وأبو طالب زيد بن عليّ الوزير أبي غالب على الموفق ما أوحشاه به وكان مخالفاً لما أورده عليه عنه وشكّ في قولهما وقولي وأراد امتحان صدقهما أو صدقي. فاستدعى أستاذ الأستاذين أبا الحسن علمكار، وكان الموفق شديد الثقة به والوزير أبو غالب على مثل هذا الرأي فيه. فقال: «أريد أن أخرج اليك بسرّ أشرط عليك أولاً كتماناً ثم استعمال الفتوة والنصيحة فيه.»

فقال: «ما هو؟»

قال: إنّ أبا نصر الكاتب يجيئني ويورد عليّ عن الموفق الجميل الذي يسكن إلى مثله يجيئني بعده أبو طالب وأبو العباس فيحدثاني عنه ما يناقض ذلك ويقتضيني والنفور منه^(١) وأريد أن تمتحن ما في نفسه وتطاوله مطاولة يستخرج بها ما عنده وتصدقني عما تقف عليه لأعمل بحسبه.

فوعده أبو الحسن وصار إلى الموفق وأقام عنده طويلاً وجاراه من الحديث ضرورياً. ثم أورد في عرض ذلك ذكر الوزير أبي غالب فخرج إليه بالشكر له وسوء الرأي فيه وعاد أبو الحسن إلى الوزير أبي غالب فقال له:

«قد صدقك أبو طالب وأبو العباس ونصحا لك».

فانتقبض الوزير أبو غالب حينئذ منه وعلم أنه على خطر متى ثاب أمره. قال أبو نصر: ومضت مديدة أخرى وأبو الفضل بن سودمند^(١) مقيم مع العسكر على حرب الديوانى ومضايقته لأنه طولب بعد خروج الموفق من عنده بقصد الباب ووطء البساط فلم يفعل وعول على أن أمر الموفق يستقيم فيمنع منه ويرد العسكر عنه.

فوضعت [95] موضوعات وكتبت ملطفات على أنها من الموفق إلى الأولياء الذين بإزاء الديوانى وروسلوا بالشغب وإظهار العود إلى شيراز وحملت الملطفات إلى بهاء الدولة وقيل له: إن العسكر المقابل للديوانى قد هنجم وعمل على الإنكفاء إلى الباب وهذا أمر قد قرره الموفق ورتبه وفيه من الخطر عليك وعلى دولتك ما لا خفاء به، وإن ورد هؤلاء القوم أخرجوا الموفق وكاشفوا بالخلاف.

فاغتاظ بهاء الدولة وشك شكاً شديداً فظن ما قيل وعمل حقاً فتقدم عند ذاك بالقبض على الموفق وردّه إلى القلعة.

فانفذ إليه أبو طالب الصغير فى وقت العشاء من روز أمرداذ من ماه تير^(٢) الواقع فى يوم الأحد السابع من شعبان حتى أخذه وحمله إلى القلعة.

مركز تحقيق كالمبيوتر علوم إسلامي

ذكر ما جرى عليه أمره عند ردّه إلى القلعة

وكل به أبو نصر منصور بن طاس الركابسلار، فأحسن معاملته ووسع عليه مقعده وملبسه ومأكله ومشربه وتحمل عنه جميع مؤنه وكلفه. وكان يدخل إليه ويقول له:

١. والمثبت فى مد: سودمند (بالذال المعجمة).

٢. ماه تير: شهر تير، وهو الشهر الرابع من السنة الشمسية الإيرانية.

«أنا خادمك ونفسي ومالي مبدولان لك.»

ومضت على ذلك أيام ثم جاءه وخلا به وقال :

- «أيها الموفق قد عرفت مخالفتي للسلطان في كل ما أعاملك به وأخدمك به ونفسي معرضة بك معه وإن وثقت إلى من نفسك بانه لا تُسلمني وأن تكون الحافظ لها دوني كنت على جعلتي في خدمتك وتولّي أمرك. وإن كنت تحاول أمراً آخر فاخرج إلى بسرك لأكون بين أن أساعدك عليه أو أن استعفى استعفاء لطيفاً أتخلص به.»

فقال الموفق له :

- «لك على عهد الله أننى لا أفارق موضعي [96] ولا أخرج منه إلا بأمر سلطاني وما فارقت في الدفعة الأولى إلا لسوء معاملة أحمد الفرائش لى وطلبه نفسي.»

فشكره أبو نصر ووثق بهذا الوعد منه وكان يتردد بينه وبين أبي الخطاب في رسائل يتحملها من كل واحد منهما إلى صاحبه ومضت مدة على هذه الحال. ورتب في القلعة للشكري بن حسان لمانكيمح (كذا) فراسل الموفق يقول له أنت على هذه الصورة ورأى السلطان فيك فاسد وأعدائك بين يديه كثيرون والامر الآن في يدي وأنا آخذك وأخرجك معي إلى الري فإذا حصلت بها ملكيت أمرك وبلغت هناك معاً شاع من ذكرك وتحصل في نفوس الديلم لك أكثر مما بلغته هاهنا.

فقال له :

- «قد عاهدت أبا نصر الركابسلار على ألا أغدر به ولا أفارق موضعي وأسلمه.»

فعاود مراسلته وقال له :

- «دع هذا القول عنك واقبل رأيي. فإن النفس لا عوض عنها وترك

الفرصة إذا عرضت عجزاً.»

فلم يقبل.

قال أبو نصر: ثم إنَّ أبا الخطاب أراد امتحان ما عند الموفق. فقال لأبي

نصر المجري:

«أريد أن تذمَّنِي إذا خلوت أنت والموفق وتستكتمه ما خرجت به إليك

في أمري وتنظر ما يقوله لك فتعترفينه.»

فجاءه أبو نصر وقال له في بعض ما يجاريه إياه:

«لك أيها الموفق علىَّ حقوق إحسان أوليئتيه ومن حكم ذلك أن

أصدقك. أراك تعول من أبي الخطاب على من هو سبب فساد أمرك وتغير

الملك عليك وسوء رأيه فيك. فلو عدلت عنه لكان أولى وأصلح لك ومتى

أردت أن أوصل لك رقعة إلى الملك سرّاً فعلت.»

فصادف هذا القول منه شكاً في أبي الخطاب وتهمة له وحمله الإسترسال

وطراح التحفظ على أن اطلق لسانه [97] فيه بكل ما كان مكنوناً في صدره

وسأله أن يوصل له رقعة إلى الملك فبذل له ذاك.

وكتب بخطه إليه كل ما استوفى اليمين على نفسه به في أنه الخادم

المخلص الذي لم يتغير عن مناصحته ولا هم بخيانة وأنه وأنه... وذكر ابن

الخطاب بما طعن عليه فيه وقال:

«اننى لم أهرب لَمَّا هربت إلّا برأيه وموافقتة وعلمه ومعرفته.»

قال أبو نصر السني: وكان الأمر كذلك وأخذ أبو نصر الركابسلار الرقعة

وجاء بها إلى أبي الخطاب. فلَمَّا وقف عليها كتّمها ولم يعد قولاً في معناها

أدت الحال إلى ما سيرد ذكره في موضعه من قتله^(١).

١. قتله بهاء الدولة في سنة ٣٩٤ كذا في تاريخ الإسلام عن أبي الفرج ابن الجوزي (مد).

وفى شعبان توفى أبو عبدالله ابن أيوب الشيرازي الكاتب.
وفى شهر رمضان عظمت الفتنة ببغداد بعد خروج أبي جعفر الحجاج عنها
وزاد أمر العلويين العيارين وقتلوا النفوس وواصلوا العمليات^(١) واخذوا
الاموال واشراف الناس منهم على خطة صعبة.
وفيه ورد الامين أبو عبدالله الحسين بن أحمد إلى واسط برسائل إلى أبي
جعفر الحجاج في معنى أمر عميد الجيوش أبي علي وخروجه إلى العراق.
فلما عرف حصول أبي جعفر بسقى الفرات وتشاغله بحرب أبي الحسن ابن
مزيد وبني عقيل توقف.
وفى ليلة الأربعاء لثمان بقين منه طلع كوكب الذؤابة.

مسير بهاء الدولة من الأهواز

وفى هذا الشهر تواترت الأخبار بتعويل بهاء الدولة على عميد الجيوش
في أمور العراق. ثم سار من الأهواز في يوم الجمعة الثاني من شوال.

شرح الحال في ذلك

لما استقام بعميد الجيوش ما استقام من أمور الأهواز وأعادها إلى حال
السكون [98] والعمارة وساس الجند والرعية فيها السياسة الشديدة
واضطربت أمور بغداد وانحل نظامها وعظمت أسباب الفساد والفتن فيها
كوتب بقصد العراق وإصلاح أحوالها وإزالة ما عرض من انتشارها واختلالها
وأنفذ الامين أبو عبدالله إلى أبي جعفر الحجاج لتطبيب قلبه واستدعائه إلى
فارس.

١. وفي الأصل: العمليات. ولعله: الحملات.

وورد عميد الجيوش واسطاً بعد أن أقام أبا جعفر أستاذ هرمز بالأهواز والده ناظراً في الحرب ورتب أبا عبدالله الحسين بن علي بن عبدان في مراعاة الامور والاعمال.

فاستبشر الناس به لما بلغهم من حسن سياسته وزوال المجازفة والظلم عن معاملته، وكتب إلى الفقهاء وأمائل التجار بمدينة السلام كتباً يعدهم فيها بالجميل ومحو آثار ما تقدم من المصادرات وتضاعفت المحبة له وتزايدت المسرة به.

وكتب أبا القاسم الحسين بن محمد ابن مما مما تألفه وأمره بحفظ البلد وضبطه إلى حين وصوله وأنفذ اليه تذكرة بأسماء جماعة ورسوم له قتلهم وأخذهم وكان منهم مرتوما ابن ققى (كذا) النصراني التاجر لأنه ذكر عنده بالسعاية والغمز فاقتصر أبا القاسم على أخذ المعروف بابن دجيم وقتله في وسط الكرخ. وكان أحد الملاعين السعاة وأنذر الباقيين لأنهم خدموه من قبل.

وسار عميد الجيوش من واسط فتلقيه أبو الفوارس قلج سابقاً إلى خدمته ثم تلاه الأولياء على طبقاتهم والناس على ضروبهم فبسط لهم وجهه ووفى كلامهم حقه. ورأوا من لين جانبه وقرب حجابيه وسهولة اخلاقه وعذوبة الفاظه مع عظم هيئته ما لم يعهدوا مثله. وعرف الاشرار والدعار^(١) قوته وما يأخذ به نفسه فذهبوا كل مذهب وهربوا [99] كل مهذب.

ونزل النجمي فزينت له الاسواق ونصبت القباب وأظهر من الثياب والفروش الفاخرة والوانى والصياغات الكثيرة ما كان مخبواً للخوف، ودخل يوم الثلاثاء السابع عشر من ذى الحجة وقد أقيم له في الاسواق الجوارى

والغلمان في أيديهم المداخن بالبخور وخلقت وجوه الخيل ونشرت عليه الدراهم في عدة مواضع ودعى له من ذات الصدور وعدل من طاق الحراني الى دجلة ونزل في زيزه وعبر إلى دار المملكة وخدم الأميرين أبا الشجاع وأبا طاهر وعاد فصعد الى الدار بباب الشعير وهي التي كانت لأبي الحسن محمد بن عمر.

وطلب العيارين من العلويين والعباسيين وكان اذا وقعوا تقدم بأن يقرن العلوى بالعباسى ويفرقان نهائراً بمشهد من الناس. وأخذ جماعة من الحواشى الاتراك والمتعلقين بهم والمشتهرين بالتصرف والتشخص معهم ففرقهم أيضاً. وهدأت بذلك الفتن المستمرة وتجددت الاستقامة المنسية وأمن البلد والسبل وخاف الغائب والحاضر.

وكان ممن قتل المعروف بأبى على الكرامى العلوى وقد هتك الحريم وارتكب العظائم ونجا إلى أبى الحسن محمد بن الحسن بن يحيى وظن أنه يعصمه ويمنع منه فركب أبو الحسن على بن أبى على الحاجب الى داره حتى قبض عليه من بين يديه وهو يستغيث به فلا يجيبه وحمله إلى دار عميد الجيوش وقتله.

وقد كان المعروف بأبن مسافر العيار حصل في دار الأمين أبى عبدالله فأواه وستره ولم يزل أبو الحسن على بن أبى على يراصده حتى عرف أنه يجلس في دهليزه ثم كبس الدهليز والأمين أبو عبدالله غائب. فأخذه [100] وضرب عنقه.

وامتعض الأمين أبو عبدالله من ذلك فلم ينفعه امتعاضه وشكا الى عميد الجيوش فلم يكن منه إلا الإعتذار القريب منه. وتتبع هذه الطوائف فى النواحي والبلاد فلم يبق لهم ملجأ ولا معقل ومضت إلى الاطراف البعيدة وكفى الله شرها وأزال عن الناس ضررها.

وحدثني أبو الحسن علي بن عيسى صاحب البريد قال :
 كان ابن أبي العباس العلوي ممن سلك الطريق الذميمة وارتكب المراكب
 القبيحة . فلما ورد عميد الجيوش هرب إلى ميافارقين وبلغه خبر حصوله فيها
 ومقامه فيها فبذل مائة دينار لمن يفتك به ويقتله ووسط ذلك بعض من أسر
 إليه وعول فيه عليه وأنهى الأمر إلى تعديل الدنانير عند بعض التجار في ذلك
 البلد ، وتقدم عميد الجيوش بأخذ سفتجة بها وإنفاذها . وبينما هو في ذلك عرض
 عليه كتاب بوفاة ابن أبي العباس هذا . فضحك وقال لي :

- «قد بلغنا أيها الأستاذ المراد وربحنا الغرم ونحن نصرف الآن هذه
 الدنانير في الإراحة من مفسد آخر.»

وسلك مثل هذه الطريقة مع أهل الشر من الكتّاب والمتصرفين وغرق
 منهم جماعة في أوقات متفرقة ومن جملتهم طاهر الناظر كان في دار البطيخ
 وله صهر من الأتراك يعرف بالأعسر من وجوههم ومفسديهم ، وأبو علي ابن
 الموصلية عامل الكار .

فأذكر وقد جاءني ابن الموصلية هذا ليلاً وكان هارباً مستتراً وقال لي :
 - «قد خدمتك الخدمة الطويلة وأوجبت عليك الحقوق الكثيرة وفي مثل
 هذه الحال أريد ثمرة ذلك ورعايته.»

فقلت : «ما الذي تريده لأبذل جهدي فيه.»

قال : «عرفت حالي في وقوع الطلب لي ومتى ظفر بي قتلت أو بسقيت
 على جملتي في التوقي والتخفي لم يكن لي مادة أمشي بها أمري وأستر من
 ورائي وأريد أن تخاطب الصاحب أبا القاسم بن مما في بابي وتذكره بخدمتي
 وحرمتي [101] وتسأله خطاب عميد الجيوش في إظهارى وإيماني .

قلت : «أفعل ولا أترك ممكناً في ذلك.»

فشكرني وانصرف وباكرت أبا القسم فقلت :

- «جاءني البارحة أبو علي ابن الموصلية ورأيتُه على صورة يرحم في مثلها الأعداء فضلاً عن الخدم والأولياء وله عليك حقوق وإنما أعدّها لمثل هذا الوقت ومتى لم^(١) تخلصه وتلطف في أمره هلك في وقوعه واستتاره. فقال لي :

- «لو كنت غائباً عن هذه الأمور لعذرتك. فاما وأنت حاضرها فلا عذر لك.»

فراجعته وقال لي :

- «أنت تلقى عميد الجيش دائماً وهو يميل اليك ويتوقّر عليك فخاطبه وتحمل رسالة عني بما تورده عليه.»

فسررت بذلك وظننت أنني سأبلغ الغرض به ودخلت إلى عميد الجيوش في آخر نهار وهو خالٍ. فخاطبته في أمر ابن الموصلية ورققته وسألته كتب الأمان له. فقال: أفعّل. وتبسّم. ثم قال لي :

- «لست عندي في منزلة من أعده ثم أخلفه وأقررمعه ما يقتضيه وأنا أصدقك عما في نفسي. ليس لهؤلاء الاشرار عندي أمان ولا أرى استبقاءهم على كلّ حال. فإن أردت أن تتنجز الأمان على هذا الشرط فما أمنعك بعد أن يكون^(٢) علي بينة من رأيي واعتقادي.»

فقبلت الأرض بين يديه وشكرته على صدقه فيما صدقني عنه ورجعت إلى أبي القاسم فعرفته بما جرى فقال :

- «قد كنت أعلمه وإنما أحببت أن تشركني فيه وتسمعه بغير إسناد مني وربما اتهمته.»

وعاد إلى ابن الموصلية من بعد في مثل الوقت الذي قصدني أولاً فيه.

١. وفي الأصل تحصله.

٢. ولعلّه: تكون.

فشرحت له الحال على حقيقتها وقلت له :

- «ما توجب الديانة ولا المروءة أن أغرّك.»

وفارقني وهو عاتب مستزید على ما حدثت به من بعد ومضى الى أبي عمرو بن المسيحي وأبي اسحق صاحب أبي القاسم بن مما، فسألهما مثل ما كان سألني [102] وعاودا خطاب أبي القاسم وتنجزا له الأمان. فما مضت مديدة حتى أخذه أبو الحسين بن راشد.

وكان لعمرى من أهل الشر إلا أن التأول عليه كان بمكاتبتة أبا جعفر الحجاج عند حصوله بالنعمانية، ولأن أبا القاسم بن مما أغرى به للعداوة السابقة بينه وبينه.

وأخذ أيضاً أبو الحسن محمد بن جابر وأبو القاسم علي بن عبدالرحمن ابن عروة ليفعل بهما مثل ما فعل بمن قدمنا ذكره.

فتلطف مؤيد الملك أبو علي الحسين بن الحسن في خلاصهما واستنقاذهما وكان ذلك فيما بعد سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، إلا أننا أوردناه في هذا الموضع لاتصال بعض الحديث ببعض.

وتقدم عميد الجيوش عند مورده بسمل أبي القاسم بن العاجز وقد كان قبض عليه وأنفذ اليه الى واسط فسلم وضربت رقبته بعد السمل وطيف برأسه في جانبى مدينة السلام وطرح جثته فى دجلة وذلك فى يوم الأحد لثمان بقين من ذى الحجة.

ذكر ما عمله عميد الجيوش

وأجرى أمور الأعمال والدواوين عليه

فؤض إلى مؤيد الملك أبي علي أمور الأعمال وتقليد العمال وتحصيل الأموال وكان ورد معه نائباً عنه وله فى الكتابة والكفاية القدم المتقدمة وفى

العفة والامانة الطريقة المعروفة. فاستقام بنظره ما كان مضطرباً وانحرس بحفظه ما كان متشذباً واستمر على الخلافة له في مقامه وسفره.

وجعل أمر الديلم الى أبي القاسم الحسين بن محمد بن مما وأبو نصر سعيد بن عيسى على الديوان وأمر الأتراك إلى أبي محمد عبد الله بن عبد العزيز، وأبو غالب سنان ابن عبد الملك يتولى الديوان. وأقرّ أبا على الحسن بن سهل الدورقي على ديوان السواد، وأبو منصور [103] الاضطخري خليفته عليه، وأبا الحسن محمد ابن الحسين بن سابلويه على ديوان الزمام وأبا الحسن سعيد بن نصر على ديوان الخاصة وأبا منصور يزدانقادر^(١) بن المرزبان على الأشراف في ديوان الجيشين. وقلّد أبا نعيم المحسن بن الحسن واسطاً وضرب ضرباً قرّر قيمة الدينار الصاحبى به على خمسة وعشرين درهماً وياقى النقود على حسب ذلك واستعرض الجرائد وميز الناس وأسقطه كثيراً من الحشوة وردّ جميع الأقساط لسائر الطوائف الى سبعة آلاف دينار في كل خمسة وثلاثين يوماً وامتنع من تسليم ما ينحل من الإقطاعات إلا بالأقساط وأقطع جماعة على هذه القاعدة فلو تمادت به المدة على خلو الذرع والطمأنينة لسقطت الأقساط بالواحدة لكنّه منى من أبى جعفر الحجاج بمن أفسد نظام أمره وأبطل عليه جميع ترتبيه وتدييره. وسيأتى ذكر ذلك في أوقاته ومواضعه.

وما رأيت رجلاً أعف ولا أظلف نفساً من عميد الجيوش ولقد رفع المصادرات وأزال المجازفات رفعاً وإزالة اقتدى به جميع ولالة بهاء الدولة على بلاده فيها، وصار له الإسم الكبير والذكر الجميل بها^(٢).

١. كذا في مد ولكن بالإهمال الكامل.

٢. وفي تاريخ الإسلام انه توفي سنة ٤٠١ عن احدى وخمسين سنة وكان أبوه من حجاب الملك عضد الدولة فجعل أبا على يرسم خدمة ابنه صمصام الدولة. وفي تدييره أمور العراق قيل انه

ونعود الى ذكر الحوادث

في الشهور الداخلة في هذه السياقة

وفي يوم الأربعاء السابع من شوال توفي أبو محمد عبدالله بن أبي أحمد يحيى الجهرمي القاضي.

وفي هذا الشهر توفي أبو بكر محمد بن محمد بن جعفر الدقاق الشافعي العارض المعروف بخياط.

وفيه توفي أبو الفتح القنائي الكاتب.

مقتل ابن شهرويه وأبي عبدالله المستخرج وابنه

وفي يوم الإثنين لأربع بقين منه قتل أبو عبدالله بن الحيري أبا الحسين ابن شهرويه وأبا عبدالله المستخرج وابنه في داره بالموصل.

[104] ذكر الحال في ذلك

حدثني أبو الحسين بن الخشاب البيح الموصلی قال :

كان ابن الحيري يبيع الخزف بالموصل ثم ضمن كوازه وتنقل من حال الى حال حتى نظف في جميع أبواب المال وتجاوز ذاك الى ان كتب لأبي عامر الحسن بن المسيب.

→

أعطى غلاماً له دنائير وقال: خذها على يدك وسر من النجمي الى الحاصر الاعلى فان اعترض بك معترض فدعه يأخذها واعرف الموضع. فجاء نصف الليل فقال: قد مشيت البلد كله فلم يلقني أحد. ودخل مرة الرخجي وقال: مات نصراني مصري ولا وارث له. فقال: يترك هذا المال فان حضر وارث والا أخذ. فقال الرخجي: فيحمل الى خزانة مولانا الى ان تتيقن الحال. فقال: لا يجوز ذلك. ثم جاء أخو الميت فاخذ التركة (مد).

وكان ارتفاع البلد مشتركاً بين الحسن وبين معتمد الدولة أبى المنيع قرواش وكاتبه أبو الحسين بن شهرويه. وكان ابن الحيرى يستطيل على أبى الحسين بالإسلام وبأن صاحبه الأمير ويتبسط عليه فى المعاملة والمناظرة. فأقام أبو الحسين أبا عبدالله المستخرج فيما يتعلق بمعتمد الدولة من البلد والارتفاع ورمى ابن الحيرى منه بمن هو أشد قحة وثقل عليه أمره فعمل على الفتك به وبابن شهرويه وشرع فى ترتيب أسباب ذلك.

وكان معه جماعة من الرجال الذين يحملون السلاح ويسلكون سبيل العيارة فواقف قوماً منهم على أن يلازموا داره - وكانت فى بنى هائدة - ليلاً ونهاراً ويتربحوا حضور ابن شهرويه وأبى عبدالله المستخرج، فإذا حضرا أوقعوا بهما ووضعوا عليهما.

وتقدم إليهم بأن يظهروا فى منازلهم وعند رفقاتهم أنهم مقيمون فى الحلة، وكان الحسن بن المسيب فى حلته بظاهر الموصل ومعتمد الدولة مخيم بالحصباء يريد الإنحدار إلى سقى الفرات وهو عليل قد بلغت العلة منه، وأظهر ابن الحيرى العلة وشكر له^(١) وتأخر فى منزله.

فركب إليه أبو الحسين بن شهرويه وأبو عبدالله لعيادته على عادة كانت لأبى الحسين فى مغالطته ومناقشته. فلما صاروا قريباً من داره فارقهما أبو ياسر النصرانى وكان معهما فقال [105] له أبو الحسين:

- «لم لا تساعد على عيادة هذا الصديق؟»

فقال له مازحاً:

- «يجوز أن يسلم منا من يعرف خبرنا.»

وتمم أبو الحسين وأبو عبدالله ونزلا ودخلا الى الدار ومنها إلى حجرة

عليها باب حديد وثيق وتأخر عنهما ابن أبي عبدالله المستخرج ففى الدار الاولى ونزل الرجاله من الغرفة التى كانوا فيها ووضعوا عليهما وقتلوا أبا الحسين وأبا عبدالله وأفلت ابن أبي عبدالله وصعد إلى السطح ورمى نفسه الى دار قوم حاكة فاتبعه أصحاب ابن الحيرى وأخذوه وقتلوه وأخرج الثلاثة من الدار وطرحوا على الطريق.

وحلّ ابن الحيرى رجله وخرج من سرداب قد عمله تحت الأرض ففى داره إلى درب يعرف بفندق عروة على بعد من بنى هائدة واستتر وأخفى شخصه وقد كان استظهر بإخلاء داره وتحويل ما كان فيها من ماله وثيابه. وبلغ الخبر معتمد الدولة فركب فى الحال على ما به وهاج الناس بين يديه وطلب ابن الحيرى فلم يجده. وأظهر الحسن بن المسيب الإنكار لما فعله صاحبه وراسل معتمد الدولة يعده بالتماسه والأخذ بالحق منه.

وكان كمال الدولة أبو سنان غريب قد نزل فى ليلة ذلك اليوم على ابن الحيرى كالضيف له. فلما جرى ما جرى بادر هارباً على وجهه إلى البرية وانحدر معتمد الدولة إلى العراق.

وظهر ابن الحيرى وخرج إلى حلّة الحسن وأقام عذره عنده فيما فعله وقبض على شيوخ أهل الموصل وصادرهم. واعتلّ الحسن علة قضى فيها وقام مرح أخوه فى إمارة بنى عقيل بعده وانتقل إليه النصف من معاملة الموصل وتوسط بينه وبين ابن الحيرى حتى أذم له [106] وعاهده واستكتبه وكانت بينه وبين أبي الحسن ابن ابى الوزير عداوة لأنه سعى به إلى مرح حتى قبض عليه ونكبه.

فاجتمع أبو الحسن وأبو القاسم سليمان بن فهد وأبو القاسم ابن مسرة الشاعر على ابن الحيرى وأغروا مرحاً به أوغروا صدره عليه وأفسدوا رأيه فيه فقبض عليه ووجدوا له تذكرة تشتمل على نيف وخمسين ألف دينار،

فأثاروا ذلك وحصلوه، ثم سملوه فمات ودفن، وتبشه أهل البلد من بعد وأحرقوه لسوء معاملته لهم وما قدّمه من القبيح اليهم.

حديث طريف

وحدّثني أبو الحسن ابن الخشاب عن أبي الحيرى بحديث استطرفته فأوردته قال :

أراد أن يقتل الحسن بن المسيب بسمّ يطعمه إياه ويهرب الى الشام. فسأله أن يحضر في دعوته فحضر فقدم إليه بطيخاً مسموماً. فقال له الحسن :

- «تقدم يا أبا عبدالله وكل».

فأظهر له الصوم وقال لأبي الفتح ابنه :

- «اجلس وكل مع الأمير».

فجلس وأكل ومات وتراخت مدّة الحسن فعاش قليلاً ومات.

وتجددت بين أبي الحسن ابن أبي الوزير وأبي القسم بن مسرة وحشة فوقع فيه أبو الحسن عند مرح بن المسيب وكثر عنه حاله وماله وأغراه بنكبته ومصادرته فقبض عليه وقرر أمره على جملة أخذها منه وخاف عاقبة ما عامله به فقال لمرح :

- «هذا شاعر وقد أسأت إليه وإن أفلت من يدك هجاك ومزّق عرضك».

فقتله وشقّ بطنه وملاه حصى ورمى به في دجلة. فاتفق أن وجدته امرأة كانت تغسل على الشاطئ فأخرج ودفن بالموصل.

انقضاء كوكب وتشققه

وفي ليلة يوم الاثنين الثالث من ذي القعدة انقضّ [107] كوكب في برج الحمل والطلع آخر الثور أضاء كضوء القمر ليلة التمام ومضى الضياء وبقي

جرمه يتموّج نحو ذراعين في ذراع برأى العين وتشقق بعد ساعة.
وفي آخر يوم الأحد التاسع من ذي القعدة كبس العيارون دار أبي عبدالله
المالكي للفتك به وكان ينظر في المواريث وبعض معاملات أبواب المال وفيه
جذف في المعاملة. فلم يجدوه ووجدوا أبا طالب بن عبدالملك أخا أبي
غالب سنان وكان صهر أبي عبدالله على ابنته فقتلوه. وقتل العيارون في هذا
اليوم أيضاً حماد بن السكر الشهروني وكان وجهاً من وجوه الرستاقية وأهل
الرفق والعصبية.

دخول الحاج الخراسانية بغداد

وعودهم إلى بلادهم

وفي يوم الثلاثاء الحادي عشر منه تكامل دخول الحاج الخراسانية بغداد
وعبروا بأسرهم إلى الجانب الغربي، ثم وقفوا عن التوجه لخلوّ البلد من ناظر
وفساد الطرق ومقام أبي جعفر الحجاج بالكوفة وانتشار العرب من بني
خفاجة وبني عقيل في البلاد، وعادوا إلى بلادهم في يوم الخميس لعشر
بقين منه، وبطل الحج من المشرق في هذه السنة.

ذكر ورود علي بن عبدالرحمن مطلقاً

من أسر بني عقيل

وفي يوم الإثنين الثاني من ذي الحجة ورد أبو القاسم علي بن
عبدالرحمن بن عروة مطلقاً من أسر بني عقيل.

ذكر الحال في أسره وإطلاقه

كان قد خرج مع أبي اسحق إبراهيم أخى أبي جعفر الحجاج ناظراً في

الاعمال وتمشية أمور العسكر. فلما وقعت الواقعة بينه وبين أبي الحسن بن مزيد ودعيج وبنى عقيل بباكرما وانهزم، أسره أحد العرب وبقي في يده مدة. وابتاعه [108] أبو الحسن رشا بن عبدالله الخالدي منه بمال قرّره عليه وضمن أبو بكر الخوارزمي المال لرشا وأطلق.

حوادث عدّة

وفي يوم الأحد الثامن منه قتل ابن بندار المستخرج والحسين بن بركسه غلام ابن كامل وقبض على أبي طالب الصياد الهاشمي وابن زيد العلوي وغرقا.

وفي يوم الاثنين التاسع منه ولد الأميران أبو علي الحسن وأبو الحسين ابنا بهاء الدولة توأمين وعاش أبو الحسين ثلث سنين وشهوراً ومضى لسبيله وبقي الأمير أبو علي وملك الأمر بالحضرة ولقب بشرف الدولة. وأخباره تأتي في موضعها بإذن الله تعالى.

وفي يوم الأحد لثمانى بقين منه ورد الأمين أبو عبدالله بغداد عائداً عن أبي جعفر الحجاج بن هرمز فيه ومعه أبو شاهر أحمد بن عيسى كاتبه وقد كان الأمين توقّف بواسط لما وردها على ما قدمنا ذكره. فلما وصل عميد الجيوش أبو علي وأصعد، أصعد معه وعدل من النعمانية الى أبي جعفر فلقية بالكوفة.

وفي يوم الإثنين لسبع بقين منه خرج صاحب أبو القاسم بن مما إلى أبي الفتح محمد بن عئاز، فدعاه إلى طاعة عميد الجيوش وخدمته وقاده إلى الدخول في جملته، ووعدّه عنه بما طابت نفسه به، وعاد من عنده وقد أصلحه ونسج ما بين عميد الجيوش وبينه.

وفي يوم الثلاثاء لست بقين منه توفّي أبو يعقوب محمد بن الحسن ابن

يحيى العلوي الحسيني النقيب.

وفى هذه السنة هرب أبو العباس الضبي من الرى وصار إلى بروجرود
لاجئاً إلى بدر بن حسنويه.

شرح الحال فى ذلك وفيما جرى عليه أمر الوزارة بالرى بعده

على ما أخبرنى به القاضى [109] أبو العباس

أحمد بن محمد البارودى

قد ذكرنا من قبل صلاح أمر أبى العباس مع الجند بالرى ونزوله من القلعة
فى اليوم الرابع من القبض عليه وحمله إليها وعوده إلى النظر والتدبير ولمّا
كان ذلك أقام مدّة سنة والإستقامة جارية والأمور مترخية والحال بينه وبين بدر
بن حسنويه عامرة والعصبية له منه واقفة. وكانت فى أبى العباس شدّة تغلب
على طبعه وشخّ يفسد عليه كثيراً من أمره. فاتفق أن توفّى الإصفهذى الأكبر
ابن أخى السيدة والدة مجد الدولة وفاة أتهم أبو العباس بأنه دبر عليه وسمّه.
وطلبت السيدة منه ما قدره مائتا دينار لإقامة رسم العزاية. فقال فى جوابها:
«لو اشتغلت بما يعطاه الجند المطالبون لكان أولى من تشاغلها بعمل
المواتيم للموتى الماضين».

فاغتازلت وقالت: كافيير علوم ردى

«صدق، وكيف يقيم مأتمه من قتله. وبلغه قولها فأسرّ الإستيحاش منها
وعلم ماوراءه من تغير رأيها. فراسل أبا القاسم بن الكج القاضى بالدينور
واستدعى منه مطالعة بدر بن حسنويه بأمره واستثذانه فى خروجه إلى بلاده
وتجديد التوثقة عليه له. فخاطب ابن كج بدرأ على ذلك فقال:

«الرأى له أن يقيم بموضعه ولا يفسد حاله بيده ويتلطّف فى إصلاح

السيدة.»

فلم يقبل أبو العباس هذا الرأي، لأنه خاف السيدة، وعاون بدر بن حسنويه فقال :

- «أما ما عندي من المشورة والنصيحة فقد قلتها، وأما ما يراه لنفسه من غير ذلك فله عندي فيه كل ما يحبه ويؤثره.»

وأقام أبو [110] العباس بعد السنة الأولى سنة أخرى حتى حرز أموره وأنجز علاقته وأحرز أمواله. وكان يعتقد الثقة بأبي علي الحسين بن القاسم العارض الملقب بالخطير، ففاوضه أمره وما قرّر عليه عزمه.

وكان أبو علي ذا حيلة ومكيدة وكراهية له وعداوة. فقال له :

- «الصواب فيما رأيته. فإنّ أحداً لا يقوم مقامك فيما تقوم فيه وإذا فارقت مقامك تلقاك بدر بن حسنويه بساوة وقام بمعونتك ونصرتك وتشيد أمرك، وخاف السيدة والجند منه، فنزلوا على حكمك وعدت جديد الجاه قوياً الأمر.»

قال القاضي أبو العباس : فحدثني أبو الحسن البنداري وكان كاتب أبي العباس الضبي على مكاتباته وسره. قال :

- «جاراني الكافي أبو العباس ما أشار به عليه الخطير أبو علي.»

فقلت : «قد غشك وما نصح لك، ومتى زالت قدمك عن موضعك تغيرت الأمور وحالت عن تقديرك.»

فقال : «ما كان أبو علي ليشير بغير الصواب مع إحساني إليه وتوفري عليه.»

فلما كانت ليلة خروجه ترك داره بما فيها من فرشه وآلاته ورحله وأثقاله وغلمانه وكانوا سبعين غلاماً وخرج معه أبو القاسم ابنه وأبو الحسن البنداري كاتبه وغلام تركي من غلمانه ونفر من حواشيه ممن احتاج اليهم لخدمته ونزل على فرسخ من البلد.

وأصبح الناس وقد شاع الخبر. فماجوا واجتمع الجند وانتدب الجند الخطير أبا علي لخطابهم وقال :

- «قد هرب هذا الرجل بعد أن فرغ الخزائن وأخذ الأموال ومزق الأعمال وحلّ النظام. والمواد اليوم قاصرة والإضاقة ظاهرة والاستحقاقات كثيرة. فإن قنعتم بما كان فخر الدولة يطلقه لكم [111] قمت به وبذلت الإجهاد فيه وفي تحصيله وتفرقته عليكم، وإن أردتم غير ذلك فانظروا لنفوسكم واختاروا من يتولّى أموركم.»

فلما سمعوا من هذا القول ما سمعوا وعرفوا من صحته ما عرفوه قالوا له :
- «قد رضينا بتدبيرك وقنعنا بما بذلته لنا من نفسك ولك علينا السمع والطاعة والإنقياد والمساعدة.»

فتولّى الأمر وأخذ ما كان في دار الكافي أبي العباس وكان كثيراً وتتبع أمواله وأموال أصحابه وأقطع أملاكه وإقطاعه وذكره في الكتب بأحمد بن إبراهيم المخلّ، وعلى المنابر بالظعن والقدح والوقية والجرح، بالغ في كلّ ما اعتمد مساءته به والغضّ منه فيه ومشّت الأمور بين يديه.

ووصل أبو العباس الضيّ إلى بروجرد فلم يستقبله بدر بن حسنويه ولا أحد من أصحابه لكنه أنفذ إليه بمن يقيم له إقامة فكان يأخذ من ذلك يسيراً وينفق من عنده كثيراً حتى أخذ نحواً من خمسة آلاف درهم سوداً. ثم سأل إعفاء مما يقام له من جهة بدر بن حسنويه فأعفى. ووافاه أصحابه من البلاد لاحقين وانكسر جأه وانتشر أمره وندم^(١) الندم الشديد على فعله.

قال القاضي أبو العباس : وكنت إذ ذاك ببروجرد. فاستشارني أبو الحسن البنداري عنه في أمره فقلت :

- «يريد أن يطيب نفساً عما أقطع من أملاكه وإقطاعاته وينزل عنه لمن جعل له فيلاطف السيدة ومجد الدولة ووجوه القواد بما يستميلهم فيه ويقلّهم عن ابى على الخطير به. فإنه إذا فعل ذلك أطاعه القوم وبلغوا له مراده.» فقال أبو الحسن:

- «يحتاج لهذا إلى نحو مائتي ألف دينار ونحن فارقنا [112] مكاننا وأفسدنا أمرنا من أجل مائتي دينار وامتناعنا من إطلاقها.» ومضت للخطير مدة سبعة عشر شهراً ثم قبض عليه فبادر أبو سعد محمد بن إسماعيل بن الفضل من همدان إلى الرى مدلاً بوصلة بينه وبين السيدة وبماله من الحال الكبيرة والضياع الكثيرة والمادة الواسعة والمكنة التامة. وكره بدر بن حسنويه أن يتم له أمر لسوء رأيه فيه، وأنه كان ينقم عليه قبيحاً عامله به. فأنفذ أبا عيسى شاذى بن محمد ومعه أبو العباس الضبى إلى الرى فى ثلاثة آلاف رجل ليعيده إلى نظره ويردّه فى الوزارة إلى أمره، وكتب فى ذلك بما أكّده وأشار بالعمل عليه وترك خلافة فيه. فلما نزلوا بظاهر البلد ووصلت الكتب من بدر بن حسنويه - وقد تردّد فى معناها ما تقدم من قبل - راسلت السيدة ومجد الدولة ووجوه القواد أبا العباس بأن:

- «أدخل فان الأمر مههد لك والرضا واقع بك.»

وانفذت إليه ثقات كانوا له فى القوم بأن:

- «الباطن فىك غير الظاهر لك وقد رتب الأمر على الغدر بك والقبض عليك.»

فخاف ورجع.

ذكر تقلّد أبى الفضل الوزارة

ثمّ عود الخطير إليها

وتقلّد أبو سعد بن الفضل الوزارة وتوسع فى نظره بماله واستغلال أملاكه

وهادى مجد الدولة والسيدة بما ملأ عيونهما به وأعطاهما وأعطى الأكابر ما استخلص نياتهم فيه.

وكان شديد العجرفة عسوفاً في المعاملة متهجماً على الجند بالمخاطبة الوحشة فكرهوه واجتمعوا وقصدوه. فهرب إلى بروجرد بعد أن استصلح بدر بن حسنويه، وعاد الخطير أبو علي إلى الوزارة، وسام بدران أن يخاطبه بالوزير، فامتنع من ذلك وامتنع أبو علي من خطابه [113] بسيدنا، وانتهى ما بينهما إلى الشر والمباينة والمكاشفة بالقبيح والعداوة وكتب الخطير إلى أصحاب الأطراف يبعثهم على بدر بن حسنويه ويغريهم به ويهون عليهم أمره وواصل هلالاً ابنه وأفسده عليه وحمله على مباينته ومقاطعته فكان ذلك من أقوى الأسباب فيما خرج إليه معه.

وسنذكر شرح هذه الجملة وما انتهت إليه الحال بين الخطير وبين بدر فيما نوره أنفاً بمشيئة الله تعالى.

ذكر السبب في فساد رأى بدر بن حسنويه

على أبي سعد ابن الفضل

وما عامله به عند هزيمته من الرى وقصده إياه

حدثني القاضي أبو العباس البارودي قال :

كان أبو سعد ابن الفضل ينظر في أعمال همذان والماهين وسهرورد وأبهر من قبل مجد الدولة ويعطى شمس الدولة من ارتفاع ذلك مالاً معيناً ومبلغاً مقنناً.

فشرع بدر بن حسنويه في أن يبتاع خاناً بهمذان ويفرده باسمه ويقيم فيه بيعاً يبيع ما يرد من الأمتعة المختارة في أعماله وكانت الحمولات كلها واصله منها ومحمولة فيها وبذل له في ارتفاع هذا الخان إذا تقرّر أمره ألف

ألف ومائتا ألف درهم.

وأنفذ أبا غالب بن مأمون الصيمري إلى همذان لترتيبه وعقده على الراغب في ضمانه. وشقّ على أبي سعد ابن الفضل تمام ذلك وتصور أنه طريق إلى خروج ارتفاع البلد عن يده. فوضع قوماً من الديلم على أن يقصدوا أبا غالب ويوقعوا به وكان نازلاً في دار أبي عبدالله محمد بن علي بن خلف النيرمانى لأنه برسم النيابة عن بدر بهمذان. [114] فقصدوه وكبسوا الدار وهرب من بين أيديهم وعاد إلى بروجرد.

وادّعى أنه قد نهب منه جملة كثيرة من المال الذي كان معه، وكتب إلى بدر بالصورة واستأذنه في الاعتراض على ضياع أبي سعد ابن الفضل وأن يأخذ منها عوض ما أخذ منه. فأذن له في ذلك واستخرج ما قدره خمسون ألف دينار.

فقال أبو سعد لما بلغه الخبر:

- «أحسب أن يحيى بن عنبر [لرجل قاطع طريق]^(١) أخذ مالى واعترض على ضياعى.»
وبلغ بدرأ ذلك فأحفظه.

وقبض على الخطير أبى على بالرئ فبادر أبو سعد ابن الفضل طامعاً في الوزارة وكره بدر أن يتم له أمره فأنفذ أبا العباس الضيبي مع أبى عيسى شاذى في ثلاثة آلاف رجل لتقرير الوزارة له وجرى في ذلك ما قدّمنا ذكره. وتولّى النظر أبو سعد ابن الفضل فأقام عليه سنتين ثم وقف أمره وشغب الجند عليه. فهرب وقيل إنه دلى في هربه في زبيل من سطح دار وقصد بدر بن حسنويه فما شعر به حتى حصل بالكرج^(٢) وتمّ إليه الى ساپورخواست

١. من مد.

٢. وفي الأصل: بالكرخ (مد).

فأحسن تقبله وأكرم منزله وحمل إليه ثلاثمائة رأس غنماً وأصنافاً كثيرة فيها حمل سكر أبيض ولم يكن حمل مثل ذلك إلى أبي العباس الضبي، لأنه علم أن أبا سعد واسع المروءة كثير التجمل، ووصل إليه من هذا المحمول ما وصل، فما انقضى يومه حتى فرقه واستعمله. وأقام عنده أياماً ثم صار إلى بروجرد.

قال القاضي أبو العباس :

فتأخر أبو العباس الضبي عن استقباله واحتج بنقرس كان عرض له وأنفذ أبا القاسم سعيداً ابنه للنيابة عنه في قضاء حقه وخرجت معه فسلم كل واحد من ابن أبي العباس وأبي سعد على صاحبه وسارا [115] داخلين إلى البلد فتقدم عليه ابن أبي العباس.

فلما كان في آخر ذلك اليوم ركب إليه أبو العباس الضبي في محفة، ودخل داره وهو يخرج من بيت الماء ويشد سراويله، وتلقاه وقبل صدره في المحفة وخاطبه أبو العباس بالوزير وقد كان أبو سعد كاتب أبا العباس من الرئ عند وزارته وخاطبه بالأستاذ الرئيس. فلما التقيا هذا الالتقاء اعتمد أبو العباس في خطابه بالوزارة أن يعلمه أن الصرف لا يزيل اسمه من الوزارة. ولم يجتمعا بعد هذه الدفعة.

وفي هذه السنة أنشأ مذهب الدولة داره بالصليق فوسّع صحنها وعظم أبنيتها وكثر مجالسها وسلك مسالك الملوك فيها ونقل إليها من الآلات والساج الشيء الكثير. فجاءت أحسن دار وأفخمها وأجلها وأعظمها.

وقد رأيتها في أيامه وكانت من أبنية الملوك وذوى الهمم الكبيرة منهم، وما شاهدت صحناً كصحنها في انفساحه واتساعه، وكانت راكبة لدجلة ولها روشن وشبابيك عليها.

ونقضت هذه الدار في سنة سبع عشرة وأربع مائة حتى قلعت

أساساتها وجعلت دكة في تعقّي آثارها. وكان سبب ذلك أن باع العمال في أيام الفترة بعضها على أرباب الاقساط وطمع الجند بهذا الابتداء فأتوا على جميعها.

استتار

وفيها خرج أبو الحسن ابن اسحق كاتب أبي الحسن محمد بن عمر كان الى فارس على استتار.

شرح الحال في ذلك وفيما جرى عليه أمره الى أن قتل لما أصدد أبو الحسن الى بغداد مع صاحب أبي القاسم بن مما على القاعدة التي قدمنا ذكرها بدا [116] من أمره ما كان مستوراً خافياً وقبض على جماعة من التجار وصادرهم وتأول عليهم وجازفهم واعتقل الجائليق ووكل به وبالف في الفض منه واستعمال القبيح معه. وحاول في القبض على أبي يعقوب العلوي ما حاوله. فلما لم يتم له وعرف خبر أبي الحسن بن يحيى في عوده الى واسط وانحلال أمر أبي نصر سابور وانتقاض قواعده استتر وخرج الى أوانا وأقام بها مديدة. ثم توصل الى الحصول بالطبيعة وتوجّه منها الى فارس بمرقعة تعويلاً على حال كانت بينه وبين أبي الخطاب. ونزل على أبي العلاء عبيدالله بن الفضل فأكرمه وشرع في مراسلة بهاء الدولة من داره في أمور كثر الكلام فيها عليه. فتجعد أبو العلاء منه وخاف أن يتطرق عليه سوء به وانتقل أبو الحسن عنه متغضباً عليه.

وقبله بهاء الدولة واعتقد فيه تأدية الأمانة فيما يقوم له به. فأنفذه الى ناحية شق الروذان وكانت يومئذ مفردة للخاص فدبرها وقرّر ارتفاعها وحمل

إلى بهاء الدولة منه ما قامت سوقه عنده به وثقل ذلك على أبي غالب محمد بن علي وهو إذ ذاك ناظر في الوزارة وعلى أبي الفضل ابن سودمند^(١) بعده. وتوجه بهاء الدولة إلى الاهواز لقتال أبي العباس بن واصل فقبض الوزير أبو غالب على أبي الحسن وحبسه في دار المملكة مدة حتى بلغت منه الضغطة والشدة.

ثم بلغ الوزير أن بهاء الدولة سأل عنه وقال ما فعل ذلك البائس ابن اسحق. فاشفق أن يكاتبه بإنفاذه إلى حضرته فاحتال عليه بأن استدعاه من محبسه [117] وخلا به وقال له:

«قد استولى أبو غالب الحسن بن منصور^(٢) على كرمان واستأكل أموالها ومنعني مما كنت أرجو حصوله منها وعملت على أن أخرجك إليها كالمقرر لارتفاعها. فإذا ثبتت قدمك واستقرت الدار بك قلّدتك وسلّمت أبا غالب إليك لتستقصي أمره وترتجع منه ما أخذه واحتججه. وأعلم أن المحنة قد بلغت منك وأنت محتاج إلى ما تعيد به تجملك وقد وقّعت لك إلى أبي عبد الله بن يوسف الفسوي بعشرين ألف درهم تصرفها في ذلك وينبغي أن تسبقني إلى فسا وتستوفي هذا المال وتبتاع به رجلاً وبهائم. فإنني سأتبعك إلى هناك وأقرر ما بيني وبينك وأنفذك.»

وحمل إليه ثياباً من خزائنه ونفقة. فاغتر أبو الحسن وقدر هذا القول حقاً وما وراءه من الاعتقاد سليماً.

١. والمثبت في مد: سودمند (بالذال المعجمة).

٢. هو السيرافي ذو السعادتين الوزير. وفي تاريخ الإسلام أنه تصرف بالاهواز وخرج إلى شيراز وصحب فخر الملك فاستخلفه ببغداد ثم توجه إلى فارس للنظر في المعالك بحضرة سلطان الدولة فناخسرو وخلف الوزير جعفر بن محمد (بن فسانجس) فلما قبض السلطان على جعفر ولاه الوزارة. وفي آخر أمره وقع خلف بين الجيش قتلوا أبا غالب في صفر سنة ٤١٣ (مد).

وواقف قوماً من الزطّ على اتباعه والفتك به. فمضوا واعترضوا القافلة التي كان فيها ومعهم من يعرف أبا الحسن. فلما بصر به دلّهم عليه فأرجلوه من دابته وقالوا له:

- «أنت قريب الوزير ولنا عنده رهائن ونحن نأخذك ونعتقلك الى أن يفرج عنهم.»

وعدلوا به عن الطريق الى بعض الشعاب وذبحوه وخلوا عن القافلة ولم يعرضوا لها.

وكان أحمد حاجب ابن اسحق معه فأطلع على باطن القصة وتحدّث به وبلغ الوزير أبا غالب فحاول^(١) فخاف أن يتصل ببهاء الدولة من جهته فأحضره ووعدته الجميل ومعاملته به وأطلق له نفقة سابعة وكان يراعيه مدة كونه بفارس.

وهذا الخبر أرويه عن أبي عبدالله الفسوي وحديثي معه أنه بلغ من [118] مراعاة بهاء الدولة لأمر ابن اسحق وعنايته به أن أنفذ إليه بأحد خواصه من الفراشين وقد هنجم غلمان الخيول بشيراز وكانوا ألفاً ومائتي غلام، وانضاف اليهم الخارجون عن الدار وقال له:

- «أحرس نفسك من أبي غالب ابن خلف واحذر ان يتم له عليك حيلة. وكان أمر الله قدراً مقدوراً.»^(٢)

سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة

أولها يوم الإثنين والتاسع من تشرين الثاني سنة أربع عشرة وثلاثمائة

١. لعله زائد.

٢. س ١٣٣ الأحزاب: ٢٨.

وَأُفِّدَ لِلْأَسْكَندَرِ وَرَوْزِ مَارِ اسْفَنْدِ مِنْ مَاهِ آبَانَ^(١) سَنَةِ أَحَدَى وَسَبْعِينَ وَثَلَاثُمِائَةٍ لِيَزْدَجِرْدَ.

مَنْعَ عَمِيدِ الْجِيُوشِ أَهْلَ الْكَرْخِ وَبَابِ الطَّاقِ فِي عَاشُورَا مِنْ النَّوْحِ فِي الْمَشَاهِدِ وَتَعْلِيقِ الْمَسُوحِ فِي الْأَسْوَاقِ. فَامْتَنَعُوا. وَمَنْعَ أَهْلَ بَابِ الْبَصْرَةِ وَبَابِ الشَّعِيرِ مِنْ مِثْلِ ذَلِكَ فِيمَا نَسَبُوهُ إِلَى مَقْتَلِ مُصْعَبِ بْنِ الزَّبِيرِ. وَفِي رَشَنِ مِنْ مَاهِ آذَرِ الْوَاقِعِ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِخَمْسِ بَقِيَّةٍ مِنَ الْمَحْرَمِ قَبْضِ عَلِيِّ أَبِي غَالِبٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ خَلْفٍ وَتَقْلِيدِ الْوِزَارَةِ أَبُو الْفَضْلِ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ بْنِ سُودْمَنْدٍ فِي رَوْزِ خَرْدَادٍ مِنْ مَاهِ ...^(٢) الْوَاقِعِ فِي يَوْمِ الْارْبَعَاءِ الرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ.

ذِكْرُ حَالِ أَبِي الْفَضْلِ

وَمَا جَرَى عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي تَقْلِيدِهِ

أَبُو الْفَضْلِ هَذَا أَحَدُ الْكِتَابِ الَّذِينَ وَرَدُوا الْعِرَاقَ مِنْ فَارَسٍ مَعَ أَبِي مَنْصُورِ بْنِ صَالِحَانَ فِي أَيَّامِ شَرَفِ الدَّوْلَةِ وَكَانَ يَكْتُبُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي جُمْلَةِ كِتَابِ الْإِنْشَاءِ. ثُمَّ قَلَّدَهُ عِمَالَةَ عَكْبَرَا وَانْتَقَلَ مِنْهَا إِلَى النَّظَرِ فِي بَعْضِ الْأَعْمَالِ بِالْأَهْوَازِ [119] وَتَدَرَّجَتْ بِهِ الْأَحْوَالُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَقْلَدَ عَرْضَ الدَّيْلَمِ وَتَقَدَّمَ فِي أَيَّامِ الْمَوْفُوقِ وَخَرَجَ بَعْدَ وَفَاتِهِ إِلَى كَرْمَانَ عَلَى مَا قَدَّمْنَا ذَكَرَهُ.

وَلَمَّا عَادَ الْوَزِيرُ أَبُو غَالِبٍ بْنُ خَلْفٍ مِنْ سِيرَافٍ وَعَرَفَ عَوْدَهُ مِنْ كَرْمَانَ بَعْدَ أَنْ فَعَلَ فِي تَقْرِيرِ أُمُورِهَا مَا فَعَلَهُ وَحَمَلَ إِلَى الْخَزَانَةِ مِنْ مَالِهَا مَا حَمَلَهُ وَوَقَّوعَ ذَلِكَ مِنْ بَهَاءِ الدَّوْلَةِ مَوْقِعَهُ وَتَأَكَّدَ حَالَهُ عِنْدَهُ بِهِ وَمَوْضِعَهُ، شَقَّ عَلَيْهِ

١. آبَانَ: الشهر الثامن من شهور السنة الشمسية الإيرانية.

٢. بِيَاض.

أمره وأغراه المفسدون به. فقبض عليه ونكبه واضطره إلى التبذل والتسلم في تصحيح ما قرره عليه وطالبه به.

وخرج من النكبة، فكتب إلى بهاء الدولة رقعة جعل سفيره ووسيطه فيها الحسين المزين وامراته وسعى بالوزير أبي غالب وبذل فيه بذلاً كثيراً. وقد كان تحصل في نفس بهاء الدولة منه ما تكلم عليه به في أمر تركة الفرخان وما أخذه منها فأجابه إلى ما أراده ووافق على القبض عليه، فسلمه النظر في الأمور بعده.

فلما كان في يوم القبض دخل أبو الفضل دار الوزير أبي غالب بقميصين ورداء على زى المتعطلين والمنكوبين وحضر مجلسه وخدمه ثم خرج من بين يديه وقعد في الدهليز.

وكان قد رتب أمر القبض من الليل وواقف كل رجل من أصحابه على أخذ كل واحد من أصحاب الوزير أبي غالب فقبض عليه وعلى حواشيه وأصحابه وألزم الجماعة من المصادرة على قدر حاله وموجب تصرفه، وقرر على أبي غالب مائة ألف دينار قاسانية قيمتها أربعة آلاف ألف درهم من نقد الوقت وجدّ به في الأداء والتصحيح جدّاً. فخرج فيه إلى بعض العسف والإرهاق من غير أن يمكنه.....^(١)

مركز تحقيق كاتيب علوم اسلامی

١. والنسخة كانت مبهتورة. هذا، وفي الوزير فخر الملك أبي غالب قال صاحب تاريخ الاسلام: قتل مظلوماً في سنة ٤٠٧ وقد ذكره هلال بن المحسن في كتاب الوزراء من جمعه، فأسهب في وصفه وأطنب وطول ترجمته. ولم يكن في وزراء الدولة البويهية من جمع بين الكتابة والكفاءة وكبر الهمة والمروءة والمعرفة بكل أمر مثله. فان أعيان القوم أبو محمد المهلبى وأبو الفضل ابن العميد وأبو القاسم ابن عباد وما فيهم من خبر الاعيان وجمع الاموال مثل فخر الملك (مد).

فهرس العناوين

- ٧ مقدمة صاحب الذيل
- ١٧ ذكر ما جرى عليه أمر عضد الدولة
عند توجهه إلى الجبل
- ١٧ ذكر القبض على بعض أولاد حسنويه
واصطناع بعضهم
- ١٨ ودخلت سنة سبعين وثلثمائة
- ١٨ ذكر ورود الصاحب أبي القاسم اسماعيل بن عباد
- ١٩ ذكر عمل رتب في تكثير اعتداد بارتفاع
- ١٩ ذكر عود عضد الدولة إلى مدينة السلام [١٩]
- ٢٠ ذكر ما جرى عليه أحوال أولاد حسنويه بعد
وما جرّه الحسد من إلقاء من نجا منهم
بيده إلى التهلكة
- ٢٠ ذكر حيلة تمت على الصيداوى حتى أخذ وقتل
- ٢١ ذكر السبب في ذلك
- ٢١ ذكر تدبير دبّره المرأة حتى تمّ لها
قتل نقفور لقلّة حزمه

- ٢٣ رأى صواب رآه أصحاب ورد وأشاروا عليه
فأهمله واستبدّ برأيه
- ٢٤ ذكر ما جرى عليه أمر فخر الدولة
- ٢٤ ودخلت سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة [25]
- ٢٥ ذكر حرب جرت على غير ترتيب آل عقباها
إلى الخير والاتفاق
- ٢٥ ذكر غلط جرى من قابوس في ردّ أصحابه
بعد أن لاح له الضعف من مؤيد الدولة
- ٢٧ ذكر خيانة في مشورة جرّت نكبة
- ٢٨ عضد الدولة على التتوخي
- ٢٨ ذكر السبب في ذلك
- ٢٩ تفريط في إذاعة سرّ عاد بوبال
- ٣٠ ذكر اتفاق رديء جاء بالعرض [33]
- ٣١ ذكر السبب في القبض عليه والإفراج عنه
- ٣٢ ذكر اتفاق عجيب في خلاص أبي اسحاق
وهلاك ابن السراج
- ٣٢ ذكر السبب في ذلك
- ٣٤ إن الجواد عيبه فراه
- ٣٧ فأما قصة ابن سمجور وتنكر آل سامان
عليه فالسبب في ذلك
- ٣٨ ودخلت سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة
عدّة حوادث منها الحرب بين
المؤيد والفخر على باب جرجان

- ٣٩ شرح الحال فى ذلك
- ٣٩ ذكر ما جرى بين عضد الدولة وملك الروم
- ٣٩ فيما ترددت به الرسالة
- ٤٠ نكت من جملة مشروح وجد بخط [45] ابن شهرام
دلت منه على دهاء وحزم وقوة رأى
- ٤٢ ذكر بديهة جيدة انقذت لابن شهرام
فى دفع حجة الخصم
- ٤٣ جواب سديد لابن شهرام
- ٤٦ رأى سديد رآه ابن شهرام فى تلك الحال
- ٤٧ ذكر ما رتبته ابن شهرام مع خصيص
ملك الروم حتى بلغ به غرضه
- ٤٨ واقع جيد وقع لابن شهرام
- ٥٠ كلام لملك الروم استمال به قلب البركموس
- ٥١ موت عضد الدولة
وحضور رسول ملك الروم مجلس صمصام الدولة
- ٥١ ذكر ما تقرّر فى أمر ورد وأخيه وولده
- ٥٣ أخبار من سيرة عضد الدولة
- ٥٣ فأما أفعاله فى تدبير نفسه
وترتيبه فى قسمة زمانه
- ٥٥ عضد الدولة والجارية
- ٥٦ تدبيره لجنده
- ٥٧ قصته مع الوارد من الديلمان
- ٥٩ رأيه فى دفع المشاهرات

- ٦٠ خبر مأثور في سياسة جند
- ٦١ ونعود الى ذكر ما نختاره من كتاب التاريخ
- ٦٢ عضد الدولة وأسفار والتائنات
- ٦٦ ذكر خبر في إقامة سياسة
- ٦٧ قياس العضد بالمعتضد في سياسة الجناة
- ٦٩ ونعود الى سياقة الأخبار
- ٧٠ وأما ذكر ما فعله في أمر الحماية [82]
- ٧٠ ذكر مكيدة في قتل داود بن مصعب
- ٧٢ إطماع المطلوب في الصفح عنه ثم الغدر به
- ٧٤ قتل القطاع بالحلاوات المسمومة
- ٧٥ ومن غريب مكائد عضد الدولة
- ٧٦ إبداع الرهبة في صدور الرعية
- ٧٧ ذكر حيلة لطيفة عادت باقامة هيئة عظيمة بين رعية بعيدة
خبر الحلاوي [91]
- ٨٢ مراعاته للقوانين
في كل الأحوال
- ٨٦ قباء سقلاطون للجلوس
- ٨٦ في فيروز
- ٨٧ وأما حبه للعلم
- ٨٨ وأما آثاره الجميلة
- ٩٠ وأما ذكر ما رتبّه في تربية أولاده ودبر به
دار مملكته بفارس عند غيبته عنها
- ٩١ ذكر الرسوم التي أحدثها عضد الدولة

- ٩٢ ذكر أخبار ضبط مسرف لا يليق بملك
- ٩٦ ذكر وفاة عضد الدولة سامحه الله
- ٩٩ ذكر ما جرى عليه الأمر في قيام
صمصام الدولة بالملك
- ١٠٠ ذكر ما جرى عليه أمرهما [119]
- ١٠١ مسير شيرزِيل من
كرمان واستيلاؤه على شيراز
- ١٠٢ شرح الحال في ذلك [121]
- ١٠٢ ذكر رأى شديد في كتمان أمر حتى تم
- ١٠٣ ذكر اتفاق عجيب
- ١٠٣ ذكر اعتزاز بسلامة عاجلة آلت بصاحبها إلى هلاك
- ١٠٤ اغتيال أبي الفرج
أبا محمد أخاه
- ١٠٤ ذكر حسد حمل صاحبه على قطيعة رحم
- ١٠٤ مقتل الراعى بنصيبين
- ١٠٥ ذكر سيرة عادت بخسران دنيا وآخره
- ١٠٦ ذكر خبر باد ومبدأ أمره
- ١٠٦ ذكر فراسة دلت على دهاء [126]
- ١٠٧ ودخلت سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة
ركوب صمصام الدولة
إلى دار الخلافة
- ١٠٧ وزارة الحسين بن
أحمد بن سعدان

- ١٠٨ ورود زيار وسعد بن محمد
من جرجان
- ١٠٨ ذكر ما جرى عليه أمر سعد
بن محمد مع باد [128]
- ١٠٨ ذكر حصول باد بالموصل وإفراجه عن أبي المطرف
- ١٠٩ ذكر ما جرى عليه أمره بعد الهزيمة
- ١١٠ ذكر حيلة جيّدة لو وافقت قضاء
- ١١٠ استيلاء المظفر على الأمر
- ١١١ ذكر ما جرى عليه الأمر في ذلك
- ١١١ ذكر تهوّر سلم صاحبه بالاتفاق
- ١١٢ ونعود إلى ذكر ما جرت عليه الحال بعد ذلك
- ١١٣ ذكر منصوبة عملها المظفر في إظهار إمارته
- ١١٣ ذكر ما اعتمده من حسن السيرة
- ١١٤ ذكر ما جرى عليه الأمر في وفاة مؤيد الدولة
وإلى أن استقرت الإمارة لفخر الدولة من بعده
- ١١٥ ذكر ما دبره مؤيد الدولة في الاستيلاء على الملك
وحالت المقادير دونه
- ١١٥ ذكر كلام سديد للصاحب ابن عباد
- ١١٦ خبر حسن فيه تنبيه على فعل خير
- ١١٧ ذكر ما دبره ابن عباد بعد وفاة مؤيد الدولة
- ١١٨ ذكر وصول فخر الدولة إلى جرجان
واستقراره في دار الإمارة
- ١١٩ ذكر كلام اختبر به ما في نفس فخر الدولة

- ١٢٠ ذكر حيلة تمت في قتل علي بن كامة .
- ١٢١ ذكر السبب في ذلك .
- ١٢٢ ذكر رأى سديد وقع لعبد العزيز بن يوسف
- ١٢٢ أمن به ما خاف وقوعه
- ١٢٣ ودخلت سنة أربع وسبعين وثلاثمائة
- ١٢٣ شرح ما جرى عليه الأمر في ذلك
- ١٢٣ فمن جملة ما كتب الصاحب بشرحه إلى الحضرة
- ١٢٤ ومما نظقت به الكتب من المشورة والرأى
- ١٢٥ ذكر ما جرى عليه الأمر بعمان
- إلى أن عادت إلى شرف الدولة
- ١٢٦ ذكر ما جرى عليه الأمر في اعتقالهم والإفراج عنهم
- والتعويل على أبي منصور في الوزارة
- ١٢٧ ذكر اتفاق حميد صار سبباً لثبات قدم
- ١٢٨ ودخلت سنة خمس وسبعين وثلاثمائة
- ١٢٨ شرح الحال فيما جرى عليه أمر هذه الوزارة المشتركة
- ١٢٨ ذكر كلام سديد لعبد العزيز بن يوسف
- في تحذير صمصام الدولة من الحجر عليه
- ١٢٩ ذكر رأى ضعيف أشارت به والدته صمصام الدولة عليه فعل به
- ١٣٠ ذكر ما جرى عليه الأمر في عصيان أسفار
- ١٣١ ذكر رأى سديد واتفاق حميد اتفقا لصمصام الدولة
- أسفر بهما الأمر عن الظفر
- ١٣٢ ذكر تدبير جيد دبره فولاذ في أمر الحرب
- ١٣٣ ذكر مكيدة لعبد العزيز في أمر ابن سعدان

- ١٣٢ صارت سبياً لقتله
- ١٣٣ ذكر اتفاق عجيب سلم به ابن شاهويه من القتل
- ١٣٤ ذكر ما جرى عليه أمر أسفار وعبد العزيز بن يوسف
والأتراك الخارجين من بغداد
- ١٣٥ ورود إسحق وجعفر
الهجريين
- ١٣٦ ذكر ما جرى عليه أمر اسحق وجعفر القرمطيّين
- ١٣٧ ذكر ما كان من القرمطيّين بعد قتل
أبي قيس صاحبهما
- ١٣٨ شرح ما جرى عليه أمر ورد في الإفراج
عنه وإصعاده إلى بلد الروم
- ١٣٩ ذكر ترتيب جلوس صمصام الدولة بحضور وزد
- ١٤٠ ذكر ما جرى عليه أمر ورد
بعد إصعاده من بغداد [169]
- ١٤٠ ذكر غدر ورديس بن لاون بورد وقبضه عليه
ثم مراجعته الحسنى بالإفراج عنه
- ١٤١ ذكر تدبير لملكي الروم عاد به أمرهما
إلى الاستقامة بعد الإضطراب
- ١٤٢ ذكر السبب في ذلك
- ١٤٢ فتوى الخوارزمي الفقيه ..
في انتحار المعذب
- ١٤٣ حركة شرف الدولة من
فارس طالباً العراق

- ١٤٤ القبض على أبي الريان
- ١٤٤ ذكر السبب في ذلك
- ١٤٤ ذكر ما جرى عليه أمر أبي الريان
- ١٤٥ ذكر ما جرى عليه الأمر في وروده
- ١٤٦ شرح الحال في مسير شرف الدولة من فارس واستيلائه على الأهواز ..
وانصراف الأمير أبي الحسين عنها
- ١٤٧ ذكر رأى أشار به سابور على الأمير أبي الحسين
في هذه الحال
- ١٤٨ ذكر تدبير سيئ [179] ألقى
به نفسه إلى الهلاك
- ١٤٩ الطائع لله يبرز للتعزية
- ١٥٠ ودخلت سنة ست وسبعين وثلاثمائة
- ١٥٠ ذكر ما تقرر الأمر عليه مع أبي نصر خواشاده في ذلك
- ١٥٢ ذكر ما جرى عليه أمر الرسل الخارجين إلى شرف الدولة
- ١٥٣ ذكر ما جرى الأمر عليه في ترتيب القبض على ابن الطيب
- ١٥٣ وإخفاء الحال فيه إلى أن تم
- ١٥٤ ذكر مسير شرف الدولة من الأهواز
لما استتبّت له الأمور بواسط
- ١٥٥ ذكر رأى سديد رآه زيار في تلك الحال وأشار به
على صمصام الدولة فلم يعمل به [189]
- ١٥٦ ذكر رأى آخر سديد أشار به فولاذ فلم يقبل منه
- ١٥٦ ذكر رأى خطأ استبدّ به صمصام الدولة
في إسلام نفسه إلى شرف الدولة

- ١٥٨ ذكر ما جرى عليه أمر زيار وفولاذ
- ١٥٩ ذكر الفتنة التي جرت بين الديلم والأتراك
- ١٥٩ ذكر اتفاق سلم به صمصام الدولة من القتل
بعد إشرافه عليه
- ١٦٠ ذكر تفريط جرى من [195] الديلم في هذه الحرب
- ١٦٠ حتى آل أمرهم إلى التشرد والهلاك
- ١٦١ ذكر جلوس شرف الدولة للتهنئة وما جرى أمر
صمصام الدولة عليه في الإعتقال
- ١٦٢ ذكر استقرار الإمارة بالبطيحة
على الملقب بمهذب الدولة [198]
- ١٦٣ ذكر ما اعتمده شرف الدولة من الأفعال [200]
الجميلة عند استقراره بمدينة السلام
- ١٦٤ ذكر اتفاق عجيب دلّ على حسن نيّة
وعاد بصرف أذيّة
- ١٦٥ ودخلت سنة سبع وسبعين وثلاثمائة
- ١٦٥ ذكر بعض أخلاقه وطرائقه [203]
- ١٦٧ ذكر ما جرى عليه أمر قراتكين في هذا الوجه
- ١٦٧ ذكر خدعة تمّت لبدر على قراتكين وعسكره
لتفريطهم وقلة حزمهم
- ١٦٨ ذكر ما جرى عليه حال قراتكين بعد عوده في سوء تدييره
وما انتهى أمره إليه حتى آل إلى قتله
- ١٦٩ ذكر ما جرى عليه الأمر في جلوس الطائع
بحضور شرف الدولة

- ١٧٠ ذكر ما جرى عليه أمر سعد بعد انحدار زيار
من الموصل إلى أن توفي
- ١٧١ ذكر رأى سَيِّئ لأبى سعد من رَدَّ ما حملة
ومكيدة لسعد تغت عليه
- ١٧٢ ذكر ما جرى عليه أمر أبى نصر خواشاده مع باد
عند إصعاده من الموصل
- ١٧٢ ذكر رأى رآه أبو نصر فى إقطاع البلاد
حين تعذرت عليه وجوه الإطلاق
- ١٧٣ ذكر حيلة سحر بها باد عين من بإزائه واسترهبهم
ودخلت سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة
- ١٧٣ شرح الحال فى ذلك
- ١٧٥ ذكر رأى سديد رآه البرّاز وقبله شكر
ثم خالفه فيه من بعده
- ١٧٥ ذكر فساد رأى شكر فيما دبر به أمره
- ١٧٦ ذكر تدبير لطيف عمله الوزير أبو منصور
فى خلاص أبى منصور الشيرازى
ودخلت سنة تسع وسبعين وثلاثمائة
- ١٧٦ ذكر السبب فى ذلك وما جرى عليه الأمر فيه
- ١٧٧ كحل صمصام الدولة
- ١٧٩ ذكر ما جرى عليه الأمر فى ذلك
- ١٨٠ ذكر قلّة حزم فى استرسال عاد على صاحبه بوبال
- ١٨١ ذكر ما جرى عليه الأمر فى علّة شرف الدولة
واستقرار الأمر للأمير أبى نصر بعده

- ١٨٢ ذكر ما جرى عليه الأمر في ركوب
الطائع لله للتعزية
- ١٨٤ ذكر ما دبره بهاء الدولة عند قيامه بالملك [227]
- ١٨٤ شرح الحال في ذلك ..
- ١٨٥ ذكر ما ارتكبه نحرير من اللجاج
حتى آل به شرّ مآل
- ١٨٥ ذكر حيلة عملها الحسين الفَرَّاش نفَّر بها
قلب بهاء الدولة من نحرير حتى
أمر بالقبض عليه [229]
- ١٨٧ ذكر مكيدة أخرى عملها الحسين الفَرَّاش
ليتمكن بها من قتل نحرير
- ١٨٩ ذكر ما جرى عليه أمر أبي نصر
ابن كعب في قتله
- ١٨٩ ذكر مقابلة عجيبة فيها عبرة وتذكرة
- ١٩٠ قتال بين الديلم
والأتراك
- ١٩١ ذكر ما جرى عليه أمر أبي علي بعد انحذاره
- ١٩٢ ذكر رأى رآه أبو القاسم [236] العلاء بن الحسن
بالبادرة وندم عليه بعد الرويّة
- ١٩٣ ذكر ما دبره أبو القاسم العلاء بن الحسن في أمر الرضيع
حتى قبض عليه [237]
- ١٩٣ ذكر حيلة رتبها العلاء بن الحسن أفسد بها الحال
بين الديلم والأتراك حتى بلغ غرضه

- ١٩٤ ذكر سوء تدبير ابن أبى مكتوم فى عداوة البكى
حتى هلك
- ١٩٥ ذكر ما جرى عليه أمر صمصام الدولة فى خلاصه
وعوده إلى الملك بفارس بعد شرف الدولة
- ١٩٦ ذكر السبب فى حركة فخر الدولة لطلب العراق
- ١٩٧ ذكر رأى أشير به على فخر الدولة اقتضى
- ١٩٧ ردّ الصاحب من الطريق
- ١٩٧ ذكر رأى سديد لأبى عبد الله ابن أسد استرجع به المأخوذ
وحفظ فيه السياسة
- ١٩٨ ذكر ما جرى عليه أمر فخر الدولة عند حصوله بالأهواز
وما اعتمده من سوء التدبير والسياسة ١
حتى عاد بالخيبة
- ١٩٩ ذكر ما دبّره بهاء الدولة فى تجهيز
العسكر للقاء فخر الدولة
- ٢٠٠ ذكر السبب فى تغيير رأى بهاء الدولة فى الحسين
الفرّاش وما جرى عليه الأمر فى القبض
عليه وردّه من الطريق إلى بغداد
وقتلّه فى دار تحرير [247]
- ٢٠٢ ذكر اتفاق عجيب انكتم به الأمر عن الحسين الفرّاش
حتى قبض عليه
- ٢٠٣ ذكر ما ربّه فخر الدولة فى تجهيز الجيش
إلى الأهواز
- ٢٠٣ ذكر اتفاقات كانت سبباً لهزيمة

- ٢٠٣ عسكر فخر الدولة [251]
- ٢٠٤ ذكر رأى سديد رآه الصاحب لم يساعده
عليه فخر الدولة [252]
- ٢٠٥ ذكر ما حفظ على الصاحب في مقامه بالأهواز
- ٢٠٦ ذكر خبر مستحسن في ذلك
- ٢٠٧ ذكر أناءة اعتمدها العلاء بن الحسن في بابه
أدت إلى خلاصه
- ٢٠٧ ذكر القبض على ابن عمر
العلوى وعلى كاتبه
- ٢٠٧ ذكر ما جرى عليه الأمر في ذلك [256]
- ٢٠٨ ذكر رأى سديد رآه ابن عمر في تلك الحال
استمال به قلب شرف الدولة
- ٢٠٨ ذكر جواب لشرف الدولة عن [257] رسالة أبي عمر
تدل على شرف نفس وعلو همة
- ٢٠٩ ذكر خروج ابني حمدان من [258] بغداد وذكر ما جرى
عليه أمرهما في حرب أبي نصر خواشاده
- ٢١٠ ذكر رأى سديد رآه ابنا حمدان [259]
فأحسننا فيه الظنّ علماً للعاقبة
- ٢١١ ثم دخلت سنة ثمانين وثلاثمائة
- ٢١١ ذكر ما جرى عليه الحال في هذه الواقعة
من قتل باد وهزيمة أصحابه
- ٢١٢ ذكر اتفاق عجيب آل إلى هلاك باد بعد انقضاء مدّته
- ٢١٣ ذكر حيلة لابن مروان ملك بها القلعة

- ٢١٤ ذكر جميل لابن مروان إلى أبي عبد الله عند أسره ..
لم يشكر عليه فساءت عاقبة أمره
- ٢١٥ القبض على صاحب المعونة
ببغداد وقتله
- ٢١٥ ذكر ما جرى عليه أمره في القبض
عليه إلى أن قتل
- ٢١٥ ذكر مكيدة تمت لعبد العزيز بن يوسف
في أمر الزطى حتى هلك [266]
- ٢١٧ ذكر السبب في ذلك
- ٢١٨ مسير بهاء الدولة إلى شيراز
- ٢١٨ ذكر ما جرى عليه أمر بهاء الدولة في هذه السفرة
- ٢١٩ ذكر ما جرى في أمر هذا المال حتى تفرق أكثره
- ٢٢٠ ذكر هذه الواقعة والمكيدة التي كانت سبباً
لهزيمة عسكر بهاء الدولة
- ٢٢١ وفاة صاحب مصر الملقب بالعزيز
- ٢٢١ ذكر حاله وما جرى عليه أمر الوزارة بمصر من بعده
- ٢٢٢ ذكر حيلة لطيفة عادت بكشف هذه الغمة [274]
- ٢٢٣ ذكر تدبير توصل به عيسى بن نسطورس
- إلى الخلاص والعود إلى النظر [275]
- ٢٢٣ فتنة العيارين
- ٢٢٤ ودخلت سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة
ذكر القبض على
- ٢٢٤ سابور الوزير

- ٢٢٤ ذكر السبب في ذلك
- ٢٢٥ شرح [ما] عليه أمر خلف بن أحمد صاحب سجستان
في إنقاذ عمرو ابنه إلى كرمان ويتصل هذا
الحديث بما جرى بعد هذه السنة
من أحوال تلك البلاد
- ٢٢٦ ذكر الحيلة التي استمر عليها خلف بن أحمد
في أخذ أموال رعيته
- ٢٢٧ ذكر الحيلة التي رتبها العلاء بن الحسن في القبض
على تمرناش وقتله من بعد [280]
- ٢٢٨ ذكر ما جرى عليه أمر [281] أبي جعفر في هزيمته
- ٢٢٩ ذكر ما جرى عليه أمر عمرو بن خلف في هذه
الوقعة وهزيمته وما آل حاله إليه من القتل
- ٢٣٠ ذكر حيلة عملها خلف بن أحمد في تعليل
أستاذ هرمز عن قصده [283]
- ٢٣١ ذكر مكيدة لخلف أراد بها [284] إساءة
سمعة أستاذ هرمز
- ٢٣٤ ذكر ما جرى عليه أمر طاهر بن خلف بكرمان
- ٢٣٥ ذكر ما دبّر به أستاذ هرمز أمره
عند وصول الخبر إليه
- ٢٣٥ ذكر ما جرى عليه أمر ابن خلف في قصد
بردسير وما آل أمره إليه من الهزيمة
- ٢٣٦ عود بهاء الدولة من
الأهواز إلى مدينة السلام

- ٢٣٧ ذكر السبب في ذلك
- ٢٣٨ القبض على ابن طاهر
- ٢٣٨ سكون فتنه العيارين
- ٢٣٨ ذكر السبب في هرب فولاذ
- ٢٣٩ ذكر الحيلة التي رتبها فولاذ على العلاء بن الحسن
وانعكاسها حتى صارت الدائرة على فولاذ [293]
- ٢٤٠ ذكر القبض على عبدالعزيز
بن يوسف وأصحابه
- ٢٤١ ذكر السبب في القبض على الطائع لله رضوان الله عليه
- ٢٤٣ خلافة القادر بالله
- ٢٤٤ ذكر الرؤيا التي رآها القادر بالله رضوان الله عليه
- ٢٤٥ ذكر جلوس القادر بالله أمير المؤمنين رضوان الله عليه
على سرير الخلافة
- ٢٤٨ شرح الحال عصيان بكجور وما آل إليه أمره من القتل
ونُفذ من أخبار المصريين تتصل بها
في هذه السنة وما بعدها
- ٢٤٩ ذكر السبب في مسير بكجور
إلى حلب لقتال مولاه
- ٢٤٩ ذكر الحيلة التي رتبها عيسى مع نزال
في التقاعد ببكجور حتى ورطه
- ٢٥٠ ذكر جود عاد على سعد الدولة بحفظ دولته
وشح آل ببكجور إلى ذهاب مهجته

- ٢٥١ ذكر ما دبّره بكجور بفضل شجاعته
فحالت المقادير دون إرادته
- ٢٥٢ ذكر ما فعله لؤلؤ من افتداء مولاه بنفسه
فنجّاهما الله بحسن النية
- ٢٥٢ ذكر ما جرى عليه أمر بكجور بعد الهزيمة
إلى أن قُتل
- ٢٥٤ ذكر حزم أخذ به لؤلؤ دلّ منه [308]
على أصالة رأى
- ٢٥٥ ذكر ما جرى عليه أمر سلامة الرشيقي وأولاد
- ٢٥٥ بكجور في خروجهم من الرقة وغدر
سعد الدولة
- ٢٥٦ ذكر ما جرى بين صاحب مصر وسعد الدولة من المراسلات
وما اتفق من وفاة سعد الدولة بعقب ذلك
- ٢٥٨ ذكر قيام أبي الفضائل ابن سعد الدولة بعد أبيه
وما جرى له مع العساكر المصرية
- ٢٥٨ ذكر مسير منجوتكين من مصر إلى حلب
ونزوله عليها [313]
- ٢٥٩ ذكر مشورة أنتجت رأياً سديداً
كان في أثنائه الظفر بالروم
- ٢٦٠ ذكر تدبير لطيف دبّره لؤلؤ في صرف
العساكر المصرية عن حلب [315]
- ٢٦١ ذكر ما دبّره المتلقب بالعزیز في إمداد العسكر بالميرة
وإعادتهم إلى حلب

- ٢٦٢ ذكر مسير بسيل إلى الشام لقتال العساكر المصرية
وما جرى عليه أمره في ذلك
- ٢٦٢ ذكر ما دبّره واعتمده لؤلؤ من رعاية
حرمة الإسلام وإنذار منجوتكين
بخبير هجوم الروم
- ٢٦٣ ذكر مسير المتلقّب بالعزيز من [318] مصر
لغزو الروم وما اتفق من موته وجلوس ولده
المتلقّب بالحاكم في موضعه
- ٢٦٤ ذكر ما دبّره أرجوان في أمر ابن عمّار ومكاتبة
منجوتكين والاستنصار به عليه
- ٢٦٤ ذكر ما دبّره ابن عمّار في تجهيز [320] الجيش
وما آل إليه أمر منجوتكين من الهزيمة
- ٢٦٦ ذكر ما اعتمده أبو تميم الكتامي
من حسن سيرة ملك بها قلوب الرعية
- ٢٦٦ ذكر ما همّ به ابن عمّار من الفتك بأرجوان وشكر
وما دبّره في التحرّز منه حتى
سلماً منه وتورّط هو
- ٢٦٧ ذكر ما دبّره أرجوان أمر الملك
- ٢٦٧ ذكر ما تمّ على أبي تميم من أهل دمشق [324]
بقلة حزمه وضعف رأيه
- ٢٦٨ ذكر ما جرى عليه أمر جيش [325] بن الصمصامة
في هذا الوجه إلى أن توفي
- ٢٦٩ ذكر مكيدة بدأ جيش بها في هذه التوبة

- مع أحداث دمشق إلى أن أمكنته [326]
 الفرصة منهم في الكرة الثانية
- ٢٧٠ ذكر ما أنزل الله تعالى على المسلمين [327] من النصر
 فقتل زعيم الروم على يد أحدهم
- ٢٧١ ذكر تمام هيئته في المكيدة التي كان بدأ
 بها جيش في تسكين أحداث دمشق [328]
 حتى ظفر بهم
- ٢٧٣ ذكر السبب في قتل أرجوان
 وشرح الحال في ذلك
- ٢٧٦ ذكر ما جرت عليه الأمور بعد
 قتل أرجوان [334]
- ٢٧٦ ذكر رأيين كل منهما شديد
 لو ساعد القدر فيه
- ٢٧٨ ذكر عجلة ضاع الحزم بها
 ذكر رأي أشار به ابن [337] المغربي
 في تلك الحال
- ٢٧٩ ذكر رأي لابن المغربي قصد به تأكيد الوحشة
 بين حسان وصاحب مصر
- ٢٧٩ ذكر ما جرى عليه أمر أبي الفتوح العلوي
 المتلقب بالراشد بالله
- ٢٨١ ذكر ما دبّره صاحب مصر عند وصول الخبر إليه
- ٢٨٢ ذكر تحاسد بين أهل عاد بوبال [341]
- ٢٨٣ مسير خماتكين إلى

الرحبة والرقّة

- ٢٨٤ ذكر ما جرى عليه أمره في ذلك
- ٢٨٥ ودخلت سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة
- خروج الوزير أبي القاسم
- لقتال بنى عقيل
- ٢٨٥ ذكر السبب في ذلك وما انتهى
- إليه الأمر فيه
- ٢٨٥ ذكر رأى سديد لأبى جعفر نظر فيه للعاقبة
- ٢٨٦ ذكر ما رقبه أبو القاسم من الحيلة
- حتى تمّ له الانحذار
- ٢٨٨ ذكر تدبير جيّد سلم به أبو العلاء
- عبيد الله بن الفضل
- ٢٨٨ شرح حال أبى الحسن المعلم في
- القبض عليه وقتله
- ٢٩٠ تسليم الطائع إلى القادر وإنزاله في حجرة
- ٢٩٠ ذكر ما جرى عليه أمر الوزير أبى القاسم
- وما استقرّ في أمر النظر بعد القبض عليه
- ٢٩١ ذكر القبض على أبى القاسم بشيراز
- ٢٩١ ذكر ما جرت عليه الحال في ذلك
- ٢٩٢ ذكر ما جرى عليه أمر العلاء بن الحسن
- في عوده إلى الوزارة
- ٢٩٣ ورود الخبر بنزول ملك الروم
- على خلاط وأرجيش

- ٢٩٣ ودخلت سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة
استيلاء أولاد بختيار
على القلعة
- ٢٩٣ ذكر الحال في ذلك وما انتهى إليه أمرهم
- ٢٩٤ ذكر حيلة عملها أولاد بختيار
ملكوا بها القلعة [355]
- ٢٩٤ ذكر ما دبره أبو علي ابن أستاذ هرمز
في فتح القلعة
- ٢٩٥ ذكر السبب في ذلك
- ٢٩٦ ذكر تفريط من أبي العلاء في
إذاعة سرّ عجل به
- ٢٩٦ شغب الديلم
- ٢٩٧ ذكر ما جرى عليه أمر أبي القاسم عليّ
ابن أحمد في هذه الوزارة
- ٢٩٨ ذكر سبب وجد به الحواشي طريقاً [360] إلى
فساد حال الوزير أبي القاسم
- ٢٩٨ ذكر ما جرت عليه الأمور بعد هرب الوزير
أبي القاسم عليّ بن أحمد وعود
أبي نصر سابور
- ٢٩٩ ذكر ما دبره بهاء الدولة في ذلك
- ٣٠٠ ذكر ما جرى عليه أمر أبي العلاء بعد الأسر
والاتفاق الذي سكن به [362]
- ٣٠٠ عقد القادر بالله

- على ابنة بهاء الدولة
- ٣٠١ ودخلت سنة أربع وثمانين وثلاثمائة . مصاهرة بين المهذب والبهاء
- ٣٠١ مراسلة بين البهاء والفخر
- ٣٠١ ذكر السبب في ذلك
- ٣٠٢ شرح ما جرى عليه أمره في هذا الوجه وظفرهم بعساكر صمصام الدولة وانهزامه من بين أيديهم
- ٣٠٣ ذكر اتفاق سيئ عاد بضد التقدير
- ٣٠٤ ذكر ما دبره الفلمان في قتل المستأمنة
- ٣٠٤ إليهم من الديلم
- ٣٠٤ ذكر ما فعله بهاء الدولة عند حصوله بواسط
- ٣٠٥ ذكر ما جرى عليه أمر الوزارة في البصرة في هذه السنة
- ٣٠٦ ذكر رأى شديد أشار به الفاضل على ماسرجس فلم يعمل به
- ٣٠٧ ذكر ما رتباه من الخيلة في أمره حتى انحل
- ٣٠٨ ذكر ما جرى عليه أمر صمصام الدولة بعد انصرافه من الوقعة
- ٣٠٩ ودخلت سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وفاة الصاحب بن عبّاد وما جرى في علته وبعد موته
- ٣٠٩ شرح ما جرت عليه الحال في ذلك
- ٣١١ بين فخر الدولة وأبى العباس الضبّي

- ٣١٢ ما فعله ابن رافع في إستراباذ
- ٣١٣ صمصام الدولة يقتل أتراك فارس
- ٣١٣ ذكر الحيلة التي عملها صاحب السند
على الأتراك حتى قتلهم
- ٣١٣ وفاة أبي نصر خواشاذه
- ٣١٥ ذكر ما جرى عليه الأمر مع العلاء بن الحسن
واستيلائه على الأهواز
- ٣١٦ ذكر ما جرى عليه أمر أبي محمد
ابن مكرم والغلمان
- ٣١٧ ذكر ما جرت عليه حاله في هذه النوبة
- ٣١٨ ذكر رأي سديد رآه الفاضل في استمالة قلب بهاء الدولة
ودخلت سنة ست وثمانين وثلاثمائة [385]
- ٣٢٠ وفيها ملك لشكرستان بن ذكي البصرة وانصرف أصحاب بهاء الدولة عنها
- ٣٢٠ شرح الحال في ذلك
- ٣٢٢ ذكر ما جرى عليه أمر لشكرستان بالبصرة إلى أن استقر
ما بينه وبين مهذب الدولة من الصلح
- ٣٢٤ عود سابور بن أردشير إلى الوزارة
- ٣٢٤ ذكر ما جرى عليه أمر أبي نصر سابور
في هذه النوبة
- ٣٢٦ ذكر الحيلة التي عملها سابور في اختبار بهاء الدولة
- ٣٢٧ استكتاب القادر بالله أبا الحسن ابن حاجب النعمان
- ٣٢٨ ذكر السبب في ذلك
- ٣٢٩ ذكر تدبير لطيف توصل [395] به ابن حاجب النعمان

إلى خدمة دار الخلافة

- ٣٣١ وفيها عاد أبو جعفر الحجاج من الموصل
ذكر السبب في ذلك وما جرى الأمر عليه
- ٣٣٢ ذكر مكيدة عملها أبو جعفر سلم بها في انحذاره .
- ٣٣٢ ذكر ما جرى عليه الأمر بالموصل
بعد انحذار أبي جعفر
- ٣٣٣ زيادة التشاجر
- ٣٣٣ ذكر الحال في ذلك
- ٣٣٤ ذكر ما جرى من المقلد بن المسيب في هذه السنة
- ٣٣٥ ذكر الغيلة التي عملها المقلد
- ٣٣٦ ذكر المكيدة التي رتب في القبض على أبي علي
- ٣٣٧ ذكر القبض على أبي نصر
- ٣٣٧ ذكر السبب في ذلك [405] أولاً
وما جرت عليه الحال ثانياً
- ٣٣٨ ذكر رأى سديد أشير به على العارض
فكان سبباً لنجاته
- ٣٣٩ ذكر ما يستدل به على حزم بدر
- ٣٤٠ ذكر مكيدة عملها بدر لقومه [409]
- ٣٤١ ذكر سياسة بليغة من أفعاله
- ٣٤٢ ذكر رأى سديد في تدبير الأعمال
- ٣٤٣ ذكر ما دبره في أمر النفقات على القناطر والطرق
- ٣٤٣ ذكر رأى سديد في إقامة هيئة
- ٣٤٤ ودخلت سنة سبع وثمانين وثلاثمائة

- ٣٤٥ ذكر ما جرت عليه الحال في ذلك
- ٣٤٥ ذكر ما جرت عليه الحال في ذلك
- ٣٤٦ ذكر ما جرى عليه الأمر بعد وفاة العلاء بن الحسن
- ٣٤٧ ذكر تدبير يدل على قوة نفس وشهامة
- ٣٤٨ ذكر ما جرى عليه الأمر مع أبي الحسن علي بن مزيد
- ٣٤٩ ذكر ما جرى عليه الأمر بعد وفاة فخر الدولة
- ٣٥٠ ذكر عود قابوس إلى جرجان وما جرى الأمر معه عليه
- ٣٥٠ ذكر جواب سديد لبدر خولف رأيه فيه
- ٣٥٢ ذكر ما جرى الأمر عليه في القبض
على ابن حمولة
- ٣٥٣ ذكر القبض على علي بن المسيب والإفراج عنه
وما جرى في ذلك من الخطوب في هذه
السنة وما بعدها ليتسقى الحديث
- ٣٥٣ ذكر الحيلة التي عملها المقلد في ذلك
- ٣٥٥ ذكر كلام سديد لغريب [427]
- ٣٥٨ ودخلت سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة
وفيها هرب عبد الله بن جعفر المعروف بابن الوثاب
من الاعتقال في دار الخلافة
شرح حاله وما انتهى إليه أمره بعد هربه
- ٣٦٠ ذكر الحال في حصول أبي علي ابن اسماعيل
بواسطة ناظرأ وما جرى عليه أمر
الشریف أبي الحسن ابن عمر معه
- ٣٦٠ ذكر السبب في صلاح ما بين الشريف أبي الحسن

- محمد بن عمر وأبى على ابن اسماعيل
 ٣٦٢ ذكر ما دبّره أبو على فى نصره رأيه
 ٣٦٤ ذكر مسير بهاء الدولة من واسط
 إلى القنطرة البيضاء
 ٣٦٥ شرح الحال فى الأمور التى أدت إلى
 قتل صمصام الدولة ٣
 ٣٦٦ ذكر رأى خطأ لم تحمد عواقبه [440]
 ٣٦٧ ذكر رأى شديد أشرن به على
 أبى جعفر فلم يقبله
 ٣٦٨ ذكر ما جرى عليه أمر صمصام الدولة بعد خروج
 ابنى بختيار إلى أن قتل
 ٣٧٠ ودخلت سنة تسع وثمانين وثلاثمائة
 ٣٧٠ دخول ابن أستاذ هرمز
 والديلم فى طاعة بهاء الدولة
 ٣٧٠ شرح ما جرى عليه الحال فى ذلك [445]
 ٣٧١ ذكر حيلة رقبها أبو على ابن أستاذ هرمز برأيه فكشفها
 أبو على ابن اسماعيل بالمعينة ودهائه
 ٣٧٢ ذكر حزم اعتمده أبو على ابن اسماعيل
 فى تلك الحال
 ٣٧٤ ذكر كلام شديد لقناخسره بن أبى جعفر [449]
 ٣٧٥ ذكر ما دبّره أبو على ابن أستاذ هرمز
 فى صلاح حاله مع بهاء الدولة
 ٣٧٦ ذكر كلام شديد لأبى على ابن أستاذ هرمز

- ٣٧٧ قتل الديلم نقيب نقبائهم
- ٣٧٧ ذكر السبب في ذلك وما كان من مكيدة
أبى على ابن أستاذ هرمز في أمره
- ٣٧٨ ذكر رأى طريف رآه أبو على ابن اسماعيل
لا يعلم موجهه
- ٣٧٩ ذكر ما جرى بين الأتراك وبين
بهاء الدولة من الخطاب
- ٣٨٠ ذكر ما دبره أبو على ابن اسماعيل بالأهواز
- ٣٨١ ذكر رأى أشار به أبو على ابن اسماعيل
على بهاء الدولة
- ٣٨٢ ذكر خلاص أبى جعفر أستاذ هرمز
- ٣٨٤ ذكر فتح شيراز
- ٣٨٤ ذكر ما جرى عليه الأمر بعد هذا الفتح
- ٣٨٥ ذكر تقرير للإقطاعات وتوفير في المصارفات
- ٣٨٦ ذكر السبب في القبض على الفتكين [464]
- ٣٨٧ ذكر حيلة لطيفة كانت سبباً لسلامة الفتكين
- ٣٨٨ ذكر أغلاط لأبى على ابن اسماعيل [466]
كانت سبباً لفساد حاله
- ٣٩٠ ذكر القبض على نقيب نقباء الديلم
- ٣٩٠ ذكر الحال في القبض عليه
- ٣٩٠ ذكر سياسة قامت بها الهيئة في الإفراج عنه

- ٣٩٥ ... شرح الحال فى قبض أبى شجاع بكران بن بلفوارس على أبى القاسم ..
الحسين بن مما نقيب النقباء
- ٣٩٦ ... ذكر إحراق دار الحمولى ..
- ٣٩٧ ... ذكر السبب فى ذلك
- ٣٩٩ ... مقتل محمد بن على الحاجب
- ٣٩٩ ... شرح الحال فى ذلك
- ٤٠٠ ... مقتل أصحاب محمد بن عناز ..
- ٤٠٠ ... شرح الحال فى ذلك
- ٤٠٧ ... سنة تسعين وثلاثمائة
- ٤٠٧ ... احتراق أرسلان البستى
- ٤٠٩ ... ذكر ما جرى عليه الامر فى تركته وضيعته
- ٤١١ ... شرح الحال فى عود ابن بختيار وما جرى عليه أمر الموفق
فى قصده إياه وظفره به وأمر عسكر
- ٤١١ ... ابن بختيار بعد قتله
- ٤٢٢ ... ما دار بين الموفق وبرنجشير المنجم
- ٤٢٨ ... ونعود إلى ذكر الحوادث على سياقة الشهور
- ٤٢٩ ... خروج لدفع القزاق ...
- ٤٢٩ ... ذكر السبب فى ذلك
- وما جرت عليه الحال فيه
- ٤٣٢ ... ذكر القبض على الموفق بشيراز
- ٤٣٢ ... شرح الحال فى ذلك
- وفيما تقرّر عليه أمر النظر بعده
- ٤٣٦ ... حوادث عدة

- ٤٣٨ أقوى الأسباب في تملك الخانيّة
وانقراض السامانيّة
- ٤٣٩ ورود طاهر بن خلف كرمان
- ٤٣٩ شرح ذلك على ما حدثني به أبو عبدالله الفسوي . .
- ٤٤٩ [49] ذكر ما جرى عليه
أمر طاهر بن خلف بعد عوده
- ٤٥١ سنة احدى وتسعين وثلاثمائة
- ٤٥١ شرح الحالة في ذلك
- ٤٥٢ ذبح المقلّد على فراشه
- ٤٥٤ ذكر الحال في ذلك
- ٤٥٤ ذكر ما جرى عليه الأمر
بعد قتله على ما حدثني به ابو الفتح عيسى بن إبراهيم
- ٤٥٦ القادر بالله يجعل ابنه أبا الفضل وليّ عهده
ويلقبه بالغالب بالله
- ٤٥٧ شرح الحال في ذلك
- ٤٥٧ ذكر السبب في تقليده العهد على هذه السن
- ٤٦١ ذكر ما جرى عليه أمر الواثق بعد ذلك
على ما عرفته من القاضي أبي جعفر السمناني
- ٤٦٢ ذكر قتل عليّ بن طاهر الكاتب
- ٤٦٢ شرح الحال في ذلك
- ٤٦٣ [62] ذكر السبب في ذلك
وما جرى عليه أمره في خروجه
إلى حين رجوعه

- ٤٦٤ تقليد الحسن بن أستاذ هرمز
أعمال الأهواز
- ٤٦٤ ذكر ما جرى في ذلك
- ٤٦٥ حوادث عدة
- ٤٦٦ ورود الحجاج بن هرمز واسطاً ثم
خروجه منها سائراً إلى شيراز
- ٤٦٦ ذكر ما جرى عليه أمره في ذلك
- ٤٦٧ حوادث عدة
- ٤٦٧ مقتل بهستون بن ذرير
- ٤٦٧ شرح الحال في ذلك
- ٤٦٨ وفاة الحجاج شاعر السخف
- ٤٦٨ ذكر حاله وطرف من أمره
- ٤٧٢ حوادث عدة
- ٤٧٣ شرح الحال في ذلك
- ٤٧٤ سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة
- ٤٧٩ شرح حال أبي الطيب منذ ابتداء أمره وإلى حين وفاته
وما جرى في طلب أمواله وذخائره على ما عرّفنيه
أبو عبدالله الحسين بن الحسن الفسوي
- ٤٨٢ عدة حوادث منها وفاة ابن جنّي
- ٤٨٣ ذكر السبب في ذلك
وما جرى عليه الأمر فيه
- ٤٨٤ شرح ما جرى عليه الأمر في ذلك
وما اتصل به من خروج أبي اسحق إبراهيم

- ٤٨٤ أخى أبى جعفر وهزيمته
- ٤٨٦ ذكر ورود ابن ثمال ..
- ٤٨٦ ذكر الحال فى وروده
- ٤٩٤ شرح الحال فى هربه من القلعة عند اعتقاله أولاً فيها
وحصوله عند الديوانى وعوده الى شيراز بعد التوثقة
التي أعطىها وما جرى عليه أمره الى أن قبض عليه
ثانياً وردّ الى القلعة وكلّ ذلك على ما [89] حدّثنى
به أبو نصر بشر بن إبراهيم السنّى كاتب الموفق
- ٤٩٩ ذكر ما جرى عليه أمره بعد دخوله
- ٥٠١ ذكر ما جرى عليه أمره عند ردّه الى القلعة ..
- ٥٠٤ مسير بهاء الدولة من الأهواز
- ٥٠٤ شرح الحال فى ذلك
- ٥٠٩ ذكر ما عمله عميد الجيوش
وأجرى أمور الأعمال والدواوين عليه
- ٥١١ ونعود الى ذكر الحوادث
- ٥١١ فى الشهور الداخلة فى هذه السياقة
- ٥١١ مقتل ابن شهرويه وأبى عبدالله المستخرج وابنه
- ٥١١ [104] ذكر الحال فى ذلك
- ٥١٤ حديث طريف
- ٥١٤ انقضاء كوكب وتشقّقه
- ٥١٥ دخول الحاجّ الخراسانية بغداد
وعودهم الى بلادهم
- ٥١٥ ذكر ورود على بن عبدالرحمن مطلقاً

- ٥١٥ من أسر بني عقيل ...
- ٥١٥ ذكر الحال في أسره وإطلاقه
- ٥١٦ حوادث عدة
- ٥١٧ شرح الحال في ذلك وفيما جرى عليه أمر الوزارة بالرئ بعده
على ما أخبرني به القاضي [109] أبو العباس
أحمد بن محمد البارودي
- ٥٢٠ ذكر تقلد أبي الفضل الوزارة
ثمّ عود الخطير إليها
- ٥٢١ ذكر السبب في فساد رأي بدر بن حسنويه
على أبي سعد ابن الفضل
وما عامله به عند هزيمته من الرئ وقصده إياه
- ٥٢٤ استار
- ٥٢٤ شرح الحال في ذلك وفيما جرى عليه أمره الى أن قتل
- ٥٢٦ سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة
- ٥٢٧ ذكر حال أبي الفضل
- ٥٢٧ وما جرى عليه الأمر في تقليده

MISKAWAYH

(932-1030)

TAJĀRIB AL-UMAM

(Experiences of Nations)

EDITED, ANNOTATED & INTRODUCED

by

A.Emāmi, Ph.D.

VOL. 7

Continuation



(AL-DHAIL & AL-MULHAQ)

by

RUDHRAWARI & HILAL AL-SABI

Soroush Press

Tehran 2001

MISKAWAYH

(932-1030)

TAJĀRIB AL-UMAM

(Experiences of Nations)

EDITED, ANNOTATED & INTRODUCED

by

A.Emāmi, Ph.D.

vol.7

Continuation

(AL-DHAIL & AL-MULHAQ)

by

RUDHRAWARI & HILAL AL-SABI

Soroush Press

Tehran 2001



بها : شمیز : ۳۵۰۰۰ ریال
گالینگور : ۴۰۰۰۰ ریال

شابک : ۰ - ۵۵۲ - ۴۳۵ - ۹۶۴ - ۴۳۵ - ۵۵۲ - ۰

شابک : ۵ - ۳۳۱ - ۴۳۵ - ۹۶۴ (دوره ۷ جلدی) ISBN: 964-435-331-5 (7 Vol SET)

سروش
مطبع و ناشر